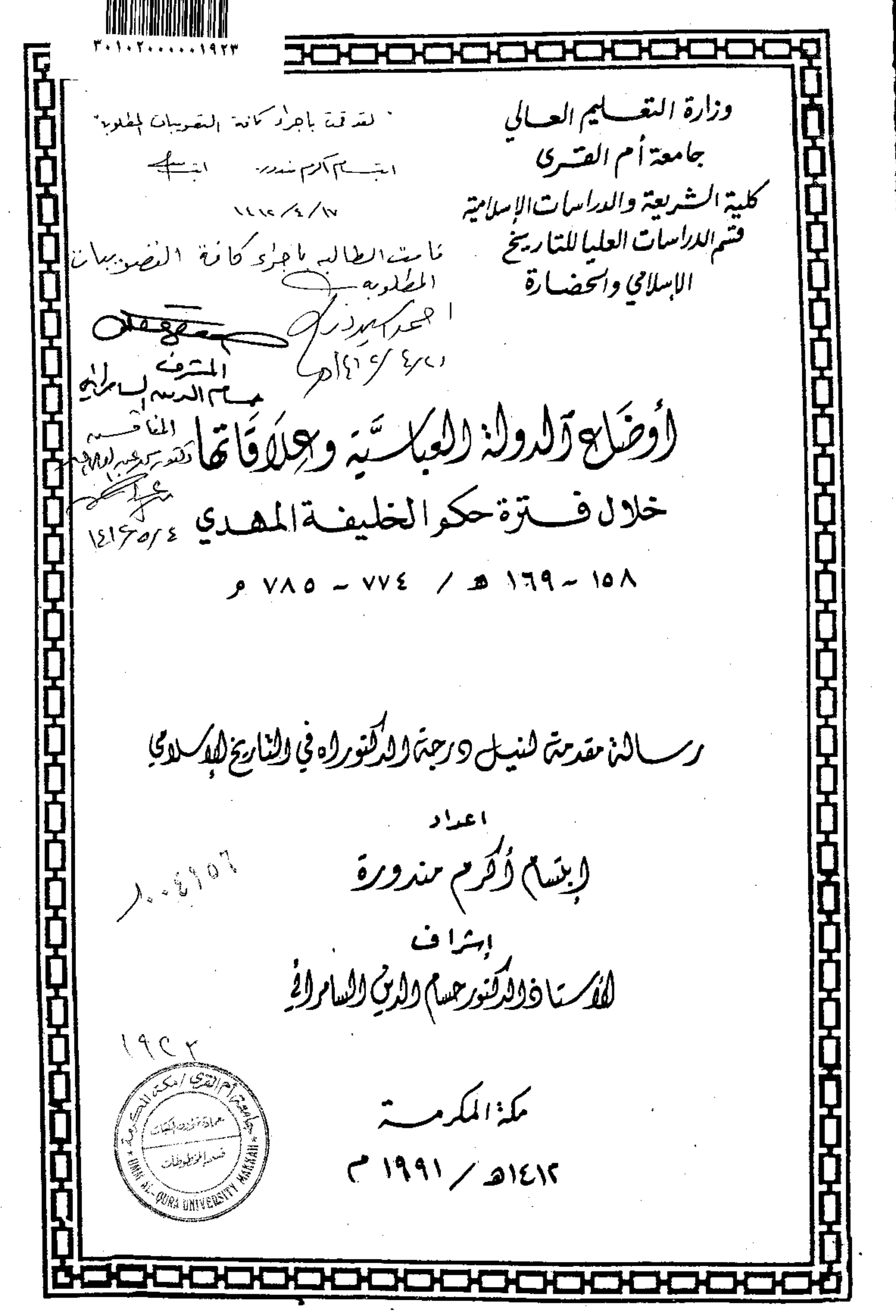


وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا للتاريخ الإسلامي والحضارة

أوضاع الدولة العباسية وعلاقاتها خلال فترة حكم الخليفة المهدي

١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٤ - ٧٨٥ م

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

اعداد
ابتسام أكرم مندورة

إشراف
الأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائي

مكة المكرمة

١٤١٢هـ / ١٩٩١م



ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين ، وبعد :

قامت الدولة العباسية على أثر دعاية سرية اتخذت من حق بني هاشم الشرعي في الخلافة صيحتها السياسية ، وقد كان للجهد الذي بذله الخليفة المنصور أكبر الأثر في توطيد أركان هذه الدولة وجعلها مستقرة الأوضاع عظيمة الهيبة .

أدرك الخليفة المهدي بعدما عرف عنه من حسن تقدير الأمور ، ومن خلال تجاربه التي اكتسبها خلال خلافة أبيه المنصور ضرورة إجراء تغييرات سياسية وإدارية شاملة في أوضاع الدولة العباسية ، كان من أهمها الموقف من المعارضة ، وذلك لاقتناعه بأن سياسة الشدة والقسوة التي انتهجها أبوه المنصور لم تعد ملائمة لعصره ، فكان الأساس الذي ارتكزت عليه سياسته الجديدة هو اتباع سياسة اللين والاعتدال ، لذلك أحدث موازين جديدة في سياسة الدولة ، ونجح فيها نجاحًا كبيرًا ، فكان ذلك بالاضافة إلى ماتم إحرازه من إنجازات مهمة في عهده بداية لمرحلة أطلق عليها صفة العصر الذهبي، ولعل ذلك هو الدافع الرئيسي لاختيار موضوع البحث .

أما على صعيد الثورات الداخلية المسلحة والحركات الفارسية ، فقد عمل المهدي على مواجهتها بكل حزم وقوة ، فقضى عليها جميعًا دون أن يترك لها مجالاً لتحقيق أهدافها . كما عني المهدي عناية فائقة بمكافحة خطر الزنادقة فكان الجهاد ضد هذه الحركة المارقة من أهم المميزات التي ميزت عهد المهدي .

أما عن السياسة الإدارية خلال تلك الفترة فقد حرص المهدي على أن يجعل الوزراء تحت إشرافه المباشر على الدوام وأن يكون دورهم مقتصرًا على تنفيذ أوامر الخليفة وسياسته .

كما تعتبر حركة التبديل المستمرللعمال والولاة من السمات الواضحة في سياسة المهدي وذلك يعود إلى محاولة المهدي في أن لايجعل لوال فرصة في تثبيت قدمه في الولاية خشية أن تحدثه نفسه بالتمرد والاستقلال .

أما عن الاصلاحات الداخلية المهمة التي برزت في أثناء خلافة المهدي فهي :

ـ الاهتمام بالنظر بالمظالم فكان المهدي أول من أوجد ديوانًا خاصًا بها في العصر العباسي ، وقد شملت سلطات هذا الديوان كافة طبقات المجتمع حتى الخليفة نفسه ، وكان الخليفة المهدي يباشر بنفسه في الغالب الجلوس لرد المظالم .

ـ أوجد المهدي تنظيمات جديدة للبريد في الطريق الذي يربط الحجاز واليمن بعاصمة الخلافة العباسية ، كما أنه تابع سياسة أبيه المنصور في إخضاع ولاته وقضاته ووزرائه للمراقبة الدقيقة والدائمة عن طريق البريد حتى يكون على علم تام بما يجري في دولته .

أما عن إصلاحاته في مجال السياسة المالية فقد كان المهدي أول من طبق نظام المقاسمة علي الانتاج في جباية الخراج ، وقد أثبت هذا النظام عند تطبيقه العديد من الإيجابيات سواء في مصلحة بيت المال أو المزارعين ، كما كان المهدي أول من استحدث ديوان الزمام لمراقبة النواحي المالية والتدقيق في الصرف ، ثم شهدت الرقابة المالية تطورًا آخر يعتبر من أعظم النظم الرقابية وهو استحداث ديوان زمام الأزمة وذلك لإحكام رقابة مالية مستمرة وفعالة على جميع أزمة دواوين الدولة .

أنشأ المهدي ديوانًا للبر وديوانًا للصدقات لمساعدة المعوزين ، وأمر بأن تجري الأرزاق في سائر أنحاء الدولة على العميان والمجذومين والصعقى ، كما أمر بالإنفاق على أهل السجون في جميع آفاق الدولة الإسلامية .

أما عن السياسة الخارجية فقد باءت محاولة المهدي في القضاء على عبد الرحمن الداخل وضم الأندلس للدولة العباسية بالفشل .

أما عن علاقته بالروم فقد حرص الخليفة المهدي على إظهار مدى قوة المسلمين الدفاعية فحرص على أن يكون للمسلمين صائفة في كل عام ، كما أنه عني عناية كبيرة بإعداد الجيوش وإرسالها لقتال الروم ، وقد تمكن ابنه هارون في سنة ١٦٥هـ من التوغل في أراضي الدولة البيزنطية حتى وصل إلى خليج القسطنطينية ، مما أرغم ملكة الروم (ايرين) على طلب الصلح والموادعة .

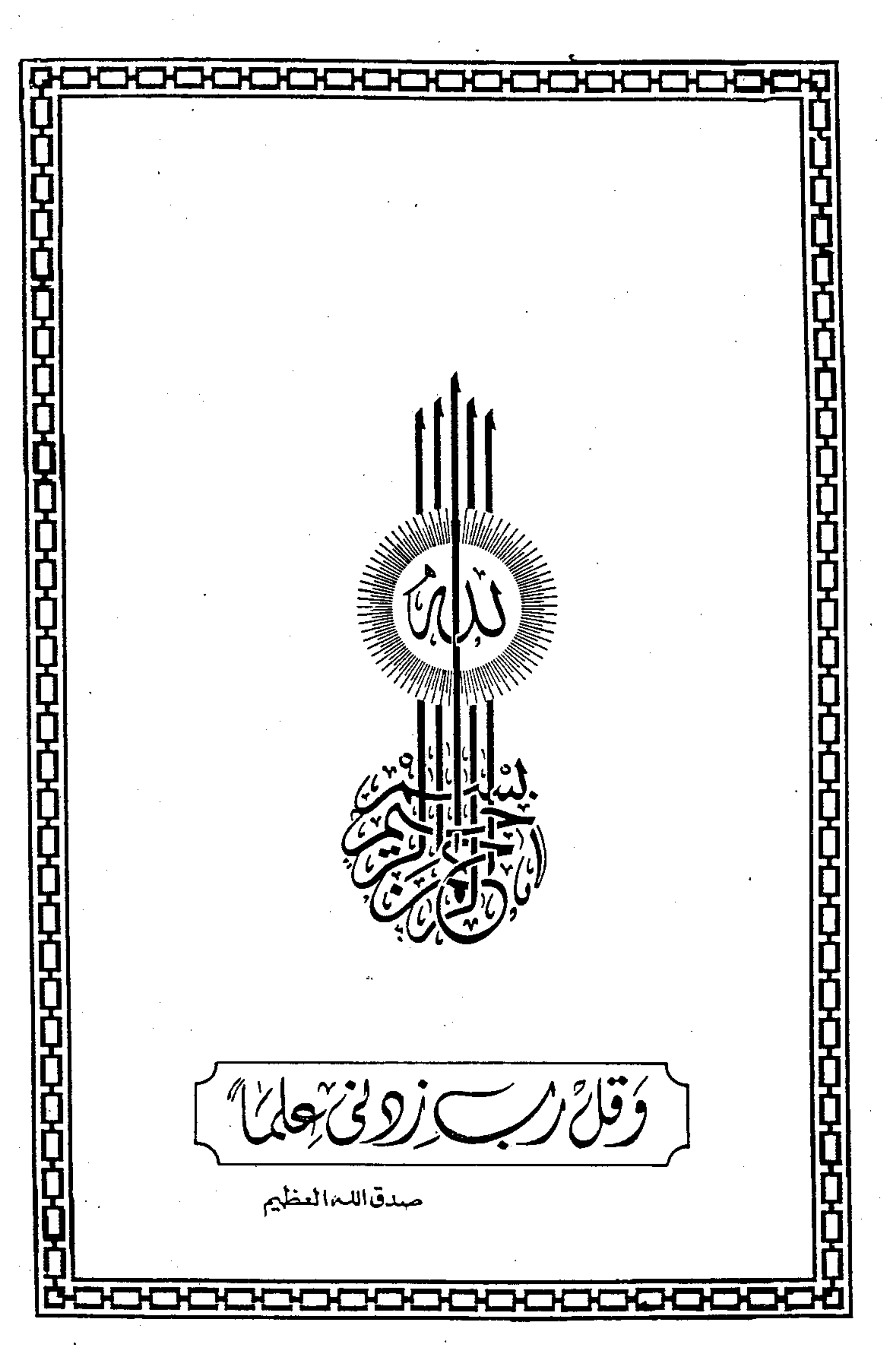
هذا بالإضافة إلى اهتمام الخليفة المهدي بتنظيم مدن الثغور وصحونها وشحنها بالمقاتلين .

ويمكن القول إجمالاً بأن عصر الخليفة المهدي يعتبر من أهم العصور في الدولة العباسية حيث كان البداية لفترة الرخاء والاستقرار الذي ساد الدولة الإسلامية .

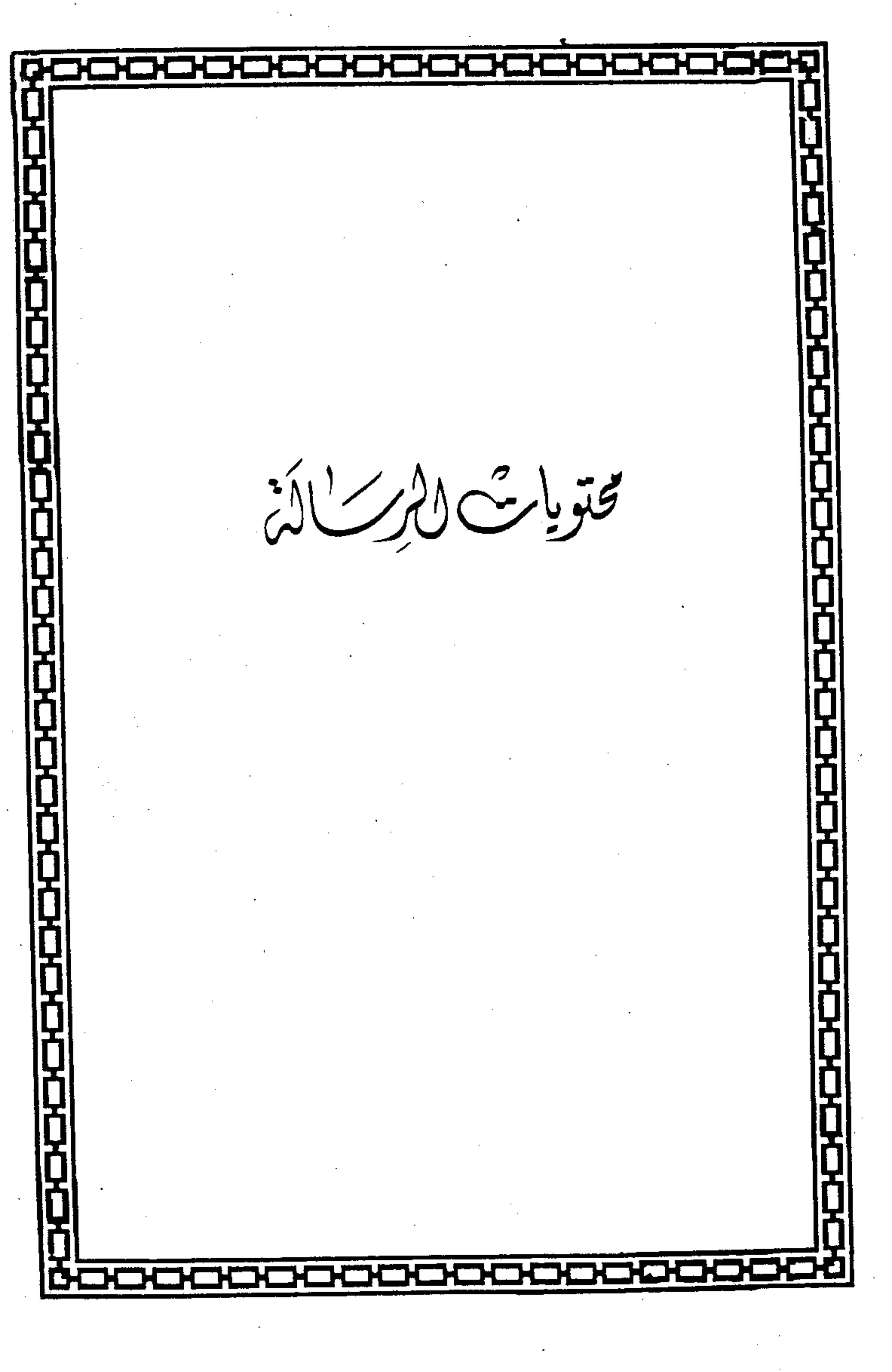
يعتمد..

إعداد الطالبة	المشرف	عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
ابتسام أكرم مندورة	د. حسام الدين السامرائي	د. عابد السفياني

١٥/٢/١٤١٢



بسم الله الرحمن الرحيم
وقل رب زدنی علماً
صدق الله العظیم



محتويات الرسالة

محتويات الرسالة

الصفحة

الصفحة

شكر وتقدير

شكر وتقدير

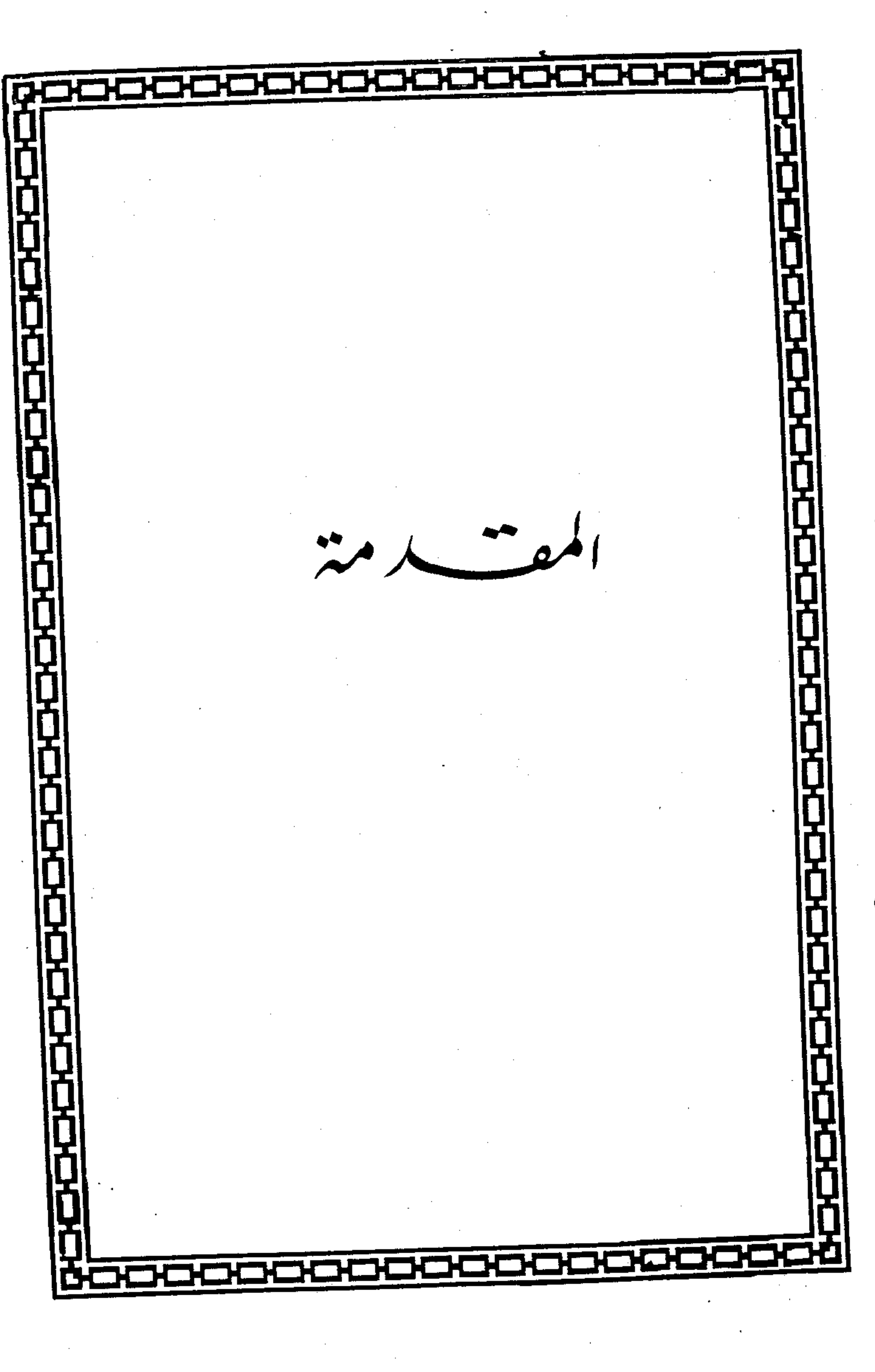
اشكر الله سبحانه وتعالى على فضله ومنه وكرمه وتوفيقه وعونه اذ وفقني لانجاز هذا العمل الذي أساله مخلصة أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفعني به يوم الدين . فلك ربي الثناء والحمد على ما أعطيت وأغدقت ، ولك الشكر على ماسهلت ويسرت ، وجزى اله خيرا فضيلة الأستاذ الدكتور/ حسام الدين السامرائي الذي سعدت برفقته العلمية منذ مرحلة الماجستير ، فكان نعم المربي والمعلم ، فجزاه الله عن العلم وطلابه أفضل مايجزى به المحسنين من خيرى الدنيا والآخرة ، وجعل له الأجر والثواب جزاء هذا العطاء السخى .

كما واتقدم بالعرفان الى جامعة أم القرى ممثلة في مديرها معالي الدكتور راشد بن راجح الشريف ، والى عمادة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ممثلة في عميدها فضيلة الدكتور سليمان بن وائل التويجرى ، ووكيلها فضيلة الدكتور أحمد بن عبد الله بن حميد ، كما اشكر كل من ساعدني وبذل معي جهدا أو أبدى رأيا من الأساتذة والزميلات والأهل والأصدقاء .

والى كافة المسؤولين والمسؤولات عن مكتبات جامعة أم القرى أزجي وافر الشكر والامتنان على مساعداتهم القيمة ومايسروه لي من امكانيات غير محدودة في الافادة من المصادر والمراجع التي مكنتني من انجاز وتقديم هذا البحث .

أسال الله تعالى أن يجزى عني الجميع خير الجزاء ويثيبهم أجزل الثواب انه سميع مجيب .

الباحثة



المقدمة

نطاق البحث
ودراسة تحليلية نقدية
لأهم المصادر

نطاق البحث ودراسة تحليلية نقدية لأهم مصادره :

ان دراسة أوضاع الدولة العباسية وعلاقاتها خلال فترة حكم الخليفة المهدى محمد بن أبى جعفر المنصور والتى تمتد خلال الفترة ١٥٨-١٧٠هـ/٧٧٤-٧٨٦م تتضمن دراسة استقصائية شاملة لجميع الأنشطة المؤثرة فى مسار الدولة العباسية خلال هذه الحقبة اضافة الى دراسة وصفية للظروف والسياسات التى نجمت عن ذلك .

ان التصور الأولى لخطة البحث قد استوعب التخطيط لدراسة مختلف تلك الجوانب ، غير أن ذلك محكوم بالعديد من المناقشات والاقتراحات والتعديلات التى يقصد من ورائها الاحكام والضبط ، وكانت النتيجة أن خطة البحث جرى تعديلها واقرارها وفق الفقرات التالية .

لقد جرى تقسيم البحث الذى أتقدم به فى هذه الرسالة الى خمسة فصول يتألف كل منها من جملة من المباحث ، وقد سبق ذلك تمهيد ، ودراسة تحليلية نقدية لأهم المصادر التى جرى بناء البحث على أساس ماقدمته من معلومات ، كما جرى تلخيص أهم نتائج البحث فى خاتمة .

وقد ألحقنا بالرسالة عددا من الملاحق التى وجدنا أن هناك مايقتضى الحاقها بالرسالة للتوضيح والتفسير وهى مهمة رغم كونها مما سبق نشره . كما تضمنت الرسالة فى النهاية قائمة تفصيلية بالمصادر والمراجع التى اعتمدتها الرسالة فى وجودها .

لقد اختص الفصل الأول من هذه الرسالة بدراسة الأوضاع



الداخلية في الدولة العباسية وجرى تقسيمه تبعا لطبيعة الموضوع الى أربعة مباحث .

تناول المبحث الأول دراسة الثورات الداخلية التى حملت فى عهد الخليفة محمد المهدى وذلك فى كل من بلاد مصر وخراسان وطبرستان . وقد جرى فى ثنايا ذلك استعراض دقيق استهدف التعرف على أسباب كل منها ، ودوافعها ، ومتابعة استفحال أمرها ، ثم تحليل دقيق وشامل لموقف الخليفة المهدى منها ، وأسلوبه فى التصدى لها ، وماتحقق له من القضاء عليها مما هيأ لتلك الاقاليم أن يعمها الأمن والاستقرار .

أما المبحث الثانى فقد جرى تقسيمه الى قسمين : استعرض أولهما انتشار الزندقة فى عهد الخليفة المهدى ومحاولة الزنادقة هدم الاسلام عن طريق الأفكار الهدامة التى حاولوا بثها بين المسلمين ، كما جرت متابعة الأساليب التى انتهجها الخليفة المهدى لمكافحة تلك الحركة الخطيرة وأتباعها الزنادقة ، والتى طبعت عصر المهدى بميزة خاصة وهى الحرب التى أعلنها على تلك الفئة الباغية . أما القسم الثانى فلقد تعرض لثورات الخوارج فى كل من الجزيرة وخراسان مبينا الأسباب التى أدت الى هزيمتهم أمام القوات العباسية .

أما المبحث الثالث من الفصل الأول ، عنوانه "تسوية أمور المعارضة واطلاق السجناء من عهد المنصور" فقد أفرد لدراسة سياسة الاسترضاء والمهادنة التى انتهجها الخليفة المهدى تجاه بعض حركات المعارضة وتأليف القلوب بالعفو

والعطاء مع كل من أهل الحجاز وخاصة مع العلويين والأمويين وقد حاولت الدراسة أن تتحرى آثار أخلاق المهدى وتوجهاته ورغباته فى رسم سياسة الدولة فى عصره ، ومدى نجاحه فى سياسة اللين والانفتاح على الجمهور .

أما المبحث الرابع من الفصل الأول فلقد تعرض لدراسة مشكلة ولاية العهد وبيان مدى حرص المنصور الشديد فى توجيه ولاية العهد الى ابنه محمد ، ونجاحه فى اكراه ابن عمه عيسى ابن موسى على التنازل عن حقه فى ولاية العهد للمهدى ، فى مقابل اغراءات مادية كبيرة تمثلت فى مبالغ مالية نقدية كبيرة ، وعددا من الضياع بالاضافة الى الوعد بتوليته العهد ثانية بعد المهدى . وقد تابع البحث دراسة مشكلة ولاية العهد التى واجهت الخليفة المهدى ولجوئه الى اتباع أسلوب والده المنصور نفسه فى التهديد والوعيد لعيسى بن موسى فى سبيل ازاحته من ولاية العهد لمصلحة ابنه موسى الهادى مما دفع عيسى الى أن يؤثر السلامة مرغما ويتنازل عن ولاية العهد مما أتاح للخليفة المهدى أخذ البيعة بولاية العهد لولده موسى ثم لولده هارون من بعده .

أما الفصل الثانى وعنوانه "تطوير التنظيمات الادارية والمالية" فيتضمن خمسة مباحث :

افرد المبحث الأول للحديث عن الوزارة وبالرغم من تعاظم أدوار الوزراء فى عهد الخليفة المهدى الا أن السلطات الأساسية كانت فى يد الخليفة ، فلقد استوزر فى البداية أبى عبيد الله معاوية بن يسار ، والذى كانت له مكانة كبيرة عند الخليفة المهدى فهو كاتب الدنيا وأوحد الناس حذقا

وعلما ، غير أنه عزله بعد أن قتل ابنه على الزندقة ، وينعكس فى ذلك أثر الدسائس والوشايات فى البلاط العباسى على الخليفة . ثم استوزر يعقوب بن داود وذلك لأسباب سياسية غير أنه سرعان ماعاد فنكبه هو وأهله وسجنه فى المطبق بسبب ميوله العلوية ، ولعل السبب يكمن فى احساس الخليفة المهدى بأن وزيره قد أصبح يمثل خطرا على أمن الدولة من وجهة نظر البيت العباسى . وأخيرا فقد استوزر الخليفة المهدى الوزير الفيض بن صالح بن شيرويه واستمر فى منصب الوزارة حتى وفاة الخليفة .

وقد تناول المبحث الثانى حركة التبديل للعمال والولاة التى جرت خلال فترة البحث . وقد كشفت الدراسة بأن الخليفة المهدى كان كثير العزل للولاة والعمال وذلك لسببين : أولهما اختيار الأفضل للولاية ، وثانيهما حذر الخليفة المهدى من أن يثبت الوالى قدمه فى الولاية مما قد يدفعه الى محاولة الاستقلال بها عن الدولة العباسية . وقد استعرض البحث قائمة الولاة الذين توالوا على أقاليم الدولة المختلفة .

أما المبحث الثالث فقد تعرض لمتابعة الرقابة الحكومية على الدواوين والتشديد فيها ودوافع ذلك ، وأثره فى ضبط الدواوين بواسطة استحداث الأزمة على الدواوين أولا ، ثم استحداث ديوان زمام الأزمة لغرض ضبط جميع أعمال الدواوين والتدقيق فيها .

وقد تناول المبحث الرابع عناية المهدى برد المظالم فقد كان أول من جلس لها من بنى العباس وذلك لرغبته

الشديدة فى اقامة العدل والانصاف ، فاتخذ بيتا له شباك حديد تطرح فيه القصص وتجمع بعد ذلك خشية التلاعب فى تاخير شكاية او اخفائها . وقد استعرض البحث انواع المظالم التى ردها الخليفة المهدى .

كما تعرض المبحث الخامس للتعريف بمدى اهتمام الخليفة المهدى بامر البريد وتنظيم طرقه وكذلك استعماله البريد فى اعمال مراقبة العمال والولاة والقضاة والتعرف على مدى انتظام سير العمل فى الدولة للاطمئنان على دقة الاجراءات وعدالتها . كما تعرض المبحث بجانب ذلك الى متابعة الاجراءات الادارية الجديدة المتمثلة فى استحداث خدمات بريدية خاصة بالطريق الذى يربط بين كل من الحجاز واليمن بعاصمة الخلافة بغداد .

أما الفصل الثالث وعنوانه "الأوضاع المالية المركزية وتطوير أساليب الجباية والرقابة المالية" فهو يتضمن اربعة مباحث .

اختص المبحث الأول منها بمتابعة دراسة التعديل المهم الذى طبقه المهدى على نظام جباية الخراج وفقا لاقتراح وزيره أبى عبيد الله معاوية بن يسار ، والذى تضمن كذلك تحديد نسبة المقاسمة التى تؤخذ على الزروع .

أما المبحث الثانى فلقد تناول تركيز الرقابة المالية فى جميع مرافق الدولة واستحداث ديوان زمام الأزمة .

فى حين اختص المبحث الثالث بمتابعة الاشراف المركزى على دور الضرب والاصدارات النقدية الجديدة خلال فترة البحث .

أمـا المبحث الرابع فلقد ابرز إسهامات الدولة فى عهد الخليفة المهدى فى الانفاق على الصحة العامة واستحداث تنظيمات جديدة خاصة بالرعاية الصحية والاجتماعية ، والانفاق على المسجونين .

أمـا الفصل الرابع وعنوانه "الانجازات الحضارية" وهو يتكون من أربعة مباحث .

تعرض الأول منها للتوسعة التى أحدثها المهدى للمسجد الحرام والتى حملت على مرحلتين ، بدات أولاهما فى سنة ١٦١هـ وانتهت سنة ١٦٥هـ . أما المرحلة الثانية فقد بدات فى سنة ١٦٧هـ وهى تعتبر من أهم الزيادات التى أحدثت فى المسجد الحرام اذ انه لاحظ بان موضع الكعبة المشرفة لايتوسط المسجد فتكر ذلك ، فبذل الأموال العظيمة من أجل احداث توسعة شاملة للمسجد الحرام تحقق ذلك ، وكان هذا المشروع من الضخامة بحيث انه لم يكتمل انجازه الا بعد وفاة الخليفة المهدى رغم الامكانات الكبيرة والأموال الضخمة التى وفرها له وخصصها لانجازه .

وقد تتبع المبحث كذلك التوسعة التى استحدثها الخليفة المهدى فى الجزء الجنوبى من المسجد النبوى حرصا منه على راحة المصلين من المقيمين أو الزوار القاصدين زيارته من مختلف أصقاع العالم الاسلامى من ناحية ، وبقصد نيل الأجر والثواب من ناحية أخرى .

أمـا المبحث الثانى فقد تناول التعريف بالمساجد الجامعة التى انشاها الخليفة المهدى أو زاد فى مساحتها فى كل من بغداد والبصرة والموصل .

وقد أفرد المبحث الثالث لدراسة مدى عناية الخليفة المهدى بطريق الحج المعروف بالجادة وهو الطريق الذى يربط العراق بالحجاز ، ومدى حرصه على توفير مصادر متنوعة للمياه ، وتوفير الخدمات على امتداد ذلك الطريق من بناء المناهل ، وتجديد الأميال ، وتاسيس البرك والمصانع وحفر الركايا ، وبناء القصور وتجديدها وتوسيع ماسبق بناؤه فيها .

فى حين عالج المبحث الرابع مسالة اعادة النظر فى تصميمات العمارة فى المساجد الجامعة حيث أصدر الخليفة المهدى أوامره بالغاء المقاصير التى كان معاوية بن أبى سفيان قد أحدثها ، واعتبار ذلك بدعة لم يوجدها النبى صلى الله عليه وسلم ولاالخلفاء الراشدين من بعده . كما تتبع أوامر الخليفة بتقصير المنابر على المقدار الذى كان عليه منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم احياء لسنته صلى الله عليه وسلم .

أما الفصل الخامس فقد اختص بدراسة "العلاقات الخارجية وحركات الجهاد الاسلامي" ويتضمن ستة مباحث .

تناول المبحث الأول تازم العلاقات العباسية مع الأمويين فى الأندلس نتيجة لتوجهات الخليفة المهدى التى استهدفت اعادة الأندلس الى حظيرة الدولة العباسية حيث قام بتحريض بعض الطامعين فى الحكم من أهل الأندلس على الثورة ضد عبد الرحمن الداخل لاسقاط حكمه ، لكن تلك السياسة فشلت نتيجة لقلة امكانيات أولئك الثائرين من ناحية ، وعجز الخلافة العباسية عن اسنادهم بسبب بعدهم عن مركز الخلافة العباسية من ناحية أخرى .

أما المبحث الثاني فلقد اختص بمتابعة مدى استغلال شارلمان ملك الفرنجة لحالة التأزم وبخاصة في التقرب من العباسيين منذ عهد الخليفة المنصور وماتم بين الدولتين خلال فترة البحث من مراسلات وسفارات .

وقد تعرض المبحث الثالث لدراسة ظاهرة تزايد الاهتمام بحركة الجهاد الاسلامى فقد حرص الخليفة المهدى على أن يكون للمسلمين صائفة فى كل عام ، كما انه أحدث تقليدا جديدا فى حربه مع الروم ، وهو الخرج بنفسه مع الجيش والبقاء قريبا من الجبهة وخطوط القتال ، كما تابع المبحث مدى اهتمام الخليفة المهدى ببناء وتحصين الثغور . كما تناول المبحث دراسة الأسباب التى دفعت الخليفة الى تعيين ابنه الأمير هارون قائدا للصائفة فى سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م .

أما المبحث الرابع فقد عالج استعدادات الخليفة المهدى لقتال الروم بقيادة هارون الرشيد وبخاصة الجيش الذى هياه لهذا الغرض ، كما تابع خط سيره برفقة الخليفة حتى وصوله به الى موقع مدينة الحدث ، حيث توغل هارون من هناك فى أراضى الروم وقام بمحاصرة حصن سمالو فى سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م حتى سقوطه فى يده ، وعودته بالمسلمين سالمين .

فى حين أفرد المبحث الخامس لمتابعة الغزوة التى قام بها هارون الرشيد فى عهد والده الخليفة المهدى والتى وصلت فيها قواته الى مشارف القسطنطينية مما أرغم ملكة الروم على طلب الصلح سنة ١٦٥هـ/٧٨١م ، والشروط التى تضمنها ذلك الصلح .

أما المبحث السادس من هذا الفصل الأخير فقد تابع

اخبار غزوة المسلمين للهند في سنة ١٥٩هـ ، ونجاح الحملة البحرية التي أرسلها الخليفة المهدي في فتح حصن باربد بعد حصاره ، وماتعرضت له هذه الحملة من كوارث طبيعية اثناء عودتها الى العراق .

أما الخاتمة فلقد تضمنت كما هو متوقع ، اهم النتائج التي توصل اليها البحث بشكل موجز . وقد جرى تضمين البحث عددا من النصوص المهمة التي لها أهميتها الكبيرة في توضيح بعض النقاط التي جرت معالجتها خلال البحث .

اما قائمة المصادر والمراجع فقد تضمنت حصرا دقيقا لجميع المصادر والمراجع التي استند عليها البحث في بنائه وقد جرى ترتيبها وفق تسلسل حروف المعجم وعلى أساس المشهور من أسماء المؤلفين .

لقد اعتمد البحث في نشاته على عدد كبير من المصادر والمراجع العربية الاسلامية اختلفت نسبة الافادة من كل منها تبعا لقرب المؤلف من النطاق التاريخي لفترة البحث ، فقد جرى الاعتماد بشكل خاص على عدد معين منها بشكل أساسي أسهمت المعلومات التي قدمتها في بناء الهيكل العام له ، وذلك بلاشك مسوغ أكيد في ضرورة التعريف بها وبمؤلفيها ، وتقديم بعض الملاحظات الاساسية عن أساليبهم في المعالجة وطرائقهم في العمل اضافة الى التذكير بالجوانب التي أسهمت المعلومات التي استخلصت من مؤلفاتهم في بنائها من هذه الرسالة .

وسوف ترد الملاحظات عن كل منها على حسب أهميتها بالنسبة لبناء هذا البحث .

كتاب تاريخ الأمم والملوك :

وقد يعرف بتاريخ الرسل والملوك ، أو تاريخ الطبرى ، وهو من مؤلفات أبى جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ، عاش مابين سنتى (٢٢٤-٣١٠هـ) ، وكان أحد الائمة العلماء وهب نفسه للعلم وهو فى مقتبل حياته ، فيقول ابن جرير عن نفسه "حفظت القرآن ولى سبع سنين ، وصليت بالناس وأنا ابن ثمان سنين ، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع" (١) .

ولقد كان لابيه دورا كبيرا فى توجيه ابنه للعلم وطلبه فدفعه الى الرحلة فى سبيل العلم ولقاء العلماء ، فذهب اول الامر الى الرى وماجاورها من البلاد ، فاخذ عن شيوخها واكثر ودرس فقه العراق ، ثم انتقل الى بغداد وزار البصرة والكوفة ومصر والشام تلقى خلال تنقله نصيبا وافرا من فنون الفقه والحديث واللغة والنحو والشعر واخذ من فقه الشافعى ومن فقه مالك ، ثم عاوده الحنين الى بغداد فعاد واستوطن (٢) بها ، وقد جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره (٣) حتى قال عنه أحد العلماء انه "كان كالقارىء الذى لايعرف الا القرآن ، وكالمحدث الذى لايعرف الا الحديث ، وكالفقيه الذى لايعرف الا الفقه ، وكالنحوى الذى لايعرف الا النحو ، وكالحاسب الذى لايعرف الا الحساب ، وكان عالما بالعبادات جامعا للعلوم ، واذا جمعت بين كتبه وكتب غيره ، وجدت لكتبه فضلا على غيرها" (٤) .

---

(١) مقدمة تاريخ الرسل والملوك ص ٦ .
(٢) مقدمة تاريخ الرسل والملوك ص ٦ .
(٣) ن . م . ص ص ٦،٧ .
(٤) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ١٦٣/٢ .

وللطبرى مصنفات عديدة [١] ، غير أن الذى يهمنا فى هذا المجال كتابه تاريخ الرسل والملوك [٢] ، والذى سار فيه على نظام الحوليات فبدأ احداثه منذ بدء الخليقة حتى سنة ٣٠٢هـ/٩١٢م فى خلافة المقتدر بالله وفى نهاية كل عام يذكر بشكل موجز مايتعلق بالولاة والعمال والقضاة من عزل وتولية ومن يتولى الحج بالناس فى تلك السنة سواء الخليفة أو من ينوب عنه ، واهم مايميز أسلوبه أنه يسرد الحادثة ذاكرا سلسلة الرواة لها كما انه يجمع كل الاقوال التى قيلت عن الحادثة الواحدة دون ترجيح تاركا للقارىء مهمة تحرى الحقائق بنفسه ، غير انه احيانا يقدم الرواية الاقوى سندا على غيرها أو المرجحة لديه .

اما عن مدى استفادة البحث من كتاب التاريخ للطبرى فان الكتاب يعتبر من أهم المصادر الأساسية حيث جرى الاعتماد عليه كثيرا فى جميع ثنايا البحث وخاصة فى الفصل الأول حيث أن الطبرى ركز اهتمامه بشكل رئيسى على أحداث الشرق الاسلامى وبلاد فارس والشام ومصر . كما اعتمد الفصل الثانى على النصوص المهمة التى أوردها هذا الكتاب فيما يتعلق

---

(١) لمزيد من المعلومات عن ترجمته انظر : ابن النديم : الفهرست ص ٣٢٦ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ١٦٩،١٦٢/٢ ، ابن الجوزى : المنتظم ١٧٢-١٧٠/٦ ، ابن الاثير : اللباب فى تهذيب الأنساب ٢٧٤/٢ ، ياقوت : معجم الأدباء ٤١/١٨ ، ابن كثير : البداية ٤٥/١١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٠٥/٣ ، ابن حجر : لسان الميزان ١٠٣-١٠٠/٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٢٦٠/٦ سوزكين : تاريخ التراث العربي ٥١٩/١ .

(٢) قد طبع هذا الكتاب عدة طبعات والطبعة التى اعتمدت عليها فى هذا البحث تقع فى عشرة أجزاء وهى الطبعة الرابعة ، مطبعة دار المعارف ، تحقيق د. محمد أبو الفضل ابراهيم .

بالوزراء وحركة التبديل للعمال والولاة ورد المظالم ، أما الفصل الخامس فلقد استفاد من كتاب الطبرى فيما استقاه من معلومات عن الاخبار العسكرية والغزوات المهمة التى كانت فى عهد المهدى ضد الروم . بالاضافة الى انه أثرى البحث فى جميع فصوله ببعض النصوص الهامة التى لم يكن يستقيم بدونها .

كتاب الكامل فى التاريخ :

للشيخ العلامة عز الدين أبى الحسن بن على بن ابى مكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجزرى عاش بين سنتى (٥٥٥-٦٣٠هـ) .

ولد فى بيت وجاهة وثراء فقد كان أبوه محمد متوليا ديوان المدينة من قبل قطب الدين بن زنكى صاحب الموصل الى ادارته تجارة كبيرة بين الموصل والشام . ولقد نشا عز الدين محبا للعلم فساعده ثراء ابيه على التنقل بين الموصل وبغداد ودمشق وبيت المقدس وحلب متلقيا فى كل بلد نزله العلم والحديث عن علمائه وقرائه وفقهائه ومحدثيه ونحاته فحصلت له بذلك ثقافة شاملة فى العلوم الاسلامية ، وفى التاريخ والنحو (١) . غير أنه فى سنواته الاخيرة لزم بيته فى الموصل وانقطع للدرس والتاليف (٢) .

أما كتابه الذى استفاد منه البحث فهو كتاب الكامل فى

---

(١) لمزيد من المعلومات عن ترجمته انظر : ابن خلكان : وفيات ٣٤٨/٣-٣٥٠ ، ابن كثير : البداية ١٣٩/١٣ ، ابن العماد : شذرات ١٣٧/٥ ، الزركلى : الاعلام ١٥٣/٥ .
(٢) مقدمة الكامل ١٠/١-١١ .

التاريخ والذى اتبع فيه المؤلف طريقة الحوليات[(١)] ، فبدأه من بداية الزمان وحتى سنة ٦٢٨هـ أى قبل وفاته بسنتين ، وبالرغم من أن ابن الاثير قد نقل معلوماته عمن سبقه من المؤرخين وخاصةمن الطبرى اذ انه اخذ منه جميع تراجمه ولم يخل بواحدة ، غير انه لم ينقل الحوادث على علاتها وانما كان يختار منها مايراه موافقا لمعقوله ثم يقوم بتعليلها ونقدها[(٢)] ، لذلك فهو ياتى فى الأهمية بعد الطبرى فى اطار النصوص التاريخية التى اعتمد عليها البحث ، فكل رواية اثبتها هو عن الطبرى تعطى توثيقا أكثر لصحة الخبر وثبوته هذا بالاضافة الى المعلومات المهمة التى اغفلها الطبرى فيما يتصل بثورات الخوارج ، كما أعطى معلومات مهمة فيما يتصل بتطور العلاقات الخارجية بين العباسيين والأمويين فى الاندلس . فكان بذلك قد أسهم فى اكمال جوانب الصورة فى مواضيع شتى .

كتاب تاريخ ابن خياط :

لأبى عمرو خليفة بن خياط بن أبى هبيرة خليفة بن خياط الليثى العصفرى الملقب بشباب عاش مابين سنتى (١٦٠-٢٤٠هـ) نشأ خليفة فى البصرة فى بيت علم فقد كان جده ووالده من رواة الحديث ، وقد ساعد الوسط العلمى الذى نشأ فيه على تنمية معارفه وتلقيه العلم عن الشيوخ الكثيرين فى مدينته حيث أخذ عنهم علوم القرآن والحديث والانساب والاخبار[(٣)] ، روى

---

(١) الكتاب يقع فى اثنى عشر مجلدا وقد اعتمد البحث على طبعة دار صادر ، بيروت سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
(٢) مقدمة الكامل ١٣/١ .
(٣) مقدمة تاريخ ابن خياط ص ١٥ .

عنه محمد بن اسماعيل البخارى فى صحيحيه وتاريخيه وعبد الله بن الامام احمد بن حنبل وابو يعلى الموصلى والحسن بن سفيان البسوى .(١)

ولابن خياط مؤلفات عدة(٢) منها كتاب التاريخ وهو الذى استفاد منه البحث .

أما منهج ابن خياط فى كتابه فقد سار على نهج الحوليات ابتداء من مولد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى سنة ٢٣٢هـ ، وقد اهتم بدقة الاسناد فيما يتصل بالنصوص التى تتعلق بالسيرة النبوية والأحداث التى تحتاج اخبارها الى تدقيق لتاثير الأهواء فيها مثل الفتنة زمن عثمان وموقعة الجمل وغيرها(٣) . كما تميز ابن خياط انه ركز على الروايات المهمة تاركا غيرها .

وقد استفاد البحث من كتاب تاريخ ابن خياط(٤) فى الفصل الأول فيما يتعلق بحركات الخوارج حيث انفرد ابن خياط بذكر الرسائل المتبادلة بين الخليفة المهدى وعبد السلامالخارجى والتى لاتوجد بنصها الكامل فى أى مصدر آخر . كما أفاد البحث بما ذكره من نصوص تتصل بولاة الأقاليم والعمال .

---

(١) ابن خلكان : وفيات ٢٤٣/٢ .
(٢) لمزيد من المعلومات عن ترجمته انظر : ابن النديم : الفهرست ص ٣٢٤ ، السمعانى : الأنساب ٢٢/٥ ، ابن خلكان وفيات ٢٤٤/٢ ، ابن الأثير : اللباب ٤٧٥/١ .
(٣) مقدمة كتاب تاريخ خليفة بن خياط ص ١٥ .
(٤) كتاب تاريخ خليفة بن خياط : تحقيق د. أكرم العمرى ، طبع مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

كتاب البداية والنهاية :

لأبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي ، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام سنة ٧٠٠هـ وقيل ٧٠١هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ . وكان والده خطيبا واخوه عالما فتعلم على اخيه ، ثم رحل في طلب العلم فاخذ عن علماء مصر والشام وحلب والحجاز ، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ واشتهر بالضبط والتحرير ، فكان بذلك قدوة العلماء والحفاظ (١) ، وقد خلف ابن كثير الكثير من المؤلفات في تلك الميادين منها كتاب البداية والنهاية ، وهو ما استفاد منه البحث .

أما منهجه في كتابه هذا فلقد تتبع فيه تواريخ الامم منذ بدء الخليقة مسلسلة حسب الوقائع والاحداث حتى العصر النبوي ومصادره في ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية ، ومن تقدم من المؤرخين كالطبري والواقدي وغيرهم . اما القسم الثاني فقد ارخ فيه عن عهد الراشدين فالدولة الأموية والعباسية وماتفرع عن ذلك من دويلات حتى وفاته سنة ٧٧٤م ، وأما القسم الثالث فلقد تحدث فيه عن الآخرة ومظاهر قرب الساعة وعلاماتها . وقد رتب حوادثه على أساس الحوليات (٢) .

أما الطريقة التي اتبعها في كتابه فقد سلك طريقة المحدثين حيث اعتمد في روايته للأخبار على الاسانيد بشكل

---

(١) لمزيد من المعلومات عن ترجمته انظر : ابن تغرى بردى النجوم ١١/١٢٣-١٢٤ ، ابن العماد : شذرات ٦/٢٣١-٢٣٢ ، الزركلي : الاعلام ١/٣٢٠ .

(٢) السلومي : ديوان الجند ص ٥٢ .

رئيسي ومما يمتاز به أيضا أنه جاء في فترة متأخرة وكتب التاريخ كلها مدونة فاعانه ذلك على الاحاطة بالأحاديث فجمع كل مايمكن جمعه من مادة تاريخية غزيرة مما يتيح للقارىء مجالا للدراسة والاحاطة [(١)] .

وقد أثرى كتاب البداية والنهاية [(٢)] البحث بمعلومات كثيرة لايمكن الاستغناء عنها وخاصة في الفصل الأول حيث توسع في ذكر الحركات المناوئة في خراسان ، كما اعطى معلومات هامة عن أخذ المهدي البيعة بولاية العهد لابنه موسى الهادي كما استفاد منه الفصل الثاني فيما يختص بديوان الازمة . بالاضافة الى النصوص التي ذكرها ابن كثير عن الجيوش التي وجهها المهدي لقتال الروم .

كتاب الخراج :

لأبي يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد ابن حبتة الانصاري الكوفي عاش مابين سنتي (١١٣-١٨٢هـ) . ولقد ولد أبو يوسف ونشأ في الكوفة واهتم بالعلم فغشى مجالس العلماء في مختلف الفنون حتى تفقه وحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب ، ولازم أبا حنيفة حتى صار من المقدم بين تلامذته ، وكان يجمع صفات العالم المتبحر بالعلم حتى وصفه طلحة بن محمد بن جعفر بقوله : "أبو يوسف أحد في زمانه ، وكان النهاية في العلم والحكم والرياسة والقدر وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة

---

(١) السلومي : ديوان الجند ص ٥٢ .
(٢) كتاب البداية والنهاية ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٧٤م .

وأملى المسائل وبث علم أبى حنيفة فى أقطار الارض"[١] . ولابى يوسف مصنفات عديدة[٢] . غير ان الذى يهمنا هو كتاب الخراج ، وقد وضعه[٣] أبو يوسف بناء على طلب الخليفة هارون الرشيد ليعمل به فى جباية الخراج والعشور والصدقات والحوالى وغير ذلك لرفع الظلم عن الرعية واصلاح أمرهم[٤] .

أما منهج أبى يوسف فقد صنفه على مقدمة وأربعة وثلاثين فصلا ، وكان على هيئة اجابات على أسئلة ، وقد استطرد فى الاجابة مقدما اقتراحات للخليفة بشان ادارة الدولة ومحاسبة العمال والموظفين .

وقد استفاد البحث من الكتاب فى الفصل الثالث فيما يتعلق بالتعديل المهم الذى طبقه المهدى على نظام الخراج حيث كانت المعلومات المستقاة أساسية ومهمة للبحث .

كتاب اخبار مكة وماجاء فيها من الآثار :

لابى الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة ابن الأزرق الغسانى ، توفى حوالى سنة ٢٤٠هـ . ولد فى مكة المكرمة فى القرن الثانى للهجرة[٥] ، وكان جده أحمد ممن روى عنه البخارى فى صحيحيه . ولم تذكر المصادر شيئا عن نشاة

---

(١) الخطيب البغدادى : تاريخ ٢٤٥/١٤، ٢٤٦ .
(٢) لمزيد من المعلومات عن ترجمته انظر : ابن النديم : الفهرست ص ٢٥٦، ٢٥٧ ، الخطيب البغدادى : تاريخ ٢٤٢/١٤، ٢٦٢ ، وكيع : اخبار القضاة ٢٥٤/٣، ٢٦٤ ، ابن خلكان : وفيات ٣٧٨/٦-٣٩٠ ، ابن الأثير : الكامل ٥٣/٦ ابن كثير : البداية ١٨٠/١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم ١٠٧/٢-١٠٩ .
(٣) كتاب الخراج : تحقيق د. محمد ابراهيم البنا ، طبعة دار الاصلاح ، القاهرة ١٩٨١م .
(٤) مقدمة كتاب الخراج ص ٣١ .
(٥) مقدمة كتاب الأزرقى : تاريخ مكة ص ١٢-١٦ .

الازرقي او حياته[1] .

ويعتبر كتاب الازرقي أول مؤلف في تاريخ مكة ، وقد اعتمد كثير في روايته عن جده الوليد .

أما عن منهجه في تاليف الكتاب[2] ، فلقد قسمه الى بحوث وفصول حرص فيها على ايراد الاسانيد ، ولذلك فلقد كان عظيم القدر بحكم مايحمل بين طياته معلومات متصفة بالصحة لايمكن الاستغناء عنها في مجال تخصصه . ولقد استفاد البحث منها في الفصل الرابع حيث أسهب في اعطاء معلومات وفيرة عن الزيادات التي مر بها المسجد الحرام وكل مايتعلق بها من تعمير .

<u>كتاب فتوح البلدان :</u>

لأبي جعفر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذرى البغدادي المتوفي سنة ٢٧٩هـ . نشأ البلاذرى في بغداد وعرف بحب العلم فرحل في طلبه فزار حلب ودمشق وحمص والعراق ومنبج وانطاكية والثغور وزار جميع المدن الواقعة شمال الشام ثم تحول الى الجزيرة وتكريت . ولذلك يعد البلاذرى مؤرخا جامعا من أشهر مؤرخي القرن الثالث الهجرى بالاضافة الى موهبته الشعرية .

ولقد كانت له علاقة جيدة بالخلفاء العباسيين ابتداء من المامون ثم المتوكل والمستعين والمعتمد ، غير أن هذه

---

(١) وردت ترجمته بصورة مختصرة جدا في ابن النديم : الفهرست ص ١٦٢ ، الفاسي : العقد الثمين ٤٩/٢ .

(٢) أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدى الصالح ملحس ، الطبعة الرابعة ، مطبعة دار الثقافة ، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

العلاقة لم تؤثر على كتاباته عن العباسيين والاويين الا وصفه للدولة العباسية بالدولة المباركة ، أو الخلافة العباسية [١]. وللبلاذرى عدة مصنفات من بينها كتاب فتوح البلدان .

أما عن منهجه فى كتابه فلقد رتب مادته ترتيبا زمنيا بالاضافة الى ملاحظته للموقع الجغرافى للبلد المفتوح مع ذكر كل ماتعلق به من أخبار [٢] ، والبلاذرى يستعمل الرواية فى الأحداث والأخبار كما يهتم بالاسانيد ولكن لم يكن هذا بصفة مستمرة اذ نجده أحيانا يروى الخبر عن مجاهيل [٣] .

ولقد استفاد البحث من كتاب فتوح البلدان [٤] فيما يتعلق بمناطق الثغور ومدى اهتمام المسلمين ببنائها وتعميرها وتحصينها وشحنها بالجند .

<u>كتاب الوزراء والكتاب .</u>

لابى عبد الله بن عبدوس الجهشيارى المتوفى سنة ٣٣١هـ اصله من الكوفة وانتقل مع أبيه الى بغداد حيث كان أبوه حاجبا للوزير على بن عيسى ، ثم تولى هو هذا المنصب بعد

---

(١) المشهدانى : موارد البلاذري ٦/١ .
(٢) لمزيد من المعلومات عن ترجمته انظر : ابن النديم : الفهرست ص ١٦٤ ، ابن عساكر : تاريخ ١٠٩/٢ ، ياقوت : معجم الادباء ٨٩/٥-١٠٢ ، ابن كثير : البداية ٦٥/١١-٦٦ ابن تغرى بردى : النجوم ٨٣/٣ ، ابن حجر : لسان الميزان ٣٢٢/١-٣٢٣ ، الزركلى : الاعلام ٢٥٢/١ ، سزكين تاريخ ٥١٣/١ .
(٣) السلومى : ديوان الجند ص ٢٩ .
(٤) فتوح البلدان باشراف لجنة تحقيق التراث ، منشورات مكتبة الهلال ، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

ذلك في عهد الوزير حامد بن العباس في خلافة المقتدر[١] ، وقد نال الجهشياري اثناء توليته هذا المنصب الكثير من التضييق والاعتقال والارهاب ومصادرة الأموال بين حين وآخر[٢] .

أما كتاب الوزراء فلقد ألفه وهو على رأس عمله ، وقد أكثر المؤرخون من ذكره من النقل من كتابه[٣] .

أما منهجه في كتابه فقد أرخ فيه للعهود التي سبقت الاسلام وزارة وكتابة في ايجاز واشارة ثم أخذ يذكر ذلك تفصيلا منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وانتهى في ذلك الى عهد المامون أيام وزيره الفضل بن سهل سنة ٢٠٢هـ . وقد جرت الافادة من هذا الكتاب[٤] في أمور الوزارة حيث أعطى معلومات غزيرة تختص بعلاقة المهدي بوزرائه الثلاثة ، كما استفاد البحث أيضا من النصوص التي اوردها عن رد المهدي للمظالم عن الناس برفع صنوف العذاب عن أهل الخراج .

كتاب تاريخ بغداد أو مدينة السلام
منذ تاسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ :

للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي الذي عاش مابين سنتي (٣٩١-٤٦٣هـ) ، كان مولده في قرية من قرى العراق تدعى غزيه ثم انتقل الى بغداد ورحل في طلب العلم فزار مكة والبصرة والدينور والكوفة وغيرها ، ثم عاد الى

---

(١) سزكين : تاريخ التراث ٥٣٣/١ .
(٢) المولى : أخبار الراضي والمتقي ص ٨٤،١٠١،١٤٤ .
(٣) مقدمة كتاب الوزراء ص/ز .
(٤) كتاب الوزراء والكتاب ، حققه ووضع فهارسه مصطفى السقا وآخرون ، الطبعة الثانية ، مطبعة مصطفى البابي ١٤٠١هـ/١٩٨٠م .

بغداد فقربه ابن مسلمه (وزير القائم العباسي) وعرف قدره ، ثم حدثت شؤون خرج على اثرها مستترا الى الشام فاقام مدة في دمشق وصور وطرابلس وحلب .(١)

وقد كان الخطيب اثناء تنقله قد سمع الحديث وحفظه حتى قال عنه على بن هبة الله الحافظ "ان الخطيب البغدادي كان آخر الاعيان ممن شاهدناه معرفة واتقانا وحفظا وضبطا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفننا في علته وأسانيده وخبرة برواته وناقليه وعلما بصحيحه وغريبه وفرده ومنكره وسقيمه ومطروحه ، ولم يكن للبغداديين بعد أبي الحسن على ابن عمر الدارقطني من يجري مجراه ولاقام بعده منهم بهذا الشان سواه" .(٢)

اما مصنفات الخطيب البغدادي فهي كثيرة ذكر ياقوت اسماء (٥٦) كتابا من مصنفاته(٣) ، غير أن الذي يهمنا في هذه الدراسة هو كتاب تاريخ بغداد(٤) ، وهو أكبر موسوعة عن بغداد تناول الخطيب اخبارها والاحاديث التي جاءت فيها ، واختيار المنصور لها وسبب بنائها وأحوالها بعده ، ثم تناول بعد ذلك الاعلام والمشاهير من الناس حسب حروف الهجاء فترجم أخبار كل شخصية في مكانها المناسب لها وفق هذا الترتيب .(٥)
ومن هنا جاءت الافادة منه في البحث حيث ان المعلومات الموثوقة التي أوردها خلال البحث عن الشخصيات الهامة

---

(١) الزركلي : الاعلام ١٧٤/١ .
(٢) ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ٤٠٠/٢ .
(٣) ياقوت : معجم الادباء ٢٤٨/١ .
(٤) جرى الاعتماد على نسخة المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .
(٥) العاني : سياسة المنصور ص ٢٢ .

ضرورية لايمكن الاستغناء عنها .

كتاب تاريخ الموصل :

لأبي زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم الأزدي المتوفى سنة ٣٣٤هـ . كان حافظا من رجال الحديث ، وقد اغفلت كتب التاريخ الحديث عن حياته أو ثقافته أو مركزه العلمي ، رغم أن كثير من المؤرخين قد استفادوا من تاريخه أمثال ابن الأثير والذهبي (١) . ولكن يظهر من مؤلفات رجال الحديث بانه كان اماما من أئمة المسلمين ومن ذوي الرأي وحاملي الثقافة منهم ، ثم هو قد عمل قاضيا للعباسيين وان لم يعرف متى وأين شغل هذه الوظيفة ، وكان الحفاظ الأئمة يرشحون لها دائما ويكرهون على قبولها أحيانا (٢) .

أما كتابه تاريخ الموصل فهو ثلاثة أجزاء ، فقد الجزء الأول والثالث ، أما الجزء الثاني والذي نحن بصدده فلقد اهتم أبو زكريا بان يعطي صورة موسعة عن أخبار الموصل ومنطقتها وماوصل اليه شعبها من رخاء أو اهمال واضطهاد ، كذلك حرص على تعداد ولاتها وقضاتها وذكر انسابهم ، كما يذكر الكثير من العناصر الموصلية التي كان لها شأن في سياسة البلد أو في سياسة الدولة ، أو التي شاركت في ثورة أو ولاية ، ويتتبع أنساب هذه العناصر . كما يذكر الخلافات العائلية أو المعارك القبلية الموصلية بالتفصيل ولاينسى أن يعرض لأسبابها ونتائجها ، ثم انه كمحدث فلقد اهتم بذكر

---

(١) مقدمة الأزدي ص ١٣ .
(٢) مقدمة الأزدي : تاريخ الموصل ص ١٤ .

علماء الموصل خاصة وعلماء المسلمين بشكل عام [١] ، وقد اتبع في ذكر أخباره تلك على أساس الحوليات ابتداء من سنة ١٠١ — ٢٢٤هـ . ولما لم تكن للازدى ميولا سياسية فلقد اتسمت معلوماته بالصدق والصراحة .

ولقد جرى الاستفادة من الكتاب فيما يتعلق بذكر حركات الخوارج في المنطقة بالاضافة الى المعلومات التي ذكرها عن ولاة الموصل ، فهو مثلا ينفرد بذكر سبب عزل موسى بن مصعب عامل المهدى على الموصل ، وبهذا يكون قد أكمل بعض الجوانب الناقصة في التواريخ العامة .

كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة :

للامام أبي اسحاق بن ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم بشير بن عبد الله بن ديسيم الحربي والذى عاش مابين سنتي (١٩٨-٢٨٥هـ) ، وقد كان عارفا بالفقه بصيرا بالاحكام ، حافظا للحديث ، صحب الامام احمد بن حنبل عشرين عاما ودرس عليه علم الحديث ، له من المؤلفات سبعة عشر مؤلفا [٢] منها كتاب المناسك وهو الذى نتناوله بالدراسة .

أما منهج الحربي في كتابه فانه قد منهجه على اساس ذكر الطرق فيذكر طريق البصرة الى مكة والمدينة ، ثم يتطرق الى ذكر الطرق التي تربط كل من اليمامة واليمن وحضرموت ومصر والشام والطائف وجدة بمكة المكرمة ، وهو في ذلك يذكر المسافات ويحدد مصادر المياه ، ويذكر مراكز البريد

---

(١) مقدمة الازدى : تاريخ الموصل ص ١٨-١٩ .
(٢) الجاسر : مقدمة كتاب مناسك الحج ص ٢٢ .

الموجودة في الطريق[1].

ومن هنا تاتي أهمية الكتاب بالنسبة الى البحث اذ استفاد منه في الفصل الثاني فيما يتعلق بتنظيمات البريد في عهد المهدى ، كما استفاد من المعلومات التي أوردها كتاب الحربي عن اهتمام الخلفاء العباسيين بطريق الحج ، وتوفير مصادر المياه فيه من بناء المناهل ، وتجديد الاميال وحفر البرك .

كتاب ولاة مصر :

لأبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندى الذى عاش مابين سنتي (٢٨٣-٣٥٠هـ) ، وهو عربي من بني تجيب ولد وعاش بمصر ، كان عارفا باحوال الناس وسير الملوك[2] ، سمع الحديث من النسائي وحدث في آخر عمره[3] ، له مصنفات كثيرة في تاريخ مصر واحوالها ككتاب الخطط والموالي ، وكتاب الاخبار العربية ، وسيرة مروان بن محمد الجعدى ، واخبار قضاة مصر وكتاب ولاة مصر وهذا الاخير هو الذى استفاد منه البحث .

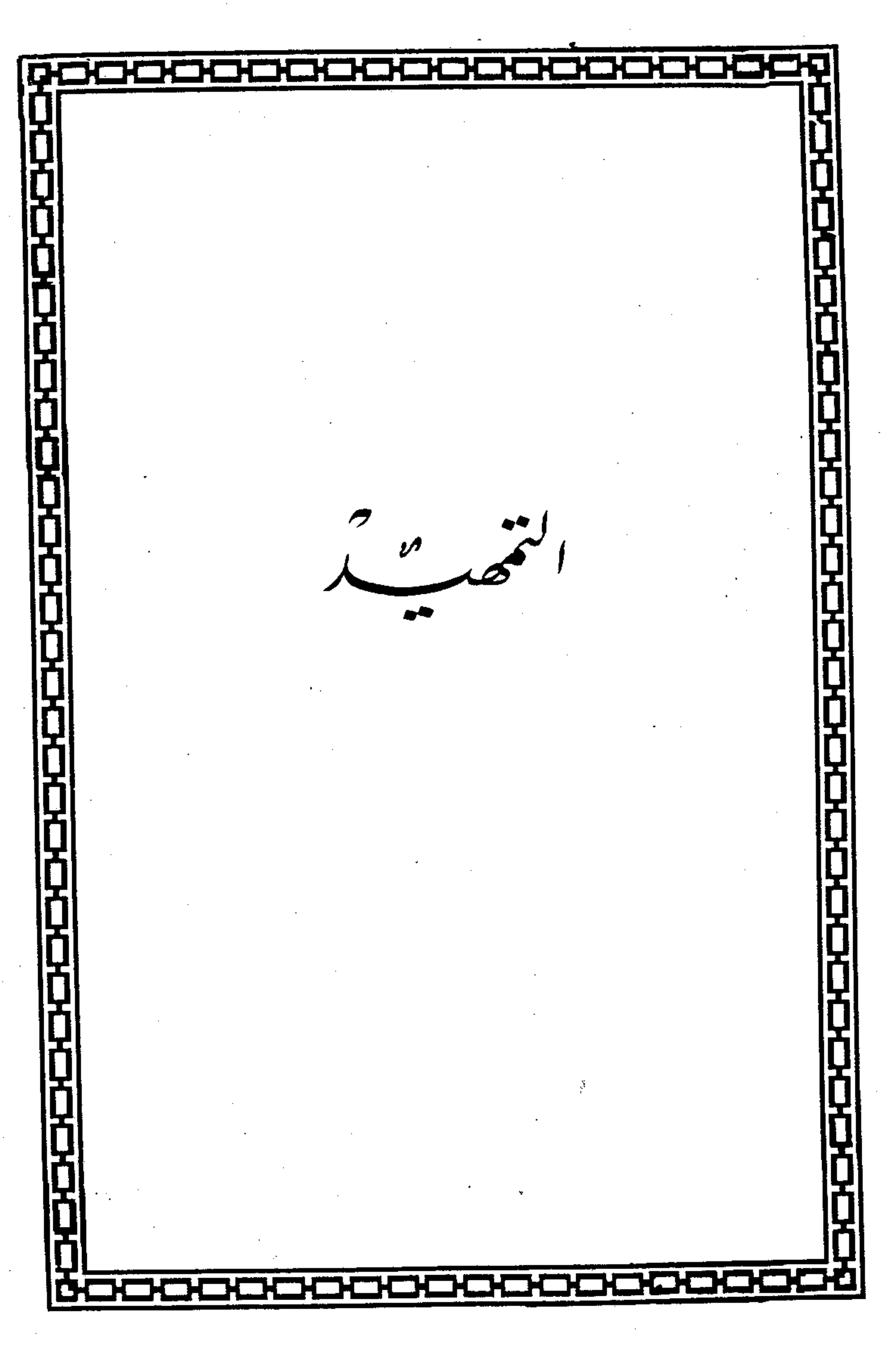
أما منهجه في تاليف كتابه فلقد ذكر ولاة مصر منذ الفتح الاسلامي على يد عمرو بن العاص وانتهى بولاية أبي الفوارس أحمد بن علي بن الاخشيد في سنة ٣٦٢هـ . فتناول الحكام بترتيب سنوى فتحدث باسهاب عن اسم كل حاكم وتاريخ تعيينه ووصوله عادة وماقام به من اصلاحات ، ويسمى أصحاب

---

(١) طلال رفاعي : نظام البريد ص ١٩ .
(٢) مقدمة كتاب ولاة مصر ص ٨ .
(٣) ن . م . ص ص ٧ .

الشرطة ، ثم الأحداث الواقعة فى ولاية كل حاكم وأخبار الناس وماحدث من ثورات وأسبابها .

وقد استفاد البحث من المعلومات التى ضمها الكتاب عند الحديث عن ثورة ابن دحية فى مصر وأسبابها ، ثم القضاء عليها ، كما جرت الفائدة من المعلومات التى ذكرها عن ولاة مصر فى القسم الخاص بحركة تبديل العمال والولاة فى الفصل الثانى .



التمهيد

الدولة العباسية فى أواخر عمر الخليفة المنصور :

امتدت خلافة أبى جعفر المنصور من سنة ١٣٦ - ١٥٨هـ/ ٧٥٣ - ٧٧٤م قضى معظمها فى تذليل الصعوبات والمشاكل السياسية التى واجهت الدولة العباسية والقضاء على الفتن التى هددت أمنها وسلامتها ، فعلى الصعيد الداخلى كانت أول ثورة واجهت المنصور بعد وفاة أخيه أبى العباس السفاح هى ثورة عمه عبد الله بن على الذى ثار فى الشام مطالبا بالخلافة (١) .

ولقد كان الخليفة أبى جعفر المنصور يتمتع بقسط وافر من الدهاء وبعد النظر والحنكة السياسية ، ذلك انه انتهج سياسة ضرب خصومه الواحد بالآخر وبذلك فانه يتخلص من أحدهما ويضعف الآخر مما يسهل عليه مهمة التفرغ له والتخلص منه ، وهكذا عمد المنصور الى تكليف احد اخطر قادة الدعوة والدولة العباسية ، أبى مسلم الخراسانى بالقضاء على خطر عمه عبد الله بن على . وكانت لأبى مسلم أطماع سياسية كبيرة وقد تمادى فى جبروته وغطرسته (٢) ، حتى ان المنصور قال حينما أرسله لقتال عمه عبد الله : "نحن لأبى مسلم أشد تهمة منا لعبد الله بن على الا انا نرجو واحدة" (٣) . وبعد أن تهيأ للخليفة (٤) المنصور أمر القضاء على خطر عمه عبد الله فانه

---

(١) الطبرى : تاريخ ٤٧٤/٧ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص ١٦٣ المقدسى : البدء والتاريخ ٧٦/٦ .
(٢) العانى : سياسة المنصور أبى جعفر الداخلية والخارجية ص ١٦٤ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٤٨١/٧ .
(٤) المسعودى : مروج الذهب ٣١٦/٣ .

تفرغ لانهاء دور ابى مسلم والقضاء على خطره ، فكان له ما أراد .[(١)]

كما قضى المنصور أيضا على بعض الدعاة العريقين فى الدعوة عندما أحس منهم تطاولا وتجاوزا على سلطته[(٢)] ، أمثال جهور[(٣)] بن مرار العجلى الذى اعلن الثورة سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م ، وعبد الجبار الأزدى الذى عمد الى جماعة من الموالين للعباسيين فقتلهم[(٤)] ، ثم اعلن الثورة على المنصور فارسل اليه الأخير جيشا بقيادة ابنه المهدى وضم اليه القائد الكبير خازم بن خزيمة[(٥)] ، فاستطاعت القوات العباسية من انزال الهزيمة بعبد الجبار وأسره ، ثم حمل الى المنصور فامر بقتله[(٦)] .

أما عيينة بن موسى بن كعب فلقد أعلن تمرده بالسند سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م فجهز اليه المنصور حملة حاصرته فى مقره هناك[(٧)] ، ولكنه تمكن من الهرب حيث قتل بعد ذلك على يد بعض أعدائه[(٨)] . وقد تفرغ المنصور بعد ذلك الى مواجهة ثورة العلويين والتى كانت من الخطورة بحيث هددت الحكم العباسى نفسه بالزوال . ولما كان المنصور يخطط للتخلص من ولى عهده عيسى بن موسى ، لذلك فلقد ضربه بالثائر العلوى محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية ، ثم باخيه

---

(١) ابن اعثم الكوفى : الفتوح ٢٢٦/٨،٢٢٨ .
(٢) العانى : سياسة المنصور ص ٢٠٠ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٤٩٧/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٤٨٤/٥ .
(٤) اليعقوبى : تاريخ ٣٧١/٢ .
(٥) الطبرى : تاريخ ٥٠٩/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٠٦/٥ .
(٦) الطبرى : تاريخ ٥٠٩/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٠٦/٥ .
(٧) اليعقوبى : تاريخ ٣٧٣/٢ ، الطبرى : تاريخ ٥١٢/٧ .
(٨) اليعقوبى : تاريخ ٣٧٣/٢ .

ابراهيم متبعا نفس السياسة السابقة في ضرب الخصم بالخصم ، اذ كان يأمل التخلص من أحد الفريقين ، غير أن ولي عهده عيسى بن موسى استطاع في النهاية أن يحسم الصراع وتمكن من القضاء على الأخوين العلويين الثائرين الواحد تلو الآخر (١) .

وبالاضافة الى ذلك فقد نجح الخليفة المنصور في القضاء على ردود الفعل والثورات الفارسية التي استهدفت تقويض الحكم الاسلامي واعادة الأمجاد الفارسية ، وكذلك القضاء على الثورات العديدة التي قام بها الخوارج (٢) .

أما على الصعيد الخارجي فلقد تمكن المنصور من ارهاب الروم واثبت لهم بأن القوة العسكرية العباسية قادرة على حماية أراضي الخلافة الاسلامية والدفاع عنها (٣) .

كانت حصيلة ذلك الجهد الكبير الذي بذله الخليفة المنصور ، أن مهد لنفسه ولمن بعده دولة مستقرة الأوضاع ثابتة الأركان ، وفي سبيل دعم ذلك الاستقرار فانه قام بخطوتين مهمتين وأساسيتين تمثلت أولاهما في تأسيس عاصمة جديدة للدولة العباسية في سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م حيث شرع في بناء مدينة السلام "بغداد" (٤) ، أما الخطوة الثانية فهي انه جعل ولاية العهد لابنه محمد المهدي رغبة منه في حفظ الخلافة في نسله من ناحية ولأنه كان شديد الحب لولده محمد شغوفا به دون اخوته من ناحية أخرى (٥) . ولعل ذلك مايفسر سبب اهتمام

---

(١) العاني : سياسة المنصور ص ٤٦٨ .
(٢) سوف يأتي الحديث عنها بالتفصيل في ثنايا البحث .
(٣) العاني : سياسة المنصور ص ٤١٤ .
(٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٨٨ ، الطبري : تاريخ ٦١٤/٧ ، الأزدي : تاريخ الموصل ص ١٩٤ .
(٥) الطبري : تاريخ ٧٥/٨ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٧٢ .

المنصور بتاديب ابنه وتعليمه وتقريبه من العلماء واصراره على أن لايجلس مجلسا الا ومعه من أهل العلم من يحدثه .[١]
وما أن حلت سنة ١٤١هـ/٧٥٧م حتى دفعه الى مواجهة أعباء القيادة والادارة ، فقد ولاه على خراسان وعهد اليه بقيادة الجيوش هناك للقضاء على الثورات العنيفة المحتالية التى قامت هناك . وأخيرا تمكن المنصور من ازاحة ابن عمه عيسى ابن موسى عن ولاية العهد ، حيث اختص بها ولده محمد الذى لقبه بالمهدى وكتب بذلك كتابا وأشهد عليه الشهود ووقع عليه عيسى بخطه وخاتمه .[٢]

وبذلك فقد عمل الخليفة المنصور على ارساء قواعد الدولة على أسس راسخة ، مما هيأ لولى عهده المهدى الفرصة لكى يسلك خلال فترة حكمه سياسة مغايرة لسياسة الشدة والقسوة التى انتهجها أبوه المنصور . فلقد عمد الخليفة محمد المهدى الى اجراء تغييرات سياسية وادارية شاملة فى أوضاع الدولة العباسية ، كان من اهمها الموقف من المعارضة ومحاولته اتباع سياسة اللين والتسامح . ويظهر ان المهدى قد أدرك بأن طبيعة المرحلة تقتضى ذلك فى أعقاب فترة طويلة من الاستعداد والتأزم . وبالاضافة الى ذلك ، فلقد حمل تغيير خطير فى طبيعة الأفكار والتوجهات التى كانت قد ارتبطت بالدعوة العباسية وبفترة التاسيس الأولى للدولة . وذلك بلاشك أمر له دلالته وأهميته فى تقوية قواعد الدولة وترصينها وفى حشد الطاقات البشرية الأساسية حولها ، بعد أن

---

(١) الطبرى : تاريخ ٧٢/٨ ، ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ٣٥/٢ ، الازدى : تاريخ الموصل ص ٢٠٢ .
(٢) الطبرى : تاريخ ٢٥/٨ .

عادت الخلافة في عهد المهدى الى الالتزام بعقيدة السلف وتبنت من جديد آراء أهل السنة والجماعة في الحكم والتطورات التاريخية للخلافة الاسلامية . ذلك ان الخلفاء العباسيين قبله كانوا قد طالبوا بالخلافة عل أساس أنها حق شرعى لهم اغتصب منهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبار أن جدهم العباس بن عبد المطلب هو عم النبى وهو الحاجب والوريث الوحيد للخلافة من بعده . وبالرغم من ابتعاد هذه الفكرة عن آراء أهل السنة والجماعة فلقد ظلت مسيطرة على أفكارهم طيلة فترة الدعوة السرية وخلال مرحلة تاسيس الدولة ، ويتضح ذلك من اغلب الخطب التى القيت من قبل أمراء البيت العباسى عند نجاح قواتهم في احتلال العراق وتمركزهم في الكوفة حين أعلنوا وجهة الخلافة ، وهذا مايتفق مع ماأورده المقريزى فيما بعد عند تعريفه للفرق الغالية وهو قوله : "وقد اختلف الناس في الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب الجمهور الى أنه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وقال العباسية والربوبدية أتباع أبى هريرة الربوبدى وقيل أتباع أبى العباس الربوبدى هو العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه لأنه العم والوارث فهو أحق من ابن العم" (١) .

ويمكن الاستدلال على التغيير الجذرى الذى أصاب تلك الأفكار من المناقشة الطريفة التى جرت بين أحد الدعاة وبين الخليفة المهدى في أواخر أيام الداعية أبى عون عبد الملك

---

(١) المقريزى : الخطط ٣٥١/٢ .

ابن يزيد الازدى[١] ، اذ ذكر الطبرى بان أبا عون قد مرض فعاده المهدى فى منزله فجلس على وسادة وجلس أبو عون بين يديه "فبره المهدى وتوجع لعلته ، وقال أبو عون : أرجو عافية الله ياأمير المؤمنين ، والايمتنى على فراشى حتى أقتل فى طاعتك ، وانى لواثق بالا أموت حتى أبلى الله فى طاعتك ماهو أهله ، فانا قد روينا . قال : فاظهر له المهدى رايا جميلا وقال أوصنى بحاجتك ، وسلنى ما أردت واحتكم فى حياتك ومماتك فوالله لئن عجز مالك عن شئ توصى به لاحتملنه كائنا ماكان فقل واوصى . قال : فشكر ابو عون ودعا ، وقال : ياأمير المؤمنين حاجتى أن ترضى عن عبد الله بن عون ، وتدعو به ، فقد طالت موجدتك عليه ، قال : فقال : ياأبا عون ، انه على غير الطريق ، وعلى خلاف رأينا ورأيك ، انه يقع فى الشيخين أبى بكر وعمر ، ويسىء القول فيهما ، قال : فقال أبو عون : هو الله ياأمير المؤمنين على الأمر الذى خرجنا عليه ، ودعونا اليه ، فان كان قد بدا لكم فمرونا بما احببتم حتى نطيعكم ..."[٢] .

---

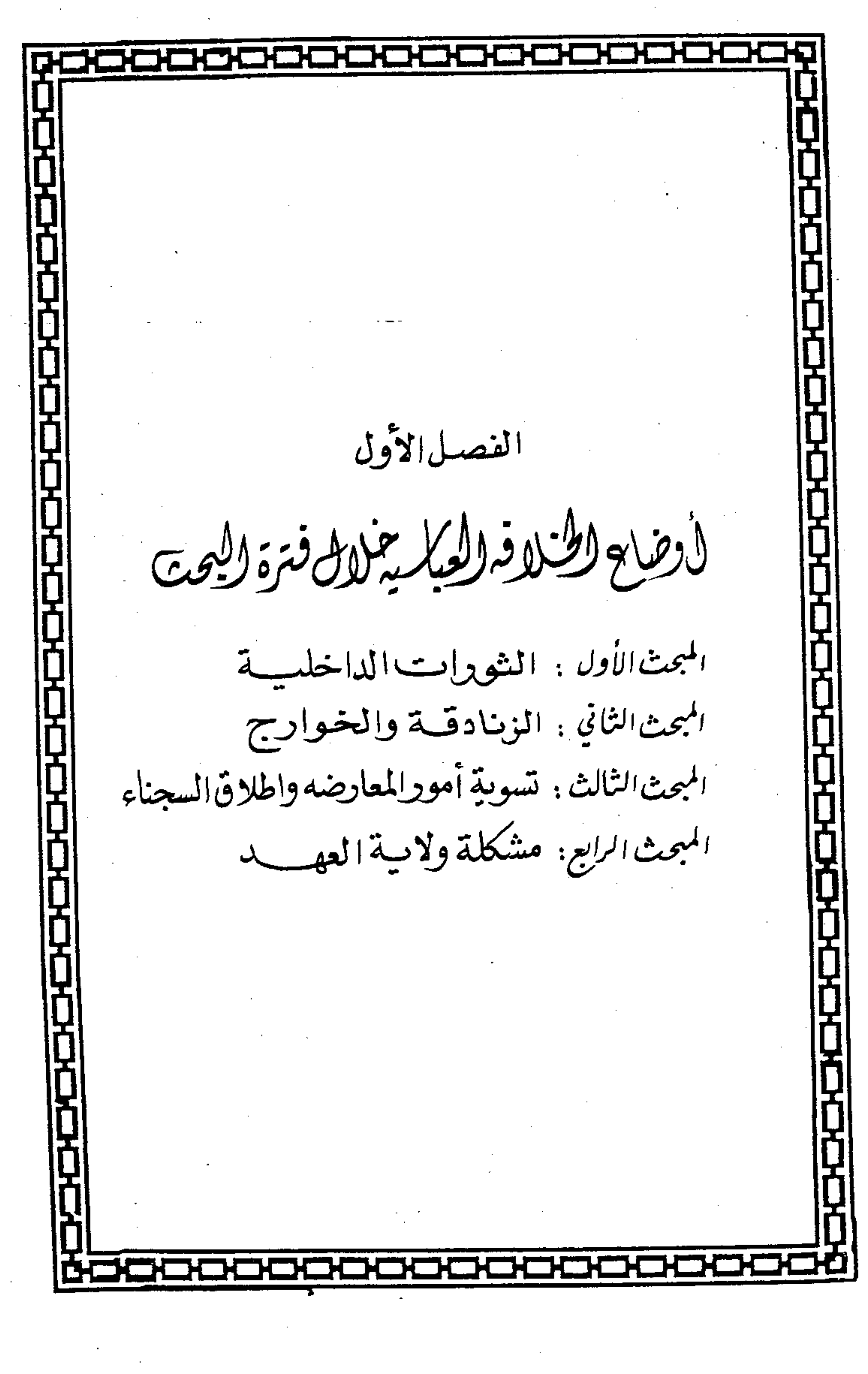
(١) أبو عون عبد الملك بن يزيد الازدى الخراسانى : من قدماء الدعاة العباسيين ، لقى الامامين محمد بن على وابنه ابراهيم . مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ص ٢٤٨ ، وكان من قواد أبى مسلم الخراسانى وقحطبة واشترك فى الحروب التى رافقت تأسيس الدولة العباسية انظر الازدى : تاريخ الموصل ص ١٢٥، ١٢٨ ، ابن أعثم الكوفى : الفتوح ١٧٤/٨ ، ولما استقر الامر للعباسيين ولاه السفاح على مصر ثم بعثه المنصور الى خراسان وسيره المهدى لحرب المقنع ثم استعمله على خراسان ، وعزله وفى سنة ١٦٩هـ مرض فعاده المهدى . هامش التنوخى : الفرج ٢٢/٤ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٨٠/٨ .

وهذه المناقشة تكشف عن النظرة السلبية التى كان ينظر اليها العباسيون الأوائل دعاة وخلفاء الى خلافة الخلفاء الراشدين ، كما تعكس التطور الحاصل ومدى ابتعاد الخليفة المهدى عن هذا النمط من التفكير ، ولذلك فقد اختص البحث بمتابعة التطور الحاصل فى اوضاع الدولة العباسية خلال فترة حكم المهدى ، وابراز ماتم احرازه من انجازات مهمة خلال تلك المرحلة مما يمكن اعتباره بداية للفترة المستقرة والرصينة التى عاشتها الخلافة العباسية والتى دعت البعض الى أن يطلق عليها صفة العصر الذهبى .

الثورات الداخلية

(أ) توطيد الأمن والاستقرار بعد القضاء على حركات العصيان في كل من مصر وخراسان وطبرستان



الفصل الأول

أوضاع الخلافة العباسية خلال فترة البحث

المبحث الأول : الثورات الداخلية

المبحث الثاني : الزنادقة والخوارج

المبحث الثالث : تسوية أمور المعارضه واطلاق السجناء

المبحث الرابع: مشكلة ولاية العهد

القضاء على حركات العصيان فى مصر :

لقد شهدت بلاد مصر خلال هذه الفترة ثورة أموية قادها دحية بن مصعب بن الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى فى سنة ١٦٥هـ/٧٨١م (١) ، وكان دحية الأموى هذا يخطط على مايبدو منذ فترة طويلة للقيام بهذه الثورة ، ويتحين الفرص لاسترجاع الحكم الأموى ، ولقد انتهز دحية النتائج التى أفرزتها ثورة محمد النفس الزكية فى الحجاز سنة ١٤٤هـ/٧٦١م وقدوم ابنه على بن محمد الى مصر للدعوة له فيها ، فانضم اليه هو وعدد من أهل بيته ، وبايعوا له ولابيه ، ومن المرجح أن يكون ذلك بقصد استغلال هذه الدعوة العلوية لمصلحة البيت الاموى الخاصة فيما بعد (٢) .

وقد اشترك دحية مع على بن محمد وعدد من اتباعه بعد ظهور الدعوة العلوية وانتشارها بمصر فى وضع الخطة لاعلان الثورة هناك (٣) ، ولكن تلك الخطة لم يقدر لها النجاح ، فلقد وشى بهم قبيل الموعد المحدد للثورة ، فخرج اليهم أمير مصر العباسى حميد بن قحطبة (٤) من قبل المنصور وهزمهم فى أول اصدام معهم ، وكانت النتيجة أن ألقى القبض على على بن محمد وأرسل مقيدا الى مدينة السلام سنة ١٤٤هـ (٥) .

---

(١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ١٠٥ ، المقريزى : الخطط ٣٠٧/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٤٩/١ ، محمود شاكر : التاريخ الاسلامى ١٤٤/١ .

(٢) الكندى : ولاة مصر ص ١٣٣،١٣٤ .

(٣) ن . م . ص ص ١٣٤ .

(٤) تولى مصر خلال الفترة من ١٤٣-١٤٤هـ خلال خلافة الخليفة العباسى الثانى أبى جعفر المنصور . انظر : الكندى : ولاة مصر ص ١٣٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٣٥٢/١ .

(٥) الطبرى : تاريخ ٥٣٧/٧ ، الاصفهانى : مقاتل الطالبيين ص ٢٠١ ، ولقد خالفهما الكندى فذكر بان على بن محمد قد توارى عند عسامة بن عمرو فى مصر حتى توفى . ولاة مصر ص ١٣٦ .

أمـا دحية الأموى فقد تمكن من الهرب الى صعيد مصر (١) حيث أخذ يعمل سرا فى الاعداد لثورى اخرى ، وقد تمكن على مايظهر مـن أن يكسب ولاء بعض شيوخ القبائل العربية مثل قبيلة تجيب (٢) وقبيلة الصلت بن ناشر الازدى (٣) ، من بنى الحارث بن زهران . هذا الى جانب التفاف عدد كبير من أبناء الصعيد حوله (٤) .

وفـى سنة ١٦٥هـ/٧٨١م وجد دحية أن الفرصة مواتية له لاعلان ثورته وخصوصا بعد أن أتم الاستعداد لها بالاضافة الى ملائمة الأوضاع فى مصر لمثل ذلك ، فقد كان ابراهيم بن صالح العباسى (٥) قد ولى أمر مصر ، ويظهر أنه قد بدأ عهده بالتشدد واستعمال العنف والتعسف ، وشاعت الرشاوى ، وانصرف الوالى وعماله الى جمع الأموال من مختلف الوجوه مما ضايق السكان كثيرا ، وخصوصا أن قسما كبيرا من تلك الأموال قد وجهت لغرض بناء قصر عظيم بناه الوالى لنفسه فى الفسطاط (٦) .

---

(١) الصعيد : هى الأرض المرتفعة عما دونها من أرض مصر ويقال لها أيضا الوجه القبلى وهى أرض واسعة كبيرة فيها عدة مدن عظيمة تبدأ جنوبا بأسوان ، وتمتد شمالا الى جنوب الفسطاط .
انظر : ياقوت : معجم ٤٠٨/٣ ، المقريزى : الخطط ١٨٩/١
(٢) قبيلة تجيب : أسلمت على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم نزلت مصر ، وبالفسطاط محلة كانت تنسب اليهم .
انظر : السمعانى : الانساب ٢٥/٣ ، المقريزى : الخطط ٢٩٧/١ .
(٣) كان ناشر الازدى قد حضر فتح مصر مع عمرو بن العاص ثم استقر بها .
الكندى : ولاة مصر ص ١٥٣ .
(٤) ابن تغرى بردى : النجوم ٦١/٢ .
(٥) ابراهيم بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس : ولاه المهدى على فلسطين ثم عزله عنها فى سنة ١٦٣هـ . الطبرى : تاريخ ١٤٨/٨ . ثم ولاه على مصر سنة ١٦٥هـ/٧٨١م ، ثم سخط عليه وعزله عنها ، ثم أعاد الرشيد توليته عليها سنة ١٧٦هـ/٧٩٢م لكنه لم يلبث أن توفى فى نفس تلك السنة .
انظر : ابن تغرى بردى : النجوم ٨٣/٢ .
(٦) الكندى : ولاة مصر ص ١٤٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٤٩/٢ .

لقد اعلن دحية الأموى ثورته فى الصعيد "ونابذ ومنع الأموال ودعا الى نفسه بالخلافة "[١] ، فلم يهتم متولى مصر ابراهيم بن صالح بأمره وتراخى عنه ، مما أفسح المجال أمامه لتوسيع نشاطه ، وقد نجح دحية الأموى خلال الفترة مابين ١٦٠-١٦٥هـ/٧٧٦-٧٨١م فى السيطرة على معظم مدن اقليم الصعيد "وكاد أمره أن يتم ويفسد بلاد مصر وأمرها"[٢] . فلما بلغ الخليفة المهدى ذلك سخط على واليه على مصر ابراهيم بن صالح وعزله عزلا قبيحا فى ذى الحجة سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م ، وأمر واليه الجديد على مصر ، موسى بن مصعب الخثعمى[٣] برد الوالى المعزول ابراهيم بن صالح الذى كان فى طريقه الى بغداد ومصادرة أمواله ، فصادره واستخرج منه ومن عماله مايقارب ثلاثمائة ألف دينار[٤] .

على أن ولاية موسى بن مصعب بن الربيع الخثعمى لم تكن خيرا من ولاية سلفه ذلك أنه اشتط فى جباية الخراج حتى أجحف باهلها اذ زاد على كل فدان ضعف ماتقبله به[٥] ، كما أنه عاد

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٢٤ .
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم ٤٩/٢ .
(٣) موسى بن مصعب بن الربيع الخثعمى : كان كاتبا لمروان ابن محمد ، فلما قتل مروان طلب موسى الأمان من عبد الله بن على فامنه سنة ١٣٢هـ (الأزدى : تاريخ ص ١٢٦) وقد استعمله المنصور أبو جعفر فولاه بعد توليه الخلافة على الموصل سنة ١٥٤هـ ، ثم اضاف اليه ولاية الجزيرة فى سنة ١٥٧هـ ، وظل واليا عليهما حتى توفى المنصور . (ابن خياط : تاريخ ص ٤٣٣، ٤٤٠ ، الأزدى : تاريخ ص ٢٢٢، ٢٢٦) وقد عزله عنهما الخليفة المهدى سنة ١٥٩هـ وولاه على مصر . الأزدى : تاريخ ص ٢٣٦ .
(٤) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٢٥ ، المقريزى : الخطط ٣٠٨/١ .
(٥) القبالة هى : أن يدفع السلطان أو نائبه صقعا أو بلدة أو قرية الى رجل مدة سنة مقاطعه بحال معلوم يؤديه اليه عن خراج أرضها وجزية رؤوس أهلها ان كانوا أهل ذمة فقبل ذلك ويكتب عليه بذلك كتابا . الرحبى : الرتاج ٣/٢ .

الى قبول الرشوة فى الأحكام ، اضافة الى أنه فرض ضرائب جديدة على أهل الأسواق ، ولعل هذه الضرائب كانت بأمر من المهدى[1] ، غير أن موسى بن مصعب قد أضاف اليها ضرائب أخرى فرضها على الدواب ، وكان حصيلة ذلك أن عمت الاضطرابات فى مصر ، وأظهر الجند فيها الشغب على الوالى الجديد والكراهية له[2] .

وقد زاد من تأزم الأمور فى مصر انتشار الفوضى الادارية فيها حيث أن التعسف الكبير الذى وقع من جراء تطبيق فرض الضرائب الجديدة قد أدى بدون شك الى الاضرار بمصلحة المزارعين الذين تقع على كواهلهم مسؤولية دفع الزيادة المفروضة فى الخراج ، مما دفع أهل الحوف[3] من العرب وهم من قبائل قضاعة ولخم وخزام وقيس وكنانة الى التمرد فى سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م[4] . وقد عمدوا الى طرد عمال الجباية الذين أرسلهم موسى بن مصعب من مدنهم وقراهم ، وعقدوا حلفا فيما بينهم لتنظيم أمورهم ومواجهة الموقف ، ومن أجل تحقيق أهدافهم فانهم اختاروا رجلا من بينهم عينوه واليا عليهم[5] . ولاشك فى أن هذا الاجراء يعكس موقفا رافضا للادارة العباسية .

ولم يكتف أهل الحوف بهذه الخطوات ، بل انهم عملوا على تدعيم موقفهم ضد الوالى العباسى موسى بن مصعب ،

---

(١) كان الخليفة المهدى أول من فرض الضرائب على الأسواق والحوانيت فى بغداد سنة ١٦٧هـ .
اليعقوبى : تاريخ ٣٩٩/٢ ، المقريزى : الخطط ١٠٣/١ ، السامرائى : المؤسسات ص ٢٢٨ .

(٢) الكندى : الولاة ص ١٢٥ ، المقريزى : الخطط ٣٠٨/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٥٤/٢ .

(٣) الحوف : فى مصر حوفان شرقى وغربى . وهما متصلان أول الشرقى من جهة الشام وآخر الغربى قرب دمياط ويشتملان على بلدان وقرى كثيرة . ياقوت : معجم ٣٢٢/٢ .

(٤) الأزدى : تاريخ الموصل ص ٢٥٣ .

(٥) الكندى : ولاة مصر ص ١٤٩ .

فأرسلوا الى الجند فى الفسطاط يفاوضونهم فى الانضمام اليهم "وخوفوهم الله وذكروا لهم ماأتى موسى اليهم فأعطاهم الجند من أهل مصر العهود والمواثيق أن ينهزموا عنه اذا خرج اليهم فلايقاتلون معه ، وتحالفوا هم وأهل الفسطاط على ذلك"[(١)] وذلك يعكس تعاظم دور المعارضة ، فلقد استفحل أمر دحية الأموى وأقام معسكرا بجيشه بالشرقية[(٢)] . وقد حاول الوالى العباسى موسى بن مصعب التصدى لقواته ، غير أنه أخطأ التقدير اذ أرسل جيشا لايتعدى عدد قواته خمسة آلاف مقاتل لقتال دحية[(٣)] الأموى الذى كان يلتف حوله عدد كبير من الأنصار يفوق كثيرا عدد جيش الوالى العباسى .

وقبيل قدوم هذا الجيش بقيادة عبد الرحمن بن موسى بن على بن رباح اللخمى[(٤)] عبر دحية الأموى النيل الى ضفته الغربية ذلك أنه فضل عدم المجازفة بالاصطدام الشامل فى معركة فاصلة مع جيش الخلافة العباسية لذلك فانه ترك هذه المهمة لقوة من جنده نفذت خطة محددة فى القيام بمناوشات وغارات مباغتة على جيش الخلافة ، وبعد أن تنزل به خسائر كبيرة فانها تنسحب ، مما جعل قائد جيش الخلافة يقف فى الغالب موقف المدافع فقط . لكنه لما أحس بالفشل من تحقيق أى انتصار ،

---

(١) الكندى : ولاة مصر ص ١٤٩ .

(٢) الشرقية من بلاد مصر هى المنطقة التى تقع شرق نهر النيل ، وتمتد من بلاد النوبة جنوبا الى عيذاب على ساحل البحر الأحمر شمالا ، أما الغربية فهى المنطقة التى تقع الى الغرب من نهر النيل وتضم الفيوم وأرض الواحات الأربع . ياقوت : معجم ١٣٩/٥ .

(٣) الكندى : ولاة مصر ص ١٤٩ ، حسن محمود : العالم الاسلامى ص ١٢٢ .

(٤) عبد الرحمن بن موسى بن رباح اللخمى : كان أبوه موسى واليا على مصر لمدة ست سنين فى الفترة مابين ١٥٥ - ١٦١هـ .
انظر ترجمته : الذهبى : سير أعلام ٤١٢/٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٢٦/٢ .

فانه استخلف على جيشه احد القادة ، وتوجه الى الوالى ملتمسا أن يعفيه من القيادة فاعفاه [١] . وقد استمر دحية الاموى فى الاستفادة من الفوضى والارباك الادارى وكراهية الناس لموسى بن مصعب فمد سلطانه على معظم منطقة غرب النيل [٢] واشتد خطره [٣] .

واستقر رأى والى مصر موسى بن مصعب على أن يبدأ بمحاربة أهل الحوف بهدف انهاء تمردهم ومساندتهم لتمرد دحية الاموى ، فجهز جيشا عظيما اشارت المصادر الى أن عدده قد بلغ حوالى مائة ألف مقاتل [٤] . وقد ضم اليه كافة القادة والجند الموجودين فى معسكره بالاضافة الى من التحق به من وجوه الناس . ولعل فى العدد الذى ذكرته المصادر للقوات العباسية فى مصر فى هذه الفترة شىء من المبالغة ، ويكفى أن نتذكر أن جيش الخلافة العباسية الذى أرسله والى مصر الى الصعيد لمحاربة دحية الاموى وقواته لم يتجاوز خمسة آلاف مقاتل . وعلى كل حال ، فان والى مصر قد اضطر الى أن يتولى بنفسه قيادة الجيش بعد أن استوعب على مايظهر طبيعة المخاطر التى تتهدده . وهكذا فانه قد خرج بنفسه فى شوال سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م على رأس جيشه الى الحوف ، فلما وصل الى الغريراء [٥] وجد أن أهل الحوف من رجال القبائل ومن انضم اليهم من الفلاحين وغيرهم مجتمعين وهم على أتم استعداد

---

(١) الكندى : الولاة ص ١٤٩ .
(٢) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٥١ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٢/٥٥ .
(٣) الكندى : ولاة مصر ص ١٤٩ .
(٤) الازدى : تاريخ ص ٢٥٣ . ويبدو أن فى هذا العدد نوع من المبالغة .
(٥) وهى منطقة من أرض الحوف . انظر : ياقوت : معجم ٤/٢٠٠

للتصدي له ولقتاله .[1]

وكان القادة الميدانيون لقوات الخلافة العباسية الذين اصطحبهم والى مصر موسى بن مصعب قد وضعوا خطة سرية للانسحاب من المعركة عند بداية الاصطدام تنفيذا للعهد الذى قطعوه لأهل الحوف من ناحية ، ولرغبتهم فى التخلص من والى مصر من ناحية أخرى . وهكذا فما أن بدات المعركة واشتدت حتى نكس صاحب العلم رايته وهرب[2] ، فتبعه انسحاب القادة بجندهم ، ولم يثبت مع الوالى موسى بن مصعب غير جنده الذين قدم بهم من الموصل ، وقد قاتلوا قتالا شديدا حتى فنى أكثرهم[3] . وقد انتهت هذه المعركة بمقتل الوالى موسى بن مصعب واستسلام أو هرب من بقى من جنده على قيد الحياة ، وذلك فى التاسع من شوال سنة ١٦٨هـ/٢٥ ابريل ٧٨٢م[4] .

وقد انتهز دحية الاموى فرصة مقتل موسى بن مصعب فكتب الى قائد قواته الذى كان قد خلفه فى الشرقية يامره بالتقدم نحو الفسطاط والاستيلاء عليها . لكن الوالى الجديد عسامة بن عمرو[5] سارع الى قطع الطريق على قوات دحية والحيلولة دون تحقيق أهدافه ، ذلك أنه بادر الى توجيه بعض قواته بقيادة أخيه بكار لغرض افشال خطة دحية الاموى ، وقد

---

(١) الكندى : ولاة مصر ص ١٤٩ .
(٢) اليعقوبى : تاريخ ٤٠٠/٢ .
(٣) الأزدى : تاريخ الموصل ص ٢٥٣ .
(٤) الكندى : ولاة مصر ص ١٥٠ ، ياقوت : معجم ٢٠٠/٤ ، المقريزى : الخطط ٣٠٨/١ .
(٥) عسامة بن عمرو بن علقمة بن جبريل المعافرى : ولى مصر باستخلاف موسى بن مصعب له قبل مقتله ، وقد أقره الخليفة المهدى عليها بعد مقتل موسى . وكان عسامة رئيسا على الشرطة بمصر لعدة من الامراء ، توفى عسامة فى سنة ١٧٦هـ . انظر ابن تغرى بردى : النجوم ٥٧/٢ .

التقى الجيشان عند قرية بركوت[1] ونشبت بينهما معركة عنيفة انتهت بمقتل كل من بكار وقائد جيش دحية ، وعادت فلول الجيش العباسي الى الفسطاط في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٦٨هـ/ ١١ يوليو ٧٨٥م ، كما فشلت قوات دحية الأموي في تحقيق أهدافها[2] .

وقد كان لإستمرار ثورة دحية ، وفشل الولاة العباسيين في القضاء عليها ، وماترتب على ذلك من الاضرار الكبيرة بمصلحة الناس ، وخاصة المزارعين الذين اضطروا الى الاسهام في حالة الصراع ، حيث جرت المعارك في مناطق استيطانهم ، أثره في بلورة الاتجاه العام لدى السكان تجاه اسناد ثورة دحية الأموي . هذا بالاضافة الى تخوفهم من غضب الخليفة المهدي عليهم بسبب مشاركتهم في قتل واليه موسى مصعب[3] . ولعل هذه الاسباب مجتمعة قد دفعت بالكثيرين من رؤساء السكان الى الكتابة الى دحية الأموي يدعونه بالاسراع في دخول الفسطاط على أمل تحقيق الاستقرار والأمن والتخلص من تعسف الولاة والجباة العباسيين[4] .

وعلى اثر هذه التطورات الخطيرة التي أخذت تهدد أمن الدولة العباسية الداخلي وتنذر بالتداعي والانفصال ، استقر رأي الخليفة المهدي على ضرورة انقاذ الموقف في مصر ، والتصدي بحزم لدحية الأموي ، فبادر الى عزل عسامة بن عمرو

---

(١) بركوت : قرية من قرى الشرقية . الكندي : ولاة مصر ص ١٥١ ، ياقوت : معجم ٤٠١/١ .

(٢) الكندي : ولاة مصر ص ١٥١ ، المقريزي : الخطط ٣٠٨/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٥٧/٢ .

(٣) الأزدي : تاريخ الموصل ص ٢٥٣ ، الكندي : ولاة مصر ص ١٥٠ .

(٤) الكندي : ولاة مصر ص ١٥٢ ، المقريزي : الخطط ٣٠٨/١ .

عن ولاية مصر واستبدله بالفضل بن صالح العباسي (١) وأمده بجيش عظيم من أهل الشام ليساعده في انجاز مهمته (٢) في القضاء على تمرد دحية الأموى واعادة الاستقرار الى بلاد مصر بعد أن عصفت بها الثورات .

دخل الفضل بن صالح مصر فى أول محرم سنة ١٦٩هـ/يوليو ٧٨٥م وهى تضطرم بالثورات ، فانتهج سياسة حكيمة اذ بدأ أولا بتهدئة ثورة أهل الحوف فلجأ الى أسلوب المهادنة معهم "فلم يهيج أحدا من أهل الحوف الذين قتلوا موسى بن مصعب عامل المهدى ، فسكنهم ، وكف عن طلبهم" (٣) . وعندئذ تفرغ لحرب دحية لأموى فارسل اليه جشا عظيما من جند الشام وجند مصر تسانده قوة بحرية فالتقى بقوات دحية الأموى فى بويط بصعيد مصر (٤) ، وأنزل به ولأول مرة هزيمة فادحة (٥) تقهقرت بعدها قواته الى الواحات ، فتتبعها الجيش العباسي (٦) ، وبعد معارك عنيفة استمرت عدة أشهر تمكن القائد العباسي من أسر دحية الأموى حيث قدم به الى الفسطاط ، وهناك ضربت عنقه ثم صلب ، وذلك

---

(١) الفضل بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس : ابن عم المنصور كان شجاعا شاعرا فصيحا تولى امارة الحج للمنصور سنة ١٣٨هـ . ابن خياط : تاريخ ص ٤١٧ ، ثم ولاه المهدى على الجزيرة فى الفترة مابين سنة ١٥٩ - ١٦١هـ ، الطبرى : تاريخ ١٢١/٨، ١٤٠ ، وفى سنة ١٦٨هـ ولاه على مصر وأقره عليها الهادى ، ثم عزله عنها فى سنة ١٦٩هـ . توفى الفضل سنة ١٧٢هـ . ابن تغرى : النجوم ٦١/٢ ، ابن العماد : شذرات ٢٨١/١ ، الزركلى : الاعلام ١٤٩/٥ .

(٢) الكندى : ولاة مصر ص ١٥٢ ، المقريزى : الخطط ٣٠٨/١ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ ٤٠٥/٢ .

(٤) بويط : قرية بصعيد مصر قرب بوصير . ياقوت : معجم ٥١٣/١ .

(٥) اليعقوبى : تاريخ ٤٠٥/٢ ، الكندى : ولاة مصر ص ١٥٣ .

(٦) الكندى : ولاة مصر ص ١٥٣ .

فى جمادى الآخرة سنة ١٦٩هـ/ديسمبر ٧٨٥م (١) .

استطاع الفضل بن صالح أن ينشر الأمن والاستقرار فى مصر فكان دائم الفخر بذلك حيث كان يقول : "أنا أولى الناس بولاية مصر لقيامى فى أمر دحية وهزيمته وقتله ، وقد عجز عنه غيرى ، وكاد أمره أن يتم لطول مدته ولاجتماع الناس عليه لولا قيامى فى أمره" (٢) .

وهذا يعكس مدى ماوصلت اليه حركة دحية الأموى من خطورة على وحدة الدولة العباسية وماتعرضت له الادارة العباسية خلال فترة تمرده التى امتدت قرابة خمس سنوات من امتهان واحراج . كما انها تعكس فى الوقت ذاته مدى الظلم والاستبداد والجشع الذى مارسه عمال الجباية العباسية والذى نجم عنه التفاف عدد كبير من السكان حول قيادة التمرد وفى موقف لاشك فى أنه يمثل معارضة صريحة لأساليب الادارة والجباية العباسية فى مصر خلال تلك الفترة .

---

(١) المقريزى : الخطط ٣٠٨/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٦٠/٢، ٦١ ، وكان ذلك بعد وفاة الخليفة المهدى الذى توفى فى ٢٢ محرم سنة ١٦٩هـ . انظر : خليفة بن خياط : تاريخ ص ٤٣٩ ، البسوى : المعرفة ١٥٨/١ ، اليعقوبى : تاريخ ٤٠١/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٧١/٨ .
وانظر : سيدة كاشف : مصر فى صدر الاسلام ص ١٣٣-١٣٥ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم ٦١/٢ .

القضاء على حركات العصيان فى خراسان :

(أ) الحركات الفارسية :

واجهت الدولة العباسية منذ قيامها الكثير من ثورات الايرانيين فى خراسان (١) والتى تميزت بخصائص مشتركة اذ كانت تستهدف احياء الديانة الفارسية ومحاولة بعث أمجاد الفرس السياسية واقامة دولتهم المستقلة على أنقاض الدولة الاسلامية . ولاشك فى ان اتخاذ خراسان قاعدة انطلاق للدعوة العباسية ، وتأييد جماعات ايرانية لها واسهامهم فى قيادتها وماتبع ذلك من نجاح للدعوة (٢)، كانت تقابله أهداف أعمق عند عامة الفرس ترمى الى استعادتهم مكانتهم السياسية القديمة والخلاص من الحكم العربى بل وفى هدم الاسلام أيضا . وهكذا فلقد كان شعورهم بالفشل فى تحقيق ذلك بعد نجاح الدعوة العباسية وقيام "الدولة المباركة الهاشمية" سببا فى اعلان حالة الاحباط التى شملتهم مما دفعهم الى اعلان تلك الثورات وهذا مايؤيده المؤرخون فيقول المقريزى : "واعلم أن السبب فى خروج اكثر الطوائف عن ديانة الاسلام ان الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الامم وجلالة الخطر على نفسها بحيث انهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد ،

---

(١) خراسان : بلاد واسعة تشتمل على كور عظام تحدها شرقا سجستان والهند ، ومن الغرب مفازة الغزية ونواحى جرجان ؛ وشمالا بلاد ماوراء النهر وجزء من بلاد الترك ، أما من جنوبها فتحدها مفازة فارس الى نواحى جبال الديلم مع جرجان .
لمزيد من المعلومات انظر : ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٥٨ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٩٤ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٣٥٥/٧ ، مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ص ٢٧٤ .

وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على يد العرب ، وكانت العرب عند الفرس أقل الأمم خطرا تعاظم الأمر وتضاعفت المصيبة وراموا كيد الاسلام بالمحاربة فى أوقات شتى وفى كل ذلك يظهر الله تعالى الحق وكان من قائميهم سنباذ والمقنع وبابك وغيرهم (١) . أضف الى ذلك فان مقتل أبى مسلم الخراسانى على يد الخليفة المنصور كان عاملا اضافيا فى اثارة نقمة بعض العناصر الايرانية على العباسيين ، ذلك انهم لم يكونوا ينظرون الى أبى مسلم على انه قائد فى الدعوة والتنظيم والقوات العسكرية ، وانما كرئيس دينى ، بل ان بعضهم قد أفرط فى موالاته غاية الافراط فقد زعم بعضهم أنه صار الها بحلول روح الاله فيه ، كما زعموا بانه خير من جبريل وميكائيل وسائر الملائكة (٢) .

وقد تجلت مكانته لديهم فى اندفاعهم وراء كل ثائر ، وهم ينادون بالثار له (٣) . ويمكن أن يضاف الى ذلك ، الشعور العام بالتذمر والسخط على السلطة العباسية ، وخيبة الأمل التى منى بها أهل خراسان بسبب احساسهم بان وصول العباسيين الى الحكم لم يحقق لهم ماكانوا يأملونه أو يعملون له خلال مرحلة الدعوة السرية من "تسوية وعدالة وازالة للظلم" (٤) . فكان هذا الشعور دافعا اضافيا قويا يدفعهم الى الانضمام الى أية ثورة تعلن ضد الحكم العباسى القائم .

---

(١) المقريزى : الخطط ٣٦٢/٢ ، وانظر أيضا ابن حزم : الملل ١١٥/٢ .

(٢) وهم فرقة الرازمية والأبومسلمية . البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٥٥ ، الاسفرايينى : التبصير بالدين ص ١٣٠

(٣) الطبرى : تاريخ ٤٦٥/٧ ، المسعودى : مروج ٣٠٦/٣ ، ابن الاثير : الكامل ٤٨١/٥ ، الذهبى : سير ٧١/٦ .

(٤) اليعقوبى : تاريخ ٢٤٤/٢ .

وقبل أن نستعرض الحركات الفارسية ، لابد من الاشارة الى أن هذا البحث سوف يقتصر على متابعة الثورات الفارسية التي قامت ، أو تلك التي لها صلة مباشرة بالاحداث خلال فترة البحث .

أولا : حركة استاذسيس .

قامت هذه الحركة في سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م بقيادة المدعو استاذسيس وهو رجل فارسي كان على مايظهر أميرا للدولة العباسية على بعض الجيوش الخراسانية (١) ، فخرج بها عن طاعة الدولة وسرعان ما استفحل أمره وكثر أتباعه حتى بلغوا ثلاثمائة الف مقاتل (٢) ، تمكن بواسطتهم من الاستيلاء على العديد من مدن وكور خراسان مثل هراة (٣) وبادغيس (٤) وسجستان (٥) (٦) .

وتشير الروايات الى خطورة هذه الحركة فتقول : "وعظم الخطب واستفحل الشر واشتد على المنصور الأمر" (٧) .

ومما زاد في سوء الأوضاع وتأزمها حدوث ثورات عنيفة قام بها الخوارج في سجستان في ذلك الوقت ومناصرة أعداد من

---

(١) السيوطي : تاريخ ص ٢٤٤ .
(٢) المقدسي : البدء والتاريخ ٨٦/٦ ، ابن الاثير : الكامل ٥٩١/٥ ، مؤلف مجهول : العيون ٢٦٢/٣ ، ابن كثير : البداية ١٠٦/١٠ .
(٣) هراة : مدينة عظيمة من مدن خراسان لم يكن في خراسان مدينة أجمل ولا أعمر ولا أحصن منها .
ياقوت : معجم ٣٩٦/٥ ، القزويني : اثار الدول ص ٤٨١ .
(٤) بادغيس : ناحية من أعمال هراة ومرو الروز .
ابن عبد الحق البغدادي : مراصد الاطلاع ١٥٠/١ .
(٥) سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة وهي جنوب هراة .
ياقوت : معجم ١٣٠/٣ .
(٦) البسوي : المعرفة ١٣٦/١ ، ابن الاثير : الكامل ٥٩١/٥ .
(٧) السيوطي : تاريخ ص ٢٤٤ .

المكان لها ، مما أدى الى استفحال الخطر واتساع نطاقه[1] .

وهكذا لم يكتف استاذسيس بما حققه من انتصارات باستيلائه على المدن المذكورة آنفا ، بل انه زحف الى مرو الروذ محاولا السيطرة عليها[2] . فخرج اليه واليها العباسي بقواته يسانده أهل البلد ، وبعد معركة عنيفة بين الطرفين انتهت بمقتل الوالي العباسي واكثر اصحابه[3] ، دخل استاذسيس المدينة واباحها لجنده فقتلوا الكثير من أهلها[4] . وقد استطاع استاذسيس بعد ذلك تحقيق انتصارات متوالية على عدد من الجيوش العباسية كانت تحت قيادات عباسية معروفة ذكرت المصادر منهم معاذ بن مسلم ، وجبريل بن يحيى ، وحماد بن عجرد ، وابا النجم السجستاني ، وداود بن كراز[5] . ويبدو أن الذي ساعد استاذسيس على تحقيق انتصاراته ، انضمام قائد من أهل سجستان يعرف بالحريش ، يظهر انه كان في غاية من الدهاء والدراية العسكرية ذلك انه "كان هو الذي يدبر امرهم"[6] ، كما ذكرت المصادر .

وتشير بعض الروايات الى أن استاذسيس كان قد ادعى النبوة بعد ذلك[7] ، ويؤكد الشهرستاني على أن استاذسيس قد

---

(١) اليعقوبي : تاريخ ٣٨٤/٢ ، وسوف يأتي الحديث عنها في المبحث الثاني من هذا الفصل .
(٢) مرو الروذ : معنى الروذ بالفارسية النهر ، وهي مدينة قريبة من مرو الشاهجان التي تعتبر أشهر مدن خراسان وقصبتها . وهي على نهر عظيم ولذلك سميت بذلك . ياقوت : معجم ١١٢/٥ .
(٣) ابن الاثير : الكامل ٥٩١/٥ .
(٤) الطبري : تاريخ ٢٩/٨ .
(٥) البسوي : المعرفة ١٣٦/١ ، الطبري : تاريخ ٢٩/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٩١/٥ .
(٦) الطبري : تاريخ ٣٠/٨ .
(٧) اليعقوبي : تاريخ ٣٨٠/٢ ، ابن الاثير : الكامل ٥٩٣/٥ النويري : نهاية الارب ٩٦/٢٢ .

دعى الى نفس مبادىء بهافريد [١] ، وان الاثنين يكونان فرقة مجوسية واحدة من مبادئهما انهما يحرمان الزواج بالامهات والاخوات والبنات ، ويامران بالصلاة مستقبلين الشمس سبع مرات في اليوم ويسجدون في تجاهها على ركبة واحدة . [٢]

القضاء على هذه الحركة :

عندما بلغ المنصور أمر استفحال حركة استاذسيس بادر الى اسناد مهمة التصدى لهذه الثورة الى ابنه وولى عهده محمد المهدى الذى كان يعسكر بقواته حينذاك بالرى ، فامده بجيش اضافي يقدر عدده بنحو ١٢ الف مقاتل [٣] بقيادة خازم بن خزيمة التميمي [٤] ، فلما وصلت تلك الامدادات الى المهدى انتقل بجيشه من الرى الى نيسابور [٥] ، حيث عسكر فيها لقتال استاذسيس [٦] .

---

(١) ظهرت حركة بهافريد في سنة ١٢٩هـ ، قبل خلافة أبي العباس السفاح . انظر : البيروني : الاثار الباقية ص ٢١٠ .

(٢) البيروني : الاثار الباقية ص ٢١١ ، الشهرستاني : الملل ٨١،٨٠/٢ .

(٣) ابن خلدون : العبر ١٩٨/٣ .

(٤) خازم بن خزيمة التميمي : أحد نظراء النقباء العباسيين ، وهو من أهل خراسان . مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ص ٢٢٠ . كان له دور كبير في الفتوحات التي رافقت تكوين الدولة وهو الذى قتل القائد الاموى ابن هبيرة سنة ١٣٢هـ . ابن خياط : تاريخ ص ٤٠٢،٤٠٠ . ولاه المنصور على خراسان سنة ١٤٣هـ ثم عزله عنها ، وأعاد توليته عليها في سنة ١٥١هـ . الاصبهاني : تاريخ سني ملوك الارض ص ١٦٣،١٦٢ ، ومات خازم ببغداد فعزى به أبو جعفر . ابن قتيبة : المعارف ص ١٨٤ .

(٥) نيسابور : احدى مدن خراسان وهي أفضل مدنها هواء وأفسحها فضاء وأكثرها عمارة . ابن حوقل : صورة الارض ص ٣٦٣ .

(٦) الطبرى : تاريخ ٣٧٢/٨ .

على أن كثرة القيادات وعدم انتظامها واضطراب التنسيق بين قطاعات الجيش المختلفة قد أدى الى خسران الجيش العباسي لبعض المعارك وخصوصا في مرحلة التمدى الأولى ، ولعل ذلك مادفع الأمير محمد المهدى الى المبادرة الى توحيد القيادات في قيادة واحدة عهد بها الى خازم بن خزيمة وأمر الجميع بالطاعة له (١) .

نظم خازم بن خزيمة جيشه الذى بلغ (٢٨) الف مقاتل فقسمه الى مقدمة وساقة وميسرة وميمنة وقلب وسار به لمواجهة استاذسيس . وقد ابدى خازم الكثير من الحنكة العسكرية بحيث حرص على اخذ الاحتياطات اللازمة اثناء زحفه تحسبا لاى هجوم مباغت من جانب العدو كما انه "مكر بهم وروا غهم في تنقله من موضع الى موضع وخندق الى خندق حتى قطعهم وأجهدهم" (٢) . وقد ارسل القائد خازم بن خزيمة الى المهدى يطلب منه امدادات عسكرية اضافية زيادة في الحيطة والاستعداد ، فكتب المهدى الى أبى عون عبد الملك المقيم بطخارستان (٣) يأمره بالتوجه بقواته لمساندة خازم بن خزيمة (٤) ، مما عزز من قدرة قوات الخلافة العباسية وتفوقها .

وقد استغل خازم بن خزيمة عامل الوقت فاختار قبل قدوم استاذسيس بجيشه لملاقاته موضعا يحيط به خندق عظيم تحصن فيه وأدخل فيه جميع أصحابه ومايحتاج اليه من مؤنة وجعل له

---

(١) الطبرى : تاريخ ٢٩/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٩١/٥ .
(٢) الطبرى : تاريخ ٣٠/٨ .
(٣) طخارستان : هى ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد من نواحى خراسان .
ابن عبد الحق البغدادي : مراصد الاطلاع ٨٨١/٢ .
(٤) الطبرى : تاريخ ٣١/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٩٢/٥ ، النويرى : نهاية الارب ٩٥/٢٢ ، الذهبى : دول ١٠٣/١ .

اربعة ابواب ودعم كل باب بقوة من اصحابه[(١)] .

اقبل استاذسيس بجيشه ومعهم الفؤوس وغير ذلك من ادوات الحفر لردم الخندق واقتحامه ، فهجموا على الخندق من الباب الذى كان عليه بكار بن مسلم هجمة شديدة لم يستطع المدافعون عنه من الصمود فكاد استاذسيس أن يجد فيه ثغرة يدخل بها الحصن لولا أن ثبت بكار بعدد من افراد عشيرته واهله حتى تمكن من ردهم[(٢)] .

وحاولت فرقة اخرى بقيادة الحريش التقدم لمهاجمة الباب الذى كان عليه خازم بن خزيمة وعندئذ لجا خازم الى خطة بارعة لانزال الهزيمة بهم ، اذ أرسل الى قائد ميمنته يطلب منه الخروج بقوة من جيشه حتى يبتعد عن نظر جيش استاذسيس ، فاذا ما انشغل هؤلاء بالهجوم على خازم التف هو من خلفهم قادما صوبهم رافعا الرايات معلنا وصول الامدادات من طخارستان . وقد تمت تلك الخطة بنجاح ، واوقع خبر قدوم الامدادات من طخارستان الرعب بين صفوف العدو ، وعمهم الارتباك فاحاط بهم اصحاب خازم من الامام ولقيهم قائد الميمنة بقواته من الخلف ، بينما خرجت قوات اخرى من الميسرة ، فدارت معركة رهيبة بين الطرفين انتهت بهزيمة استاذسيس وقتل من اصحابه نحو سبعين الف مقاتل وأسر ١٤ الف آخرين بينما فر الباقون[(٣)] . وذلك يعكس مدى قوة استاذسيس

---

(١) الطبرى : تاريخ ٣٠/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٩١/٥ ، ابن خلدون : العبر ١٩٨/٣ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٣٠/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٩٢/٥ ، النويرى : نهاية الارب ٩٥/٣٢ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٣١/٨ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ١٨٩ب ، ابن الاثير : الكامل ٥٩٣/٥ ، مؤلف مجهول : العيون ٢٦٣/٣ .

واستعداداته . أما استاذسيس فلقد هرب بعد تحققه من الفشل الى الجبال مع من تمكن من اللحاق به من اتباعه . غير أن قائد الجيش العباسي لم يمهلهم وانما أمر بتتبعهم بعد أن تخلص من الأسرى (١) . وقد حصرت القوات العباسية فلول المنهزمين وشددت عليهم الحصار ، حتى اضطر استاذسيس الى طلب التسليم والنزول على حكم أبي عون . فأمر أبو عون بان يوثق استاذسيس وبنوه وأهل بيته بالحديد ، وان يعتق الباقون وهم ثلاثون الفا (٢) ، فانفذ القائد خازم بن خزيمة حكم أبي عون . وكتب الى الأمير محمد المهدي بما فتح الله عليه من النصر واهلاك عدوه ، فكتب المهدي بدوره الى أبيه المنصور يعلمه بذلك ، ثم حمل استاذسيس مع أهل بيته الى بغداد حيث قتل هناك (٣) . وبذلك انتهت حركة استاذسيس بالفشل سنة ١٥١هـ/٧٦٨م .

ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الثورة قد كشفت جوانب مهمة في البحث ، لعل من أبرزها ماعكسته من أن اهتمام المهدي بتوطيد الأمور في المشرق قد بدأ مبكرا ، منذ أن كان وليا للعهد ويظهر هذا من اقامته الطويلة في الري أميرا على الأقاليم الشرقية منذ سنة ١٤١ - ١٥١هـ مما يوضح مدى الأهمية التي كان يعلقها على ارساء دعائم الدولة هناك ، حيث تم على يده لأول مرة فتح طبرستان . والواقع فان جهود الأمير محمد المهدي لم تقتصر على دوره في قمع حركات العصيان المعادية للخلافة هناك ، انما تعداه الى بناء

---

(١) البسوي : المعرفة والتاريخ ١/١٣٦ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٤٤ .
(٢) الطبري : تاريخ ٨/٣١ .
(٣) اليعقوبي : تاريخ ٢/٣٨٠ .

المدن الحصينة فبنى مدينة جديدة فى الرى وحصنها بسور من الآجر وحفر حولها خندقا فتمت عمارتها فى سنة ١٥٨هـ ، وقد سميت بالمحمدية نسبة اليه (١) . وذلك مايعكس جوانب من توجهاته فى تحقيق الاستقرار والأمن فى أطراف بلدان الخلافة العباسية .

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٩١ ، ياقوت : معجم ٣/١١٨ .

ثانيا : حركة المقنع الخراساني .

ظهرت حركة المقنع الخراساني في سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م في الأغلب[(١)] ، ولقد اختلف المؤرخون في اسمه ونسبه ، فتشير بعض الروايات الى أن اسمه عطاء[(٢)] أو حكيم[(٣)] ، بينما تطلق عليه روايات أخرى اسم هشام بن الحكم[(٤)] . ولكن من الراجح أن اسمه كان هاشم بن حكيم[(٥)] ، لأن المقنع نادى في عقيدته بالحلول والتناسخ فادعى بانه بدأ في صورة آدم عليه السلام ثم تدرج الى غيره من الأنبياء حتى انتهى به الأمر الى أن تخلق بصورة أبي مسلم الخراساني ثم تحول الى هاشم "وهاشم في دعواه هو المقنع"[(٦)] . ويرجع المقنع في أصله الى قرية فارسية من قرى

---

(١) اختلف المؤرخون في سنة ظهور المقنع ولكن من الراجح أن ظهوره كان في سنة ١٥٩هـ ، لأن المقنع ظهر في ولاية حميد بن قحطبة الذي كان واليا على خراسان حتى سنة ١٥٩هـ .
انظر : ابن الاثير : الكامل ٣٨/٦ ، الوطواط : غرر الخصائص ص ٢٠٦ ، النويري : نهاية الارب ١٠٩/٢٢ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ١٠٣/٣ ، ابن الجوزي : تحفة الأصحاب ورقة ١١٤ ، الوطواط : غرر الخصائص ص ٢٠٥ ، الذهبي : دول ١٠٩/١ ، اليافعي : مرآة الجنان ٣٤١/١ ، الجنابي : البحر الزاخر ١/ورقة ١٣٧٧ ، ابن العماد : شذرات ٢٤٨/١ .

(٣) الطبري : تاريخ ١٣٥/٨ ، المقدسي : البدء والتاريخ ٩٧/٦ ، ابن الاثير : الكامل ٣٨/٦ ، ابن كثير : البداية ١٤٥/١٠ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٣٨/٢ .

(٤) الاسفرايينى : التبصير ص ١٣١ ، ويبدو انه وقع اختلاط في هذا الاسم اذ أن هشام بن الحكم كان من الرافضة . انظر البغدادي : الفرق ص ٤٠ ، الشهرستاني : الملل ٢١/١ .

(٥) البيروني : الاثار الباقية ص ٢١١ ، المقريزي : الخطط ٣٥٤/٢ .

(٦) ابن الاثير : الكامل ٣٩/٦ ، النويري : نهاية الارب ١٠٩/٢٢ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٦/٣ .

مرو الشاهجان يقال لها كازه (١) او كاوه كيمردان (٢) .

ولقد ظهرت على هاشم هذا منذ البداية علامات الذكاء (٣) غير أن ظروفه الاقتصادية على مايبدو اجبرته على أن يكون قصارا (٤) ، اى يعمل فى تنظيف الصوف وغسله (٥) ، فلما تحسنت أحوال أبيه المعيشية عند قيام الثورة العباسية حيث أصبح قائدا فى الجيش الخراسانى (٦) ، انصرف هاشم الى دراسة العلوم الهندسية الى جانب تعلم الشعبذة والسحر والنيرنجات (٧) .

وفى اثناء ولاية أبى مسلم على خراسان (٨) أصبح هاشم أحد الرؤساء فى الجيش وتوثقت صلته بابى مسلم حتى أصبح أحد اتباعه المقربين ، فلما اغتيل ابو مسلم التحق هاشم بخدمة

---

(١) مرو الشاهجان : هى قصبة خراسان وأشهر مدنها . ياقوت معجم ١١٢/٥ .

(٢) البغدادى : الفرق ص ١٥٦ ، المقدسي : البدء والتاريخ ٩٧/٦ .

(٣) فامبرى : تاريخ بخارى ص ٨٠ .

(٤) الجاحظ : البيان والتبيين ١٠٣/٣ ، البغدادى : الفرق ص ١٥٥ ، الاسفرايينى : التبصير ص ١٣٠ ، ابن الجوزى : تحفة الاصحاب ورقة ١٤٤ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ١٩١أ ، الوطواط : غرر الخصائص ص ٢٠٥ ، أبو الفداء : المختصر ٩/٢ .

(٥) ابن منظور : لسان العرب ١٠٤/٧ .

(٦) فامبرى : تاريخ بخارى ص ٨٠ ، شاكر مصطفى : دولة بنى العباس ٢٨٨/١ ، نقلا من كتاب النرشخى : تاريخ بخارى .

(٧) البغدادى : الفرق ص ١٥٥ ، الثعالبى : ثمار القلوب ص ٦٥٢ ، ابن الجوزى : تحفة الاصحاب ورقة ١١٤ ، ابن الساعى : مختصر أخبار الخلفاء ص ٢٣ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر ص ١٢٦ ، ابن خلكان : وفيات ٢٦٣/٣ ، الوطواط : غرر الخصائص ص ٢٠٥ .
والنيرنجات هى : أخذ تشبه السحر ، وليست بحقيقته ، وكالسحر ، انما هو تشبيه وتلبيس . ابن منظور : لسان العرب ٣٧٦/٣ .

(٨) قام أبو مسلم الخراسانى بامر الدعوة العباسية فى خراسان ثم استمر واليا عليها من قبل أبى العباس السفاح حتى سنة ١٣٦هـ . اليعقوبى : البلدان ص ٣٠٣ . وسوف يرد خبر مقتله فى المبحث الرابع من هذا الفصل .

عبد الجبار الازدى الوالى الجديد وصار كاتبا له ، ووافقه فى الثورة ضد ابى جعفر المنصور ، فأسر عبد الجبار الازدى وهاشم واتباع آخرين وارسلوا الى بغداد حيث قتل عبد الجبار وسجن هاشم زمنا ، ثم اخلى سبيله فعاد الى مرو .(١)

ويبدو أن هاشم كان يخطط منذ أن كان فى بغداد لحركته فما أن عاد الى مرو حتى ستر وجهه بقناع من الذهب (٢) ، ومن اجل هذا سمى المقنع . وتشير الروايات الى أن سبب اتخاذه هذا القناع انه أراد أن يخفى قبحه الشديد ودمامته ، فقد كان اعورا مشوه الخلقة (٣) مشقق الجلد (٤) . ولكن من الراجح أن السبب الأهم الذى دفعه الى أن يتخذ هذا القناع هو المبالغة فى التستر وكتمان شخصيته ، حتى انه حذر أصحابه من طلب رؤيته على صورته الحقيقية ، مبررا لهم ذلك بانهم لن يستطيعوا تحمل نوره الشديد .(٥)

بدأ المقنع فى نشر دعوته بسرية تامة ، وذلك حتى يضمن لها النجاح متتبعا نفس خطوات الدعوة العباسية التى كان قد عاصرها فى خراسان ، وبث دعاته بين الناس لنشر تعاليمه .(٦)

---

(١) شاكر مصطفى : دولة بني العباس ٢٨٨/١ ، فاروق عمر : العباسيون الأوائل ٢٩٦/١ ، نقلا من كتاب النرشخى : تاريخ بخارى .

(٢) ابن الاثير : الكامل ٣٨/٦ ، ابن خلكان : وفيات ٢٦٤/٣ ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٨٠ ، أبو الفداء : المختصر ٩/٢ ، النويرى : نهاية الارب ١٠٩/٢٢ ، الذهبى : العبر ٢٤١/١ ، اليافعى : مرآة الجنان ٣٥٠/١ ، القلقشندى : مآثر الانافة ١٨٦/١ ، ويذكر البيرونى : بأن المقنع قد تبرقع بحرير أخضر . الاثار الباقية ص ٢١١ . ومن الراجح أن ماذكر أولا هو الاصح اذ أن المقريزى يذكر بانه اسمه كان الصيغ نسبة الى صياغته القناع من الذهب . الخطط ٣٥٤/٢ .

(٣) نفس المصادر السابقة .

(٤) ابن الجوزى : تحفة الأصحاب ورقة ١١٤ .

(٥) البغدادى : الفرق ص ١٥٦ ، الاسفرايينى : التبصر ص ١٣١

(٦) المقدسى : البدء والتاريخ ٩٧/٦ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر ص ١٢٦ .

ومن الملاحظ أن المقنع الخراساني قد عمد الى محاولة التوفيق بين العديد من افكار الفرق المنحرفة التى كانت شائعة فى ايران فى ذلك الوقت ونادى بها كتعاليم خاصة به فى سبيل جمع اكبر عدد ممكن من الاتباع . ولعل ذلك كان وراء ادعائه فى بداية أمره انه يعتنق دين الرازمية (١)، وهى الفرقة التى افرطت فى موالاة أبى مسلم الخراسانى وساقت اليه الخلافة بعد ابى العباس السفاح . فهم بذلك لايعترفون بالخلافة العباسية (٢). واشاع المقنع بأن ابا مسلم خير من النبى محمد صلى الله عليه وسلم (٣)، وانه انما خرج للمطالبة بدمه (٤). وقد تدرج المقنع بعد ذلك فى دعوته ، اذ دفعته نفسه الى التطاول حتى ادعى الألوهية (٥)، وانه قادر على احياء الموتى وعلم الغيب (٦). ثم نادى بعد ذلك بالحلول والتناسخ ، وان الله تعالى — تعالى الله عما يقول علوا كبيرا — قد تحول فى صورة آدم ولذلك أمر الملائكة بالسجود له فسجدت له الا ابليس فاستحق بذلك اللعن ، ثم تحول الى صورة نوح عليه السلام ، ثم الى صورة كل نبى من الانبياء بالتتابع ثم الى

---

(١) البغدادى : الفرق ص ١٥٥ ، الاسفرايينى : التبصير ص ١٣٠ ، الشهرستانى : الملل ٢٠٦/١ ، حسين المصرى : صلات بين العرب والفرس والترك ص ٩١ .

(٢) البغدادى : الفرق ص ١٥٥ ، الاسفرايينى : التبصير ص ١٣٠ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٣٧١/٨ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ٣٩/٦ .

(٥) الجاحظ : البيان والتبيين ١٠٢/٣ ، البغدادى : الفرق ص ١٥٥ ، الثعالبى : ثمار القلوب ص ٦٥٢ ، البيرونى : الاثار الباقية ص ٢١١ ، الاسفرايينى : التبصير ص ١٣٠ ، ابن الأثير : الكامل ٣٨/٦ ، ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٨٠ ، الوطواط : غرر الخصائص الواضحة ص ٢٠٥ ، أبو الفداء : المختصر ٩/٢ ، النويرى : نهاية الارب ١٠٩/٢٢

(٦) المقدسى : البدء والتاريخ ٩٧/٦ ، ابن العبرى : تاريخ ص ١٢٦ .

صورة أبي مسلم الخراساني ثم اليه (١) . ولذلك أمر أتباعه بالسجود له . ثم عاد المقنع بعد ذلك الى القول بالرجعة ، وبانه سيعود بعد وفاته الى الارض ليملكها لاصحابه (٢) . ومما هو جدير بالملاحظة أن المقنع قد الغى كافة أركان الاسلام فاسقط الصلاة والصيام والزكاة والحج وسائر العبادات كما أباح لاتباعه المحرمات وحرم عليهم القول بالتحريم (٣) . وبجانب ذلك فانه طبق جميع تعاليم مزدك (٤) وخاصة مايتعلق منها باباحة النساء والاموال ، كما أنه أعطى لاتباعه الحق في قتل كل من لايوافقهم في معتقداتهم (٥) . ومن الغريب أن يعمد المقنع بعد ذلك الى انكار قتل يحيى بن زيد (٦) ، والوعد بانه سوف يقتل قاتليه (٧) .

---

(١) ابن الجوزي : تحفة الاصحاب ورقة ١٤٤ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢٦٣/٣ ، ابن كثير : البداية ١٤٦/١٠ ، ابن العماد : شذرات ٢٤٨/١ .

(٢) المقدسي : البدء والتاريخ ٩٨/٦ ، العصامي المكي : سمط النجوم العوالي ٢٦٦/٣ ، عبد المنعم ماجد : العصر العباسي ١٦٩/١ .

(٣) البغدادي : الفرق ص ١٥٥ ، الاسفراييني : التبصير ص١٣١ الوطواط : غرر الخصائص ص ٢٠٥ .

(٤) ظهر مزدك في زمن قباذ بن فيروز والد انوشروان ، وادعى النبوة وأظهر دين الاباحية ، فتجرد له انوشروان وقتله .
انظر : الرازي : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٩ .

(٥) البيروني : الآثار الباقية ص ٢١١ ، البغدادي : الفرق ص ١٥٦ ، الاسفراييني : التبصير ص ١٣٢ .

(٦) يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : خرج بخراسان في أيام الوليد بن عبد الملك فأرسل اليه والي خراسان نصر بن سيار جيشا قاتله حتى قتله .
الاشعري : مقالات ص ٦٥ ، المسعودي : مروج ٢٢٥،٢١٧/٣ ، ابن الاثير : الكامل ٢٧١،٢٢٩/٥ .

(٧) ابن الاثير : الكامل ٣٩/٦ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٦/٣ .

توسع حركة المقنع الخراساني :

لقد وجد المقنع الخراساني بان علنية الحركات السابقة كان من أهم الأسباب التى أدت الى سرعة فشلها ، لذلك لجأ منذ سنة ١٤٩هـ/٧٦٧م الى السرية والتكتم الشديدين[١] فى التمهيد لثورته مستفيدا على مايبدو من درس الدعوة العباسية . وهكذا فلقد مرت حركته هى الاخرى بمرحلتين : أولاهما : المرحلة السرية : والتى كشف المقنع فى أثنائها عن ذكاء ودهاء كبيرين ، ففى حين نجده مختبئا فى مقره بمرو الشاهجان[٢] ، كان دعاته يجوبون أنحاء خراسان لنشر دعوته ، وكانوا يلوحون لكل فئة من الناس بالشعارات التى تستهويهم من تعاليم المقنع ، وبذلك فقد انضم اليه ، كما تشير الروايات المختلفة خلائق لايحصون[٣] ، واستطاع المقنع بما أظهره لهم[٤] من تمويهات وسحر عظيم أن يغلب على عقولهم ، "فعبدوه وكانوا يسجدون له من أى النواحى كانوا"[٥] .

ولم يكتف المقنع بذلك بل عمد الى تدعيم مكانته فى نفوس اتباعه فاستغل مهارته فى الحيل والطرق الهندسية فى اثبات مايدعيه لنفسه من صفات الالوهية .

---

(١) باعتبار أن حركة المقنع قد انتهت سنة ١٦٣هـ ، فكان التمهيد لها منذ سنة ١٤٩هـ .
انظر : البغدادى : الفرق ص ١٥٥ ، الاسفراييني : التبصير ص ١٣١ .

(٢) الاسفراييني : التبصير ص ١٣١ .

(٣) ابن حمدون : التذكرة ورقة ١٩١أ ، الذهبى : العبر ٢٣٥/١ ، اليافعى : مرآة الجنان ٣٤١/١ .

(٤) ابن الجوزى : تحفة الأصحاب ورقة ١٤٤ ، ابن خلكان : وفيات ٢٦٤/٣ ، ابن العماد : شذرات ٢٤٨/١ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ٣٩/٦ ، النويرى : نهاية الارب ١٠٩/٢٢ ، ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٨٠ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٦/٣ .

فعندما ألح عليه أتباعه فى طلب رؤيته قال لهم : "هذا شىء سأله قوم موسى فاحترقوا وذلك فى القرآن فى قوله : {واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون}(١) . فقال قوم منهم رضينا بذلك ، ويجوز أن نراك ونحترق ، فوعدهم يوما وأمر فوضع له منبرا فى مقابلة الشمس وقت الضحوة وعلق مرآة من الحديد الصينى فوق المنبر بحيث يكون شعاعها الخارج بينهما بالزاوية القائمة فى مقابلة الباب الذى يدخلون منه ، ثم أذن لهم بعد ارتفاع النهار وأمر برفع الستر ، فلما وقع عليهم الشعاع احترق منهم قوم وهرب الباقون من ذلك المكان فاغتر به القوم(٢) ، واعتقدوا أنه اله لاتدركه الأبصار(٣)" .

وهذه الحادثة واستشهاد المقنع بآيات قرآنية تثبت أن هناك أعدادا من المسلمين فى خراسان قد انضموا الى المقنع وناصروه ، ربما لتطرف مبادئهم أو لرقة اسلامهم ، وهذا مايفسر لنا أيضا انكار المقنع لمقتل يحيى بن زيد بهدف استمالة غلاة الشيعة اليه ، اذ تشير الروايات الى أن المذهب الشيعى كان قد انتشر بخراسان منذ مطلع القرن الثانى الهجرى(٤) ، وان بعضهم كان من الغلاة فى حب بنى فاطمة(٥) وقد وجد هؤلاء فى الغالب أن اشتراكهم فى هذه الحركة ، فرصة لاعلان تذمرهم من السلطة العباسية .

---

(١) سورة البقرة : آية ٥٥
(٢) الاسفراييني : التبصير ص ١٣١ .
(٣) المقريزى : الخطط ٣٥٤/٢ .
(٤) الطبرى : تاريخ ١٨٩/٧ .
(٥) الطبرى : تاريخ ٤٩/٧ ، ابن الأثير : الكامل ١٤٣/٥ .

على أن أهم نجاح حققه دعاة المقنع في هذه المرحلة هو تمكنهم من نشر مبادىء مذاهبهم في بلاد ماوراء النهر (١) ، اذ انهم لاقوا تجاوبا كبيرا في بلاد الصغد (٢) وايلاق (٣) وماداناها من بلاد الترك (٤) .

وبعد أن استكمل المقنع خططه الدينية والحربية أعلن عن حركته وقام بالثورة وأخذ في الاغارة على القرى والقوافل الاسلامية (٥) ، وقد حاول الوالي العباسي حميد بن قحطبة (٦) التصدي له ، وجد في طلبه ، ولكنه فشل في النهاية من انزال الهزيمة به (٧) وتضعضعت قواته (٨) .

قرر المقنع الالتحاق بأنصاره في ماوراء النهر وعجزت الحاميات التي نصبها حميد بن قحطبة لمراقبة شواطىء نهر جيحون في منعه من العبور (٩) ، حيث تمكن المقنع من الوصول الى

---

(١) ماوراء النهر : يراد به ماوراء نهر جيحون ، فما يوجد في شرق هذا النهر يقال له ماوراء النهر وماكان في غربيه فهو خراسان وولاية خوارزم . ياقوت : معجم ٥/٤٥.
(٢) الصغد : كورة تقع الى الشرق من بخارى وقصبتها سمرقند ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤٥ .
(٣) ايلاق : مدينة من مدن الشاش المتصلة ببلاد الترك . ياقوت : معجم ١/٢٩١ .
(٤) البغدادى : الفرق ص ١٥٥ ، الوطواط : غرر الخصائص ص ٢٠٦ .
(٥) فاروق عمر : العباسيون الأوائل ١/٣٠١ .
(٦) حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي : من أهل خراسان ، أحد نظراء النقباء في الدعوة العباسية واشترك في الفتوحات التي صاحبت قيام الدولة . مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ص ٣٥١ ، تولى مصر من قبل الخليفة المنصور في سنة ١٤٣هـ ، ثم عزله عنها في السنة التالية ، ووجهه لغزو أرمينية في سنة ١٤٨هـ . ابن تغرى بردى : النجوم ١/٣٤٩ ، ثم استعمله واليا على خراسان في سنة ١٥١هـ فظل عليها حتى توفي سنة ١٥٩هـ . الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض ص ١٦٣ .
(٧) المقدسي : البدء والتاريخ ٦/٩٧ ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٢٦ .
(٨) الطبرى : تاريخ ٨/٢٧١ .
(٩) شاكر مصطفى : دولة بني العباس ١/٢٩٢ .

مدينة كش[1] ففرض سيطرته عليها وعلى مدينة نسف[2][*] ، ولما اشتد أمره استقر فى قلعة سنام وتحصن بها[3] ، وهناك حقق المقنع المزيد من التوسع لحركته اذ جذب اليه المبيضه[4] ، الفرقة الخرمية التى تدين بالولاء لأبى مسلم الخراسانى فى منطقتى بخارى والصغد[5] ، كما تحالف معه خاقان الترك والذى انضم اليه مع رعاياه من الوثنيين[6] .

وبهذا أصبحت حركة المقنع تجمع مزيجا من العناصر سواء الحاقدة على الاسلام أو الرافضة لنفوذ السلطة العباسية ، فالى جانب المزدكية والزرادشتية كان هناك المبيضة والرزامية ثم كفار الترك وأخيرا غلاة الشيعة .

وقد عمل هؤلاء على توحيد جهودهم فى الاغارة على أموال المسلمين وتهديد أمنهم[7] ، وفى التصدى للقوات العباسية حيث حققوا انتصارات كبيرة على كافة الحملات التى أرسلتها الخلافة لمحاولة القضاء على هذه الحركة[8] .

---

(١) كش : احدى مدن الصغد تمتاز بمناعتها وخصوبة أرضها . اليعقوبى : البلدان ص ٢٩٣ ، ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤١٢ .

(*) نسف : وهى تعرف أيضا بنخشب وهى مدينة على مدرج طريق بخارى الى بلخ .
ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤١٣ .

(٢) البيرونى : الآثار الباقية ص ٢١١ .

(٣) المقدسى : البدء ٩٧/٦ ، ابن كثير : البداية ١٤٥/١٠ ، أبو الفداء : المختصر ٩/١ ، وسنام هى قلعة من رستاق كش .

(٤) المبيضة هى الفرقة التى دانت بترك الفرائض ، وقالوا بأن الدين معرفة الامام فقط . انظر : الشهرستانى : الملل ٢٠٦/١ ، الملطى : التنبيه ص ٢٦ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ٣٩/٦ ، النويرى : نهاية الارب ١١٠/٢٢ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٦/٣ .

(٦) البيرونى : الآثار الباقية ص ٢١١ .

(٧) البيرونى : الآثار الباقية ص ٢١١ ، ابن الأثير : الكامل ٣٩/٦ ، النويرى : نهاية الارب ١١٠/٢٢ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٦/٣ .

(٨) انظر : ابن الأثير : الكامل ٣٩/٦ ، النويرى : نهاية الارب ١١٠/٢٢ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٦/٣ .

ويبدو أن أنصار المقنع قد طالبوه بآية لاثبات الوهيته التى اخذ يفرضها على مايبدو على الجميع ، ولقد توصل بواسطة مهارته بالأساليب السحرية الى اظهار مايخيل لمن يراه انه قمر فى السماء (١) . وتشير بعض الروايات بان المقنع لجا الى استغلال معرفته بخصائص المعادن والطرق الهندسية فى اظهار خدعته تلك ، فبانعكاس شعاع القمر على طاس مملوء بالزئبق فى قعر بئر تظهر صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسافة شهرين من موضعه ثم يغيب (٢) . وبذلك عظم اعتقاد اتباعه فيه وحملهم على الايمان به فكانوا يهتفون باسمه فى حروبهم ويقولون : ياهاشم اعنا (٤) .

القضاء على حركة المقنع :

ادرك المهدى بلاشك مدى خطورة هذه الحركة وخاصة بعد أن تفاقم أمر المقنع فى ماوراء النهر واشتدت شوكته (٥) ، ولذلك بادر الى اسناد قيادة الجيوش الموجهة لقتاله الى جبريل ابن يحيى (٦) ، والذى اصطحب اخاه يزيدا معه ، وقد ابدى جبريل

---

(١) الثعالبى : ثمار القلوب ص ٦٥٢ ، ابن خلكان : وفيات ٢٦٤/٣ . وهذا لايستبعد من المقنع اذ ثبت أن السحرة يقومون الى الوقت الحاضر بامور خارقة للطبيعة وعجز عن تفسيرها العلم الحديث .

(٢) الثعالبى : ثمار القلوب ص ٦٥٢ ، القزوينى : آثار البلاد ص ٤٦٦ .

(٣) ابن خلكان : وفيات ٢٦٤/٣ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤٤١/١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٣٩/٦ ، النويرى : نهاية الارب ١٠٩/٢٢ ، ابن الطقطقى : الفخري ص ١٨٠ .

(٥) الثعالبى : ثمار القلوب ص ٦٥٢ .

(٦) جبريل بن يحيى العجلى الأزدى : أحد كبار القادة العباسيين ، تمت على يده بناء مدينة المميصة بامر من أبى جعفر المنصور سنة ١٤١هـ . ابن خياط : تاريخ ص٤١٨ ثم أرسله المنصور الى قتال الترك بارمينية فى سنة ١٤٧هـ . ابن كثير : البداية ١٠٣/١٠ ، وفى سنة ١٥٩هـ ولاه المهدى على سمرقند ثم أرسله لقتال المقنع . ابن الاثير : الكامل ٤١/٦ .

جهودا كبيرة فى قتال المبيضة المتحصنة فى بعض حصون بخارى حيث تمكن بعد أن اشتبك معهم فى معارك مستمرة لمدة أربعة اشهر من انزال الهزيمة بهم واجلائهم من تلك الحصون ، وقتل سبعمائة شخص منهم ، ثم اخذ فى تتبع فلولهم المنهزمة حتى لحقت بالمقنع فى مامنه .(١)

وجد المهدى أن تلك المعارك قد استنفذت قوى جبريل بن يحيى لذلك عمد الى اسناد القيادة الى أبى عون عبد الملك ابن يزيد(٢) فى سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م غير ان حدوث ثورة داخلية عنيفة بقيادة يوسف البرم الخارجى ببخارى فى ذلك الوقت ادت الى تشتيت جهود أبى عون فلم تتح له الفرصة كاملة لتوجيه ضربات ناجحة ضد المقنع . فعزله المهدى وهو ساخط عليه وولى مكانه معاذ بن مسلم .(٣)

سار معاذ بن مسلم(٤) فى سنة ١٦١هـ/٧٧٧م لقتال المقنع

---

(١) ابن الاثير : الكامل ٣٩/٦ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٧/٣.

(٢) أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدى : أحد نظراء النقباء فى الدعوة العباسية . مؤلف مجهول : أخبار الدعوة العباسية ص ٢١٩ . ولما استقر الأمر للعباسيين ولاه السفاح على مصر . ابن تغرى بردى : النجوم ٣٣٦/١ ثم بعثه المنصور الى خراسان فظل واليا عليها مدة ست سنوات حتى عزله عنها فى سنة ١٤٦هـ . الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض ص ١٦٣ . ثم أعاده المهدى على ولايتها فى سنة ١٦٠هـ . ويبدو أن وفاة أبى عون كانت فى نهاية عهد المهدى . انظر : الطبرى : تاريخ ١٨٠/٨.

(٣) الطبرى : تاريخ ١٣٨/٨ .

(٤) معاذ بن مسلم : أحد قدماء القادة العباسيين . مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ص ٢٢٥ . اشترك فى الحملة التى أرسلها المنصور لقتال الترك بأرمينية فى سنة ١٤٧هـ . ابن كثير : البداية ١٤٧/١٠ . ولقد ظل فى خدمة الدولة العباسية حتى عهد الخليفة الهادى حيث كان من ضمن القادة الذين اشتركوا فى قتال الحسين بن على . الطبرى : تاريخ ١٩٧/٨ .

بجيش عظيم يقدر بنحو سبعين الف مقاتل[1] جاعلا على مقدمته سعيد الحرشي[2] ، ثم لم تلبث أن وافته الامدادات من زم[3] بقيادة عقبة بن مسلم[4] فالتحقت به في منطقة الطواويس[5] ببخارى ، وبذلك اجتمعوا على قتال المقنع .

وقد باشر معاذ بتطهير بخارى من اتباع المقنع فقام بتنظيم هجمات قوية مركزة عليهم وانزل بهم هزائم فادحة حتى أجبرهم على الانسحاب الى قاعدة صاحبهم في قلعة سنام[6] .

وعندئذ تابع الجيش العباسي بقيادة معاذ تقدمه نحو حصن المقنع حتى ضرب عليه الحصار ، غير أن هذا الحصار قد طال أمده فقد دام لمدة سنتين من ١٦١-١٦٣هـ/٧٧٧-٧٧٩م[7] ، وفشلت جميع محاولات معاذ أمام قوة الحصن من تحقيق انتصار حاسم . اذ أن المقنع كان قد أحاط قلعته بحصن منيع عرض جداره مكونا من مائة اجرة ، كما انه عمد الى احاطة الحصن

---

(١) البغدادي : الفرق ص ١٥٦ ، الاسفراييني : التبصير ص ١٣١ .

(٢) أبو يحيى سعيد بن عمر بن الأسود الحرشي : من قواد الدولة الأموية ولاه عمر بن هبيرة على خراسان سنة ١٠٣هـ ثم عزله عنها . ابن الاثير : الكامل ١٠٣/٥،١١٦ فانحاز الى جانب العباسيين . ولم أعثر في المصادر على سنة وفاته .

(٣) زم : بليدة على طريق جيحون من ترمذ وآمل . ياقوت : معجم ١٥١/٣ .

(٤) عقبة بن مسلم : من القادة العباسيين قتل في سنة ١٦٧هـ بعيساباذ . ابن خياط : تاريخ ص ٤٣٩ .

(٥) الطواويس : هي داخل حائط بخارى وتمتاز بكثرة بساتينها وكانت سوقا عظيمة يفد اليها الناس من أقطار خراسان في وقت معلوم من السنة . ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤٠٣ .

(٦) ابن الاثير : الكامل ٥١/٦ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٧/٣ .

(٧) ابن الجوزي : تحفة الأصحاب ورقة ١١٥ب ، ابن الاثير : الكامل ٥٢/٦ ، ابن خلكان : وفيات ٢٦٤/٣ ، ابن خلدون العبر ٢٠٧/٣ .

بثلاثة خنادق جاعلا بين كل خندقين جدارا منيعا [١] ، هذا الى جانب حرص المقنع على توفير التموين الكافى والعلوفة فى حصنه استعدادا لحصار طويل [٢] .

وفى هذه الاثناء وقع خلاف بين معاذ بن مسلم وبين سعيد الحرشى لاختلاف على مايبدو فى وجهات النظر حول أسلوب القتال وقد حسم المهدى هذا الخلاف بتعيين سعيد الحرشى قائدا عاما على الجيوش العباسية هناك بعد أن تعهد له الأخير بالقضاء على هذه الحركة ان هو افرد فى القيادة [٣] .

ويعتبر تولى سعيد الحرشى للقيادة بداية النهاية لحركة المقنع الخراسانى القوية التى هددت الوجود الاسلامى فى تلك المنطقة ، وقد استعمل الحرشى كل حذقه وبراعته فى التنظيم الحربى ، فلقد عبا اصحابه افضل تعبئة وزودهم بكل أدوات الحرب اللازمة ، وقد أمده معاذ بجيش بقيادة ابنه رجاء "وبكل ما التمسه منه" [٤] ، ثم سعى الى تشديد الحصار على المقنع ، فامر بصنع مائتى سلم من الخشب والحديد ، كما بعث الى المولتان [٥] فى طلب عشرة آلاف من جلود الجواميس فملأها رملا استعدادا لعبور الخنادق [٦] .

---

(١) الاسفرايينى : التبصير ص ١٣١ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٣٥/٨ ، المقدسى : البدء ٩٧/٦ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر ص ١٢٦ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٧٣/٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٣٨/٢ .
(٣) اليعقوبى : البلدان ص ٣٠٢ ، ابن الاثير : الكامل ٥١/٦ ابن خلدون : العبر ٢٠٧/٣ .
(٤) ابن الاثير : الكامل ٥١/٦ .
(٥) المولتان : بلد فى الهند . ياقوت : معجم ٢٢٧/٥ .
(٦) البغدادى : الفرق ص ١٥٦ ، الاسفرايينى : التبصير ص ١٣١ .

كانت خطة الحرشي التالية هي الهجوم على الحصن فأمر بوضع تلك السلالم على عرض الخنادق ليعبر عليها جنده كما أنه كبس الخنادق من جهة أخرى بجلود الجواميس التي أعدها وبذلك تقدم الحرشي بجيشه وأحاط بالحصن من كل جانب وأخذ في قتال أصحاب المقنع بضراوة[١] .

ولما أحس أصحاب المقنع بحراجة موقفهم ، خاصة وأن أسوارهم لم تعد صامدة أمام الجيش العباسي بالاضافة الى أن طول الحصار قد أضجرهم وأضعف من روحهم المعنوية ، بادر ثلاثون الفا منهم الى طلب الأمان سرا ، فأجابهم الحرشي الى ذلك فكان ذلك سببا في سقوط الحصن[٢] .

أما المقنع فلم يبق معه سوى الفين من أنماره ، وقد واصل الجيش العباسي في شن هجماته القوية على القلعة ، وتمكن القائد رجاء بن معاذ من التقدم بجيشه حتى نزل به في "خندق المقنع في أصل القلعة وطايقوه"[٣] ، مما جعل المقنع يتيقن من الهزيمة .

نهاية المقنع :

يلاحظ أن نهاية المقنع يشوبها الغموض ، اذ تشير بعض الروايات الى أن المقنع عندما أحس بنهايته دفعه خوفه من أن يقع هو أو أحد من افراد أسرته أسيرا في يد المسلمين ،

---

(١) البغدادي : الفرق ص ١٥٦ ، الاسفراييني : التبصير ص ١٣١ .

(٢) البغدادي : الفرق ص ١٥٦ ، الاسفراييني : التبصير ص١٣١ ابن الأثير : الكامل ٣٩/٦ ، النويري : نهاية الارب ١١٠/٢٢ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٧/٣ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ٥١/٦ .

فانه بادر الى مخاطبة نسائه بقوله : "أنا صاعد الى السماء فمن أراد أن يصحبنى فليشرب من هذا الشراب وسقاهن شرابا مسموما وشرب هو أيضا منه فمات ومتن جميعا" (١) ، وهذا بعد أن أحرق كل مافي قلعته من دواب ومتاع ومؤن (٢) .

بينما تذكر روايات أخرى بانه صنع أخدودا فالقى بنفسه واهله فيه (٣) . ولكن من الراجح أن المقنع بعد أن قتل أهله بالسم اختار لنفسه طريقة أخرى للموت اذ القى بنفسه في تنور مذاب فيه النحاس مع القطران فذاب فيه (٤) ، لذلك لم يجد له أصحابه جثة ولارمادا .

وأخيرا تمكن الجيش العباسى من دخول القلعة فقتلوا جميع من كان فيها من أتباع المقنع ، وبذلك تم القضاء على قيادة هذه الحركة المارقة سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م (٥) ، بعد أن دامت فتنتها وأخطارها على المسلمين قرابة أربع عشرة عاما (٦) .

على أن انتهاء تلك الحركة لم يقض على أتباع المقنع الذين استمروا فى ضلالهم بعد موته اذ "افتتن به أصحابه بعد ذلك لما لم يجدوا له جثة ولارمادا ، وزعموا أنه صعد الى

---

(١) الثعالبى : ثمار القلوب ص ٦٥٢ ، وانظر أيضا الطبرى : تاريخ ١١٤/٨ ، المقدسي : البدء ٩٧/٦ ، ابن الجوزى : تحفة الأصحاب ورقة ١١٤أ ، ابن خلكان : وفيات ٢٦٤/٣ ، الذهبى : دول ١٠٩/١ ، ابن كثير : البداية ١٤٥/١٠ .

(٢) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ١٢٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٥١/٦ ، ابن الطقطقى : الفخري ص ١٨٠ ، النويرى : نهاية الارب ١١٠/٢٢ ، ولكن هذه الرواية ضعيفة لايعول عليها لأن المصادر السابقة نفسها لاتجزم بها .

(٤) البغدادى : الفرق ص ١٥٦ ، الاسفرايينى : التبصير ص١٣١ الوطواط : غرر الخصائص ص ٢٠٦ .

(٥) ابن الجوزى : تحفة الأصحاب ورقة ١٤٤أ ، ابن خلكان : وفيات ٢٦٤/٢ .

(٦) البغدادى : الفرق ص ١٥٦ ، الاسفرايينى : التبصير ص ١٣١ .

السماء" [١] ، وقالوا بانه وعدهم "أن تتحول روحه الى قالب رجل اشمط على برذون اشهب وانه يعود اليهم بعد كذا سنة ويملكهم الأرض" [٢] . ولذلك كانوا يترقبون عودته مجتمعين فى قرى مختلفة من بلاد ماوراء النهر ، على أن خوفهم من عامة المسلمين هناك جعلهم يظهرون الاسلام [٣] ، ويتخذون لهم مساجد فى الوقت الذى كانوا يمارسون فيه طقوس عقائدهم الفاسدة فى الخفاء ، ويحلون قتل من يخالفهم فان "ظفروا بمسلم لم يره المؤذن الذى فى مسجدهم قتلوه وأخفوه غير انهم مقهورون بعامة المسلمين فى ناحيتهم والحمد لله على ذلك" [٤] . وهذا يثبت بانه على الرغم من تغلغل المعتقدات المجوسية بين سكان بعض المناطق فى ايران فان روح الاسلام ظلت تفرض نفسها بقوة هناك .

---

(١) البغدادى : الفرق ص ١٥٦ .
(٢) المقدسى : البدء ٦/٩٨ ؛ ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ١٢٦ .
(٣) البيرونى : الآثار الباقية ص ٢١١ ، البغدادى : الفرق ص ٢١٦ .
(٤) البغدادى : الفرق ص ١٥٦ .

حركة المحمرة بجرجان[١] :

تعتبر المحمرة احدى فرق الخرمية الأولى من أتباع مزدك[٢] والذين يعرفون ايضا باللقطة ، وكانت مبادئهم تامرهم بالانكباب على اللذات والشهوات[٣] ، وكانوا يرون بان "الناس كلهم شركاء فى الأموال والحرم"[٤] . وقد سموا بالمحمرة لحمرة راياتهم فى الأغلب .

ويذكر البغدادى بان المحمرة من الفرق التى تظاهرت بالاسلام واستترت به وكانوا يقتالون المسلمين فى السر[٥] . وهكذا فهى كغيرها من الحركات الفارسية الملحدة كانت تستهدف هدم الاسلام واسقاط الحكم العربى ، وانها قد اصطنعت أسلوب الحيلة والتظاهر بالاسلام للتوصل الى ذلك الهدف . غير انها لم تستمر على ذلك الأسلوب على الدوام ، اذ أن اتباعها قاموا بمحاربة الاسلام بعض الاحيان عن طريق التمرد وحمل السلاح .

كانت المحمرة قد تمركزت فى ذلك الوقت فى نواحى الجبال "فيما بين أذربيجان وأرمينية وبلاد الديلم وهمدان ودينور ... وفيما بين أصفهان وبلاد الأهواز"[٦] ، كما كانت لهم

---

(١) جرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان ، ويعدها البعض من خراسان . ياقوت : معجم ٢/١١٩ .
(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٤٧٩ ، وهذا لايتناقض مع ماذكره الاسفرايينى : التبصير ص ١٣٥ بان المحمرة هى الفرقة الخرمية الثانية من أتباع بابك الخرمى الذى ظهر بناحية أذربيجان فى أيام المعتصم ، لأن المحمرة هم أتباع مزدك سواء الفرقة الخرمية الأولى أم الثانية .
(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٤٧٩ .
(٤) الاسفرايينى : التبصير ص ١٣٥ .
(٥) البغدادى : الفرق ص ٢١٦ .
(٦) ابن النديم : الفهرست ص ٤٧٩ .

مراكز ايضا فى جرجان حيث أعلنوا الثورة هناك فى سنة ١٦٢هـ ٨٧٨م بزعامة شخص يدعى عبد القهار [١] ، الذى استغل فرصة انشغال القوات العباسية فى اخماد ثورة المقنع الخراسانى فاستطاع أن يسيطر على اقليم جرجان باكمله بعد أن فشل الوالى العباسى المهلهل بن صفوان [٢] فى التصدى له ، فعاث هو وأصحابه فى الأرض وقتل من المسلمين بشرا كثيرا [٣] .

ولما وصل الخبر الى المهدى أمر قائده عمر بن العلاء [٤] الذى كان معسكرا فى طبرستان بالتحرك على وجه السرعة لقتال المحمرة [٥] والقضاء على ثورتهم بعد أن يدعوهم الى الطاعة ، فى محاولة من المهدى لدعوتهم الى الاسلام قبل قتالهم .

ولكن عبد القهار وأتباعه رفضوا ذلك العرض ، واستطاع عمر بن العلاء عندئذ من انزال هزيمة منكرة بهم وقتل عبد القهار وعدد كبير من أصحابه ، بينما تشتتت بقية جموعه

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٤٣/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٨/٦ ، الذهبى : دول ١١٠/١ ، ابن كثير : البداية ١٣٥/١٠ ، ويذكر المقدسى بان اسمه كان عبد الوهاب ولكن الأرجح هو ماذكرناه لاتفاق المصادر على ذلك الاسم .

(٢) المهلهل بن صفوان : ولاه المهدى على جرجان فى سنة ١٦٢هـ ، فلما فشل فى القضاء على ثورة المحمرة عزله عنها . الطبرى : تاريخ ١٤٣/٨،١٤٩ ولم تذكر المصادر تفاصيل عن حياته .

(٣) الطبرى : تاريخ ١٤٣/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٨/٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٤٢/٢ .

(٤) عامر بن العلاء : من أهل الرى ، من كبار القادة العباسيين ، وكان جوادا حازما ، قاتل سنباذ حين خرج ايام المنصور فابلى بلاء حسنا . البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٣٠ ، ولاه المنصور على طبرستان فى سنة ١٥٣هـ وظل واليا عليها أربع سنين ثم عزله عنها فاعاد المهدى توليته عليها فى الفترة مابين ١٥٩-١٦٠هـ . ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٣١١ ، وسيذكر تفاصيل وافية عنه فى الفصل الثانى .

(٥) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٧/٢ .

في البلاد .[1]

وظل عمر بن العلاء مقيما في جرجان طوال سنتى ١٦٢-١٦٣هـ/٨٧٨-٨٧٩م لاعادة الأمن والاستقرار فيها .[2]

---

(١) اليعقوبي : تاريخ ٣٩٧/٢ ، الطبري : تاريخ ١٤٣/٨ ، المقدسي : البدء ٩٨/٦ ، ابن الاثير : الكامل ٥٨/٦ ، ابن تغري بردي : النجوم ٤٢/٢ .

(٢) الطبري : تاريخ ١٤٩/٨ .

(ب) حركات أخرى :

(١) حركة عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدى :

كان عبد الجبار الازدى من أهل خراسان وكانت له مساهمة كبيرة في نشر الدعوة العباسية اذ اختير من الدعاة السبعين [(١)] ولما استتب أمر الدولة العباسية لأبى العباس السفاح جعله رئيسا على شرطته ، كما أقره أبو جعفر المنصور على نفس المنصب عند استخلافه [(٢)] ، ثم عينه سنة ١٤٠هـ واليا على خراسان [(٣)] .

بدأ عبد الجبار في ولايته على خراسان بداية حسنة فقد أعاد النظر في الخراج وقوى أمر الدعوة [(٤)] ، ولكنه ما ان كثرت أمواله وعدد أنصاره حتى "أظهر المعصية وكشف رأسه للخلاف" [(٥)] . فارتكب كما يشير الأصفهاني العظائم [(٦)] ، واشتد في سياسته المالية ضد الدهاقين [(٧)] ، كما ألح على استخراج ما على عمال أبى داود [(٨)] الوالى السابق من بقايا الأموال [(٩)] ، ثم قصد لشيعة بنى هاشم فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وجعل يتتبعهم ويمثل

---

(١) مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ص ٢٢١ .
(٢) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٤١٥ ، الطبرى : تاريخ ٤٨٠/٧
(٣) الطبرى : تاريخ ٥٠٣/٧ ، النويرى : نهاية الارب ٨١/٢٢.
(٤) فاروق عمر : العباسيون الأوائل ٩٧/١ ، حسن العانى : سياسة المنصور ص ٢٠٣ .
(٥) اليعقوبى : البلدان ص ٣٠٣ .
(٦) الأصفهانى : تاريخ سني ملوك الأرض ص ١٦٢ .
(٧) حسن العانى : سياسة المنصور ص ٢٠٨ .
(٨) كان أبو داود خالد بن ابراهيم الذهلى نائب أبى مسلم على خراسان حين خرج الأخير الى الحج ، وأقره المنصور عليها بعد مقتل أبى مسلم . الطبرى : تاريخ ٤٩٤/٧ ، ابن كثير : البداية ٧٣/١٠ . فظل واليا عليها حتى ثار الجند عليه ومات في أثناء تلك الحادثة سنة ١٣٩هـ . الطبرى : تاريخ ٥٠٣/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٤٩٨/٥ .
(٩) الطبرى : تاريخ ٥٠٣/٧ .

بهم[1] . ولاشك فى أن المقصود بشيعة بنى هاشم هم شيعة العباسيين دون سواهم ، ويؤيد ذلك ابن كثير فيقول : ان عبد الجبار "قتل من شيعة الخليفة"[2] ، من العرب الذين لم يرضوا[3] على مايبدو عن سياسته التعسفية ولذلك كتب أحد عيون أبى جعفر المنصور اليه يقول : "قد نغل الاديم"[4] كناية عن فساد أمر عبد الجبار وحكمه .

ولقد أثار مقتل أولئك الشيعة غضب الخليفة أبى جعفر المنصور واشعره بنية عبد الجبار الازدى على التمرد وخلع الطاعة ، اذ قال لوزيره أبى أيوب المورياني[5] : "ان عبد الجبار قد أفنى شيعتنا ومافعل هذا الا وهو يريد أن يخلع"[6] . غير أن الخليفة فضل فى بداية الأمر الاستعانة باساليب اللين والاغراء وأعمل الحيلة مع عبد الجبار ، بهدف سلب قوته العسكرية ليسهل عندئذ القضاء عليه ، لذلك استجاب لمشورة أبى أيوب الذى قال له : "اكتب اليه انك تريد غزو الروم فيوجه اليك الجنود من خراسان وعليهم فرسانهم ووجوههم ، فاذا أخرجوا منها فابعث اليهم من شئت ، فليس له امتناع ،

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ٣٧١/٢ .
(٢) ابن كثير : البداية ٧٦/١٠ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٥٠٣/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٠٥/٥ .
(٤) الطبرى : تاريخ ٥٠٨/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٠٥/٥ ، النويرى : نهاية الارب ٨٣/٢٢ .
(٥) أبو أيوب المورياني : ينتسب الى قرية من قرى الأهواز يقال لها موريان ، كان المنصور قد اشتراه صبيا قبل الخلافة وثقفه ، اعجب به أبو العباس السفاح فاختصه مدة خلافته ، فلما تولى المنصور الخلافة نمت منزلة أبى أيوب عنده حتى قلده وزارته وادارة الدواوين . الجهشيارى : الوزراء ص ٩٧ ، ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٧٥ ، ثم سخط عليه المنصور فعزله ونكبه ومات أبو أيوب فى سجنه سنة ١٥٤هـ . الجهشيارى : الوزراء ص ١٢١
(٦) الطبرى : تاريخ ٥٠٨/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٠٥/٥ ، النويرى : نهاية الارب ٨٣/٢٢ .

فكتب بذلك اليه" (١). لكن عبد الجبار أدرك في الغالب مايجول بخاطر ابي جعفر المنصور لذلك اجابه معتذرا بان "الترك قد جاشت وان فرقت الجنود ذهبت خراسان" (٢)، وعندئذ وجد المنصور بان الفرصة مناسبة لارسال حملة عسكرية تسيطر على خراسان وتقضي على عبد الجبار فكتب اليه : "ان خراسان أهم الي من غيرها وانا موجه اليك بجنود من قبلي" (٣). وقد فطن عبد الجبار لخطة المنصور لذلك كتب اليه يبلغه "ان خراسان لم تكن قط أسوأ حالا منها في هذا العام ، وان دخلها الجنود هلكوا لضيق ماهم فيه من غلاء السعر" (٤).

وبعد أن ورد هذا الكتاب تأكد للمنصور تماما بان عبد الجبار قد خرج عن دائرة طاعة الخلافة لذلك توقف عن مناظرته لتيقنه بان المراسلات لم تعد ذات فائدة لانه قد أبدى صفحته (٥) وبادر المنصور باتخاذ الاجراءات اللازمة لقمع تمرده .

فاصدر أولا أمرا بعزل عبد العزيز بن عبد الرحمن الأزدي شقيق عبد الجبار عن امارة البصرة ، تحسبا لاى أمر ومنعا لاية مساندة قد يقدمها لاخيه (٦).

وقبل أن يوجه اليه الجيش الذي جهز لقتاله عمد المنصور الى حرب عبد الجبار نفسيا اذ كتب اليه يحلف له

---

(١) الطبري : تاريخ ٥٠٨/٧ ، انظر أيضا : ابن كثير : البداية ٧٦/١٠ .
(٢) الطبري : تاريخ ٥٠٩/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٠٥/٥ ، النويري : نهاية الارب ٨٣/٢٢ .
(٣) الطبري : تاريخ ٥٠٩/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٠٥/٥ .
(٤) الطبري : تاريخ ٥٠٩/٧ ، وانظر أيضا ابن الاثير : الكامل ٥٠٥/٥ ، النويري : نهاية الارب ٨٣/٢٢ .
(٥) الطبري : تاريخ ٥٠٩/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٠٥/٥ ، ابن كثير : البداية ٧٦/١٠ .
(٦) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٤٣١ .

ليقتله [١] . مما جعل عبد الجبار يضطرب ويعلن عن تمرده وليحمل على تأييد العامة لثورته ادعى بان ابا جعفر المنصور قد دعاه لعبادته ، والى جانب هذا رفع شعار الدعوة للعلويين وكتب الى محمد النفس الزكية يدعوه الى الحضور اليه أو بعض من ولده ، ليكسب بذلك انصارا من جهة وليضفي على ثورته صفة شرعية بالدعوة لهم من جهة أخرى ، ولكن ايا منهم لم يستجب لدعوته لذلك نصب عبد الجبار الازدى رجلا ادعى بانه ابراهيم ابن عبد الله [٢] .

ولقد أسند المنصور قيادة الجيش لابنه المهدى وأمره بنزول الرى وتوجيه ابن خزيمة لقتال عبد الجبار ، فسار المهدى بجيشه وخازم فى مقدمته يستطلع الاخبار حتى وصل الى الرى ومن ثم تقدم منها الى نيسابور ، فلما بلغ أهل مرو الروذ خبر قدومه تشجعوا وساروا الى عبد الجبار من ناحيتهم فناصبوه الحرب ، وذلك لكراهيتهم لامارته [٣] وتمكنوا بعد أن التقوا معه فى معركة شديدة من انزال الهزيمة به ، وانطلق عبد الجبار هاربا حتى لجا الى مقطنة [٤] فتوارى فيها [٥] .

ولما علم اهل مرو الروذ بمكانه تقدم اليه بعضهم فتمكنوا منه وأسلموه أسيرا للقوات العباسية حين وصولها ،

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ٣٧١/٢ .
(٢) شاكر مصطفى : دولة بنى العباس ٢٥٢/١ ، فاروق عمر : العباسيون الاوائل ٩٧/١ ، حسن العانى : سياسة المنصور ص ٢٠٥ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٥٠٩/٧ .
(٤) مقطنة : الحى تزرع فيها الاقطان . ابن منظور : لسان العرب ٣٤٤/١٩ .
(٥) الطبرى : تاريخ ٥٠٩/٧ ، النويرى : نهاية الارب ٨٣/٢٢ ابن خلدون : العبر ١٨٦/٣ .

فالبسه خازم بن خزيمة جبة من صوف وحمله على بعير محولا وجهه الى ناحية عجز البعير تحقيرا له ، وسيره مع ولده وأصحابه الى المنصور وذلك في سنة ١٤٢هـ (١) .

ولقد اذاق المنصور عبد الجبار وأصحابه من نفس الأساليب التي استخدمها خلال ولايته على خراسان ، فبسط عليهم العذاب وضربهم بالسياط "حتى استخرج منهم ماقدر عليه من الأموال" (٢) ، وعندما عرف عبدالجبار بقرب مقتله سأل المنصور قائلا : "ياأمير المؤمنين قتلة كريمة ، فقال : وراءك تركتها يا ابن اللخناء" (٣) . ثم أمر فقطعت يدي عبد الجبار ورجليه وضرب عنقه (٤) . وبذلك انتهت تلك الثورة بالفشل . على أن أهم نتائجها يتمثل في فتح الأمير محمد المهدى لطبرستان ذلك أن المنصور وجد أن الجيش الذى أرسله مع ابنه المهدى ظل بكامل استعداداته وآلاته الحربية ، لذلك فقد أمره بفتح طبرستان ومحاربة حاكمها الاصبهبذ .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٥٠٩/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٠٦/٥ ، النويرى : نهاية الارب ٨٣/٢٢ ، ابن كثير : البداية ٧٦/١٠ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٥٠٩/٧ .

(٣) الجاحظ : البيان ١١١/٢ ، وانظر اليعقوبى : تاريخ ٣٧١/٢ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٥٠٩/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٠٦/٥ .

(٢) حركة يوسف البرم :

خرج يوسف البرم وهو من الخوارج الحرورية بخراسان سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م ، معلنا ثورته بها ومنكرا على المهدى سيرته ، واستطاع أن يستولى على بوشنج ومرو الروذ ، والطالقان والجوزجان فارسل اليه المهدى قائده يزيد بن مزيد فحاربه وتمكن من أسره .(١)

(١) سوف ترد تفاصيل هذه الثورة فى المبحث الخاص بالخوارج

حركة العصيان فى طبرستان :

ان التكوين الجغرافى الطبيعى لطبرستان (١) يمثل السبب الرئيسى الذى جعلها تحتفظ بنوع من الاستقلال الذاتى منذ الفتح الاسلامى وطوال العهد الأموى . يقول ابن الفقيه : "وكانت طبرستان فى الحصانة والمنعة على ماهى عليه ، وكانت ملوك فارس توليها رجلا ويسمونه الاصبهبذ ، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الاسلام وافتتحت الممالك المتصلة بطبرستان ، فكان صاحب طبرستان يصالح على الشيء اليسير فيقبل منه لصعوبة المسلك اليها وخشونتها" (٢) ، "ولم يزل أهل طبرستان يؤدون الصلح مرة ويمتنعون مرة من ادائه أخرى فيحاربون ويسالمون ، فلما كانت أيام مروان بن محمد بن مروان بن الحكم غدروا ونقضوا" (٣) .

ولما قامت الثورة العباسية قبل الاصبهبذ الدخول فى طاعة العباسيين ودفع الجزية السنوية لهم (٤) ، غير انه لم يلبث أن عاد الى سيرته الأولى فى نقض العهد كلما أحس بضعف الوالى العباسى فى خراسان "فلما ولى المنصور الخلافة وقتل أبا مسلم وفعل تلك الأفعال هابه اصبهبذ طبرستان فكتب اليه ووجه اليه رسولا وأعطاه الطاعة" (٥) .

---

(١) طبرستان : مملكة جليلة تقع جنوب بحر طبرستان وهو بلد كثير الحصون منيع الأودية وأهله أشراف العجم وأبناء ملوكهم . اليعقوبى : البلدان ص ٢٧٦،٢٧٧ .

(٢) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٣٠٧ .

(٣) البلاذرى : فتوح ص ٣٢٩ ، وانظر ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٣٠٧ .

(٤) مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ص ٣٣٣ .

(٥) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٣٠٩ .

وظلت العلاقة بين الاصبهبذ والمنصور على ذلك النحو حتى سنة ١٤١هـ/٧٥٨م حينما قرر المنصور فتح طبرستان واخضاعها مباشرة للحكم الاسلامي . ويعلل الطبرى ذلك بقوله بان المهدى لما تمكن من القضاء على ثورة عبد الجبار الأزدى بغير تعب ولا مباشرة قتال كره المنصور أن تبطل النفقات التى انفقها على ذلك الجيش ، ولذلك كتب الى ابنه المهدى يطلب منه غزو طبرستان ، على أن ينزل الرى ويوجه أبا الخصيب(١) وخازم بن خزيمة على الجيش لقتال الاصبهبذ(٢) .

ولكن يبدو أن قرار فتح طبرستان لم يكن وليد تلك الفترة التى أعقبت انتهاء ثورة عبد الجبار الأزدى ، انما كان الخليفة العباسى قد خطط له عند انفاذه للجيش لمحاربة عبد الجبار الأزدى ، بحيث انه جعل فتح طبرستان الخطوة الثانية ، وذلك لأن الاصبهبذ كما يذكر ابن الفقيه قد امتنع عن ارسال الجزية اضافة الى انه كان قد "استطال أيام المنصور فأمر رسوله بالانصراف من باب المنصور وأمسك أن يبعث اليه بشيء"(٣) ، مما أشعر المنصور بتمرده عليه . وخوفا من حدوث أى تحالف بين الاصبهبذ وثوار خراسان المتعددين وما قد ينطوى على هذا من خطر جسيم على الدولة أمر المنصور ابنه المهدى بغزو طبرستان .

---

(١) أبو الخصيب : هو مرزوق بن ورقاء مولى المنصور . الجهشيارى : الوزراء ص ١٠٥ ، ولاه المنصور على حجابته ابن خياط : تاريخ ص ٤٣٦ ، الطبرى : تاريخ ٥٠٧/٧ ، ثم أرسله المنصور مع جيش المهدى الى خراسان .

(٢) الطبرى : تاريخ ٥١٠/٧ .

(٣) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٣١٠ .

سار الجيش الذى جهزه المهدى بقيادة أبى الخصيب وخازم ابـن خزيمـة الـى طبرستان وتمكن من التوغل فى البلاد وسيطر أبـو الخصيب على سارية (١) ، فلما بلغ الاصبهبذ ذلك وكان يومئذ معسكرا بـازاء المصمغان ملك دونباوند (٢) متهيئا للاشتباك معه فـى الحرب ، أوقف حالة الحرب تلك واقترح على المصمغان عقد تحالف بينهما ، وكان المصمغان بعيد النظر ، ويظهر انه كان قـد قـدر قـوة الجيش الاسلامى ، ووجد أن المصلحة تقتضى عليه التحـالف مـع الاصبهبذ لذلكقال له : "متى صاروا اليك صاروا الى ، فاجتمعا على محاربة المسلمين" (٣) .

وبـذلك واجهت القوات الاسلامية القتال من جبهتين ومصدت أمامه مدة طويلة ممـا جعل المنصور يرسل امدادات عسكرية جـديدة لاتمـام الفتـح واختـار لقيادتهـا أعلـم النـاس ببلاد طبرستان حينئذ وهو عمر بن العلاء وأمره بأن يضم اليه خازم ابن خزيمة (٤) . ولقد تمكن عمر بن العلاء من فتح كل من الرويان (٥) وقلعـة الطاق (٦) وأخذ مافيها . كما زحف خازم بن خزيمة بجيوشه وألـح عـلى القتـال حـتى استطاع فتح بقية طبرستان ، واضطر الاصبهبـذ الـى الهـرب الـى قلعتـه فحاصرته القوات الاسلامية

---

(١) سارية : احدى كور طبرستان تلى العاصمة آمل فى الأهمية انظر ياقوت : معجم ٣/١٧٠ .
(٢) دونباوند : جبل عال شاهق من نواحي الرى ويبعد عن بحر طبرستان بنحو عشرين فرسخا . ياقوت : معجم ٢/٤٧٥،٤٧٧.
(٣) الطبرى : تاريخ ٧/٥١٠ .
(٤) الطـبرى : تـاريخ ٧/٥١٠ ، الخضرى : محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية (الدولة العباسية) ص ٧٦ .
(٥) الرويـان : مدينة كبيرة من جبال طبرستان وكورة واسعة وهى أكبر مدينة فى الجبال هناك .
ياقوت : معجم ٣/١٠٤ .
(٦) قلعة الطاق : حصن منيع فى جبال طبرستان .
ياقوت : معجم ٤/٦ .

وشددت عليه الحصار حتى أجبرت الاصبهبذ على طلب الأمان مقابل أن يسلم القلعة بما فيها من الذخائر . فكتب المهدى بذلك الى أبي جعفر المنصور الذى وافق على طلبه وبعث بوفد من عنده أحصوا مافي الحصن ، وانصرفوا .(١)

أما الاصبهبذ فانه بعد أن حلت به تلك الهزيمة سار الى بلاد جيلان(٢) حيث لم يلبث أن توفى فيها ، فوقع خلفه الاصبهبذ الجديد المسمى قارن معاهدة مع المهدى أقر فيها بالطاعة للعباسيين فثبته المهدى على امارة بلاده(٣) . وتفرغت عندئذ القوات العباسية لقتال المصمغان فحاصرته حتى تمكنت من أسره مع عدد كبير من أهله . وبهذا تم فتح جميع طبرستان وهو الفتح الأول لها(٤) .

لكن الاصبهبذ قارن لم يلبث أن نقض العهد في السنة التالية سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م(٥) وقتل من كان في بلاده من المسلمين فوجه اليه المهدى الذى كان يقيم بالرى جيشا بقيادة خازم ابن خزيمة(٧) وروح بن حاتم(٦) كما سير معهما أبي الخصيب ، بالاضافة الى الامدادات التي بعثها المنصور بقيادة أبي عون

---

(١) الطبرى : تاريخ ٥١١/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٠٧/٥ ، النويرى : نهاية الارب ٨٤/٢٢ .
(٢) جيلان : اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان . ياقوت : معجم ٢٠١/٢ .
(٣) اليعقوبى : البلدان ص ٣٠٣ ، الطبرى : تاريخ ٥١٢/٧ .
(٤) الطبرى : تاريخ ٥١١/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٠٧/٥ ، ابن كثير : البداية ٧٧/١٠ .
(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٢٩ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٧٢/٢ ، الطبرى : تاريخ ٥١٢/٧ .
(٦) روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدى : كان من الكرماء الأجواد ولي لخمسة من الخلفاء أبي العباس السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد ، توفي سنة ١٧١هـ . ابن خلكان : وفيات ٣٠٥/٢،٣٠٦ .
(٧) اليعقوبى : البلدان ص ٣٠٣ .

عبد الملك بن يزيد . ولقد شن الجيش العباسي هجوما شديدا على طبرستان من جهتين في وقت واحد فكان الاول من ناحية قومس[(١)] بقيادة أبي عون ، أما الثاني فكان من ناحية جرجان بقيادة أبي الخصيب ومن معه من القادة وتوغلوا عميقا في البلاد ، فلما بلغ الاصبهبذ ذلك فر من مدينته التي تعرف بالاصبهبذان[(٢)] الى قلعة الطاق[(٣)] واعتصم بها .

تقدم الجيش العباسي الى حصن البهبذان وضرب عليه الحصار وأقام قادة القطعات عليه يقاتلونهم ، ولكن عندما طالت مدة الحصار دون أن يتمكنوا من اقتحامه استقر رأى القادة على تنفيذ الخدعة التي اقترحها عليهم أبو الخصيب والتي تتلخص بضربه وحلق رأسه ولحيته ، ففعلوا به ذلك ، وعندئذ سار أبو الخصيب الى الاصبهبذ وقال له : "انما فعلوا ذلك بي تهمة منهم لي أن يكون هواى معك"[(٤)] . "فان قبلت انقطاعي وأنزلتني المنزلة التي أستحقها منك دللتك على عورات العرب وكنت يدا معك عليهم ، فكساه واعطاه واظهر الثقة به والمشاورة له فكان يريه انه له ناصح وعليه مشفق فلما اطلع على أموره كتب الى خازم وروح بما احتاجا الى معرفته من ذلك واحتال للباب حتى فتحه فدخل المسلمون المدينة[(٥)] . فقتلوا من كان فيها من المقاتلة وسبوا الذراري

---

(١) قومس : كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهي في ذيل جبال طبرستان . ياقوت : معجم ٤/٤١٤ .

(٢) الاصبهبذان : تقع على حدود بلاد الديلم وتبعد عن بحر طبرستان بميلين .
ابن الفقيه : كتاب مختصر البلدان ص ٣١٠ ، ياقوت : معجم ٢١٠/١ .

(٣) ابن الفقيه : كتاب مختصر البلدان ص ٣١٠ .

(٤) الطبري : تاريخ ٥١٣/٧ .

(٥) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٣٠ .

اما الاصبهبذ فانه مص خاتما مسموما فمات[1] . وبذلك فتحت طبرستان للمرة الثانية ووضعت تحت سيطرة المسلمين مباشرة .

وقد عقد الخليفة ابى جعفر المنصور لأبى الخصيب الولاية عليها فكان أول من قام بنشر الاسلام فيها ، فبنى المساجد فى مدينتى سارية وآمل ووضع على أهلها الخراج والجزية[2] . ويظهر أن تقبل أهل طبرستان للاسلام والادارة العباسية لم يكن كبيرا وخاصة بعد شغب وتمرد القبائل الخاضعة للمصمغان الذين عمدوا الى التشرد فى الجبال . ويذكر الطبرى بأنه "لما مات المصمغان تحوز أهل ذلك الجبل فصاروا حوزية لأنهم توحشوا كما توحش حمر الوحش"[3] .

هذا بالاضافة الى سوء ادارة بعض الولاة هناك مما زاد فى اضطراب علاقة السكان بالعباسيين . ففى عهد الخليفة المهدى أعلن أهل طبرستان الثورة سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م وتضامنت فيها جميع القوى المحلية فى طبرستان وعلى رأسها أمراء ودهاقين الاقليم وذلك نتيجة لسياسة الجباية التعسفية التى انتهجها الوالى العباسى . وقد تمخضت تلك الثورة التى استمرت لمدة سنتين عن مقتل عدد كبير من العرب بما فيهم الوالى العباسى اضافة الى العديد من الضحايا الآخرين ، وقد كلفت الثورة الخلافة العباسية الكثير من الدماء والنفقات قبل أن تهدأ بعض الهدوء تحت ضغط القوى العسكرية الاسلامية الكثيفة التى وصلت الى الاقليم[4] .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٥١٣/٧ ، ابن كثير : البداية ٧٨/١٠ .
(٢) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٣١٠ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٥١١/٧ .
(٤) انظر : شاكر مصطفى : دولة بني العباس ٢٥٨/١ ، فاروق عمر : العباسيون الأوائل ٣٠٨/١ نقلا من كتاب ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان .

على أن الثورة الشعبية مالبثت ان عادت الى الانفجار مرة اخرى فى طبرستان سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م حيث شارك فيها عدد كبير من أفراد الجند العباسى من أهل طبرستان [١]. وقد تزعم الثورة فى هذه المرحلة كل من ونداد هرمز وشيروين ملكى [٢] طبرستان ، اللذين كانا متذمرين من ظلم عمال الخراج وتحامل [٣] الولاة عليهم . وقد بلغت الثورة من القوة والعنف حدا بعيدا فقد نكثوا العهد ونقضوا المواثيق وطردوا العمال [٤] ، ولم يكتفوا بذلك بل صبوا انتقامهم على المسلمين هناك فاستغلوا موقع بلادهم على خط المواصلات بين خراسان ومركز الخلافة فعملوا على اخافة سبيل المسلمين ، وقطع طريقهم ومنع حجاجهم بيت الله الحرام وسلب تجارتهم رزق الله الحلال" [٥] ، الأمر الذى دعى المهدى الى الاسراع بعقد مجلس لاهل الرأى فى دولته للتشاور فى أمر طبرستان . وقد انفرد ابن عبد ربه بذكر ماتم فى هذا المجلس الذى ضم وزراء المهدى وعدد من أهل بيته وكبار عماله [٦] .

وحين أبدى سلام صاحب دار المظالم ملاحظته بأن معالجة هذا الأمر لايقع ضمن دائرة اختصاص عمال الدواوين الذين تشغلهم ثقل أعباء الأعمال الداخلية وامضاء العدل وتنفيذ الأحكام عن النظر فى أمور الحرب ، وان هذا الامر احق بان

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٣٤/١ .
(٢) تقع بلاد الملك شروين مما يلى بلاد قومس ويفصل بين جبال مملكة شروين وجبال ونداد هرمز دروب ومضايق صعبة المسالك . ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٣٠٩ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٦٤/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٧٥/٦ .
(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٢٩/١، ١٣٠ .
(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٤٢/١ . ويفهم من ابن عبد ربه أنه اعتبر طبرستان جزءا من خراسان .
(٦) انظر الملحق رقم (٤) .

يحسن فيه المهدى برأيه لانه كما يقول عنه : "محسع الرأى ، وثيق العقيدة قوى المنة ، بليغ الفطنة ، محضور الروية ، مؤيد البديهة ، موفق العزيمة ، معان بالظفر ، مهدى الى الخير ..." (١) وهو مايؤكد رسوخ الدعايات العباسية التى بثها المنصور وحاشيته حول ان المهدى هو مهدى الله المنتظر (٢) ، فان الخليفة أمر على ضرورة أن يدلى كل منهم برأيه وذلك لان المشاورة باب الرحمة ومفتاح البركة .

ولقد انقسمت آراء من حضر ذلك المجلس فايد معظمهم فكرة كبح ثورة أهل طبرستان واعادتهم الى الطاعة بواسطة القتال أو الخديعة ، وكان منهم الربيع (٣) الذى أشار على المهدى باختيار رجل "يتصف بدين فاضل ، وعقل كامل ، مضمون الولاء للخليفة" ، وان على الخليفة أن يسند اليه أمورهم ويفوض اليه حربهم "وتامره فى عهدك ووصيتك اياه بلزوم أمرك مالزمه الحزم ، وخلاف نهيك اذا خالفه الرأى ، عند استحالة الامور واستدارة الاحوال ، التى ينقض أمر الغائب عنها ، ويثبت رأى الشاهد لها ، فانه اذا فعل ذلك ملك زمام الامر" (٤) .

أما الفضل بن العباس (٥) فقد اقترح على المهدى عدم

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٣١/١ .
(٢) سوف يتم توضيح ذلك فى المبحث الرابع من هذا الفصل .
(٣) الربيع : هو أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان ، مولى المنصور ، كان مهيبا فصيحا حازما حاذقا بامور الملك ، تولى الحجابة والوزارة للمنصور . الفخرى ص ١٧٧، ١٧٨ ، والحجابة للمهدى . ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٣ .
(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٣٢/١ .
(٥) الفضل بن العباس بن محمد بن على بن العباس ، أمير ووالى ، تولى امارة مكة وأمور الحج للرشيد سنة ١٩١هـ خليفة بن خياط : تاريخ ص ٤٥٩، ٤٦١ ، الطبرى : تاريخ ٣٣٨/٨ ، الفاسى : العقد الثمين ١٢/٧ ، ولم أعثر فى المصادر على سنة وفاته .

التسرع في اجابتهم الى مطالبهم لانه بذلك سيفسد أدبهم ويجرىء غيرهم من رعيته على الاقتداء بهم . بل ان عليه أن يقاتلهم بالحيلة والخديعة ، فيظهر لهم بانه موجه الجيوش لقتالهم في الوقت الذي يدس فيه رسله بينهم فيعملون على كسر شوكتهم بضرب رؤوسهم بعضهم ببعض ، فيكتب الى البعض ويغريه بالعفو ، بينما يخوف البعض الآخر من وعيده فيغرس بذلك نيران التحاسد والوحشة بينهم ، وهذا لان "مرام الظفر بالغيلة والقتال بالحيلة والمناصبة بالكتب والمكايدة بالرسل والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل في القلوب ، القوى الموقع من النفوس ، المعقود بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبني على اللين ، الذي يستميل القلوب ... انفذ من القتال بظبات السيوف واسنة الرماح" .(١)

في حين تركزت وجهة نظر ولي العهد موسى الهادي(٢) على ضرورة قهر تلك الثورة التي ظهر من خلالها مدى مايضمره أهل طبرستان من شر وحقد للمسلمين وعليه يتوجب على المهدي الاسراع في توجيه الجيوش اليهم قبل أن يتلاحم أمرهم وتستفحل حربهم ، وأن لايعطيهم فرصة يريد بها ملاحهم لانها ستكون قوة على معصيتهم ، ودافعا على فساد من بحضرته من الجنود الذين ان أقرهم على تلك العادة لن يسلم من تمردهم وخلافهم عليه . ولهذا فعلى المهدي "ألا يقيل عثرتهم ، ولايقبل معذرتهم حتى

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٣٢/١ .

(٢) موسى بن المهدي محمد بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، الخليفة الهادي ولد بالري سنة ١٤٧هـ وتولى الخلافة بعد أبيه بعهد منه في محرم سنة ١٦٩هـ وتوفي في النصف من ربيع الاول سنة ١٧٠هـ . الخطيب البغدادي : تاريخ ٢١/١٣ ، ابن كثير : البداية ١٥٩/١٠ .

تطاهم الجنود وتاخذهم السيوف ويستحر بهم القتل ويحدق بهم الموت ويحيط بهم البلاء ، ويطبق عليهم الذل ، فان فعل المهدى بهم ذلك كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل بادرة شر منهم . واحتمال المهدى مؤونة غزوتهم هذه يضع عنه غزوات كثيرة ونفقات عظيمة "(١) .

على أن العباس بن محمد(٢) لم يقر الآراء السابقة ، انما رأى أن يرسل الجنود لقتال المتمردين "مع اعطائهم ماسألوا من الحق ، واجابتهم الى ماسألوه من العدل"(٣) .

أما هارون الرشيد(٤) فلقد اقترح بأن يزاوج المهدى فى أمر اهل طبرستان بين أسلوبى الحرب والسياسة ، فعليه أن يبث العيون هناك ويبعث الرسل لمعرفة السبب الحقيقى للثورة فان انفرجت الحال له عن تاييدهم لداعية ضلال محتزعما لحركة دينية ملحدة ، رماهم عندئذ بعقوبة لاعفو معها ، أما اذا تبين بأن أساس حركتهم هى المطالبة بالأرزاق والحقوق ومقاومة للظلم فعلى المهدى "أن يتسع لهم بما طلبوا ويتجافى لهم عما كرهوا ويشعب من أمرهم ماصدعوا ، ويرتق من فتقهم مافتقوا ، ويولى عليهم من احبوا"(٥) . لأن المبادرة

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٣٥/١ .
(٢) العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : كان من جلة بنى هاشم ومشايخهم ، ولاه المنصور على الجزيرة والثغور . الأزدى : تاريخ ص ٢١١ كما وليها أيضا للرشيد ، وكان العباس قوى الصلة بالمهدى . الطبرى : تاريخ ١٤٣/٨ ، وتوفى فى رجب سنة ١٨٦هـ . الخطيب البغدادى : تاريخ ١٢٥/١٢ .
(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٣٧/١ .
(٤) هارون بن محمد المهدى بن عبد الله المنصور بن على بن العباس . ولد بالرى سنة ١٤٩هـ ، واستخلف بعهد أبيه عند موت أخيه الهادى . توفى الرشيد سنة ١٩٣هـ . لمزيد من المعلومات انظر : الخطيب البغدادى : تاريخ ١٤/٥-١٣ .
(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٣٨/١ .

بحسم الأمور وهى مغيرة أحزم فى الرأى وأصح فى التدبير" .(١)

على أن المهدى ادراكا منه لأبعاد تلك الثورة وخطرها قرر الأخذ بوجهة نظر ابنيه موسى وهارون فقال : "فدعوا ماقد سبق موسى فيه انه هو الرأى ، وثنى بعده هارون ، ولكن من لاعنة الخيل ، وسياسة الحرب ، وقيادة الناس ان أمعن بهم اللجاج وافرطت بهم الدالة" .

فقال محمد بن الليث(٢) : ليس للمهدى الا أحد اثنين : اما أن يقلد قيادة الجيوش لأحد كبار مواليه يكون نزيه النفس ، جليل الخطر ، رفيع القدر ، يعمل على الحكم بين أهل طبرستان بالانصاف فيعطيهم مالهم ويأخذ منهم ماعليهم حتى يرسخ فى نفوسهم الطاعة الكاملة للخلافة ، فلايبقى فيهم ريب الا نفوه ، ولايلزسهم حق الا أدوه(٣) .

أو أن يختار المهدى أحدا من أبناء أهل بيته يكون "فتى السن كهل الحلم راجح العقل محمود الصرامة مامون الخلاف ، يجرد فيهم سيفه ، ويبسط عليهم خيره بقدر مايستحقون ، وعلى حسب مايستوجبون ، وهو فلان أيها المهدى ، فسلطه ـ أعزك الله ـ عليهم ، ووجهه بالجيوش اليهم ، ولاتمنعك ضراعة سنه وحداثة مولده ، فان الحلم والثقة مع الحداثة خير من الشك والجهل مع الكهولة ، وانما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله به من مكارم الأخلاق ... كفراخ

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٣٨/١ .

(٢) محمد بن الليث بن طريف مولى المهدى ، كان المهدى قد ولى الليث والد محمد هذا على السند سنة ١٦٥هـ فظل عليها حتى عزله الرشيد .
ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٦، ٤٦٣ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٩٨/٢ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٣٩/١ .

عتاق الطير المحكمة لأخذ الصيد بالتدريب والعارفة لوجوه النفع بالتاديب" .(١)

لكن أبو عبيد الله معاوية بن يسار(٢) أكد للمهدى بانه ينبغى أن يكون قائد الجيش الموجه لحرب أهل طبرستان قديم الذكر فى الجنود طويل التجربة للأمور له معرفة بسياسة الجيوش حتى لايجترىء عليه الأعداء فى القتال من ناحية ، كما أن الجند اذا لم تتوفر فى قائدهم صفات النجدة والباس انكسرت شجاعتهم وماتت النجدة فيهم من ناحية أخرى . ولذلك أشار على المهدى برجل قال فيه : وبباب المهدى ـ وفقه الله ـ رجل مهيب حنيك ميت ، له نسب زاك وصوت عال ، قد قاد الجيوش وساس الحروب ، وتالف أهل خراسان واجتمعوا عليه بالمقة ، ووثقوا به كل الثقة ، فلو ولاه المهدى أمرهم لكفاه الله شرهم .(٣)

ويبدو أن أبا عبيد الله قد أشار الى قائد من أهل اليمن لذلك قال له المهدى : لقد جانبت قصد الرمية ، وابيت الا عصبية ، اذ رأى الحدث من أهل بيتنا كرأى عشرة حلماء من غيرنا ، ثم تساءل المهدى لماذا تركتم ولى العهد الهادى ؟(٤)

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٤٠/١ .

(٢) أبو عبيد الله معاوية بن يسار : وزير المهدى وهو من موالى الأشعريين ، كان كاتب المهدى ونائبه قبل الخلافة فلما تولى المهدى الخلافة استوزره وسلم اليه الدواوين ثم صرفه بعد ذلك عن الوزارة سنة ١٦٣هـ واقتصر به على ديوان الرسائل .
انظر : الجهشيارى : الوزراء ص ١٥١،١٥٦ ، ابن الطقطقى الفخرى ص ١٨٢،١٨٤ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٤٠/١ .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٤١/١ .

فعلل من حضر ذلك المجلس بان انصرافهم عن ترشيحه لما ينطوى على ذلك من خطورة كبيرة لانه اذا حدث وحلت الهزيمة بجيش الهادى فلن يكون أمام المهدى سوى أن يسير بنفسه للقتال وعندئذ قد يقع مالايحمد عقباه . ولكن المهدى الذى كان يعد ابنه لتولى الخلافة من بعده واهتمامه فى ابراز مقدرة ابنه فى مجالى الحرب والسياسة قرر بان يكون ابنه الهادى هو القائد قائلا : "نحن أهل البيت نجرى من أسباب القضايا ومواقع الامور على سابق من العلم ، ومحتوم من الامر قد أنبات به الكتب ، وتتابعت عليه الرسل ، وقد تناهى ذلك باجمعه الينا ، وتكامل بحذافيره عندنا ، فبه ندبر ، وعلى الله نتوكل : انه لابد لولى عهدى ـ وولى عهدى عقبى بعدى ـ أن يقود الى خراسان البعوث ، ويتوجه نحوها بالجنود" (١) .

وهكذا فقد أمر الخليفة المهدى فى سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م بتجهيز جيش كثيف من الجند فى جهاز لم يجهز أحد بمثله من قبل (٢) . وتبرز من خلال اعداد الخليفة المهدى للجيش واهتمامه الكبير بزيادة أعداده وتجهيزاته مدى الاهمية الكبيرة التى أولاها له (٣) . وقد اختار الخليفة لابنه الهادى ابان بن صدقة

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٤١/١ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٦٤/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٧٥/٦ ، ابن كثير : البداية ١٤٩/١٠ .

(٣) ابان بن صدقة : كان كاتبا لابى أيوب المورياني وزير المنصور ، فلما نكب المنصور وزيره هذا قلد ابان كتابة الرسائل والسر . الجهشيارى : الوزراء ص١١٥، ١٢٤ وفى خلافة المهدى جعل ابان بن صدقة وزيرا لهارون وكاتبا له ، ثم صرفه فى سنة ١٦١هـ عن هارون الى الهادى فولاه الوزارة والكتابة له . الطبرى : تاريخ ١٢٨/٨، ١٤٠ ، توفى ابان سنة ١٦٧هـ . الطبرى : تاريخ ١٦٥/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٥ .

ليكون رئيسا على رسائله ، ومحمد بن جميل على ديوان جنده (١) ، ونفيعا مولى المنصور على حجابته (٢) ، وعلى بن عيسى بن ماهان رئيسا على حرسه ، وعبد الله بن خازم رئيسا على شرطته (٣) ، كما أرسل معه أحد أبرز قواده وهو يزيد بن مزيد الشيباني (٤) .

وقبل خروج الجيش حرص المهدى على تزويد ابنه الهادى بجملة من النصائح يلاحظ انها قد تضمنت الخطوط الرئيسية للسياسة التى طلب المهدى من ابنه اتباعها ، والتى تعكس بوضوح بعض الأسس الكبرى التى انتهجها المهدى فى سياسته للدولة وادارته لها ، فلقد نصح المهدى ابنه بتقوى الله عز وجل وطاعته ، فقال له : "فاحتمل سخط الناس فيهما ولاتطلب رضاهم بخلافهما ، فان الله عز وجل كافيك من أسخطه عليك ايثارك رضاه ، وليس بكافيك من يسخطه عليك ايثارك رضاه من سواه" (٥) .

---

(١) محمد بن جميل : ولاه الهادى بعد ذلك على ديوان خراج العراقين . الطبرى : تاريخ ١٨٩/٨ ، ثم ولاه الرشيد على الجزيرة . ابن خياط : تاريخ ص ٤٦٣ .

(٢) على بن عيسى بن ماهان : ولاه المهدى بعد ذلك رئاسة حرسه ، وأقره الهادى عليها عند توليه الخلافة ، وضم اليه ديوان الجند . الطبرى : تاريخ ١٨٩/٨ ، ثم ولاه الرشيد على خراسان سنة ١٨٩هـ لكنه أساء التصرف فعزله فى سنة ١٩١هـ . الطبرى : تاريخ ٣١٤/٨،٣٢٤ ، وعندما وقع الخلاف بين الأمين والمأمون انضم عيسى الى جانب الأمين وقتل فى سنة ١٩٥هـ . ابن خياط : تاريخ ص ٤٦٦ .

(٣) عبد الله بن خازم : عزله الهادى عن منصبه حينما تولى الخلافة . الطبرى : تاريخ ١٨٩/٨ ، ثم ولاه الرشيد على طبرستان والرويان سنة ١٨٠هـ . الطبرى : تاريخ ٢٦٦/٨ كما ولاه الأمين رئاسة شرطته . ابن خياط : تاريخ ص ٤٦٨

(٤) الطبرى : تاريخ ١٦٤/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٧٥/٦ ، ابن خلدون : العبر ٢١٢/٢ .

(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٤٣/١ .

ويظهر من الوصايا الأخرى مدى تركيز المهدى على اعتبار نفسه وابنائه من أولياء الله الذين يجدد بهم حبل الاسلام ويشيد أركان الدين بنصرتهم ، ثم لفت نظر ابنه على مالاهل خراسان عامة بما فيهم أهل طبرستان من الدالة على الدولة العباسية "فهم عماد الأرض اذا ارجفت كنفها ، وحتوف الاعداء اذا ابرزت صفحتها ، وحصون الرعية اذا تضايقت الحال بهم ، وقد مضت لهم وقائع صادقات ومواطن صالحات ، أخمدت نيران الفتن ونصحت دواعي البدع ، واذلت رقاب الجبارين" (١) . ولذلك فانه طلب من ولى عهده الهادى استرضاءهم بان يعرف لهم حق طاعتهم ووسيلة دالتهم وسابقتهم للدولة ، بالاحسان اليهم ، والاثابة لمحسنهم ، والاقالة لمسيئهم . وبالاضافة الى ذلك فقد أكد الخليفة المهدى على ولى عهده على ضرورة الالتزام بالعدل مع العامة فقال له : "فاستدع رضاها بالعدل عليها ، واستجلب مودتها بالانصاف لها ، وتحسن بذلك لربك وتزين عين رعيتك ... وان تامر قاضى كل بلد وخيار أهل كل مصر أن يختاروا لانفسهم رجلا توليه أمرهم ، وتجعل العدل حاكما بينه وبينهم ، فان أحسن حمدت ، وان أساء عذرت" (٢) .

وفى نهاية وصيته أكد الخليفة على ولده بأن يحرص على اتخاذ المشورة أساسا لحكمه وان عليه ان يختار من فقهاء البلدان وعلمائها "أقواما يكونون جيرانك وسمارك وأهل مشاورتك فيما تورد ، وأصحاب مناظرتك فيما تصدر" (٣) .

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١/١٤٤ .
(٢) ن . م . ص ١/١٤٤ .
(٣) ن . م . ص ١/١٤٥ .

سار الهادي بجيشه في سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م فمر أولا بالري[(١)] حيث اطمأن على استقرار الأوضاع فيها ، ثم تابع زحفه الى جرجان حيث عسكر فيها كما خطط له المهدي[(٢)] ، ومن هناك وجه قائده يزيد بن مزيد الذي قام بضرب الحصار على ملكي طبرستان ونداهرمز وشيروين[(٣)] .

ويبدو أن هذا الحصار قد طال مما دفع الخليفة المهدي الى القيام بارسال الامدادات العسكرية المتتالية والتي بلغت اربعين الف رجل بقيادة سعيد الحرشي في سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م[(٤)] وعندئذ أنهى يزيد الشيباني ذلك الحصار بمعركة عنيفة استطاع فيها أن ينزل الهزيمة بونداهرمز واصابته بجراح عميقة ، اضطر على أثرها الاستسلام للهادي بشرط ألا يمس نفوذه في طبرستان ويتعهد مقابل ذلك بانهاء الثورة وعدم مهاجمة الحاميات العسكرية هناك ، ودفع الجزية السنوية للدولة العباسية[(٥)] . ولقد ظل الهادي في جرجان حتى توفي المهدي في محرم سنة ١٦٩هـ/١٥ اغسطس ٧٨٥م[(٦)] للمحافظة على اقرار الأمن والاستقرار هناك .

---

(١) الجهشياري : الوزراء ص ١٥٥ .
(٢) الطبري : تاريخ ١٦٤/٨ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٤٢/١ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ١٢٦ ، مؤلف مجهول : العيون ص ٢٧٩ ، اليافعي : مرآة ٣٥٦/١ .
(٣) الطبري : تاريخ ١٦٤/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٧٥/٦ .
(٤) الطبري : تاريخ ١٦٧/٨ .
(٥) انظر : شاكر مصطفى : دولة بني العباس ٢٥٩/٢ ، فاروق عمر : العباسيون الاوائل ٢٠٨/١ .
(٦) ابن أعثم الكوفي : الفتوح ٢٤١/٨ ، الطبري : تاريخ ١٧١،١٦٨/٨ ، ابن العبري : تاريخ مختصر ١٢٧/١ ، النويري : نهاية ١١٨/٢٢ .

(٢) الخوارج والزنادقة

الخوارج فى العصر العباسى :

اثبت الخوارج بانهم اقوى من الضربات التى أنزلتها بهم الخلافة الاموية . اذ انهم نجحوا فى أواخر ذلك العهد من الاستيلاء على بعض المناطق مكونين مراكز لهم فى كل من "الجزيرة والموصل وعمان وحضرموت ونواح من المغرب ونواح من خراسان" (١) ، بالاضافة الى احتفاظهم بمراكزهم الاولى . هذا ماحقق لهم هدفين أساسيين أولهما الابتعاد عن متناول قبضة الخلافة مما أتاح لهم متابعة نشاطهم ، وثانيهما انهم وجدوا فى المناطق التى استولوا عليها مرتعا خصبا لانتشار مذهبهم ولم يكد يمضى على قيام الدولة العباسية سنة واحدة حتى تحرك الخوارج من جديد ، ذلك انهم نظروا الى الخليفة العباسى نفس النظرة العدائية الحاقدة ، والتى كانوا ينظرون بها الى خلفاء بنى أمية على اعتبار انه لم تتوفر فيهم الشروط الواجب توفرها فى الامام ، لذلك فقد وجب عليهم عزله أو قتله .

وفى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور اشتدت ثورات الخوارج فى أقاليم مختلفة من الدولة ، ففى اقليم الجزيرة ثار ملبد بن حرملة الشيبانى سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م وتمكن من أن يوقع الهزيمة بروابط الجزيرة وروابط الموصل ، فارسل اليه المنصور جيشا بقيادة يزيد بن حاتم المهلبى الذى هزم أيضا ولم يزل المنصور يرسل جيشا بعد الآخر وملبد يهزمهم (٢) ، وعظم

---

(١) الاشعرى : مقالات الاسلاميين ص ١٢٨ .
(٢) الطبرى : تاريخ ٤٩٥/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٤٨٢/٥ ، ابن خلدون : العبر ١٦٨/٤ .

امره حتى اصبح يشكل خطرا على كيان الدولة مما دفع المنصور الى اتخاذ اجراءات حاسمة من أجل القضاء عليه ، فوجه فى سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م جيشا من ثمانية آلاف مقاتل أسند قيادته الى خازم بن خزيمة ، وبعد يومين من تعقب خازم لملبد دارت فى اليوم الثالث معركة فاصلة انتهت بهزيمة ملبد وقتله (١) ، وقتل عدد كبير من اتباعه (٢) .

وفى أعقاب هذه الثورة قامت فى الموصل ثورة أخرى بزعامة عقبة بن بعثر التغلبى فوجه اليه المنصور قائده أبا حميد المروروذى الذى تمكن من قتله هو وجميع من كان معه (٣) .

كما ثار فى الموصل أيضا حسان بن مجالد بن يحيى الهمدانى سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م وهزم روابط الموصل ، ثم دخل هو واتباعه الى سوق الجسر فنهبوه وأحرقوه (٤) .

ويبدو بان حسان رأى بان من المناسب أن يبتعد بثورته ريثما يشتد أمره ويكثر أتباعه ولذلك فانه توجه الى بلاد السند حيث كاتب الخوارج من أهل عمان يطلب منهم المساندة والتاييد ، غير انهم لم يجيبوه ، فعاد الى الموصل لكن الحامية العباسية فيها اشتبكت معه فى معركة انتهت بانتصار حسان ، ويظهر أن العصبية القبلية كانت قوية التاثير فى النفوس ، ذلك أن حسان بن مجالد كان قد أبقى على حياة أحد الأسرى الهمدانيين من الجيش العباسى بينما قتل أسيرا قيسيا

---

(١) الطبرى : تاريخ ٤٩٨/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٤٨٥/٥ .
(٢) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٤١٧ ، الطبرى : تاريخ ٤٩٩/٧ الأزدى : تاريخ ص ١٣٨ ، النويرى : نهاية الارب ٧٨/٢٢ .
(٣) فاروق عمر : العباسيون الأوائل ٢٥٤/١ ، حسن العانى : سياسة المنصور ص ٢١٩ .
(٤) الأزدى : تاريخ ص ٢٠٣ ، ابن الاثير : الكامل ٥٨٤/٥ .

فأنكر عليه اتباعه ذلك لمخالفتهما لعقيدتهم ، وتخلوا عنه وبذلك اضمحلت ثورته[1] .

أما في اليمن فقد تحرك سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م بقية أتباع أبي حمزة الخارجي وطالب الحق[2] ، ويبدو أن الحلف الذي عقدته قبائل ربيعة واليمن فيما بينهم كان بتأثير الخوارج من القبيلتين[3] ، ونتيجة لذلك الحلف فقد ثار الأهالي على الوالي العباسي وطردوه من البلاد سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م[4] . عند ذلك عمد المنصور الى تعيين معن بن زائدة الشيباني واليا على اليمن في تلك السنة[5] ، قائلا له : "قد وليتك اليمن فابسط السيف فيهم حتى ينقضي حلف ربيعة واليمن"[6] . فاقام معن بها تسع سنوات أسرف خلالها في قتل اهلها ، وأعاد استقرار الأمور فيها .

ولقد شهدت خراسان وسجستان العديد من ثورات الخوارج في عهد المنصور ، فقد ثار في فارس المهلهل الحروري في ولاية اسماعيل بن علي الذي خرج اليه وقاتله حتى أوقع به الهزيمة وقتله[7] .

أما في سجستان فلقد ازداد على مايبدو نشاط الخوارج فيها ، مما جعل ولي العهد المهدي يطلب من أبيه ارسال

---

(١) الأزدي : تاريخ ص ٢٠٤ ، ابن خلدون : العبر ١٦٨/٤ .
(٢) شاكر مصطفى : دولة بني العباس ٢٣١/١ ، فاروق عمر : العباسيون الأوائل ٢٥٦/١ .
(٣) الأزدي : تاريخ الموصل ص ١٧٥ .
(٤) اليعقوبي : تاريخ ٣٧٢/٢ .
(٥) ابن خياط : تاريخ ص ٤٢٠ ، اليعقوبي : تاريخ ٣٧٢/٢ ، الأزدي : تاريخ ص ١٧٥ .
(٦) الاصفهاني : الأغاني ٤١/٩ .
(٧) اليعقوبي : تاريخ ٣٧٢/٢ ، الأصفهاني : الأغاني ٤١/٩ .

النجدات ، فاستدعى المنصور على الفور معن بن زائدة من اليمن ليضربه بالخوارج بعد أن برهن على مقدرته على تحقيق الاستقرار في اليمن ، فعينه واليا على سجستان وذلك في شعبان سنة ١٥١هـ/٧٦٨م [١] .

قدم معن الى سجستان وانصرف المهدى الى بغداد في شوال من هذه السنة [٢] . وفي خلال أشهر قليلة تمكن معن من ضبط البلاد [٣] ثم جد في طلب الخوارج ومحاربتهم "حتى قتل منهم خلقا عظيما وأفناهم" [٤] . ولما لم يتمكن الخوارج من الوقوف بوجهه عمدوا الى الحيلة في قتله فاندسوا مع فعلة كانوا يبنون في منزله وقتلوه في سنة ١٥١هـ [٥] . "فتجرد يزيد بن مزيد ابن أخيه فقتل من الخوارج خلقا عظيما حتى جرت دماؤهم كالنهر" [٦] انتقاما لعمه . فقرر الخوارج اغتياله أيضا فتبعه قوم منهم الى بغداد وهجموا عليه على جسر فيها ، ولكن يزيد نجا من الموت وخرج من المؤامرة ببعض الاصابات بعد أن قتل عددا منهم" [٧] .

وبمقتل معن بن زائدة وابتعاد يزيد عن سجستان عاد الخوارج فيها الى متابعة نشاطهم في مقاومة النفوذ السياسى العباسى بشكل فعال ومؤثر ، حتى انهم تمكنوا في نهاية عصر المنصور من التغلب على سجستان ، التى يذكر اليعقوبى بأنها منذ ذلك الوقت أصبحت "مضمومة الى عمال خراسان يولونها

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ٣٧٣/٢ .
(٢) ن . م . ص ٣٨٤/٢ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٣٦/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٦٠٢/٥ .
(٤) البلاذرى : الفتوح ص ٣٨٨ .
(٥) ابن خياط : تاريخ ص ٤٢٥ ، البلاذرى : فتوح ص ٣٨٩ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٨٥/٢ ، النويرى : نهاية الارب ٩٨/٢٢ .
(٦) اليعقوبى : تاريخ ٣٨٥/٢ .
(٧) البلاذرى : فتوح ص ٣٨٩ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٨٥/٢ .

رجالا من قبلهم وذلك أن الشراة غلبت عليها وكثرت عليها " .[١]

أما في افريقية فقد كان المذهب الاباضي الخارجي قد انتشر انتشارا واسعا منذ مطلع القرن الثاني الهجري بين سكان افريقية من البربر وغيرهم[٢] حيث وجدوا فيه فرصة للتعبير عن ظلم ولاتهم وفسادهم[٣] . فلما كان العصر العباسي تفاقمت ثورات الاباضية مما دفع الخليفة على أن يوطد العزم على القضاء على تلك الحركات الخطيرة[٤] ، فأرسل جيشا عظيما الى القيروان[٥] بقيادة يزيد بن حاتم سنة ١٥٥هـ/ تذكر المصادر[٦] أنه قد بلغ عدده حوالي ٥٠ الف مقاتل ، وقد جرت بين الطرفين معارك شديدة أمعن خلالها يزيد في طلب الخوارج حتى تمكن من تصفية جيوب المقاومة الخارجية هناك[٧] .

---

(١) اليعقوبي : تاريخ ٣٨٦/٢ .
(٢) حسن العاني : سياسة المنصور ص ٢٣٣ .
(٣) ابن الاثير : الكامل ٣١٦/٥ .
(٤) اليعقوبي : تاريخ ٣٨٦/٢ .
(٥) القيروان : مدينة عظيمة بافريقية مصرت في الاسلام في ايام معاوية على يد عقبة بن نافع .
ياقوت : معجم ٤٢٠/٣ .
(٦) الطبري : تاريخ ٤٤/٨ ، المقدسي : البدء والتاريخ ٨٧/٦ .
(٧) حسن العاني : سياسة المنصور ص ٢٥٠ .

(أ) الخوارج في عهد المهدى :

استمرت مناهضة الخوارج للدولة العباسية خلال عهد الخليفة المهدى ، حتى لقد شبه ابن الطقطقى عصر المهدى بعصر أبيه المنصور من حيث "الفتوق والحوادث والخوارج" (١). والذين تجددت ثورتهم في كل من الجزيرة وخراسان .

أولا : الخوارج في الجزيرة .

لقد كان لكثرة القبائل وتعدد انتماءاتها وميولها وشيوع البداوة بينها حيث ان بعضها عاشت حياة شبه رعوية (٢) بالاضافة الى التكوين الجغرافي الذي تتصف به أرض الجزيرة وانزوائها عن مركز الخلافة هي من بين العوامل التي ساعدت على جعل تلك المنطقة مسرحا نشطا بصورة دائمة لحركات الخوارج .

أعلن عبد السلام بن هاشم اليشكرى ثورته بارض الجزيرة في سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م (٣) وكان قد اتخذ من قنسرين (٤) وحلب قاعدة له فلما كثر أتباعه سار بهم الى الجزيرة فأعلن ثورته بها ويبدو أنه وجد هناك الكثير من التأييد من العناصر الناقمة على الدولة العباسية فكان ذلك سببا في كثرة أتباعه واشتداد شوكته (٥) .

---

(١) ابن الطقطقى : الفخري ص ١٧٩ .
(٢) السامر : الدولة الحمدانية ٦٢/١ .
(٣) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٣ ، الطبرى : تاريخ ١٣٢/٨ .
(٤) قنسرين : كورة بالشام بينها وبين حلب مرحلة (٦أميال) ياقوت : معجم ٤٠٤/٤ .
(٥) النويرى : نهاية الارب ١١٣/٢٢ ، ابن كثير : البداية ١٣٥/١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٤٢/٢ .

ولقد حاول عبد السلام اليشكرى فى البداية أن يتخذ له قاعدة أمينة فى الجزيرة ، فأتى نميبين محاولا الاستيلاء عليها غير أن عامل خراجها ، المنهال بن عمران الكلابى ، بعث اليه جيشا يقدر بنحو عشرين الف مقاتل اوقعوا به الهزيمة ، فسار عبد السلام منهزما الى رأس العين فقاتله أهلها من بنى تميم ومنعوه من دخول مدينتهم (١) . ويبدو أن اختيار عبد السلام لهاتين المدينتين يرجع لاهمية موقعهما الاستراتيجى حيث انهما تسيطران على الطريق التجارى بين الموصل والشام (٢) ، هذا بالاضافة الى غزارة انتاجهما الزراعى مما يهيىء امكانية الاستفادة من خيراتهما فى تمويل الجيش (٣) .

وبعد أن فشل اليشكرى فى الاستيلاء على المدينتين المذكورتين ، فانه سار الى آمد حيث التقى هناك بالجيش العباسى بقيادة عيسى بن موسى الخراسانى ، الذى استطاع أن يحقق على عبد السلام النصر فى بداية المعركة حيث فر أتباع الخارجى ، ولكن عبد السلام اليشكرى ثبت وأخذ يتوعد من فر من اتباعه قائلا : "والله لابد أن بكم لانكم كفار تفرون من الزحف" (٤) ، مما دفعهم الى العودة الى القتال بشدة وحماس ، ودارت بين الطرفين معركة عنيفة انتهت بهزيمة الجيش العباسى وقتل قائده عيسى على يد عبد السلام اليشكرى نفسه (٥) . ويبدو أن هذا النصر كان منطلقا لسيطرة عبد السلام على

---

(١) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٣ .
(٢) انظر ياقوت : معجم ١٣/٣ ، ٢٨٨/٥ .
(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٩١ ، ٢٠٠ .
(٤) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٣ .
(٥) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٣ ، الطبرى : تاريخ ١٤٢/٨ ، النويرى : نهاية الارب ١١٤/٢٢ .

اقليم الجزيرة ، اذ امتدت بذلك سلطته من شمال سوريا الى بلاد الجزيرة كلها ، واشتد أمره حتى تمكن من السيطرة على اقليم الجزيرة لمدة سنتين من ١٦٠-١٦٢هـ/٧٧٦-٧٧٨م ، هزم خلالها كل من حاول التعرض له من قواد المهدى الواحد تلو الآخر[١] .

ولما كان المهدى قد سلك فى سياسته الداخلية سياسة مسالمة تستهدف كسب قوى المعارضة فانه فكر فى اصلاح الموقف سلما ، ولعله اراد فى ذلك أن يقتدى بسيرة الخليفة عمر بن عبد العزيز . فكتب الى عبد السلام رسالة يتساءل فيها عن أسباب خروجه ، ويدعوه الى طاعة الامام ، ويحذره ويتوعده اذا هو صمم فى الاستمرار فى غيه ، وقد جاء فيها : "ان الله اختص بالسعادة جنده ، وأيد بالهدى حزبه ، وأسكن من أجاب جنته ، وأسبغ على من خشيه نعمته ، وأهدف من عصاه نقمته ، انى قد عجبت من احداثك وبغيك حيث أسالك مانقمت اذ حكمت بكلمة حق تريد بها ماالله مخزيك به وسائلك عنه مع مناوأتك خليفته ، ونزعك يدك من طاعته وشتمك أبا الحسن على بن أبى طالب ووقوعك فيه ، وتنقصك اياه ، وولايتك من عاداه ، فالله عصيت ونبيه عاديت ، فقد أتاك يقين راض وحديث صادق عن النبى صلى الله عليه وسلم وقوله : من كنت المكذب بذلك ، والحائد عنه حيث انقطعت مدتك واستعنت بشيعتك ، وتماديت فى غيك ، فاقسم لاغزينك أجنادا مضيعه ، وقوادا منيعة ، هم الذين يفضون جمعك ، ويهتكون بناءك ، فاعمل لنفسك أودع"[٢] .

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٤٢/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٧/٦ ، ابن كثير : البداية ١٣٥/١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٤٢/٢ ، الديوةجى : تاريخ الموصل ٦٩/١ .

(٢) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٣ ، وانظر أيضا الأزدى : تاريخ الموصل ص ٢٣٨ .

ويلاحظ من الرسالة موقف المهدى الايجابى من على رضى الله عنه بصفة خاصة حين اعتبر شتمه وانتقاصه خروجا عن طاعة الله ، وهذا مما يدين الخوارج ويوجب قتالهم .(١)

ولقد انفرد خليفة بن خياط بذكر جواب اليشكرى على رسالة المهدى ، والتى بدأها بذكر نفسه ، والتى خاطب فيها المهدى دون أن يذكر معه القاب الخلافة فقال له : "من عبد السلام بن هاشم الى محمد بن عبد الله : سلام على من اتبع الهدى ، واجتنب الغى ، وقام بالحق ، فلا الهدى اتبعت ولا الغى اجتنبت ولابالحق ، فالاهلدى اتبعت ولا الغى اجتنبت ولابالحق قمت" . ثم تدرج منها الى ذكر الأسباب التى دعته الى الخروج على السلطان ، وبانه انما اقدم على ذلك رغبة منه فى اصلاح الاحوال الفاسدة التى وقعت فيها الأمة وذلك بقوله : "فان الله بحوله وقوته ورحمته وعونه سيد السادات ، شديد النقمات الذى توحد فى ملكه ، لم يدع أمة محمد فى أهداف من الالتباس حتى يصلحهم ، ويبعث فيهم من يتعاهد منهمماينبغى لهم تعاهده" .

ثم أشار الى رأيه فى سلوك المهدى الذى اعتبره مجافيا لقواعد الشريعة كما انه أوضح رأيه فى أن سياسته لاتتفق مع اوامر الله ومع مصلحة الرعية فهو يقول له : "اتانى كتابك تعجب مما نقمت اذ حكمت ، فلست بتاركك فى عمياء مما أنت فيه مع أنك خدعت عن هذا نفسك ، وقد علمت انى انما أسفت

---

(١) وهذا تحول واضح فى موقف الخلافة العباسية اذا ماقورن بموقف والده أبى جعفر المنصور من العلويين بشكل عام وهو موقف ينسجم مع رأى أهل السنة والجماعة ونظرتهم الى خلافة الراشدين ، ورفضهم التعريض بالصحابة رضى الله عنهم أو الانتقاص من أحد منهم .

وحكمت حين تركت الأمة تائهة مائجة ، لاحدودها أقمت ، ولاحقوقها اديت واشتغلت بامائك ، وتنوقت فى بنائك ، مع ادمانك الصيد اذ تغدو معك البزاة والفهود والجنائب والكتائب ، فاذا انثنيت من صيدك ، ودخلت بهوك ، اتبعك اخوانك فتغذيت وغنيت ، فسبحان الله ماافحش هذا ممن يدعى خلافة الله ! قد كانت الأعاجم تنقم مما دون هذا. ثم انت اذا خطبت كذبت ، واذا عاهدت نكثت ، وقد زعمت فى كتابك انك ستغزينى اجنادا مطيعة ، وقوادا منيعة ، فالله يفض جمعك ويهزم جندك ويقتل قوادك ، فاذا شئت فنحن متوقعوا هذا منك ومتمنوه " .

وقد تضمن الرد فوق ذلك اشارة واضحة الى رأى الخوارج فى ادارة المهدى وجوره وفساد وزرائه اذ يقول له : "وقد زادنى غيظا انك تسميت المهدى وابعد من سماك ، فنعم المهدى انت اذ بعت الناس بيعا ، وأوسعت الناس غيا ، خدعك يعقوب ابن داود أخا آخيت ، وخدنا صافيت ، دعاك فاجبت ، وخدعك فطاوعت ففى أى دين يسعك ! وفى اى كتاب أصبت اذ تعدو وظيفة او تهوى زيادة ، أو تنقص مساحة ، أو تصطفى بستانا ، أو تبذخ فى مركب ، أو تنهمك فى صيد ، أو ترمى به فى النزهة ، أو تعامض عن جند ، أو تحبس عطاء أو تنسى من غزا ، أو تعاقب بالسوط سافكا للدم ، وانما السافك يقاد ، والزانى يقام حده ، واللص تقطع يده ، ولاتعاهد السجون بنفسك ، لاتزعجها بعينك ، فهذا نسيت وعن هذا سهوت" .

وفى الأخير فانه قد اختتم رسالته الشديدة اللهجة باظهار اصراره على اعلان الحرب عليه حتى النهاية لان هذه

الامـور كلهـا توجب عليه القتال ولذلك فهو يخاطبه بقوله : "أيهـا الطاغيـة ، أفمـن بعد هذا حياة ؟! فانظر لنفسك فما عينى عنك بنائمـة ، تصادق من يصادقك ، وتلقى من يقتلك ، ومـا أنـا بالعـازم ، الفتح بيد الله يحكم ما أحب ، انما أنا عبـد من عباده ، لاأستطيع منه امتناعا ، ولاعن نفسى دفاعا ، ولاحول ولاقوة الا بالله " (١).

ان هـذه الرسـالة الصريحة الواضحـة لـم تـدع مجـالا لأى مجاولـة التقـاء أو حـلول وسـطى ، وقـد وضعـت حدا لمحاولة المهـدى السلمية ، ولذلك فقد استقر رأى الخليفة على ضرورة التصدى لعبد السلام اليشكرى عسكريا ، فأرسل مددا بنحو ألف فـارس لشـبيب بن داج المروروذى (٢) المرابط بالجزيرة وأعطى كل فارس منهم ألف درهم زيادة فى العطاء معونة لهم على مواجهة اليشكرى (٣).

وقد قويت شوكة شبيب بهذا المدد فنهض بجيشه لقتال عبد السـلام ، فـالتقى بـه وانـزل به هزيمة كبيرة فر بعدها عبد السلام وجعل شبيب يتعقبه حتى ادركه فى قنسرين فقاتله عليها وقتله فى سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م (٤).

---

(١) انظر : خليفة بن خياط : تاريخ ص ٤٤٤، ٤٤٥ .

(٢) شـبيب بـن داج المـروروذى : كـان مـن أتباع أبى مسلم الخراسانى واشترك فى حصار مرو الروذ عند قيام الدولة العباسـية وقتـل عاملها . الطبرى : تاريخ ٣٦٠/٧ ، ثم التحـق بـالمنصور وأصبح من حرسه واشترك بأمر المنصور فى قتل أبى مسلم سنة ١٣٧هـ . الطبرى : تاريخ ٤٧٧/٧ . وقـد ولاه المهـدى فـى عهده قيادة الجيوش المرابطة فى الجزيرة . الازدى : تاريخ ص ٢٤٢ .

(٣) الازدى : تاريخ ص ٢٤٢ .

(٤) الطـبرى : تـاريخ ١٤٢/٨ ، الازدى : تاريخ ص ٢٤٣ ، ابن الاثير : الكامل ٥٧/٦ ، النويرى : نهاية الارب ١١٤/٢٢.

وقبل الانتهاء من هذه الثورة لابد أن ننوه هنا بأن المآخذ التي أخذها عبد السلام اليشكري على سيرة المهدي وسياسته لم تكن بالأمر الجديد على الخوارج الذين نقموا على الخلفاء ورأوا فيهم أئمة ضلال وذلك ابتداء من الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي اجترأوا عليه فقالوا انه : "... ضرب منكري الجور ، وآوى طريد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وضرب السابقين بالفضل ، وسيرهم وحرمهم ، ثم أخذ فيء الله الذي أفاءه عليهم فقسمه بين فساق قريش ومجان العرب" (١).

ومنذ ذلك الحين أصبحت الادعاءات التي تبنوها في تكفير خلفاء الأمة ، وعدم اذعانهم لأية حكومة اسلامية بدعوى الجور وتحت مزاعم الظلم من المبررات التي يرتكز عليها الخوارج في الخروج والثورة ، بل عدوا ذلك حقا واجبا عليهم .

(٢) ثورة ياسين التميمي :

كان ياسين من الخوارج الصفرية الذين تبعوا مذهب صالح ابن مسرح التميمي المري أحد علماء الخوارج وفقهائها ، والذي كان يرى ضرورة انكار الظلم وجهاد المخالفين لهم (٢).

ولقد اعلن ياسين ثورته في سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م بأرض الموصل ، فتولت روابطها مهمة التصدي له ، غير أنه تمكن من

---

(١) الطبري : تاريخ ٥٦٦/٥ ، وانظر أيضا رأي الخوارج في خلفاء بني أمية من خلال خطبة أبي حمزة الخارجي بمكة سنة ١٢٩هـ . الجاحظ : البيان والتبيين ١٢٢/٢ ، الأزدي تاريخ ص ١٠٤ .

(٢) الأشعري : مقالات الاسلاميين ص ١٢٠، ١٢١ ، ابن الأثير : الكامل ٣٩٣/٤ .

هزيمتها واستولى على اكثر ديار ربيعة (١) والجزيرة (٢) . ونتيجة لذلك فلقد سارع المهدى باعداد جيش أسند قيادته لاثنين من خيرة قادته وهما أبى هريرة محمد بن فروخ (٣) وهرثمة بن أعين (٤) . وقد توجه ذلك الجيش الى الموصل حيث تقابل مع قوات ياسين التميمى ودارت بين الطرفين معركة عنيفة ، وقد ابدت قوات ياسين فى البداية صمودا كبيرا ، مما أضعف القوات العباسية أمامه ، غير أن القادة العباسيين تمكنوا من الصاف وخلخلة قواته عن طريق شن الهجمات الشديدة المتتابعة عليه ، حتى تمكنت فى النهاية من هزيمته وقتله هو وعدد كبير من أصحابه وهروب من نجا منهم (٥) .

ومن النتائج التى ترتبت على هذه الثورات وغيرها فى الجزيرة والموصل أن ساد جو الاضطراب وعدم الاستقرار فيها ،

---

(١) ديار ربيعة : بين الموصل ورأس العين نحو بقعاء الموصل ونصيبين ورأس العين ودنيسر والخابور جميعه ومابين ذلك من المدن والقرى .
ياقوت : معجم ٤٩٤/٢ .

(٢) الأزدى : تاريخ ص ٢٥١ ، ابن الأثير : الكامل ٧٨/٦ ، النويرى : نهاية الارب ١١٩/٢٢ .

(٣) ابو هريرة محمد بن فروخ مولى بنى تميم من أهل خراسان الأزدى : تاريخ ص ٢٥١ ، ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٦ أحد القواد العباسيين ولاه الهادى على الجزيرة سنة ١٧١هـ فلما تولى الرشيد الخلافة سخط عليه وقتله فى سنة ١٧١هـ . الطبرى : تاريخ ٢٣٥/٨ ، الأزدى : تاريخ ص٢٦٧ .

(٤) هرثمة بن أعين : أمير ، قائد شجاع ولاه الرشيد مصر سنة ١٧٨هـ ، ثم افريقية ثم خراسان ، ولما اختصم الامين والمامون انحاز الى جانب المامون ، ثم نقم عليه المامون وأمر بحبسه فمات فيه سنة ٢٠٠هـ .
الزركلى : الاعلام ٨١/٨ .

(٥) الأزدى : تاريخ ص ٢٥٢ ، ابن الاثير : الكامل ٧٨/٦ ، النويرى : نهاية ١١٩/٢٢ ، الديوةجى : تاريخ الموصل ٦٩/١ .

مما اضطر الخليفة العباسي الى أن يأمر بتشكيل قوة خاصة الى جانب القوات المرابطة هناك مهمتها تنحصر في تعقب أمر الخوارج يتولاها قائد خاص وهو "صاحب أمر الخوارج بالجزيرة" (١) وقد أشار الازدى لأول مرة بشكل واضح الى استقرار هذا التنظيم واستمرار العمل به في عهد الخليفة الهادي في سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م (٢) .

(١) الازدى : تاريخ الموصل ص ٢٥٨ .
(٢) ن . م . ص ص ٢٥٨ .

ثانيا : الخوارج فى خراسان .

سبق أن المحنا الى أن الخوارج قد وجدوا فى اقليم خراسان مركزا أمينا بعيدا عن متناول السلطة ، والى انهم سرعان ماتسعت سلطتهم وتوسعوا فى عصيانهم بسبب تقبل سكان تلك البلاد للمذهب الخارجي . كما أشرنا الى أن نجاح الخوارج الأخير فى قتل معن بن زائدة الشيبانى قد أتاح لهم الفرصة على متابعة نشاطهم الثورى هناك .

وفى عهد الخليفة المهدى خرج يوسف بن ابراهيم البرم معلنا ثورته فى خراسان سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م (١) ، ولقد اختلف المؤرخون حول عقيدة يوسف البرم ، فذكر الطبرى : بأنه عند بعض المسلمين كافر (٢) ، كما أشار المقدسى الى أنه كان قد ادعى النبوة (٣) . ولكن من المرجح أن يكون يوسف البرم من الخوارج الحرورية (٤) ، ويظهر ذلك من خلال شعاراته التى رفعها فقد أظهر بأنه "يدعو الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر" (٥) وبانه ومن معه قد أنكروا على الخليفة المهدى - فيما زعم - "الحال التى هو بها وسيرته التى يسير بها" (٦) . وهذه هى نفس الدعوة التى نادى بها عبد السلام اليشكرى على الخلافة فى الجزيرة .

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٢٤/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٤٣/٦ ، النويرى : نهاية ١١١/٢٢ ، ابن كثير : البداية ١٣١/١٠ .
(٢) الطبرى : تاريخ ٣٧١/٨ ، وانظر الجهشيارى : الوزراء ص ٢٧٨ .
(٣) المقدسى : البدء ٩٧/٦ .
(٤) هذا مايشير اليه اليعقوبى : البلدان ص ٣٠٣ ، وابن الاثير : الكامل ٤٣/٦ .
(٥) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٧/٢ ، وهو نفس الشعار الذى نادى به الخوارج أيضا فى حروراء سنة ٣٧هـ .
(٦) الطبرى : تاريخ ١٢٤/٨ .

وعلى كل حال فلقد استطاع يوسف البرم بشعاراته تلك أن يجمع حوله عددا كبيرا من الاتباع سار بهم الى خراسان ، فبدأ ببوشنج (١) والتي لم يتمكن واليها مصعب بن زريق (٢) من التصدى له فهرب تاركا له المدينة ، فدخلها البرم مما سهل عليه احتلال كلا من مرو الروذ والطالقان ، والجوزجان (٣) .

ويبدو أن يوسف البرم قد فكر فى أن يلعب لعبة سياسية خطيرة يوسع بها من نطاق ثورته من ناحية ويضيق الخناق على الخلافة العباسية من الشرق والغرب من ناحية أخرى ، فلقد أرسل الى والى مصر موسى بن رباح يدعوه الى الانضمام اليه وتاييده فى ثورته ، ولكن موسى بن رباح رفض هذا العرض وقبض على رسول البرم ثم أرسل الى المهدى يخبره بذلك (٤) .

ومع ذلك فلقد حاول المهدى استعمال سياسة التسامح والتراضى مع يوسف البرم فكتب اليه يؤكد له ضمان الأمان اذا هو عاد الى الطاعة فوقع على هذا الكتاب يقول له : "لك أمانى ومؤكد ايمانى" (٥) ، ولكن يوسف على مايظهر لم يقبل التراجع وأصر على القتال ، فارسل اليه المهدى فى بادىء الأمر جيشا بقيادة أخ لهرثمة بن أعين ، ولكن البرم كان من القوة بحيث سحق هذا الجيش وقتل قائده (٦) . وعندئذ أمر المهدى

---

(١) بوشنج : من مدن خراسان تقع بالقرب من هراة .
ياقوت : معجم ٥٠٨/١ .

(٢) مصعب بن زريق : هو جد طاهر بن الحسين مؤسس الامارة الطاهرية فى خراسان .
انظر : ابن الأثير : الكامل ٣٦٠/٤ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٤٣/٦ ، النويرى : نهاية الارب ١١١/٢٢ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم ٢٧/٢ .

(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٦٤/٤ .

(٦) الطبرى : تاريخ ١٢٤/٨ ، ابن حمدون : التذكرة ١٩٠/١ب.

يزيد بن مزيد الشيباني الذي كان يحارب ثورة خارجية أخرى بزعامة يحيى الشاري (١) بالتوجه بجيشه الى خراسان لقمع حركة يوسف البرم (٢) .

ولقد استطاع يزيد بما لديه من خبرة بأساليب الخوارج في القتال أن ينزل بيوسف واتباعه هزائم متتالية أدت الى انهاك قواهم الى حد كبير ، ثم دارت أخيرا المعركة الفاصلة بين الطرفين والتحم يزيد بيوسف حتى صارا الى المصارعة الجسدية وانتصر يزيد (٣) الذي رفع علما أحمر ونادى بأن كل من يصير تحته فهو آمن (٤) "فصار أصحاب يوسف كلهم تحته" ، وبذلك اضمحلت قوة يوسف الذى أسر مع بعض من وجوه أصحابه ، فوجه بهم يزيد الى بغداد ، فلما بلغوا النهروان وضع يوسف وأصحابه على جمال وقد حولت وجوههم الى الخلف تحقيرا لهم وتذكيرا بأول هزائم اخوانهم الأولين فيها . فادخلوا الى الرصافة وهم على تلك الحال (٥) . ويذكر اليعقوبي بأن يوسف حين ادخل على المهدى ابتدأ فكلم المهدى كلاما غليظا مما أثار عليه المهدى فقال له : "البظر ما أدبك أهلك" (٦) ، وأمر قائده هرثمة بن أعين فقطع يدى يوسف ورجليه ثم ضرب عنقه وأعناق أصحابه وصلبهم على جسر دجلة الأعلى قرب عسكر المهدى (٧) .

---

(١) لم تذكر المصادر أية معلومات عن هذه الثورة أو قائدها .
(٢) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٧/٢ .
(٣) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٧/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٢٤/٨ ، ابن الأثير : الكامل ٤٣/٦ .
(٤) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٧/٢ .
(٥) الطبرى : تاريخ ١٢٤/٨ ، ابن الأثير : الكامل ٤٣/٦ ، ابن كثير : البداية ١٣١/١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٢٧/٢ .
(٦) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٧/٢ .
(٧) الطبرى : تاريخ ١٢٤/٨ ، ابن حمدون : التذكرة ١/ورقة ١٩٠ب ، ابن كثير : البداية ١٣١/١٠ .

ولاشك فى أن تلك الثورات المختلفة التى قام بها الخوارج قد أقلقت راحة الخلافة العباسية كما أسهمت فى اشغال قواتها وارباك ادارتها ، كما انها لم تحقق طموحات الخوارج ودعاواهم فى اقامة حكمهم المثالى ، رغم ثوراتهم العاصفة والمتكررة والتى شملت مناطق واسعة . وقد دفعهم الفشل المتكرر على المدى البعيد الى أن يعمدوا الى الانتقال الى مناطق نائية عن مركز الخلافة مثل سجستان وعمان وافريقية ، وذلك يعود على مايبدو الى جملة أسباب ، لعل من أهمها افتقار تلك الثورات الى التخطيط السليم المنتظم ، فأكثرها كان يعتمد على ظهور قائد يندفعون فى تأييده ويبذلون انفسهم فى نصرته فما أن يقتل حتى تخمد تلك الثورة بدورها ويتفرق أتباعها . وفى مقابل ذلك يتبدى الاستعداد العسكرى الكبير الذى تتمتع به القوات العباسية الى جانب مهارة القادة فى التصدى لتلك الثورات ، وامكانية الادارة العباسية غير المحدودة فى الاسناد والتموين .

(ب) الزندقـــة :

من الراجح أن كلمة زنديق فارسية الأصل[١] . كانت تطلق فى البداية على مانى واتباعه لانهم حرفوا الزند كتاب الزرادشتية وجاءوا بتأويل جديد يخالف نصوصه[٢] .

والمانوية التى يرتبط بها الزنادقة دين دعا اليه فى أوائل الدولة الساسانية رجل يدعى مانى مزج فيه بين الزرادشتية والمجوسية والنصرانية ، فابقى من الاولى على عقيدة الهى النور والظلمة واستباحة نكاح الأخوات والبنات[٣] ، واخذ من الثانية عقيدة التناسخ وتحريم ذبح الحيوان والطيور ، واخذ من الثالثة الزهد وافناء الشهوات بانهاك الجسد بالصلاة والصوم[٤] . ولقد لقيت دعوته نجاحا كبيرا خشى منه الملوك الساسانيون فقتلوا مانى واضطهدوا أتباعه وشردوهم[٥] ، غير أن أغلب اتباع المانوية لجاوا الى الأقاليم الشرقية واستقروا فى خراسان وبلاد ماوراء النهر[٦] .

ثم أن كلمة الزندقة شملت أيضا أتباع مزدك وكان ثنويا اباح النساء والأموال وجعلهما شركة للناس[٧] .

ولما أتم المسلمون القضاء على الدولة الساسانية

---

(١) انظر المسعودى : مروج ٢٥١/١ ، كما انظر ابن منظور : لسان العرب .
(٢) المسعودى : مروج ٢٥١/١ ، مجاهد بهجت : التيار الاسلامي ص ١٠٧ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٢٢٠/٨ ، الشهرستانى : الملل ٨١/٢ .
(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٤٦٥ .
(٥) المسعودى : مروج ٢٥١/١ .
(٦) ابن النديم : الفهرست ص ٤٧٢ ، كما انظر نخبة من الكتاب العراقيين : كتاب العراق في التاريخ ص ٣٩٣ .
(٧) البغدادي : الفرق ص ١٦١ .

وسيطروا على بلادها عاملوا المجوس معاملة اهل الذمة (١) ، وبذلك زالت عنهم القيود التى كان الساسانيون قد فرضوها عليهم ، فساعد ذلك على انتعاش حركتهم حيث تمكن أتباع المانويه من مد سلطانهم الى العراق وجعلوا بابل (٢) مركزا لهم فكان لهم فيها تنظيم دينى وسياسى ونشاط فكرى متماسك ، بل أخذوا يرسلون لهم دعاة مبشرين لمذهبهم (٣) .

ولعل اخطر مافى المانوية انهم أخذوا يتسترون بالتظاهر بالاسلام ليسهل عليهم الكيد له فيقول الشريف المرتضى : "فقد نشا ... جماعة ممن يتستر باظهار الاسلام ويحقن باظهار شعاره والدخول فى جملة أهله دمه وماله زنادقة ملحدون وكفار مشركون ... وبلية هؤلاء على الاسلام وأهله أعظم واغلظ لانهم يدغلون فى الدين ، ويموهون على المستضعفين بجاش رابط ، ورأى جامع ، فعل من قد أمن من الوحشة ، ووثق بالانسة بما هو منه على الحقيقة عار" (٤) . ويذكر ابن النديم بان هؤلاء الزنادقة كانوا "يخالطون السلاطين ويواكلونهم" (٥) فى الوقت الذى كانوا فيه يبذلون مالهم ودنياهم من أجل عقيدتهم (٦) وبذلك فهم يمثلون جانبا من محاولات الفرس لهدم السلطان العربى والاسلامى عن طريق الفكر والعقيدة .

---

(١) أبو يوسف : الخراج ص ٢٦٦ .
(٢) بابل : اسم ناحية منها الكوفة والحلة .
ياقوت : معجم ٣٠٩/١ .
(٣) يذكر ابن النديم أسماء رؤساء المانويه الذين تعاقبوا على الرئاسة فى بابل فى نهاية العصر الأموى والعصر العباسى الأول .
انظر : ابن النديم : الفهرست ص ٤٦٧، ٤٦٨ .
(٤) الشريف المرتضى : الامالى ١٢٧/١ .
(٥) ابن النديم : الفهرست ص ٤٦٨ .
(٦) الثعالبى : ثمار القلوب ١٧٧/٢ .

ولقد ظهرت بوادر حركة الزندقة بوضوح في نهاية العصر الاموي ، على أن كلمة الزندقة قد اتسع وقتئذ مدلولها من اتباع ديانات المجوس الى سائر أتباع الديانات الفارسية التي تظاهر أهلها بالاسلام الى كل كفر والحاد ، وشك وفلسفة[1] ومجاهرة بالمجون والاثم مما قد يصل أحيانا الى الاستخفاف بالدين .[2]

---

(١) ابن دحيه : النبراس ص ٣١ .

(٢) ومصداق ذلك على سبيل المثال :

١ ـ غيلان بن مسلم : كان من بلغاء الكتاب اتهم بالقدرية والزندقة في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك فأفتى الأوزاعي بقتله فقتل وصلب .
ابن حجر : لسان الميزان ٤/٤٥٤ .

٢ ـ الجعد بن درهم : كان مبتدع ضال زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى .. ووجد أخبار كثيرة في الزندقة . وعندما وصل خبره الى الخليفة هشام بن عبد الملك أمر خالد القسري واليه على العراق بحبسه ثم قتله .
ابن حجر : لسان الميزان ٢/١٠٥ .

٣ ـ الخليفة الوليد بن يزيد : كان فاسقا خليعا متهما في دينه مرميا بالزندقة وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل .
الاصبهاني : الاغاني ٦/٩٩ ، ابن العبرى : تاريخ ص ١١٧.

٤ ـ عبد الصمد بن عبد الله على الشيباني : مؤدب الوليد بن يزيد ، وكان يتهم بالزندقة ... ويقال انه هو الذي أفسده .
ابن حجر : لسان الميزان ٤/٢١ .

٥ ـ خالد بن عبد الله القسري : يذكر ابن النديم انه كان زنديقا ، حمل مهرا ـ رئيس المانوية في عهد الوليد بن عبد الملك ـ على بغلة وختمه بخاتم فضة وخلع عليه ثياب وشي .
ابن النديم : الفهرست ص ٤٦٨ .

٦ ـ مروان بن محمد : يذكر الثعالبي بانه تأثر بمؤدبه الجعد بن درهم فتزندق على يده .
الثعالبي : لطائف المعارف ص ٤٣ .

الزندقة فى العصر العباسى :

ورث العباسيون بعد نجاحهم فى القضاء على الدولة الاموية تركة مثقلة منها تيار الزندقة الذى تكشف عن نشاط واسع وعنيف . وقد يعود ذلك الى موقف العباسيين من الموالى اذ انهم أقاموا دولتهم على أساس التوازن والتعاون بين الفرس والعرب فكان الوزير من الموالى وكثير من الكتاب من الموالى كما أن بعض فرق الجيش وبعض قادته من الفرس ، ويظهر أن كل من احتفظ بدينه سرا من بين هؤلاء قد استغل مركزه لنشر الزندقة .

ولقد سلكت الزنادقة سبلا عديدة من بين ظاهر ومستور من اجل تنفيذ خططهم ، فلقد حاول بعضهم الكيد للاسلام عن طريق "الوضع" فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان منهم عبد الكريم بن أبى العوجاء (١) والذى يقول فيه البغدادى : "انه كان يرى فى السر دين المانوية من الثنوية ... وكان وضع أحاديث كثيرة بأسانيد يغتر بها من لامعرفة له بالجرح والتعديل وتلك الاحاديث التى وضعها كلها ضلالات فى التشبيه والتعطيل وفى بعضها تغيير أحكام الشريعة" (٢) . ولقد اقر قبل مقتله بانه وضع اربعة آلاف حديث يحل بها الحرام ويحرم بها الحلال (٣) . وتذكر المصادر التاريخية أن الخليفة المهدى قال :

---

(١) عبد الكريم بن أبى العوجاء : خال معن بن زائدة ، زنديق مفتر قتله محمد بن سليمان العباسى سنة ١٦٠هـ . انظر : الاصبهانى : الاغانى ٢٥/٣ .
(٢) البغدادى : الفرق ص ١٦٣ .
(٣) البغدادى : الفرق ص ١٦٤ ، الشريف المرتضى : امالى ١٢٨/١ ، ابن حجر : لسان الميزان ٥١/٤ .

"اقر عندى رجل من الزنادقة انه وضع أربعمائة حديث فهى تجول فى أيدى الناس" [(١)] .

ويبدو أن عبد الكريم بن أبى العوجاء لم يكتف بوضع الاحاديث المكذوبة بل انه كان "يفسد الأحداث فقال له عمرو ابن عبيد [(٢)] قد بلغنى انك تخلو بالحدث من أحداثنا فتفسده وتدخله فى دينك" [(٣)] .

ويظهر أن الزنادقة قد وجدوا أن من أكثر الأساليب نجاحا للوقوف فى وجه الاسلام هو أسلوب التظرف والمجون والاستخفاف بالدين والقيم الاسلامية . وحاولوا اظهار ذلك بمظاهر خلابة ، ساعدهم على هذا اضطراب النفوس لكثرة [(٤)] المقالات والنحل الدينية وشيوع المذاهب الفلسفية من جانب من جانب وتكاثر الاموال فى العراق وميل طبقات واسعة من المجتمع الى حياة اللهو والشراب والمتعة بالحياة من جانب آخر [(٥)] .

فانتشرت موجة حادة من المجون وفساد الأخلاق حتى أصبح اظهار الزندقة نوعا من التظرف الاجتماعى المحبب ، فتمكن الزنادقة بذلك من تحقيق هدفهم حتى أن الثعالبى يذكر انه "ربما سمع أحدهم ممن لامعرفة عنده ولاتحصيل له أن الزنادقة

---

(١) السيوطى : تحذير الخواص ص ٢١٤ .
(٢) عمرو بن عبيد بن باب مولى بنى تميم كان جده باب من سبى كابل ، كان عمرو شيخ المعتزلة فى وقته وفقيهها وله خطب ورسائل كثيرة . توفى فى سنة ١٤٤هـ ، وقيل سنة ١٤٥هـ .
انظر المسعودى : مروج ٣١٤/٣ .
(٣) الاصبهانى : الأغانى ٢٥/٣ .
(٤) شوقى ضيف : العصر العباسى الأول ص ٣٨٢ ، نخبة من الكتاب العراقيين : تاريخ العراق ص ٣٩٣ .
(٥) شاكر مصطفى : دولة بنى العباس ٢٠٤/١ .

ظرفاء وأنهم عقلاء وأدباء وانهم عباد وأصحاب اجتهاد ... فيسرى اليهم مسرى المهر الارن ، ويحن اليهم حنين الواله العجول" (١) .

ومن هنا يتضح الربط بين الزنادقة وبين الظرف فالزنديق فى الظاهر نظيف البزة جميل الشكل ظاهر المروءة ، ولكن فى الحقيقة كان يدعى ذلك "المساعدة على كل شىء" (٢) يريد تحقيقه او الوصول اليه .

وبجانب ذلك فقد حقق الزنادقة نجاحا فى اجتذاب بعض الهاشميين والعرب الى صفوفهم ، فاتهم بالزندقة كل من يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عبد المطلب ، وابناه الفضل وعبد الرحمن (٣) ، كما اتهم أيضا أبناء لداود بن على بن عبد الله بن العباس (٤) (٥) .

ومن العرب أمثال عبد الكريم بن أبى العوجاء ، وزائدة ابن معن بن زائدة ، وداود بن روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب (٦) ، وآدم بن عبد العزيز حفيد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٧) .

---

(١) الثعالبى : ثمار القلوب ١٧٧/٢ .
(٢) الشريف المرتضى : امالى ١٤٣/١ ، الدورى : الجذور التاريخية للشعوبيين ص ٨٧ .
(٣) ابن حزم : جمهرة ص ٧١ .
(٤) داود بن على بن عبد الله بن العباس ، يكنى أبا سليمان وكان من خطباء بنى هاشم ولى مكة والمدينة لأبى العباس ومات سنة ١٣٣هـ .
انظر : الجاحظ : البيان والتبيين ٣٣١/١ .
(٥) الطبرى : تاريخ ١٩٠/٨ ، ابن الأثير : الكامل ٨٩/٦ ، ابن خلدون : العبر ٢١٤/٣ .
(٦) ابن حزم : جمهرة ص ٢٣٦ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ١٩١أ .
(٧) آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، أحد من منه عليه أبو العباس السفاح من بنى أميه ، كان آدم فى أول امره خليعا ماجنا ثم نسك بعدما عمر ، ومات على طريقة محمودة .
انظر : الاصبهانى : الاغانى ٥٨/١٤ ، كما انظر : السخاوى : التحفة اللطيفة ٨٣/١ .

وقد عمد الزنادقة الى استخدام الشعر الذى يعتبر خير وسيلة لاذاعة الافكار فى ذلك الوقت لجذب الناس والتاثير عليهم ، فامعنوا فى وصف المجون ونشر الفساد الخلقى والتهتك بالدين .

ولعل الحمادون الثلاثة ، كانوا أشهر من عرف بالزندقة وهم : حماد عجرد[(١)] ، وحماد الراوية ، وحماد ابن الزبرقان . وقد عرف عنهم بانهم كانوا يتنادمون على الشراب ويتناشدون الاشعار ويتعاشرون أجمل عشرة كانهم نفس واحدة ، وكل منهم متهم بالزندقة[(٢)] . واشهرهم بها حماد بن عجرد الذى شهد على زندقته مساور الوراق فيقول فيه :

لو أن مانى وديمانا وعصبتهم
جاءوا اليك لما قلناك زنديق
انت العبادة والتوحيد مذ خلقا
وذا التزندق نيرنج مخاريق[(٣)]

ويبدو أن حماد عجرد كان امام من أئمة الزنادقة اذ أن له "شعرا مزاوج بيتين بيتين يقرؤن به فى ملاتهم"[(٤)] . ويذكر بشار عنه ايضا انه رأى رجلا يقرأ القرآن والناس مجتمعون حوله فقال حماد : "علام تجتمعون ؟ فوالله ماأقول أحسن مما

---

(١) حماد عجرد بن عمر بن كليب مولى لبنى سواءة بن عامر ابن صعصعة وهو من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية . انظر : الاصبهانى : الأغانى ٧٠/١٣ ، ابن واصل : تجريد الأغانى ، القسم الثانى ١٥٩٦/١ ، الاربلى : خلاصة ص ١٠٣ . قتله محمد بن سليمان فى سنة ١٦٨هـ . ابن حجر : لسان ٣٤٩/٢ .
(٢) ابن المعتز : طبقات الشعراء ص ٦٩ ، ابن واصل : تجريد الأغانى القسم الثانى ١٥٩٦/١ .
(٣) الشريف المرتضى : أمالى ١٤٣/١ .
(٤) الاصبهانى : الأغانى ٧١/١٣ .

يقـــول" [١] .

وعن انغماسه في الفساد يقول فيه بشار أيضا :

نعم الفتى لو كان يعبد ربه

ويقيم وقت صلاتـه حمـــاد

ابيض من شرب المدامة وجهـه

وبياضه يوم الحساب سواد [٢]

أمـا حمـاد الراوية [٣] : "فكان منسلخا من الدين ، زاريا علـى أهله ، مدمنا لشرب الخمور وارتكاب الفجور" [٤] ، وقد لعب دورا كبـيرا فـي افساد الشعر "لانه كان رجلا يقدر على صنعته فيدس فـي شعر كـل رجـل منهم مايشاكل طريقته فاختلط لذلك بالسقيم ... وان لـم يكـن دالا عـلـى الحاد فهو فسق وتهاون بالكذب في الرواية" [٥] .

أما بشار بن برد [٦] ، فقد سخر شعره ليكون أداة من أدوات نشـر المجـون والاباحيـة [٧] . وقـد عـرف فيه انه يدين بالرجعة

---

(١) الشريف المرتضى : اماليي ١٣٤/١ .
(٢) ابن خلكان : وفيات ٢١١/٢ .
(٣) حمـاد بـن ميسـر : مـولى بنـي شيبان وكان أعلم الناس بايام العـرب واخبارها وأشعارها . انظر ترجمته في : ابـن واصـل : تجريد الاغاني القسم الثانى ٧٣٦/١ ، ابن عمر البغدادى : خزانة الادب ١٢٩/٤ . توفي حماد في سنة ١٥٥هـ . انظر ابن خلكان : وفيات ٢٠٩/٢ .
(٤) الشريف المرتضى : اماليي ١٣١/١ .
(٥) ن . م . ص ١٣٢/١ .
(٦) بشـار بـن بـرد بـن يرجـوخ : فارسـي الاب رومي الام من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية ، يجمع الرواة على أنه زعيم الشعراء المحدثين .
انظـر ترجمتـه : الاصبهـانـي : الاغاني ٢٠/٣ ، الصفدى : نكت الهميان ص ١٢٥ .
(٧) انظـر أشـعاره فـي هـذا الموضوع : الاصبهاني : الاغاني ٤٠/٣، ٤٢ ، القيرواني : زهر الآداب ٤٦٨/١ .

ويكفر جميع الأمة[1] . الا أن في شعره مايدل على زندقته مثل قوله يشيد بعبادة النار وأنها أفضل من الأرض والعين :

الأرض مظلمة والنار مشرقة
والنار معبودة مذ كانت النار[2]

ثم يتمادى فيعلن عن زندقته وكفره بالله بقوله :

ابن نهبى رأسي على ثقيل
واحتمال الرؤوس خطب جليل
ادع غيرى الى عبادة الاثنين
فاني بواحد مشغول[3]

وقد كان صالح بن عبد القدوس[4] زنديقا يتظاهر بالاسلام أحيانا حين يخاف العقاب من بعض الولاة "رؤى يصلى صلاة كاملة الركوع والسجود فقيل له : ماهذا ومذهبك معروف ! فقال : "سنة البلد ، وعادة الجسد ، وسلامة الأهل والولد"[5] . ويعلن عقيدته ويجاهر بها حينا آخر فيحاضر ويجادل فيها في مسجد البصرة ، ويروى أن أبا هذيل العلاف قد ناظره فيما تدعيه المانوية من امتزاج النور والظلمة فرد عليه صالح "أستخير الله واقول بالاثنين"[6] . وكان يضع كما يذكر ابن النديم كتبا في نصرة عقيدته[7] .

---

(١) القيرواني : زهر الآداب ٤٧٣/٢ ، الاسفرايني : التبصير ص ٣٥ .
(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ١٦/١ ، الشريف المرتضي : امالي ١٣٨/١ ، الصفدي : نكت الهميان ص ١٢٧ ، اليافعي مرآة الجنان ٣٥٣/١ .
(٣) الأصبهاني : الأغاني ٧٣/١٣ .
(٤) صالح بن عبد القدوس : بصري من موالي الأزد قتله المهدي على زندقته . ابن المعتز : طبقات الشعراء ص ٩٠ ، الأصبهاني : الأغاني ١٧/١٤ .
(٥) الشريف المرتضي : امالي ١٤٤/١ .
(٦) ابن المعتز : طبقات الشعراء ص ٤٧ ، الشريف المرتضي امالي ١٤٤/١ .
(٧) ابن النديم : الفهرست ص ٤٧٣ .

ومثل هذا وذاك كثيرون مثل : مطيع بن اياس ، وابراهيم ابن سيابه ، ووالبه بن الحباب ، ويونس بن فروه (١) .

ولقد بذل الكتاب والادباء من الزنادقة كل سبيل لاحياء الديانة الفارسية القديمة ، وقد اتخذ نشاطهم سبل مختلفة منها الترجمة (٢) . ويبدو أن ابن المقفع قد استغل أسلوبه الادبي الرفيع وبلاغته الممتازة في نقل كتب العقائد المجوسية ومذاهب الملحدين الى العربية كان منها كتابا في تعاليم مزدك وكتاب خداى نامه وهو في سير الملوك الايرانيين كذلك نقل كتاب التاج في سيرة أنو شروان وغيرها (٣) . كما انه زاد في كتاب كليلة ودمنة فصلا كاملا "قاصدا تشكيك ضعيفي العقائد في الدين وكسرهم للدعوة الى مذهب المانوية واذا كان متهما فيما زاد لم يخل عن مثله فيما نقل" (٤) .

وعن استغلال الزنادقة الدعوة الى مذهبهم عن طريق تاليف الكتب يقول البيروني أيضا : "ثم جاءت طائفة أخرى من جهة الزنادقة أصحاب مانى كابن المقفع وكعبد الكريم بن أبى العوجاء وأمثالهم فشككوا ضعاف الغرائز في الواحد الاول من جهة التعديل والتجوير وأمالوهم الى التثنية وزينوا

---

(١) الجاحظ : الحيوان ١٤٣/٤ .
(٢) عبد الله بن المقفع : فارسي الأصل من قرية فارسية تسمى جوز كتب أولاه لداود بن عمر بن هبيرة ثم لعيسى ابن على وكان في نهاية الفصاحة والبلاغة كاتبا وشاعرا فصيحا .
انظر : ابن النديم : الفهرست ص ١٧٢ ، الجهشيارى : الوزراء ص ١٠٣ ، ابن خلكان : وفيات ١٥١/٢ .
(٣) ابن النديم : الفهرست ص ١٧٢ ، شوقى ضيف : العصر العباسي الأول ٥١١/١ .
(٤) البيروني : تحقيق ماللهند من مقوله ص ٢٣ .

عندهم سيرة مانى حتى اعتصموا بحبله" (١). ويضيف اليعقوبى ايضا عن مدى نجاح اسلوب الزنادقة هذا : "ومما كان ابن المقفع ترجمه من كتاب مانى وكتب ابن ديصان الثنوية وغيرهما وماصنفه ابن أبى العوجاء وحماد عجرد ويحيى بن زياد ومطيع بن اياس وملأوا به الأرض من كتب الملحدين وكثرت الزنادقة وفشت كتبهم فى الناس" (٢).

ويبدو أن المانوية كانوا يتأنقون فى كتبهم فكانت اجود ماتكون ورقا يكتب عليه بالحبر الأسود البراق ليكون ذلك من أسباب جاذبيتها (٣)، رغم أنها "لاتفيد علما ولاحكمة وليس فيها مثلا سائر ولاخبر ظريف ولاصفة أدب ولاحكمة غريبة ولافلسفة ولامسألة كلامية" (٤).

وقد وجد تيار الزندقة تأييدا من بعض ملحدى النصارى فيقول الجاحظ : "لولا متكلمو النصارى وأطباؤهم ومنجموهم ماصار الى أغبيائنا وظرفائنا ومجاننا واحداثنا شيء من كتب المنانية والديصانية (٥) والمرقيون (٦) ... ولكانت تلك الكتب مستورة عند أهلها ومخبأة في أيدي ورثتها فكل سخنة عين رأيناها في أحداثنا وأغبيائنا فمن قبلهم كان أولها" (٧).

---

(١) البيرونى : تحقيق ماللهند من مقولة ص ١٢٣ .
(٢) اليعقوبى : مشاكلة الناس ص ٢٤ .
(٣) الجاحظ : الحيوان ١/٢٩ .
(٤) الجاحظ : ثلاث رسائل ص ٤٢ .
(٥) الديصانية : نسبة الى ديصان من أهل الرها وكان ظهوره قبل مانى ، والمذهبان قريبان بعضهما من بعض ، ولكن اختلافا فى اختلاط النور بالظلمة .
ابن النديم : الفهرست ص ٤٧٤ .
(٦) المرقيون : هم طائفة من ملحدى قنسرين وكانت تعاليمهم قريبة من المانية والديصانية .
ابن النديم : الفهرست ص ٤٧٤ ، البغدادى : الفرق ص ٢١٥ .
(٧) الجاحظ : ثلاث رسائل ص ٢٠ .

ولقد استخدم الزنادقة الكتابة الادبية لغرض آخر وهو اشاعة المثالب ، لغرض الاستهانة بالعرب وتجريدهم من كل فضل مستهدفين من ذلك مسخ الاسلام وحضارته ، فاندفعوا فى الكتابة فى مثالب العرب وفى الحط منها يتلمسون كل مايعيبهم ، فوضع حماد عجرد "كتابا لملك الروم فى مثالب العرب وعيوب الاسلام بزعمه" (١) . كما أن ابا عبيدة (٢) اللغوى مع اهتمامه على تسجيل مثالب العرب "وعمل كتاب المثالب الذى كان يطعن فيه على بعض أسباب النبى صلى الله عليه وسلم" (٣) .

ومن هنا يتضح بان الزندقة ليست حركة فئة معينة أو طبقة اجتماعية واحدة بل انها تمثل اجتماع جهد بذلته فئات مختلفة من شعوب متعددة لاضعاف الاسلام تمهيدا للقضاء عليه .

الجهاد ضد الزنادقة وافكارهم فى عصر المهدى :

من الراجح بان الاهتمام بمكافحة الزندقة بطريقة منظمة لم يظهر الا فى عهد الخليفة المهدى . اذ أن من المرجح أن يكون الخليفة ابا جعفر المنصور قد استخدم زنادقة المانوية فى دولته كتابا وعمالا للخراج وأطباء . فيذكر الطبرى ان الخصيب طبيب المنصور الخاص كان "يظهر النصرانية وهو زنديق معطل لايبالى من قتل" (٤) ، وان يزيد بن الفيض كاتبه كان زنديقا اقر بذلك على يد عمر الكلواذى حينما قبض عليه فى

---

(١) الجاحظ : الحيوان ١٤٣/٤ .
(٢) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى أصله من يهود فارس ولد فى سنة ١١٠هـ وتوفى سنة ٢١٠هـ .
ابن النديم : الفهرست ص ٧٩ .
(٣) ن . م . ص ص ٧٩ .
(٤) الطبرى : تاريخ ٨٦/٨ .

عهـد المهـدى سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م قبل أن يهرب من السجن[(١)] . وكان حمـاد عجـرد مـن كتـاب الرسـائل فـى عهـد المنصور[(٢)] . بل ان المنصـور قـد اسـتخدم الزنـدقـة احيانـا لتحقيق بعض أهدافه السياسـية ، ذلك أنه استخدم سمعتهم السيئة كاداة للنيل من ابـن أخيـه محمد بن ابى العباس السفاح[(٣)] ، حتى يسقط فى أعين الرعية ويرتفع عندها ابنه المهدى[(٤)] . فيقول الطبرى : ان أبا جـعفر وجه مع محمد بن ابى العباس بالزنـادقة والمجان "فكان فيهم حماد عجرد ، فاقاموا معه بالبصرة يظهر منهم المجون ، وانمـا أراد بذلك أن يبغضه الى النـاس"[(٥)] .

غـير أن المـرة الوحـيدة التـى تصدى فيهـا المنصـور للزنـدقة كانت فى قضية ابن المقفع الذى شهد علـى زندقته كما سـبق أن أشـرنـا كثير من معاصريه ومن جاء من بعده ، كمـا أن المهـدى يقول : ماوجدت كتاب زندقة قط الا وأصله ابن المقفع[(٦)] فيقال ان المنصور عندما تاكد عنده أمر زندقته أوعز لواليه علـى البصرة : سفيان بن معاوية ان يقتله[(٧)] . فقال هذا الأخير

(١) الطبرى : تاريخ ١٦٥/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٦ ، ابن الأثير : الكامل ٧٥/٦ .
(٢) الجهشيارى : الوزراء ص ١٠٩ .
(٣) محمد بن أبى العباس السفاح : كان المنصور يبغضه فولاه البصرة بعد مقتل ابراهيم بن عبد الله بن حسن ، وأرسل معـه بعض المجان لاغوائه ، ثم قتله على يد الخصيب طبيبه الخاص فى سنة ١٥٨هـ .
انظـر : الطـبرى : تـاريخ ٨٦/٨ ، الاصبهـانى : الاغانى ٩٤/١٣
(٤) الاصبهانى : الاغانى ١٣/١٣ .
(٥) الطبرى : تاريخ ٨٦/٨ .
(٦) الشريف المرتضى : امالى ١٣٤/١ ، ابن خلكان : وفيات ١٥١/٢ .
(٧) سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ولاه المنصور على البصـرة فـى سـنة ١٣٩هـ . انظر الطبرى : تاريخ ٥٠٠/٧ وكـان هنـاك عـداوة قديمة بينه وبين ابن المقفع تعود الى أواخر العصر الأموى . ابن خلكان : وفيات ١٥٢/٢ .

عندما قتله ومثل به : "ليس على في المثلة بك حرج لانك زنديق وقد أفسدت الناس" (١) .

ومن الراجح أن السبب الحقيقي لقتله هو سبب سياسي ، فالمعروف أن ابن المقفع قد اشتغل في دواوين العراق في أواخر العصر الأموي (٢) ، ولما قامت الدولة العباسية كتب لسليمان بن على عم المنصور وواليه على البصرة ولأخيه عيسى ابن على والى الأهواز ، وعلى يديه أعلن اسلامه في حفل عظيم وظل يعمل في دواوينه بعد اسلامه (٣) .

واتفق أن أعلن عبد الله بن على الثورة على المنصور في الشام ، غير أن جيوش المنصور تمكنت من هزيمته ففر الى أخويه سليمان وعيسى (٤) ، اللذين أبيا أن يسلماه الى المنصور الا اذا كتب له أمانا ، فقبل ماعرضاه (٥) ، وعندئذ أمر ابن المقفع أن يكتبه . ويبدو أن ابن المقفع قد أفرط في التحوط لهذا الأمان لدرجة أغضبت المنصور وأوغرت عليه صدره ، اذ طلب اليه أن يكتب في أسفل الأمان : "وان أنا نلت عبد الله ابن على أو أحد ممن أقدمه معه بصغير من المكروه أو كبير ، فأنا نفي من محمد بن على بن عبد الله ، ومولود لغير رشده وقد حل لجميع أمة محمد خلعي وحربي والبراءة مني ، ولابيعة لي في رقاب المسلمين ولاعهد ولاذمة ، وقد وجب عليهم الخروج من طاعتي ، واعانة من ناوأني من جميع الخلق ..." (٦) . ولذلك

---

(١) ابن خلكان : وفيات ١٥٣/٢ .
(٢) انظر : الجهشياري : الوزراء ص ١٠٩ ، ابن النديم : الفهرست ص ١٧٢ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣٠٨
(٣) ابن خلكان : وفيات ص١٥١/٢، ١٥٢ .
(٤) الطبري : تاريخ ٥٠١/٧ .
(٥) ابن خلكان : وفيات ١٥٢/٢ .
(٦) الجهشياري : الوزراء ص ١٠٤ .

أمر المنصور سفيان أن يقتله وتصادف أن هذا الأخير كان يطعن عليه ، فانتهز هذا الفرصة فقتله ممثلا به (١) .

ولعل المنصور قد أدرك في نهاية حياته خطر الزندقة على أمن الدولة فأوصى ابنه المهدى من بين ماأوصاه في وصيته الأخيرة بتتبع الزنادقة فقال : "فالسلطان يابني حبل الله المتين وعروته الوثقى ، ودين الله القيم فاحفظه وحطه وحضه وذب عنه وأوقع بالملحدين فيه ، وأقمع المارقين منه واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم والمثلات بهم" (٢) .

ويبدو أن المهدى لم يكن في حاجة الى وصية المنصور لكي يباشر جهاده ضد الزندقة ، ذلك انه كما شهد له ابن الطقطقى كان "شديدا على أهل الالحاد والزندقة" (٣) . ولعل هناك أسبابا دعته الى ذلك منها احساسه على مايبدو بأن الدولة هي المسئولة عن انتشار تيار الزندقة لانشغال كل من أبي العباس السفاح والمنصور بامور السياسة وتثبيت دعائم الحكم عن العمل على القضاء على الزنادقة . فكانت الفرصة سانحة أمامهم فملأوا الأرض بكتب الملحدين وفشت كتبهم بين الناس" (٤) .

هذا الى جانب ضيق الفقهاء وأهل الصلاح من انتشار موجة الفساد في المجتمع وارتفاع أصواتهم بانكاره ، مثل سوار بن

---

(١) الجهشياري : الوزراء ص ١٠٦ ، ابن خلكان : وفيات ١٥٢/٢ ، وقد اختلف في السنة التي قتل فيها فقيل سنة ١٤٢هـ ، وقيل سنة ١٤٣هـ ، وقيل سنة ١٤٥هـ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٠٥/٨ ، وانظر أيضا ابن الاثير : الكامل ٢٠/٦ ، النويرى : نهاية الارب ١٠٤/٢٢ .

(٣) ابن الطقطقى : الفخري ص ١٨٣ .

(٤) اليعقوبى : مشاكلة الناس ص ٢٤ .

عبد الله[1] ، ومالك ب دينار[2] ، وواصل بن عطاء[3] ، وعمر بن عبيد[4] لذلك فقد اعتبر المهدى أمر القضاء على الزندقة واجبا دينيا يتقرب به الى الله الذى لاشريك له[5] .

ومن الراجح أن يكون الخليفة المهدى قد بدأ بجهاده ضد الزنادقة منذ توليه الخلافة ، غير أن المصادر لم تشر الى نشاطه هذا الا فى سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م عندما نزل بحلب فسير محتسبها عبد الجبار فاحضر له من بتلك الناحية من الزنادقة "فقتل جماعة منهم وصلبهم ، وأتى بكتب من كتبهم فقطعت بالسكاكين ثم عرض بها جنده"[6] . ومعنى هذا أن المهدى قد أضاف الى واجبات المحتسب فى أنحاء الدولة مهمة ملاحقة الزنادقة والقضاء عليهم .

وفى سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م أمر الخليفة المهدى كما يذكر الأزدى بقتل جماعة من الزنادقة[7] .

غير أن الأمر قد تغير فى سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م اذ بدأ المهدى يتخذ وسائل أكثر تنظيما وجدية فى معركته ضد الزنادقة ، فتشدد فى طلبهم والبحث عنهم فى الآفاق

---

(١) سوار بن عبد الله بن قدامة العنبرى القاضى كان من نبلاء القضاة ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، ولاه المنصور القضاء سنة ١٣٨هـ ، وظل على القضاء حتى توفى سنة ١٥٦هـ .
انظر : ابن حجر : لسان الميزان ١٢٧/٣ .

(٢) مالك بن دينار البصرى : كان عالما زاهدا كثير الورع لمزيد من المعلومات انظر : الاصبهانى : حلية الأولياء ٣٥٧/٢ ، ابن خلكان : وفيات ١٣٩/٤ .

(٣) الاصبهانى : الأغانى ٤٠/٣ .

(٤) ن . م . ص ٢٥/٣ .

(٥) الطبرى : تاريخ ٢٢٠/٨ .

(٦) الطبرى : تاريخ ١٤٨/٨ ، وانظر أيضا ابن العديم : زبدة الحلب ٦١/١ ، أبو الفداء : المختصر ٩/٢ ، النويرى : نهاية الارب ١١٤/٢٢ ، الذهبى : دول ١١٠/١ .

(٧) الأزدى : تاريخ الموصل ص ٢٤٧ .

وقتلهم[١] ، فعمل على تاسيس ديوان خاص بهم عرف القائم عليه باسم "صاحب الزندقة"[٢] أو "عريف الزندقة"[٣] ، جعل مهمته البحث عنهم والقبض عليهم ومحاكمتهم ، وولى عليه فى أول الأمر عمر الكلواذى[٤] ، فلما مات فى السنة التالية خلفه فيه حمدون بن محمد بن عيسى الميسانى . وكان هذا الديوان يخضع لاشراف الخليفة المباشر . ومن الاجراءات التى يتبعها الخليفة أو صاحب الزندقة تجاه المتهم أن يطلب منه أن يرجع عن عقيدته ويعلن توبته ، فاذا رفض ذلك أعدم ، أما اذا تاب وعاد الى حظيرة الاسلام اخلى سبيله[٥] . ومما يذكر أن الخليفة المهدى كان قد أمر بان يخصص للزنادقة حبس خاص بهم وبالا يحبسون مع غيرهم من السجناء العاديين منعا لتسرب أفكارهم الالحادية[٦] . كما انه أنشا ولأول مرة هيئة علمية لمناظرتهم[٧] ، كما "وأمر بتصنيف كتب الجدل فى الرد على الزنادقة والملحدين"[٨] .

على أن أمن الدولة وسلامة الدين لم يكونا على مايبدو السببين الوحيدين لتتبع من اتهموا بالزندقة فهناك عوامل عديدة كان لها أثرها فى تعميق هذا الاتجاه .

وممن حوكم بالزندقة فى عهد المهدى :

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٦٥/٨ ، الاربلى : خلاصة ص ١٠١ ، مؤلف مجهول : العيون ص ٢٧٣ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٦٧/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٨٠/٦ .
(٣) ابن تغرى بردى : النجوم ٥٦/٢ .
(٤) الطبرى : تاريخ ١٦٥/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٦ ، ابن كثير : البداية ١١٩/١٠ .
(٥) الأصبهانى : الأغانى ٢٤٤/٣ .
(٦) ن . م . ص ٧١/١٣ .
(٧) الشريف المرتضى : امالى ١٤٤/١ ، ابن المرتضى : طبقات المعتزلة ص ٤٦ .
(٨) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٥٣ ، القرمانى : أخبار الدول ص ١٤٨ .

محمد بن أبي عبيد الله معاوية بن يسار (١) ، وهو ابن وزير الخليفة المهدي ، وتذكر المصادر بان الربيع بن يونس قد نقم على أبي عبيد الله لعدم تقدير الأخير له ، واتهمه بانه ترفع عليه بعد أخذ البيعة للمهدي مما أثار حفيظة الربيع وحلف بان يخلع جاهه وينفق ماله في سبيل التخلص من أبي عبيد الله وازالة نعمته (٢) ، فلما لم يجد مطعنا عليه فهو من أحسن الناس عقلا وكفاءة وأعفهم لسانا ويدا ، سعى بابنه عند المهدي "فتارة يرميه ببعض حرم المهدي وتارة يرميه بالزندقة" (٣) ، حتى أوغر صدر المهدي الذي ماكان منه الا أن عزل أبو عبيد الله عن الوزارة في سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م واقتصر به على ديوان الرسائل (٤) ، وهرب ابنه محمد فمازال مطاردا اذ عين له المهدي رجلا ليقوم بالبحث عنه يدعى ابن شبابة حتى سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م حيث قبض عليه في مكة وأدخل على المهدي فسأله : "أزنديق أنت ؟ قال نعم . وممن يعتقد الزندقة قوم يرون أن جحد مايدينون به محظور ، وان التقية غير جائزة" (٥) فطلب منه أن يقرأ شيئا من القرآن ، فقرأ "تباركت وعالموك بعظم الخلق" (٦) . فقال المهدي : "يامعاوية الم تعلمني أن ابنك جامع للقرآن ؟ قال : اخبرتك يا أمير المؤمنين ، ولكن فارقني منذ سنين ، وفي هذه المدة التي نأى فيها عني نسي القرآن ، قال : قم فتقرب الى الله في دمه ، فذهب ليقوم

---

(١) ذكره الجهشياري باسم عبد الله : الوزراء ص ١٥٣ ، وذكره اليعقوبي باسم صالح : تاريخ ٤٠٠/٢ .
(٢) الطبري : تاريخ ١٣٨/٨ ، الجهشياري : الوزراء ص ١٥٣ ، الطقطقي : الفخري ص ١٨٢ .
(٣) الطقطقي : الفخري ص ١٨٣ .
(٤) الجهشياري : الوزراء ص ١٥٦ .
(٥) الطبري : تاريخ ١٦٣/٨ .
(٦) الجهشياري : الوزراء ص ١٥٣ .

فوقع" (١) . فأعفاه المهدى من ذلك وطلب من حارسه أن يقوم بقتله . ويذكر الجهشيارى بان محمد بن عبيد الله قد طلب التوبة فتغافل عنه المهدى لظنه انما يقول ذلك خوفا من القتل ، فقتله (٢) . ولاشك فى أن هذا النص يكشف عن مدى تأثر بعض ابناء كبار رجال الدولة بالزندقة ، حتى اذا قبلنا بان دوافع الربيع الشخصية كانت وراء مؤامرة عزل أبى عبيد الله عن الوزارة (٣) .

ولقد سبق أن اشرنا الى أن بشار بن برد قد جاهر بزندقته وافرط فى شعر الخلاعة والغزل المكشوف مما جعل الفقهاء ورجال الدين فى البصرة يضيقون به ، فقال سوار بن عبد الله ومالك بن دينار : "ماشيء أدعى لأهل هذه المدينة الى الفسوق من أشعار هذا الأعمى" ... وكان واصل بن عطاء يقول : "ان من أخدع حبائل الشيطان واغواها كلمات لهذا الأعمى الملحد ، فلما كثر ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة الى المهدى" (٤) وكانت فيه شدة فى شئون الدين أمره أن يكف عن ذلك ، ومنع عنه الهدايا والعطايا (٥) . ولكنه لم يرتدع بل انه لم يتورع (٦) عن هجاء المهدى ووزيره يعقوب بن داود هجاء مقذعا مما أغضب المهدى عليه كثيرا ، وأمر بالقبض عليه وأمر صاحب

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٣٩/٨ ، وانظر ابن الاثير : الكامل ٥٣/٦ .
(٢) الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٤ .
(٣) سوف يرد تفصيل ذلك فى الفصل الثانى .
(٤) الأصبهانى : الأغانى ٤٠/٣ .
(٥) الأصبهانى : الأغانى ٤٠/٣ ، القيروانى : زهر الآداب ٦٨٨/٣ .
(٦) ابن المعتز : طبقات الشعراء ص ٢٤، ٢٥ ، الأصبهانى : الأغانى ٦٧/٣ ، ابن العمرانى : الأنباء ص ٧٠، ٧١ ، ابن خلكان : وفيات ٤٢٧/١ .

الزنادقة بضربه فضرب حتى مات فى سنة ١٦٧هـ .(١)

أما صالح بن عبد القدوس : فانه كان قد خاف عاقبة أمره بدعوته الصريحة الى دين المانوية فهرب الى دمشق وظل متواريا فيها ، ولكن رجال المهدى تعقبوه وقبضوا عليه ورجعوا به الى عاصمة الخلافة .(٢) وفى اثناء المحاكمة اعلن صالح التوبة فقبل ذلك منه ولكنه قبل أن يخرج سأله المهدى وكانت المحاكمة قد جرت فى حضرته ، الست انت القائل :

والشيخ لايترك اخلاقه حتى يوارى فى ثرى رمسه

"قال: نعم ياأمير المؤمنين ، قال : وانت لاتترك أخلاقك ونحن نحكم فى نفسك بحكمك فأمر به فقتل"(٣) ، وكان قتله فى سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م .(٤)

وقد بلغ الخليفة المهدى بأن ابراهيم بن سيابه مولى بنى هاشم من الزنادقة(٥) فقبض عليه واحضر كتبه فلما لم يجد مايدل على زندقته آمنه واستكتبه ، فكان يكتب فى مجلسه وبين يديه "ثم صح عنده أن فيه شيئا مما كان اتهم به فاطرحه وأقصاه"(٦) . ويبدو أن التهمة لم تكن ثابتة عليه لذلك لم يقتله المهدى .

---

(١) الاصبهانى : الاغانى ٦٨/٣ ، وعن وفاته انظر : ابن خلكان : وفيات ٤٢٧/١ .
ويقال أن سبب قتل المهدى له هى عداوة يعقوب بن داود لبشار لانه هجاه حينما ولى المهدى صالح أخ يعقوب بن داود ولاية فقال :
هم حملوا فوق المنابر صالحا
أخاك فضجت من أخيك المنابر
انظر : اليافعى : مرآة الجنان ٣٥٣/١ .
(٢) الصفدى : نكت الهميان ص ١٧١ .
(٣) ابن المعتز : طبقات الشعراء ص ٨٩ ، وانظر أيضا ابن خلكان : وفيات ٤٩٢/٢ ، الاربلى : خلاصة ص ١٠١ .
(٤) ابن خلكان : وفيات ٤٩٣/٢ .
(٥) انظر ترجمته : الاصبهانى : الاغانى ٥/١١ .
(٦) ابن المعتز : طبقات الشعراء ص ٩٢ .

أما علي بن صالح بن حي فان بعض المصادر تعتبره رأس الزندقة ، وكان الخليفة المهدي قد طلبه فاستخفى منه حتى مات في سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م (١) .

وفي سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م اتهم بالزندقة كل من داود بن روح ابن حاتم واسماعيل بن مجالد ، ومحمد بن أبي أيوب المكي ، ومحمد بن طيفور فقبض عليهم وعرضوا على المهدي فاعلنوا توبتهم أمامه فخلى سبيلهم ، وبعث بداود بن روح الى أبيه والي البصرة وأمره بتاديبه (٢) .

أما علي بن يقطين (٣) الذي اتهم بالزندقة فقد أمر الخليفة المهدي بقتله بالرغم من منزلة أبيه الكبيرة عنده في سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م (٤) ، وقد رفع الى الخليفة المهدي بان آدم ابن عبد العزيز حفيد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ، وكان خليعا ماجنا مفرطا في شرب الخمر ، هو من الزنادقة . وقد جيء به فضربه ثلثمائة سوط ليقر (٥) فقال : "والله لا أقر على نفسي بباطل ، والله ماكفرت بالله طرفة عين" (٦) ، فخلى سبيله ورق له .

---

(١) ابن حمدون : التذكرة ١/ورقة ١٩١أ .
(٢) الطبري : تاريخ ٨/١٦٣ ، ابن الاثير : الكامل ٦/٧٣ .
(٣) علي بن يقطين بن موسى : كان أبوه يقطين أحد دعاة بني العباس ، شجاعا ، حازما ، له منزلة كبيرة عند الخلفاء العباسيين ، ولاه السفاح والمنصور والمهدي الولايات .
انظر : ابن الجوزي : تحفة الاصحاب ورقة ١٦٩أ،١٦٩ب .
(٤) ابن الجوزي : تحفة الاصحاب ورقة ١٦٩ب ، ابن الاثير : الكامل ٦/٨٩ .
(٥) الاصبهاني : الأغاني ١٤/٥٨ ، وانظر ايضا : ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢/٣٦٦ .
(٦) السخاوي : التحفة اللطيفة ١/٨٣ .

موقف المهدى من زندقة بعض الهاشميين :

كان المسئول عن الزندقة قد قبض على ابن لداود بن على وعلى أحد ابناء يعقوب بن الفضل بن عبد المطلب واتى بهما الى المهدى فاقر كل منهما بالزندقة فى مجلسين متفرقين ، اما يعقوب بن الفضل فقال له : "أقر بها بينى وبينك ، فاما ان أظهر ذلك عند الناس فلا أفعل ولو قرضتنى بالمقاريض فقال له : ويلك ! لوكشفت لك السماوات ، وكان الامر كما تقول ، كنت حقيقا أن تغضب لمحمد ، ولولا محمد صلى الله عليه وسلم من كنت ؟ هل كنت الا انسانا من الناس ! اما والله لولا أن كنت جعلت لله على عهدا اذا ولانى هذا الامر الا اقتل هاشميا لما ناظرتك ولقتلتك" (١) . فامر بحبسهما ثم أقسم على ابنه الهادى ان هو ولى الامر من بعده يقتلهما ولايستبقيهما ساعة واحدة . فمات ابن داود بن على فى السجن قبل وفاة المهدى . أما يعقوب بن الفضل فظل فى سجنه حتى تولى موسى الهادى الخلافة فقتله .

ويذكر الطبرى بان زوجة يعقوب وابنته قد حملتا الى المهدى أيضا فاقرتا بالزندقة كما اقرت الابنة بانها حامل من أبيها فضرب على رأسيهما بشىء يقال له الرعبوب ففزعتا فماتتا (٢) .

وقبل وفاة المهدى أوصى ابنه بتعقب الزنادقة (٣) وقال : "يابنى ان صار لك هذا الامر فتجرد لهذه العصابة - يعنى

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٩٠/٨ .
(٢) ن . م . ص ١٩١/٨ .
(٣) النهراونى : الاعلام بالاعلام ص ٤٦ .

أصحاب مانى ـ فانها فرقة تدعو الناس الى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد فى الدنيا والعمل للآخرة ، ثم تخرجها الى تحريم اللحم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجا وتحوبا ، ثم تخرجها من هذه الى عبادة اثنين أحدهما النور والآخر الظلمة ، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق ، لتنقذهم من ضلال الظلمة الى هداية النور ، فارفع فيها الخشب ، وجرد فيها السيف ، وتقرب بأمرها الى الله لاشريك له ..." (١) .

ولكن بالرغم من تشدد المهدى فى تعقب الزنادقة والتنكيل بهم الا أن المصادر لم تتحدث عن مكافحة المهدى لمعاقل المانوية المعروفة أماكنها ومعابدها المقامة فى ذلك الوقت فى بابل وخراسان وغيرهما . ولعل ذلك ما أعطى حركة الزندقة القدرة على الاستمرار . ومع ذلك فان محاربتها أصبح تقليدا سارت عليه الدولة وانتهجه أغلب من جاء بعد المهدى من الخلفاء .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٢٢٠/٨ .

(٣) تسوية مشاكل المعارضة
واطلاق السجناء من عهد المنصور

(٣) تسوية مشاكل المعارضة واطلاق السجناء من عهد المنصور:

تسلم أبو جعفر المنصور الخلافة في ذى الحجة سنة ١٣٦هـ[(١)] والدولة العباسية لاتزال دولة ناشئة في دور التاسيس تعصف بها العديد من الثورات العنيفة والحركات الطامعة بالحكم العباسي . وقد جاهد المنصور بكل ما استطاع من قوة من أجل تثبيت سلطان الخلافة وتصفية عناصر المعارضة حتى تغلب عليها جميعا ، وبذلك "توطدت الممالك كلها للمنصور ، وعظمت هيبته في النفوس ، ودانت له الأمصار"[(٢)] .

ولكن المنصور على مايبدو قد بالغ كثيرا في تشدده أثناء توطيده للحكم العباسي ، فكان "قل مايظفر بأحد الا قتله سواء مستوجبا للقتل أو غير مستوجبه"[(٣)] حتى قال له عمه عبد الصمد[(٤)] : "لقد هجت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو ، قال : لأن بني مروان لم تبل رممهم ، وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم ، ونحن بين قوم رأونا أمس سوقة ، واليوم خلفاء ، فليس تتمهد هيبتنا في صدورهم الا بنسيان العفو واستعمال العقوبة"[(٥)] .

غير أنه لما ثبتت لأبي جعفر المنصور دعائم دولته ،

---

(١) المسعودى : مروج ٢٩٤/٢ ، الطبرى : تاريخ ٤٧١/٧ .
(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٤٤ .
(٣) الوطواط : غرر الخصائص ص ٥١٠ .
(٤) أبو محمد عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، عم السفاح والمنصور ، ولد في سنة ١٠٤هـ ، وقد عاش حتى أدرك عصر الرشيد ، وتوفي سنة ١٨٥هـ .
لمزيد من المعلومات انظر : ابن قتيبة : المعارف ص ١٦٣ ، ابن خلكان : وفيات ٩٩٥/٣ ، الذهبي : سير ١٢٩/٩ .
(٥) السيوطي : تاريخ ص ٢٤٨ ، وانظر الذهبي : سير ٨٥/٧ .

وأمن على حكمه ، وتغلب على الخارجين على سلطانه فانه أراد على مايبدو أن تفتتح الدولة العباسية عهدا جديدا يتسم بالهدوء واللين على يد ابنه المهدى ، لذلك فقد حرص على أن يدفع ولده المهدى على أن يسلك مسلك التودد والتخفيف عن الجميع فأوصاه قبل خروجه الى مكة قائلا : "انى تركت الناس ثلاثة أصناف : فقير لايرجو الا غناك ، وخائف لايرجو منك الا أمنك ، ومسجون لايرجو الفرج الا منك ، فاذا وليت فاذقهم طعم الرفاهية ولاتمد لهم كل المد" (١) .

ومع ذلك فان بالامكان أن نرجح أن يكون العفو والتسامح واللين من السمات الأصيلة عند المهدى ، ولذلك فانه ما ان تسلم مقاليد الأمور حتى بادر الى اشاعة العدل والانصاف والمعروف (٢) ، وسار فى تحقيقه ذلك بخطوات ثابتة ، ويبدو هذا واضحا من خطبته الأولى بعد استخلافه والتى ورد فيها قوله : "... والله لأعفين عمرى من عقوبتكم ، ولأحملن نفسى على الاحسان اليكم" (٣) . ثم قام باطلاق جميعمن كان فى سجون المنصور الا من كان عليه تبعة من دم أو سعى بالأرض بالفساد ، أو كان لأحد قبله حق أو مظلمة (٤) .

ورفض أن يأخذ بمبدأ ايقاع العقوبة بالظن والشبهة قائلا : "بان لنا الابدان وليس لنا القلوب ، ومن استتر عنا لم نكشفه ، ومن بادأنا طلبنا توبته ، ومن أخطانا أقلنا

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٥/٢ .
(٢) الكازرونى : مختصر ص ١١٩ .
(٣) ابن كثير : البداية ١٥٢/١٠ .
(٤) الطبرى : تاريخ ١١٧/٨ ، السمنانى : روضة القضاة ١٥٠٣/٤ ، ابن حمدون : التذكرة ١٩٠/١ ، ابن الاثير : الكامل ٤١/٦ ، مؤلف مجهول : العيون ٢٧٠/٣ ، ابن كثير البداية ١٢٩/١٠ .

عثرته ، فاني أرى التأديب بالصفح أبلغ من العقوبة ، والسلامة مع العفو أكثر منها مع المعاجلة ، والقلوب لاتبقى لوال لاينعطف اذا استعطف ولايعفو اذا قدر ، ولايغفر اذا ظفر ولايرحم اذا استرحم" (١) ، "من قلت رحمته واشتدت سطوته وجب مقته وكثر مبغضوه" (٢) .

وقد تمسك المهدى بسياسة العفو مع جميع الناس على اختلاف طبقاتهم واختلاف مشاربهم السياسية والمذهبية ، فكان لهذه السياسة أثرها الكبير فى ارتفاع مكانته والتفاف الناس حوله ، يقول المسعودي : "كان المهدى محببا الى الخاص والعام" (٣) ، وروى الجاحظ : ان شبيب بن شيبة خرج يوما من دار المهدى فقال له قائل : "كيف رأيت الناس ؟ قال : رأيت الداخل راجيا والخارج راضيا" (٤) .

وسوف نستعرض فى الصفحات التالية دور الخليفة المهدى فى تسوية مشاكل المعارضة واسهامه فى تهدئة الامور وترميم الجبهة الداخلية فى الدولة العباسية خلال فترة البحث .

---

(١) القيروانى : زهر الآداب ٣٥٦/٢ .
(٢) اليعقوبى : تاريخ ٤٠٠/٢ .
(٣) المسعودى : مروج ٣٢٢/٣ .
(٤) الجاحظ : البيان ٣٥٢/١ .

(١) الموقف من العلويين :

لقد تصور العلويون منذ البداية بان بنى العباس قد خدعوهم فاغتصبوهم حقهم فى الخلافة [١]، ولذلك فلقد عمد أبو العباس السفاح الى سياسة المهادنة والوفاق معهم ، ولعله كان يدرك مدى خيبة الأمل التى منوا بها بعد وصول العباسيين الى الحكم دونهم ، وربما يكون قد لجا الى هذه السياسة من أجل ابعادهم عن أى عمل قد يسهم فى اختلال أمن الدولة الجديدة التى كانت تسعى الى تثبيت قواعدها وتحقيق وحدتها وليس أدل على ذلك من أنه قد تقرب الى عدد من كبار الشخصيات العلوية وخاصة عبد الله بن الحسن [٢]، الذى كان يأمل فى أن تكون الخلافة لابنه محمد النفس الزكية والذى سماه المهدى [٣]. وقد سلك السفاح معه سبيل الاكرام بالقول اللين والعطاء الجزيل [٤]، وكان لهذه السياسة نتائجها

---

(١) كان العلويون يرون أنهم أحق بالخلافة من بنى العباس ليس لكونهم علويين هاشميين فقط ولكن بسبب انتسابهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق مباشر وهو ابنته فاطمة . فكتب محمد بن عبد الله الى المنصور يقول : "ان الحق حقنا وانما ادعيتم هذا الامر بنا وخرجتم له بشيعتنا" .
انظر الرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد بن عبد الله . الطبرى : تاريخ ٥٦٦/٧، ٥٧١ ، الازدى : تاريخ ص ١٨٢-١٨٧ ، مؤلف مجهول : العيون ٢٣٩/٣ .

(٢) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب القرشى الهاشمى : شيخ بنى هاشم والمقدم فيهم ، كان معظما عند العلماء ، قال يحيى بن معين : كان ثقة صدوقا . توفى فى سجن المنصور سنة ١٤٥هـ .
انظر : الاصفهانى : مقاتل ص ١٧٩، ١٨٤ ، ابن كثير : البداية ٩٥/١٠ .

(٣) مؤلف مجهول : أخبار الدولة ص ٢٣٨ .

(٤) يذكر المؤرخون بأن أبا العباس السفاح قد منح عبد الله بن الحسن صلة نقدية تقدر بحوالى مليونين درهم . ابن عربى : مخاصرة ص ١٥٥ ، مؤلف مجهول : العيون ٢١٤/٣ ، القلقشندى : مآثر ١٧١/١ ، كما منحه أيضا صلة أخرى له ولابنيه محمد وابراهيم بلغت حوالى مليون درهم الاربلى : خلاصة ص ٥٥ ، ابن كثير : البداية ٩٥/١٠ .

المرجوة في ذلك الوقت ، فقد أعطى عبد الله بن الحسن عهدا وميثاقا لأبي العباس السفاح بأن لايرى من محمد شيئا يكرهه ، وبذلك "طفىء أمر محمد في خلافة أبي العباس فلم يظهر منه شيء "[(١)] .

غير أن حالة الوفاق هذه لم تدم طويلا ذلك أن وفاة السفاح ، وتحول الخلافة الى المنصور ، قد جددت آمال محمد ابن عبد الله بن الحسن من جديد فامتنع هو وأخوه ابراهيم من البيعة للمنصور[(٢)] ، ثم قام في سنة ١٤٥هـ بحركة استهدفت الاطاحة بالحكم العباسي ونقل الخلافة الى العلويين[(٣)] ، ولقد قابل المنصور هذه الحركة بكل شدة وعنف ، فعمد الى القاء القبض على معظم زعماء العلويين ، وجاء بهم مقيدين بالاغلال الى العراق ، وتشدد في تعذيبهم في سجونهم[(٤)] ، بعد أن قطع عنهم الجاري من الصلات . ثم قضى على محمد وثورته ، وعلى اخيه ابراهيم الذي ثار بعده[(٥)] .

ولما كان المهدي قد جبل على العدل[(٦)] وسماحة الخلق[(٧)] ، فلقد أخذ على عاتقه كما يبدو منذ أن تولى الخلافة مسؤولية تحري العدل وازالة المظالم التي أوقعها المنصور ، فكف عن

---

(١) اليعقوبي : تاريخ ٣٦٠/٢ .
(٢) الطبري : تاريخ ٥١٨/٧ .
(٣) المسعودي : التنبيه ص ٣١١ ، ابن حمدون : التذكرة ج١/ورقة ١١٨٩ ، أبو الفداء : المختصر ٣/٢ .
(٤) انظر : الطبري : تاريخ ٥٤٤/٧-٥٤٦ ، ابن كثير : البداية ٨١/١٠،٨٢ .
(٥) المبرد : التعازي ص ٦١ ، ابن عربي : محاضرة ١٥٥/١ ، الذهبي : دول ٩٧/١ ، السيوطي : تاريخ ص ٢٤٣ .
(٦) المسعودي : التنبيه ص ٣١٣ ، ابن حجر الهيثمي : الصواعق المحرقة ص ١٦٥ .
(٧) الدميري : حياة الحيوان ١٠٤/١ ، الفاسي : العقد الثمين ٧٧/٢ ، ابن العماد : شذرات ٦٧/١ .

القتل ، ونشر الامن ، كما اهتم اهتماما كثيرا بتحسين علاقة (١) الخلافة بالعلويين . ومن أهم الخطوات التي اتخذها للتقرب من العلويين ، انه امر باخراج من كان في المحابس منهم فاطلقهم "وأمر لهم بجوائز وصلات وأرزاق دارة" (٢) ، ثم أعاد اليهم القطائع التي كان أبوه قد صادرها ، فأعاد اليهم عين زياد (٣) وفدك (٤) ، كما قرب اليه بعض كبار العلويين مثل الحسين ابن علي بن الحسن (٥) . فيذكر الاصفهاني انه جاء الى باب المهدي وهو راكب جمله ، فادخله المهدي بهيئته تلك حتى اناخ راحلته في وسط الدار "فوثب اليه المهدي وعانقه وأجلسه الى جنبه ، وجعل يسأله عن أهله" (٦) ثم وصله بصلة قدرت بحوالي أربعين الف دينار (٧) .

وتشير المصادر الى عدد كبير من العلويين الذين أطلق الخليفة المهدي سراحهم نذكر منهم بعض أبرز زعمائهم : الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، كان المنصور

---

(١) اليعقوبي : تاريخ ٩٥/٢ ، المسعودي : مروج ٣٢٢/٣ .

(٢) اليعقوبي : تاريخ ٢٩٤/٢ .

(٣) عين أبي زياد من عيون المدينة . ابن رستة : الاعلاق ص ٣١٣ .

(٤) الطبري : تاريخ ٦٠٣/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٠٤،٥٠٣/٥ ، كما انظر أيضا اعادة المهدي فدك لبني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . العسكري : الأوائل ٣٧٥/١ ، السمهودي : وفاء الوفاء ١٩٩/٣ . وسوف يرد ذكرها بالتفصيل في الفصل الثاني .

(٥) الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كان شجاعا كريما خرج على الهادي سنة ١٦٩هـ فأرسل اليه جيشا قاتله بفخ قرب مكة وقتله في نفس تلك السنة . انظر : ابن حزم : جمهرة ص ١٥٣ ، ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٥ ، ابن الاثير : الكامل ٩٠/٦-٩٢ ، ابن عنبة : عمدة ص ٢٧٨ .

(٦) الاصفهاني : مقاتل ص ٤٤٠ .

(٧) الطبري : تاريخ ٢٠/٨ ، ابن كثير : البداية ١٥٧/١٠ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٩١ .

قد ولاه على المدينة مكافأة له على موقفه منه فيما أطلعه على سر محمد بن عبد الله بن الحسن ومايعده للثورة عليه [(١)] . وقد ظل على ولايتها مدة خمس سنين ، ولكن الخليفة المنصور على مايبدو لم يامن جانبه وربما خشي منه ، أو أوغر قلبه عليه من بعض الوشاة [(٢)] ، لذا فقد عزله في سنة ١٥٥هـ/٧٧١م واستصفى أمواله ، وجاء به الى عاصمة الخلافة حيث أودعه السجن . ولم يزل الحسن بن زيد بن الحسن محبوسا حتى تولى المهدي الخلافة فأطلقه وأعاد اليه جميع أمواله وقربه اليه وقد استمرت علاقته طيبة بالخليفة المهدي حتى وفاته سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م [(٣)] . ويظهر أن علاقة المهدي كانت طيبة مع الحسن حتى قبل أن يتولى الخلافة فلما حبسه المنصور في المدينة قبل نقله الى بغداد كتب المهدي الى والي المدينة عبد الصمد بن علي يقول له : "ان ارفق بالحسن ووسع عليه ، ففعل" [(٤)] .

ومن الشخصيات العلوية المهمة التي أطلق الخليفة المهدي سراحها الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . وكان قد اشترك مع محمد بن عبد الله في ثورته على المنصور وقد ولاه محمد في اثناء ذلك ولاية مكة ، فلما قتل محمد بن عبد الله هرب الحسن بن معاوية ولحق بابراهيم ابن عبد الله في البصرة وظل معه حتى قتل في ذي الحجة سنة

---

(١) الطبري : تاريخ ٥١٨/٧ .

(٢) الذهبي : العبر ٢٥٢/١ ، اليافعي : مرآة ٣٥٥/١ ، ابن العماد : شذرات ٢٦٥/١ .

(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ ٣٠٩/٧ ، ابن خلكان : وفيات ٤٢٣/٢ ، ابن كثير : البداية ٢٦٢/١ ، ابن تغري بردي : النجوم ٥٦/٢ ، ابن اياس : بدائع الزهور ١٤٥/١ .

(٤) الخزرجي : تهذيب التهذيب ٢٧٩/٢ .

١٤٥هـ/٧٦٢م فرجع مستترا الى المدينة وهناك قبض عليه والى المدينة من قبل المنصور فضربه وحبسه "فلم يزل محبوسا حتى مات أبو جعفر ، وقام المهدى فاطلقه واجازه" (١) . (٢)

ومنهم موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب ، وكان المنصور قد أمر واليه على المدينة بالقبض عليه مع جملة أهل بيته من بنى الحسن بن الحسن عند خروج محمد النفس الزكية فقبض عليه وأرسله الى هاشمية الكوفة ، وهناك ضرب بالسياط حتى غشى عليه ، فلما أفاق قال له المنصور : "اتدرى ماهذا ؟ هذا فيض فاض منى" (٣) . ثم أرسله الى المدينة ليأتيه باخويه محمد وابراهيم بعد أن عين عليه حرسا يرصدون حركاته كما كتب الى واليه على المدينة بان "لاسلطان لك على موسى" (٤) . لكن محمد بن عبد الله تمكن من السيطرة على المدينة وقبض على والى المنصور ثم أرسل أخاه موسى الذى كان قد وصل من المدينة الى الشام ليدعو له هناك ، غير أن أهل الشام قابلوه بغلظة وردوه بعنف فكتب الى محمد : "اخبرك انى لقيت الشام واهله ، فكان أحسنهم قولا الذى قال : والله لقد مللنا البلاء وضقنا به ذرعا حتى مافينا لهذا الامر موضع ولالنا به حاجة ..." (٥) . فكتب اليه محمد يامره بالعودة الى المدينة . فعاد موسى الى المدينة حيث اشترك مع أخيه محمد فى القتال ضد القوات العباسية حتى

---

(١) الطبرى : تاريخ ٥٧٣/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٤٢/٥ .
(٢) الاصفهانى : مقاتل ص ٣٠٢ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٥٤٤/٧ ، الاصفهانى : مقاتل ص ٣٩١ .
(٤) الاصفهانى : مقاتل ص ٣٩٢ .
(٥) الطبرى : تاريخ ٥٧٢/٧ ، نقل عنه ابن الاثير : الكامل ٥٤٢/٥ .

قتل محمد ، وقد تمكن موسى من الهرب الى البصرة حيث أقام بها مستترا[1] ، ولكن سرعان ماظفر به محمد بن سليمان والى البصرة[2] فارسله الى المنصور[3] الذى ضربه بالسياط ضربا مبرحا فلما لم يتأوه او ينطق بحرف قال المنصور : عذرت اهل الباطل فى صبرهم فما بال هذا الغلام المنعم . فقال موسى : "ياامير المؤمنين اذا صبر أهل الباطل على باطلهم فاهل الحق أولى"[4] ، فلما فرغوا من ضربه أمر به المنصور فسجن ، ولم يزل فى سجنه حتى اطلقه المهدى[5] .

ومنهم الحسن بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب ، وكان قد قبض عليه وأرسل الى الخليفة المنصور بعد فشل حركة أبيه ابراهيم ، فظل فى السجن حتى تمكن من الهرب الى الحجاز بمساعدة بعض الزيدية وقد بقى مستترا طيلة حكم الخليفة المنصور ، كما فشلت جميع محاولات الخليفة المهدى فى الوصول اليه ، ولم يزل الحسن مختبئا حتى طلب له يعقوب بن داود الأمان فى سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م فامنه المهدى وأحسن صلته[6] ، واقطعه مالا من الصوافى

---

(١) الخطيب البغدادى : تاريخ ٢٦/١٣ ، الاصفهانى : مقاتل ص ٣٩٢ .

(٢) محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس من رجالات قريش وشجعانهم ، جمع له المنصور بين ولاية البصرة والكوفة ، وزوجه المهدى ابنته العباسة وولاه على البصرة ، وكان له من الاموال الكثير . توفى سنة ٣٣هـ. انظر : الخطيب البغدادى : تاريخ ٢٩١/٥ ، الذهبى : سير ٢٤٠/٨ ، ابن كثير : البداية ١٦٢/١٠ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٦٠٧/٧ ، القيروانى : زهر الآداب ١٣٠/١ ابن الاثير : الكامل ٥٤٣/٥ .

(٤) الاصفهانى : مقاتل ص ٣٩٣ .

(٥) ن . م . ص ص ٣٩٤ .

(٦) الطبرى : تاريخ ١٣٣/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٣٧/٦ ، مؤلف مجهول : الحدائق ٣٧٠/٣ ، ابن كثير : البداية ١٣٢/١٠ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٦/٢ .

بالحجاز .[1]

وبالاضافة الى من مر ذكرهم من زعماء البيت العلوى الذين اطلقهم المهدى واكرمهم ، فقد أعلن المهدى عفوه عن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، رغم أن أباه المنصور قد أوصاه قبل خروجه الى مكة بضرورة البحث عنه قائلا : "يابنى انى قد جمعت لك من الأموال مالم يجمعه خليفة قبلى ، وجمعت لك من الموالى مالم يجمعه خليفة قبلى وبنيت لك مدينة مالم يكن فى الاسلام مثلها ، ولست أخاف عليك الا أحد رجلين : عيسى بن موسى ، وعيسى بن زيد ... وأما عيسى بن زيد فانفق هذه الأموال واقتل هؤلاء الموالى واهدم هذه المدينة حتى تظفر به ، ثم لا الومك" .[2]

وكان عيسى بن زيد هذا من أهم القادة فى جيش محمد اثناء ثورته وعندما أصيب هذا الاخير أوصى من خرج معه بأن الامامة من بعده لأخيه ابراهيم ثم لعيسى بن زيد ، وقد شارك عيسى بن زيد فى ثورة ابراهيم بن الحسن أيضا . وقد حاول المنصور أن يستغل خلافا وقع بين ابراهيم بن الحسن وبين عيسى بن زيد فراسل الأخير يبدى له استعداده بأن يبذل له ماسأل "على أن يخذل الزيدية عن ابراهيم"[3] ، لكن عيسى رفض هذا العرض بل وقابل ذلك بأن أصبح من أشد الناس فى جيش ابراهيم قتالا وأنفذهم بصيرة . وبعد مقتل ابراهيم اختفى عيسى فى الكوفة[4] ، وفشلت محاولات المنصور فى البحث عنه ،

---

(١) الأزدى : تاريخ ص ٢٣٩ ، النجم عمر بن فهد : اتحاف الورى ٢٠٣/٢،٢٠٤ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٠٦/٨،١٠٧ .
(٣) الأصفهانى : مقاتل ص ٤٠٦ .
(٤) الأصفهانى : مقاتل ص ٤٠٨ ، ابن عنبة : عمدة الطالب ص ٣٧١ .

ولما تولى المهدى الخلافة كانت علاقته بالعلويين تقوم على أساس التودد اليهم لذلك لبث فترة يبحث عن عيسى بن زيد ربما ليبلغه الامان والعفو عنه ، وليس أدل على ذلك أنه لما فشل فى ذلك أصدر قرارا يؤكد ضمان العفو عن عيسى بن زيد (١)، وبذل الصلات والجوائز لعيسى اذا ماظهر فكان المنادى يقول : "ليبلغ الشاهد الغائب أن عيسى بن زيد آمن فى ظهوره وتواريه" (٢). وينقل الأصفهانى خبرا ذكر فيه أن المهدى دخل يوما قبة فى بعض الخانات فى طريق خراسان فاذا حائطها عليها أسطر مكتوبة هذه الأبيات بخط عيسى بن زيد :

والله ماأطعم طعم الرقاد   خوفا اذا نامت عيون العباد
شردنى أهل اعتداء وما   اذنبت ذنبا غير ذكر المعاد (٣)

"فجعل المهدى يكتب تحت كل بيت : لك الأمان من الله ومنى فاظهر متى شئت حتى كتب ذلك تحتها أجمع" (٤). واخيرا اعمد المهدى الى الزواج من ميمونة ابنة الحسين بن زيد (٥)، ابنة أخ عيسى ، وقد استهدفت هذه المصاهرة تقوية الترابط العباسى العلوى ، ولعله قصد من ذلك اشعار عيسى بالاطمئنان الى قرار العفو والأمان . ولكن عيسى بن زيد لم يثق على مايبدو بهذا الامان ، فظل مختفيا حتى توفى فى سنة ١٦٨هـ/ ٧٨٤م وعندئذ قدم أحد أصحابه يدعى صباح الزعفرانى على المهدى فأخبره بذلك وساله أن يعول أبناء عيسى فبكى المهدى

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٥٥/٨ .
(٢) الأصفهانى : مقاتل ص ٤١١ .
(٣) للقصيدة بقية اكتفيت بذكر هذه الأبيات .
(٤) الأصفهانى : مقاتل ص ٤١١،٤١٢ ، انظر أيضا ابن عنبة : عمدة الطالب ص ٣٧٢ .
(٥) ابن حزم : جمهرة ص ٥٨ ، الأصفهانى : مقاتل ص ٣٧٨ ، ابن عنبة : عمدة الطالب ص ٣٤٩ .

"حتى جرت دموعه ثم قال : اذا يكونون والله عندى بمنزلة ولدى لاوثرهم عليهم بشىء" (١) . ولقد أكد المهدى مدى التزامه بالامان الذى كان قد بذله لعيسى بن زيد بقوله لصباح الزعفرانى : "والله لو كان أبوهم بموضعهم حتى يأتينى أو اظفر به ماكان له عندى الا مايحب ، فكيف بهؤلاء" (٢) . ثم احسن القول لصباح وأجزل صلته وأطلق له الامان ولجميع أصحاب عيسى فى انفسهم وأهليهم (٣) .

ومن البوادر التى تدل على رغبة المهدى فى التودد الى العلويين أيضا استيزاره ليعقوب بن داود المعروف بميوله العلوية ، فان المهدى كان يقول : "لو وجدت رجلا من الزيدية له معرفة بآل حسن وبعيسى بن زيد ، وله فقه فاجتلبه الى على طريق الفقه ، فيدخل بينى وبين آل حسن وعيسى بن زيد ، فدل على يعقوب بن داود" (٤) ، فقربه اليه وجعله من خاصته . وهذا مايظهر مدى حرص المهدى الى خدمات يعقوب بن داود للمساعدة فى زيادة تحسين علاقته مع العلويين من ناحية ، وربما من أجل تعقب حركاتهم وفعالياتهم واحكام مراقبتهم من جهة أخرى . وقد استطاع يعقوب أن يظهر الحسن بن ابراهيم ويأخذ الامان له من المهدى حين ذهب معه الى الحج سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م (٥) .

---

(١) الاصفهانى : مقاتل ص ٤٢٢ .
(٢) ن . م . ص ص ٤٢٣ .
(٣) ن . م . ص ص ٤٢٣ .
(٤) الطبرى : تاريخ ١٥٥/٨ ، ابن خلكان : وفيات ٢٠/٧ ، وكان يعقوب بن داود قد اشترك فى ثورتى محمد وابراهيم ابنى عبد الله فلما قتلا هذان قبض المنصور عليه وألقى به فى المطبق . وسوف يرد تفصيل ذلك فى الفصل الثانى.
(٥) الازدى : تاريخ ص ٢٣٩ ، ابن حمدون : التذكرة ١/ورقة ١٩٠ب .

ولم يزل أمر يعقوب يعلو ويرتفع عند المهدى حتى استوزره سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م[١] ، ثم أصدر منشورا يشير الى أنه قد اتخذ يعقوب أخا فى الله[٢] . فكان هذا بمثابة اعلان بالعفو عن جميع خصوم الدولة من العلويين ولاسيما عيسى بن زيد[٣] ، ولذلك فلقد بعث يعقوب الى الزيدية جميعا "فأتى بهم من كل ناحية فولاهم أمور الخلافة فى الشرق والغرب"[٤] . غير أن هذه العلاقة الودية مع يعقوب لم تدم طويلا ذلك ان السعايات نجحت فى اقناع الخليفة المهدى بأن اسحاق بن الفضل[٥] يتطلع الى الخلافة وان "المشرق والمغرب فى يد يعقوب وأصحابه ، وقد كاتبهم ، وانما يكفيه أن يكتب اليهم فيثوروا فى يوم واحد وعلى ميعاد فيأخذوا الدنيا لاسحاق بن الفضل"[٦] . ولقد كان لتلك السعايات أثرها على الخليفة المهدى ، وخاصة وقد تصادف أن رشح له يعقوب فى ذلك الوقت اسحاق بن الفضل لولاية مصر ، مما ملأ قلب الخليفة المهدى عليه شكا وتهمة[٧] ، وجعله

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٥٦/٨ ، ابن خلكان : وفيات ٢١/٧ ، الفاسى : العقد الثمين ٤٧٥/٧ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١١٩/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٥ ، الأزدى : تاريخ ص ٢٣٦ .

(٣) الأصفهانى : مقاتل ص ٤١١ ، فاروق عمر : العباسيون الأوائل ص ٢١٤ .

(٤) الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٨ .

(٥) اسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن بن العباس كان محبوسا مع يعقوب بن داود فى موضع واحد وجرت بينهم صداقة قوية فكانا لايتفارقان . وكان اسحاق يرى أن الخلافة تجوز فى صالحى بنى هاشم جميعا وهى لاتصلح الا فيهم ، وكان يكثر من قوله : ان الامامة للأكبر من بنى عبد المطلب يقصد بذلك نفسه .
انظر : الطبرى : تاريخ ١٥٥/٨ ، التنوخى : الفرج ١٠٤/٤،١٠٥ .

(٦) الطبرى : تاريخ ١٥٦/٨ .

(٧) الطبرى : تاريخ ١٥٦/٨ ، التنوخى : الفرج ١٠٥/٤ .

يستشعر أخطار تصرفاته على الخلافة . لذلك فقد وطد الخليفة المهدي العزم على امتحان مدى ولائه للعلويين ، فاستدعاه يوما وهو في مجلس عظيم وقد فرش بأفضل أنواع الفرش وبين يديه جارية حسناء ، فقال له : يايعقوب ، كيف ترى مجلسنا هذا ؟ قال : في غاية الحسن ياأمير المؤمنين . فقال له المهدي : هو لك ، وجميع مافيه ومائة ألف درهم ، وهذه الجارية ليتم سرورك ، ثم دفع اليه علويا بعد أن أخذ عليه عهدا بقضاء مايطلبه منه وقال : "هذا فلان ابن فلان من ولد على ، أحب أن تكفيني مؤونته وتريحني منه ، وتعجل ذلك"(١) فتعهد يعقوب للمهدي بفعل ذلك .

وعندما استقر يعقوب في منزله جعل الجارية قريبة منه لشدة سروره بها ثم أدخل عليه العلوي وتحدث معه فوجده عاقلا لبيبا فطنا ، كما أن العلوي لمس في يعقوب كما يبدو ميل له فاستعطفه قائلا : "ويحك يايعقوب تلقى الله بدمي وأنا رجل من ولد فاطمة"(٢) . "فقال يعقوب لاوالله بل أطلقك فاى الطرق احب قال طريق كذا قال فمن هاهنا تثق به وتأنس اليه وبموضعه فقال فلان وفلان فقال يعقوب فابعث اليهما وخذ هذا المال وامض معهما مصاحبا في ستر الله"(٣) . وكانت الجارية قد سمعت مادار بينهما فأرسلت الخبر الى المهدي فأرسل من فوره من قبض على العلوي وصاحبيه والمال ، وجعله في بيت قريب من مجلسه ، وعندما دخل يعقوب على المهدي في اليوم التالي سأله عن العلوي قائلا : "ماحال الرجل ؟ قال : قد أراحك

---

(١) الطبري : تاريخ ١٥٨/٨ .
(٢) الطبري : تاريخ ١٥٨/٨ ، ابن خلكان : وفيات ٢٣/٧، ٢٤ .
(٣) مؤلف مجهول : العيون ٢٧٦/٣ .

الله منه ، قال :مات ؟ قال : نعم ، قال والله ؟ قال والله " ، فأمر المهدى عند ذاك باخراج العلوى مما جعل[1] يعقوب يتحير ويمتنع عليه الكلام . هذا ماجعل المهدى يتأكد بأن يعقوب غير أمين على سلامة الدولة فقرر عزله وسجنه ، كما عزل جميع أصحابه من الولايات[2] .

غير أن نكبة يعقوب لم تؤثر فيما يبدو على علاقة المهدى بالعلويين فانه عندما استراب فى أمر موسى الكاظم[3] استقدمه من المدينة الى بغداد وأنزله منزلا اجباريا عند الربيع بن يونس ، خشى أن يكون بعمله هذا قد ظلم موسى وقطع رحمه[4] ، وتذكر بعض الروايات خبرا يشير الى رؤيا رآها الخليفة المهدى تضمنت عتابا له من قبل رجل تصور له بصورة على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يقول : يامحمد {فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم}[5] ، وان الخليفة المهدى قام من نومه فزعا وأسرع باستدعاء موسى الكاظم واخبره برؤياه وطلب منه أن يعطيه عهدا بعدم الخروج

---

(١) ابن خلكان : وفيات ٢٤/٧ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٦١/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص ١٦٣ ، الخطيب البغدادى : تاريخ ٢٦٢/١٤ ، الفاسى : العقد الثمين ٤٧٥/٧ .

(٣) موسى الكاظم : هو أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب . كان يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده ، عاد الى المدينة بعد أن أطلقه المهدى وظل بها الى أن استقدمه الرشيد مرة أخرى فى سنة ١٨٣هـ ، وحبسه الى أن توفى فى حبسه .
لمزيد من المعلومات انظر : الخطيب البغدادى : تاريخ ٣١/١٣ ، ابن الجوزى : صفة الصفوة ١٨٤/٢ ، ابن خلكان وفيات ٣٠٨/٥ ، ابن طولون : الائمة الاثنى عشر ص ٨٩،٩٠.

(٤) الطبرى : تاريخ ١٧٧/٨ ، ابن الأثير : الكامل ٨٥/٦ ، النويرى : نهاية ١٢٠/٢٢ .

(٥) سورة محمد : آية ٢٢

عليه قائلا : "افتؤمنني أن تخرج على أو على أحد من ولدى ، فقال : والله لافعلت ذلك ولاهو من شاني" [١] ، فوثق به المهدى وأمر باطلاق سراحه ورده الى المدينة بعد أن وصله بثلاثة آلاف دينار [٢] . ولعل ذلك يدخل في باب الدعايات العباسية المرتبطة بفكرة المهدى وبتحسين صورته للناس .

على أن المرة الوحيدة التى واجه فيها الخليفة المهدى تحرك أحد العلويين بشدة هى تصرفه فى مواجهة الدعوة التى باشرها على بن العباس بن الحسن بن على بن أبى طالب فى بغداد والذى كان قد دعا الى نفسه سرا ، وانضم اليه جماعة من الزيدية ، فعندما كشف أمره للخليفة المهدى أمر بحبسه ، فلم يزل فى حبسه حتى استوهبه منه الحسين بن على بن الحسن فوهبه له . ويزعم الاصفهانى بان الخليفة قد أمر من دس له سما فى طعامه حين أطلقه مما أدى الى وفاته بعد وصوله الى المدينة بثلاثة أيام [٣] .

ان هذه الحادثة تعبر عن مدى وضوح الرؤية عند الخليفة المهدى وتعكس رغبته الاكيدة فى الحفاظ على أمن الدولة وتماسكها بعيدا عن أى طموح سياسى لأحد من الافراد . أما سياسته تجاه العلويين بصفة عامة فهى كما أوضحنا وكما تشير النصوص سياسة رفق وتآلف التزم فيها بالرحمة واللين .

---

(١) ابن حمدون : التذكرة ١/ورقة ١٩١أ .

(٢) الخطيب البغدادى : تاريخ ٣١/١٣ ، ابن خلكان : وفيات ٣٠٩/٥ ، ابن كثير : البداية ١٨٣/١٠ ، الابشيهى : المستطرف ٧٩/٢ ، ابن طولون : الائمة ص ٩٠ .

(٣) الأصفهانى : مقاتل ص ٤٠٣ ، ولاشك فى أنه أمر بعيد الاحتمال وخصوصا أن الرواية التى أوردها الأصفهانى وهو متعاطف مع العلويين ومشهور بتشيعه لهم . ثم ان آثار السم فى الغذاء تظهر بشكل سريع كما هو معلوم فكيف تأخر ظهورها طيلة الفترة التى قطع فيها على بن العباس المسافة الفاصلة بين بغداد والمدينة وباضافة ثلاثة أيام أخرى .

(٢) علاقة الخلافة بأهل الحجاز :

أولى المنصور أهل الحرمين جل اهتمامه وذلك امتدادا لسياسة الخلافة العباسية التى أراد أن يعكس فيها للناس بأن أحكام الخلافة العباسية مستمدة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن اهتمامه بالحجاز يعود لأهميته الدينية فى نفوس المسلمين فهو منبع الاسلام والموطن الذى انتشر منه ، اضافة الى مكانة الكعبة المشرفة ومسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، وبالاضافة الى ذلك الجانب الدينى والدعائى فان رغبة المنصور فى التقرب من الحجازيين كان يعودبالدرجة الأولى لسبب سياسىاهم وهو ضمان ولائهم للعباسيين وفك أى ارتباط لهم بالعلويين . لذلك فلقد تودد الى أهل الحجاز فحج خلال خلافته أربع مرات (١) ، فى فترات متقاربة ليشرف بنفسه على استقرار الأوضاع فيها ، وفى كل حجة كان يصطحب معه الكثير من الأموال النقدية والعينية ليوزعها هناك (٢) . ففى سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م (٣) ، منح أهل المدينة عطاء كاسلا ، فأعطى أشراف القرشيين ألف دينار لكل واحد منهم ، ولم يترك أحدا الا أعطاه ، وقد اهتم بالأشراف أكثر من غيرهم ، وأعطى قواعد قريش صحائف الذهب والفضة وكساهن (٤) حتى قيل ان عطاياه قد فاقت عطايا من سبقه (٥) ، رغم ماعرف عنه من تشدد فى الانفاق .

---

(١) حج المنصور فى سنة (١٣٦،١٤٠،١٤٤،١٥٢هـ) انظر : النجم عمر بن فهد : اتحاف ١٧٢/٢،١٨٠ .
(٢) الزهرانى : النفقات ص ٣٩٠ .
(٣) مؤلف مجهول : العيون ٢٢٦/٣ .
(٤) قواعد قريش : شهيرات النساء من قريش وخامة كبيرات السن . الزهرانى : النفقات ص ٣٩١ .
(٥) الزيدى : نسب قريش ص ٣٠٣ ، الجزيرى : درر الفوائد ص ٢١٠ ، أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ص ٩٦ .

غير أن تلك السياسية لم تلبث أن تعثرت بسبب انضمام جل أهل الحجاز لمحمد النفس الزكية وبيعتهم له (١).

لذلك فلقد لجأ المنصور الى سياسة الشدة والعنف معهم فضرب عليهم حصارا اقتصاديا عنيفا منع فيه كافة السفن القادمة بالمؤمن عن طريق البحر ، فلم تصلهم المواد الغذائية حتى نهاية خلافته (٢)، كما صادر أموال وقطائع من اشترك بالثورة من أهلها (٣). وقد زاد المنصور في اجراءاته التعسفية على أهل المدينة بأن ولى عليها عبد الله بن الربيع الحارثي في سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م هذا الوالي الذي أطلق يد جنده في الاساءة الى أهل المدينة "فشكوا ذلك اليه ، فنهرهم وشتمهم ، وطمع فيهم جنده ، فتزايدوا في سوء الرأي ... فاجتمع رؤساء أهل المدينة فشكوا ذلك الى ابن الربيع فلم ينكره ولم يغيره" (٤).

ولقد أدت هذه التطورات مجتمعة الى عدم الاستقرار في المدينة ، ومع ذلك فان سياسة ابن الربيع كما يظهر لم تحقق رغبات الخليفة في الافراط في الشدة لذلك فانه بادر في ربيع الاول عام ١٤٦هـ/مايو ٧٦٣م الى عزله عن امارة المدينة التي ولاها جعفر بن سليمان (٥). وقد كشف الخليفة للوالي الجديد عن

---

(١) الطبري : تاريخ ٥٥٨/٧، ٥٦٠ .
(٢) الطبري : تاريخ ٦٠٣/٧ ، الازدي : تاريخ ص ١٩٢ ، ابن خلدون : العبر ١٩٣/٣ .
(٣) الطبري : تاريخ ٦٠٣/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٠٣/٥ ، العاني : سياسة المنصور ص ٢٩٩ .
(٤) الطبري : تاريخ ٦١٠/٧ .
(٥) جعفر بن سليمان بن علي بن العباس ، ابن عم المنصور ، كان من نبلاء بني هاشم جودا وبذلا وشجاعة ، ولي المدينة ثم مكة معها للمهدي ثم عزل ، ثم ولاه الرشيد على البصرة . توفي سنة ١٧٤هـ .
انظر : الذهبي : سير ٢٣٩/٨، ٢٤٠ .

رغبته في تنفيذ سياسة الشدة والحزم تجاه أهلها وقال له : "انظر من خرج مع محمد بن عبد الله من قريش فاسجنه ، ومن خرج من العرب فاجلده ، ومن خرج من الموالي فاقطع يده"(١) فقدمها جعفر "وهو يتوقد نارا على أهل الخلاف لهم ، فاظهر الغلظة والشدة ، وسطا بكل من الحد في سلطانهم ، وأشار الى المنازعة لهم ، واخذ الناس بالبيعة"(٢) . فاصاب الناس نتيجة لتلك السياسة الضيق والجهد والاعتصاف(٣) . وقد استمر حال المدينة خاصة والحجاز بعامة ضمن هذا التوجه حتى نهاية خلافة المنصور .

غير أن المهدي لم يال جهدا في اصلاح أحوال أهل الحجاز حال مبايعته وكان ذلك نابعا من شعور ديني عميق يحدوه للعدل والانصاف والاحسان ونصيب كبير من التدين ، ولذلك فلقد اتبع سياسة جديدة مغايرة أقامها على التسامح والاسترضاء على نطاق واسع ، ولعل أهم اجراءاته العامة ، اصداره التعليمات الصريحة بالغاء الحصار الاقتصادي الذي فرضه المنصور على بلاد الحجاز ، ذلك انه "أمر بالبحر ففتح لهم وأذن في الحمل اليهم"(٤) ، كما أنه أمر بأن ترد الى المصادرين منهم كافة القطائع والأموال التي أخذها المنصور منهم(٥) . كما أطلق من كان في المحابس من أهل الحجاز وخاصة الطالبيين(٦) .

---

(١) الزبير بن بكار : الموفقيات ص ١٨٦ .
(٢) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١٤٨/٢ .
(٣) الاصبهاني : الأغاني ٩١/٣ .
(٤) الطبري : تاريخ ٦٠٣/٧ ، الأزدي : تاريخ ص ١٩٢ .
(٥) الطبري : تاريخ ١٣٤/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٤٩/٦ .
(٦) اليعقوبي : تاريخ ٣٩٤/٢ ، الطبري : تاريخ ١١٧/٨ .

وفي سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م قدم الى الحجاز حاجا مصطحبا معه ابنه هارون الرشيد وجماعة من أهل بيته (١)، حيث أكرم أهلها وأطلق يده في اغداق الأموال عليهم (٢)، فربما كان يعطي الواحد منهم عشرة آلاف دينار (٣).

بالاضافة الى ذلك فقد قام المهدي في تلك السنة باصلاحات شتى في مكة المكرمة، فاهتم بالمسجد الحرام حيث أمر بتوسعته، وعين على مكة قاض من أهلها من قريش أودع لديه أموال المسجد الحرام وعمارته (٤).

وكسى الكعبة الشريفة كسوة جديدة وطلى جدرانها من داخلها وخارجها بالمسك والعنبر (٥). وقد أمر المهدي بوازع من تدينه ونسكه "بنفي كل من بمكة من المغنين ومنع قيناتها من الغناء واخراج كل من فيها من المتشبهين من الرجال بالنساء ومن النساء بالرجال، ومنع من لعب الشطرنج وغيره من الأمور التي تجر الى اللهو والطرب" (٦). كما طهر مكة من كثير من المباحات التي تشغل عن الصلاة: "وألزم حجبة الكعبة اجلالها وتوقيرها وتنزيهها وتطييبها للزائرين وتجميرها، وفتح بابها بالسكينة والخشوع والانصات عند دخولها بحالة أمينة بوصف الخضوع وزجر النساء من الخروج الى المسجد متعطرات

---

(١) الطبري: تاريخ ١٣٣/٨، ابن الاثير: الكامل ٤٨/٦، مؤلف مجهول: العيون ٢٧١/٣، ابن كثير: البداية ١٣٢/١٠، النجم عمر: اتحاف ٢٠٣/٢، الجزيري: درر ٤٦٥/١.

(٢) الذهبي: العبر ٢٣٤/١، أبو الفداء: المختصر ٨/٢.

(٣) ابن الجوزي: تحفة الأصحاب ورقة ١٢٥ب، مؤلف مجهول: العيون ٢٨١/٣، ابن عربي: محاضرة ١٠٥/١.

(٤) الفاسي: العقد الثمين ١١٨/٢، ١١٩.

(٥) النجم عمر: اتحاف الورى ٢٠٥/٢، النهروالي: الاعلام ص ٤٦، القرماني: أخبار ص ١٤٨.

(٦) الجزيري: درر الفرائد ٤٦٥/١.

وكف الكافة من الالمام بها على ارتكاب المكروهات أو ترك المندوبات" .[1]

وبعد أن أتم المهدى حجه توجه نحو المدينة زائرا لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فجلس فيه للناس وأخذ يأمر لهم بالجوائز والصلات ، ويشير الزبيرى الى مقدار تلك الجوائز فيقول : "يعطى الرجل من قريش ثلاثمائة دينار ويكسوه سبعة أثواب" [2] ، بل ان عطاء المهدى قد شمل على مايبدو جميع أهل المدينة ، فيذكر الاصبهانى "ان المهدى لما ولى الخلافة ، وحج فرق فى قريش والانصار وسائر الناس أموالا عظيمة ووصلهم صلات سنية " [3] ، حتى لقد بلغ مجموع ماأنفقه على أهل الحرمين فى تلك الحجة ٣٠ مليون درهم كانت قد حملت معه هذا بالاضافة الى ماوصل اليه من واردات أقاليم مصر واليمن مما يقدر بنصف مليون دينار ، كما وزع عليهم ١٥٠ الف ثوب .[4]

واكتسابا لأهل الحديث وعلمائه وشيوخه فى الحجاز ، فقد أغدق المهدى عليهم الصلات والعطايا وقرب اليه بعضهم ، فقدم للامام مالك صلة مبلغها أربعة آلاف دينار كما وصل ابنه بألف دينار [5] ، ووصل أيضا أبا معشر المدنى [6] الفقيه بألف دينار

---

(١) النجم عمر بن فهد : اتحاف الورى ٢٠٢/٢ .
(٢) الزبيرى : نسب قريش ص ٢٤٢ .
(٣) الاصبهانى : الاغانى ٩١/٣ .
(٤) الطبرى : تاريخ ١٣٣/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٤٩/٦ ، مؤلف مجهول : العيون ٢٧٢/٣ ، الفاسى : تحصيل المرام ورقة ٣٠٢ ، المقريزى : الذهب المسبوك ص ٤٤،٤٥ ، النجم عمر : اتحاف ٢٠٥/٢ ، النهروالى : الاعلام ص ٤٦ .
(٥) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١٥١/٢ .
(٦) أبو معشر هو نجيح بن عبد الرحمن السندى ، أبو معشر المدنى ، مولى بنى هاشم ، كان من أعلم الناس بالمغازى ، أقام فى بغداد الى أن توفى سنة ١٧٠هـ . انظر : الخطيب البغدادى : تاريخ ٤٥٧/١٣ ، ابن حجر : تهذيب ٤١٩/١٠ .

وأخرجه معه الى بغداد ليفقه أهلها (١) ، كما قرب اليه فقيه أهل المدينة محمد بن عبد الرحمن بن أبى ذئب (٢) وأسنى جائزته (٣) ووصل المنذر بن عبد الله بن المنذر (٤) مائة ألف درهم والتمسه أن يلى القضاء الا أن هذا الأخير استعفاه قائلا بانه عاهد الله أن لايلى ولاية أبدا (٥) .

وقد جعل المهدى قارىء أهل المدينة اسماعيل بن جعفر (٦) مؤدبا لابنه على واستقدمه الى العراق (٧) .

وضمن سياسته الرامية الى تحسين صورة الخلافة والتقرب من قلوب أهل المدينة ، فقد عمد الخليفة المهدى الى الزواج من رقية بنت عمر العثمانية (٨) ، كما اختار خمسمائة رجل من

---

(١) الخطيب البغدادى : تاريخ ٤٥٨/١٣ .

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أبى ذئب كان فقيها ورعا صالحا يقوم بالفتوى بالمدينة يامر بالمعروف وينهى عن المنكر ، قال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ابن أبى ذئب يعد صدوقا أفضل من مالك ، وقال الواقدى : كان من أورع الناس وأفضلهم .
انظر : ابن حجر : تهذيب ٣٠٧،٣٠٣/٩ ، ويذكر ابن حزم : جمهرة ص ١٢٩ ، والخزرجى : خلاصة ص ٣٤٨ بانه توفى سنة ١٥٩هـ ، ويبدو أن هناك اختلاط لأن المهدى حج سنة ١٦٠هـ واستقدمه الى بغداد وتوفى محمد فى الكوفة وهو عائدا الى المدينة .

(٣) الخطيب البغدادى : تاريخ ٣٠٥/٢ .

(٤) المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خويلد ، كان من سروات قريش وأهل الندى والفضل .
الزبيرى : نسب قريش ص ٣٩٥ ، توفى سنة ١٨١هـ ، ابن حجر : تهذيب ٣٠٢/١٠ .

(٥) ابن حزم : جمهرة ص ١٢١ ، ابن كثير : البداية ١٦٦/١٠.

(٦) اسماعيل بن جعفر بن كثير الانصارى ، وثقه كل من أحمد ابن حنبل وأبو زرعة والنسائى وابن سعد وابن معين ، وذكره ابن حبان فى الثقات . ابن حجر : تهذيب ٢٨٧/١ ، توفى اسماعيل سنة ١٨٠هـ . ابن كثير : البداية ١٧٥/١٠ الخزرجى : خلاصة ص ٣٣ .

(٧) ابن كثير : البداية ١٧٥/١٠ .

(٨) رقية بنت عمر بن خالد بن عبد الله بن عثمان بن عفان تزوجها المهدى سنة ١٦٠هـ ، فولدت له ابنا مات صغيرا انظر الزبيرى : نسب قريش ص ١١٤ ، ابن حزم : جمهرة ص ٨٤ ، وتزوجت بعد وفاة المهدى بعلى بن الحسين بن على . الطبرى : تاريخ ٢١٩/٨ ، ابن الاثير : الكامل ١٠٤/٦ .

أعيان الأنصار ليكونوا حرسا له وأنصارا واصطحبهم معه الى العراق ، وقد أجزل لهم الارزاق ، وبالاضافة الى أعطياتهم السنية فانه أقطعهم عند قدومهم من الى بغداد قطيعة عرفت بهم .(١)

وأخيرا فقد أمر الخليفة المهدى قبيل رحيله عن المدينة ان يشترى ماحول المسجد من المنازل ليوسع بها المسجد النبوى الشريف .(٢)

وقد أدت الاعمال التى قام بها المهدى فى الحجاز الى تحسن أحوال الناس بعد الجهد الذى أصابهم فى أيام أبيه المنصور ، كما كانت سنته تلك سنة خصب ورخص "فاحبه الناس وتبركوا به ، وقالوا : هذا هو المهدى وهذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسميه فلقوه ودعوا له وأثنوا عليه" .(٣) ولقد كان هذا عاملا على تأكيد الصبغة الدينية للخلافة العباسية ، وتوثقت الصلة بين أهل الحجاز وبين الخليفة المهدى حيث كثرت وفودهم اليه فكان "رجال من أهل الحرمين من فقيه وراويه وشاعر ياتون بغداد فيرجعون بحظوة

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٣٣/٨ ، الازدى : تاريخ ص ٢٣٩ ، ابن كثير : البداية ١٣٢/١٠ ، المقريزى : الذهب المسبوك ص ٤٥ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٩/٣ .

(٢) الدينورى : الاخبار الطوال ص ٣٨٦ .

(٣) الاصبهانى : الاغانى ٩١/٣ ، ولقد أثنى عليه الشاعر ابن المولى بهذه المناسبة فى قصيدة جاء فيها :

أغنى قريشا وأنصار النبى ومن
بالمسجدين باسعاد وأحفاد
كانت منافعه فى الارض شائعة
تترا وسيرته كالماء للصادى

الاصبهانى : الاغانى ٩٢/٣ .

وحال حسنة " [١] . كما التحق بصحابته عدد من وجوه أهل المدينة كان منهم اسحاق بن عبد الرحمن بن المغيرة بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، المعروف بفرير ، الذى أسكنه المهدى بغداد وقربه اليه فكان يحضر مجلس الخليفة المهدى مع عبد الله بن مصعب بن الزبير "كل عشية اذا ملى الناس العمر فيقيمان معه الى أن ينقضي سمره " [٢] ، ومحمد بن عروة بن هشام بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد ، ابو خالد المدينى الذى أنزله المهدى فى معسكره وجعل له دارا للضيافة [٣] . والزبير بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير [٤] الذى وفد على المهدى فى وفد من وجوه أهل المدينة فوصل المهدى كل واحد منهم بسبعمائة دينار [٥] . وعبد الله بن مصعب ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام [٦] ، خطيب قريش "وواحدها شرفا وقدرا وصوتا وعناية لهم ولجميع أهل المدينة " [٧]

---

(١) الجاحظ : المحاسن والاضداد ص ٣٠ ، البيهقى : المحاسن ص ٣٨٨ .

(٢) الخطيب البغدادى : تاريخ ٣١٧/٦ ، التنوخى : نشوار ٢٨/٦ ، توفى اسحاق فى خلافة هارون الرشيد وكان موصوفا بالجود والسخاء . انظر ترجمته : الخطيب البغدادى : تاريخ ٣١٦/٦ .

(٣) توفى محمد بن عروة فى خلافة هارون الرشيد . انظر الزبير بن بكار : جمهرة ص ٢٩٦، ٢٩٧ ، الخطيب البغدادى تاريخ ١٣٧/٣ .

(٤) توفى الزبير فى خلافة هارون الرشيد ، وكان فقيها عابدا حتى اعتبر لكثرة عبادته أحد أساطين المسجد . انظر : الزبير بن بكار : جمهرة ص ٩٩، ١٠٠ ، الخطيب البغدادى : تاريخ ٤٦٦/٨ .

(٥) الزبيرى : نسب قريش ص ٢٤٣ .

(٦) عبد الله بن مصعب ولاه المهدى على اليمامة ، كما ولاه الرشيد على المدينة ثم اليمن . توفى فى سنة ١٨٤هـ . انظر ترجمته فى الزبيرى : نسب ص ١٢٤، ١٢٥ ، التنوخى : نشوار ١٣٩/٦ ، الخطيب البغدادى : تاريخ ١٧٣/١٠ ، ابن حجر : لسان الميزان ٣٦٢/٣ ، السخاوى : التحفة اللطيفة ٥٣/٣ .

(٧) الزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش ١٢٤/١ .

فقد أعجب به المهدى أثناء زيارته للمدينة فاجزى صلته وأدخله فى صحابته ثم أخرجه معه الى بغداد وقربه اليه حتى صار أحد خواصه (١). والمغيرة بن خبيب بن ثابت بن الزبير ، وكان قد قدم مع أخيه الزبير بن خبيب على المهدى فاقام فى بغداد حيث ضمه المهدى الى صحابته وأغدق عليه الصلات والهدايا فكان يعطيه فى المرة الواحدة ثلاثين ألف دينار ، ومن المسك والعنبر والثياب الفاخرة الشىء الكثير ، كما أقطعه عيونا باضم من نواحى المدينة وقطع من الأرض حولها يقال لها الات الحب (٢).

ولقد كان لهؤلاء النفر من علية أهل المدينة أثرهم الكبير على الخليفة المهدى فيما يختص بامر أهل الحرمين اذ كان عبد الله بن مصعب "يتكلم فى أمر المدينة فى العطاء والقسم" (٣) حتى لقبه الامام مالك بالمبارك بسبب ذلك ، كما أن المغيرة بن خبيب كان لطيفا بالمهدى حتى قسم على يده الكثير من العطايا لأهل المدينة (٤).

ومما هو جدير بالملاحظة أن ذلك لم يكن العامل الأساسى الوحيد بل يضاف الى ذلك رغبة المهدى الأكيدة فى تحسين أوضاع أهل الحجاز ليس فقط من أجل الاعتبارات السياسية ولكن من أجل افاضة العدل والمعروف (٥). وقد أكدت المصادر

---

(١) الزبير بن بكار : جمهرة ١٢٤/١ ، الخطيب البغدادى : تاريخ ١٧٣/١٠ ، التنوخى : نشوار ١٣٩/٦ ، السخاوى : التحفة اللطيفة ٥٣/٣ .
(٢) الزبير بن بكار : جمهرة ١١٣/١، ١١٤ ، الخطيب البغدادى تاريخ ١٩٥/١٣ .
(٣) الزبير بن بكار : جمهرة ١٢٤/١ ، الخطيب البغدادى : تاريخ ١٧٣/١٠ .
(٤) الزبير بن بكار : جمهرة ١٠٩/١ .
(٥) ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص ١١٩ .

الموثقة على ذلك ، وأشارت الى أنه كان قد كتب الى واليه على المدينة يامره بان يبعث اليه رجلا يختاره أهل البلد "يقوم بحوائج أهل المدينة عنده ، فاجمع أهل المدينة على عبد الملك بن يحيى[(١)] وسالوه أن يخرج فى ذلك ورفع حوائجهم ، وأقام فى العراق يطالبها[(٢)]" .

وقد وقع اختيار المهدى على المغيرة بن خبيب بسبب علاقته الوثيقة به ومنزلته العالية لديه ولمعرفته الدقيقة الشاملة باهل المدينة ، لتقسيم عطاء جديد لاهل الحرمين فاعطاه الف فريضة وترك له حرية تقسيمها ، فقام المغيرة بتقسيمها على قبائل أهل المدينة حسب الافضلية ، فكان نصيب الواحد من آل الزبير منها ٥٠ دينارا بينما بلغت فرائض هذيل ١٥ دينارا ، ويبدو أن هذه الفرائض كانت من الوفرة والشمول بحيث اشتهر أمرها بين أهل المدينة[(٣)] .

ولقد توالى عطاء المهدى لاهل المدينة طوال فترة خلافته ففى سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م قسم المهدى على يد المغيرة أيضا قسما آخر ويشير الزبير بن بكار الى طريقة تقسيمه فيقول : "فاصاب مشيخة بنى هاشم أكثرهم خمسة وستون دينارا وأقلهم خمسة وأربعون دينارا ، ومشيخة القرشيين أكثرهم خمسة وأربعون دينارا ، وأقل القرشيين سبعة وعشرون دينارا ، ومشيخة الانصار أكثرهم سبعة وعشرون دينارا وأقل الانصار

---

(١) عبد الملك بن يحيى بن عباد بن الزبير بن العوام الاسدى ، كان من سادات قريش وذوى الفضل منهم . الخطيب البغدادى : تاريخ ٤٠٨،٤٠٧/١٠ ، ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته .

(٢) الزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش ٧٧،٧٦/١ ، الخطيب البغدادى : تاريخ ٤٠٨/١٠ .

(٣) الزبير بن بكار : جمهرة ١١٠،١٠٩/١ .

سبعة عشر دينارا ، والعرب اكثر من الموالى ولاأدرى كم اعطوا ، ومشيخة الموالى خمسة عشر دينارا ، وأقل الموالى على الشبر (١) : السداسى ستة دنانير ، والخماسى خمسة دنانير ، والرباعى أقلهم أربعة دنانير ، وكان عدد الناس الذين اكتتبوا ثمانين ألف انسان" (٢) .

ويلاحظ من هذا النص أن المغيرة ، ربما بتوجيه من الخليفة المهدى ، قد استمر فى تنظيم قوائم العطاء على سياسة التفضيل فى العطاء أيضا فكان بنو هاشم أكثر عطاء لكونهم الاقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكون الخلافة فيهم (وهذا الذى تظهره النصوص التى تتصل بالعطاء) ويليهم قريش لقرابتهم منهم ثم الانصار ثم بقية العرب ثم الموالى ، وان عطاء افراد القبائل العربية لايتساوون فالمشيخة تاخذ نسبة أعلى ثم تتدرج الاعطيات فى المستوى بعد ذلك ، ولعل ذلك يعود الى الدور القيادى الذى تلعبه المشيخة ، كما يلاحظ أن عدد من ضمهم العطاء قد بلغ ثمانين الف شخص مما يرجح أن هذا التصنيف كان شاملا لأهل المدينة جميعا (٣) .

وتيمنا باهل الحجاز فان المهدى عندما افتتح قصره

---

(١) الشبر : لعل هذا الوصف يتصل بطول وهيئة الشخص وهذا مايتضح من نص رسالة ابراهيم بن محمد ال أبى مسلم فيقول له : "أيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله" انظر الطبرى : تاريخ ٣٤٤/٧ .

(٢) الزبير بن بكار : جمهرة ١١١/١ .

(٣) السلوسى : ديوان الجند ص ١٩٩ .

عيساباذ[1] في سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م أمر بان تكتب له قوائم باسماء أبناء المهاجرين والانصار ثم قام بتوزيع ثلاثة ملايين درهم عليهم حتى قيل انه "اغنى كل فقير وجبر كل كسير ، وفرج عن كل مكروب"[2] .

وخلال زيارة المهدى للمدينة في سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م دخل عليه الامام مالك بن انس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحضه على الاحسان والنفقة على أهل المدينة وحدثه بفضلها وبفضل اهلها ، فأحسن اليه المهدى في القول وامر بان يصرف له خمسة أبيات مال والبيت يساوى خمسمائة الف درهم ، ثم "أمر مالكا أن يختار من تلامذته رجالا يثق فيهم ويعتمد عليهم يقسمونها على أهل المدينة ويؤثرون أهل بيت رسول الله على الله عليه وسلم ، وأهل بيت أبى بكر وعمر وعثمان ، ثم أهل بيوت المهاجرين والانصار ، ثم الذين اتبعوهم باحسان ، ففعل فاغنى أهل المدينة عامهم ذلك"[3] .

واستكمالا لأعمال البر التى قدمها المهدى لأهل الحرمين فانه أمر بحفر نهر الصلة من اعمال واسط الذى سمي بذلك لانه أحيى ماعليه من الأرضين وامر بوقف غلته كاملة على أهل

---

(١) عيساباذ : محلة كانت بشرقي بغداد ، منسوبة الى عيسى ابن المهدى بنى بها المهدى قصره الذى سماه السلام . ابن عبد الحق البغدادى : مراصد الاطلاع ٢/٩٧٥ ، وهذا قصر اللبن الذى بناه سنة ١٦٤هـ . الطبرى : تاريخ ٨/١٠٠ ، ابن كثير : البداية ١٠/١٤٩ ، ويذكر الطبرى أن اسم القصر هو قصر السلامة . اما القصر الذى بناه بالاجر فانه انتقل اليه في سنة ١٦٦هـ . الطبرى : تاريخ ٨/١٦٢ .

(٢) الاربلي : خلاصة ص ٩٩ ، انظر أيضا ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص ١١٨ .

(٣) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ٥/١٥٢ .

الحرمين والنفقات على المشاريع هناك صلة لهم [(١)].

ولم تتوقف سياسة الخليفة المهدى فى استرضاء أهل الحرمين على النواحى المادية فقط بل تعداه الى عناية شاملة بالحجاز ، ففى سنة ١٦١هـ/٧٧٧م أمر الخليفة بتعبيد طرق الحج وبناء القصور فيها وجعلها أوسع من القصور التى بناها أبو العباس السفاح ، وأمر الزيادة فى قصور أبى العباس وترك مابناه المنصور منها على ماهو عليه ، كما أمر بحفر الآبار وتجديد الأميال والبرك واتخاذ المصانع فى كل منهل [(٢)] ، ونتيجة لذلك أصبحت طرق الحج "من أرفق الطرقات وآمنها وأطيبها" [(٣)].

وفى سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م أمر بانشاء البريد فى الحجاز ليربط بين كل من مكة والمدينة واليمن ببغداد [(٤)].

كما أمر بالزيادة الثانية فى المسجد الحرام لجعل الكعبة تتوسط فيه قائلا "لابد من أن أوسعه حتى أوسطه الكعبة فى المسجد على كل حال ، ولو انفقت فيه بيوت الأموال" [(٥)] ، فبدأ العمل فيه منذ سنة ١٦٧هـ/٧٨٢م واستمر متواصلا حتى بعد وفاته .

---

(١) البلاذرى : فتوح ص ٢٨٥ ، قدامة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج ص ٢٤٢ . وقد ذكر الأستاذ السامرائى ان ايراداتها قد بلغت سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م أكثر من مليون ونصف دينار سنويا مما يشير الى سعتها وكثرة انتاجها ونمائها . انظر المؤسسات الادارية ط/٢ ، ص ٢١٦ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٣٦/٨ ، ابن الأثير : الكامل ٥٥/٦ ، النويرى : نهاية ١١٣/٢٢ ، العصامى المكى : سمط النجوم ٢٦٦/٣ .

(٣) ابن كثير : البداية ١٢٣/١٠ .

(٤) النويرى : نهاية ١١٧/٢٢ ، السيوطى : تاريخ ص ٢٥٤ .

(٥) النجم عمر : اتحاف الورى ص ٢١٥ .

واجلالا لأهل المدينة ورغبة فى ازالة التمايز بينهم وبين الأسرة العباسية فقد أمر الخليفة المهدى بأن يرد "ديوانه وديوان أهل بيته الى المدينة ، ونقله من دمشق اليها" وذلك سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م (١) ، وذلك صريح فى انه قد خلط نفسه وأسرته بأهل المدينة واعتبر نفسه واحدا منهم مما كان له أثره الحميد فى التفاف أهل المدينة حول الخلافة اضافة الى مايحققه ذلك من سمعة طيبة على المستوى العام .

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٦٧/٨ ، الازدى : تاريخ الموصل ص ٢٥٣ ويستفاد من النص أن ديوان الأسرة العباسية كان قد بقى فى دمشق ولم ينقل مع الدواوين التى نقلت الى الكوفة بعد قيام الدولة العباسية ، وبان ذلك الحال قد استمر على ماهو عليه طيلة خلافة السفاح والمنصور واغلب أيام الخليفة المهدى .

(٣) الموقف من الامويين :

من الراجح أن سياسة المهدى تجاه الامويين كانت تسير ضمن سياسة الود والمرونة فقد قرب اليه بعض الشخصيات الاموية مثل آدم بن عبد العزيز الذى كان "يحبه ويقربه" (١)، كما أن الاصبهانى يذكر بأن مجلس المهدى كان يضم أفرادا من الامويين (٢).

ثم ان الخليفة المهدى استمر فى اتباع سياسة المنصور التى كانت تقوم على أساس اصطناع بعض شيوخ القبائل المعروفة بولائها للامويين مثل عبد العزيز بن مسلم العقيلى (٣)(٤) رغبة منه فى ارضاء عناصر المعارضة المختلفة من ناحية والمحافظة على وحدة الدولة من ناحية أخرى .

ولم يكتف الخليفة المهدى بذلك بل انه أعلن عفوه أيضا عن عبد الله بن مروان بن محمد الذى كان مختفيا كما يبدو (٥) فى الشام ، حتى تمكن نصر بن محمد بن الاشعث من الظفر به فى

---

(١) قرب المهدى آدم بن عبد العزيز بعد براءته من تهمة الزندقة . الاصبهانى : الاغانى ٢٦٠/١٤ ، ابن عساكر : تاريخ دمشق ٣٦٥/٢ .

(٢) الاصبهانى : الاغانى ١٣١/٩ .

(٣) عبد العزيز بن مسلم العقيلى : كان هو واخواه اسحاق ابن بكار من شيوخ القبائل الشامية التى انضمت الى على بن عبد العزيز عندما ثار فى الشام على ابى جعفر المنصور ، وذلك رغبة منهم فى احداث التصدع فى البيت العباسى مما يستدعى بالتالى الى ارجاع السلطة الى الشام . انظر : الطبرى : تاريخ ٤٧٧/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٤٦٦/٥ ، ولقد عفا عنهم المنصور وقربهم . انظر اليعقوبى : تاريخ ٣٨٩/٢ .

(٤) الطبرى : تاريخ ١٣٥/٨ .

(٥) يذكر اليعقوبى بأن عبد الله بن مروان كان فى الحبس منذ عهد أبى العباس السفاح فلما تولى المهدى الخلافة أطلقه من الحبس . تاريخ ٢٩٤/٢ ، ولكن رواية الطبرى تبدو هى الأرجح .

سنة ١٦١هـ/٧٧٧م ، فقدم به على المهدى الذى عقد مجلسا عاما لمحاكمته مما يكشف بوضوح مقدار رغبة المهدى فى احقاق العدل ، وحين ادعى عمرو بن سهلة الأشعرى بان عبد الله قد قتل أباه فى أيام الدولة الأموية ، بادر المهدى الى ارساله الى القاضى عافية الأزدى للتحقيق فى الأمر ، وكادت أن تقام عليه البينة لولا أن عبد العزيز بن مسلم العقيلى جاء مسرعا الى مجلس القضاء وقال : "يزعم عمرو بن سهلة أن عبد الله ابن مروان قتل أباه ، كذب والله ماقتل اباه غيرى ، انما قتلته بأمر مروان ، وعبد الله بن مروان من دمه برىء" (١) . فأمر المهدى بتخلية سبيل عبد العزيز بن مسلم لانه قتل بأمر مروان (٢) ، وأطلق سراح عبد الله بن مروان ووصله بعشرة آلاف درهم (٣) . وذلك مايعكس موقفا ملتزما باحقاق الحق والالتزام بالعدل والانصاف ، اضافة الى مايوحى به من رغبة فى تحسين العلاقات .

وفى سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م خرج المهدى مع جماعة من أهل بيته على رأس الجيش المتوجه الى حرب الروم بقيادة ابنه هارون الرشيد عازما على زيارة بلاد الشام (٤) ، ليتفقد أحوالها ويتعرف على أمورها عن كثب ، ولعله هدف أيضا من وراء هذه الزيارة كسب ثقة أهل الشام من ناحية أخرى .

سار الخليفة المهدى ومن معه عن طريق الموصل الى

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٣٥/٨،١٣٦ .
(٢) ن . م . ص ١٣٦/٨ .
(٣) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٤/٢ .
(٤) الطبرى : تاريخ ١٤٨/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٦١/٦ .

الناعورة (١) ، حيث حاذى فيها قصر مسلمة بن عبد الملك (٢) ، فقال له العباس بن محمد : "ياأمير المؤمنين ان لمسلمة فى أعناقنا منة ، كان محمد بن على (٣) مر به فاعطاه أربعة آلاف دينار ، وقال له : يابن عم هذان الفان لدينك ، والفان لمعونتك ، فاذا نفذت فلاتحتشمنا . فقال لما حدثته الحديث : احضروا من هاهنا من ولد مسلمة ومواليه ، فامر لهم بعشرين الف دينار ، وأمر أن تجرى عليهم الأرزاق ، ثم قال : ياأبا الفضل كافانا مسلمة وقضينا حقه ؟ قلت : نعم وزدت ياأمير المؤمنين" (٤) .

توجه الخليفة المهدى بعد ذلك الى موقع الحدث (٥) ، فامر ببناء مدينة سميت بالمحمدية أو المهدية نسبة اليه ، لدفع خطر الروم عن المسلمين (٦) . ثم سار بعد ذلك نحو حلب فاقام بها فترة نظم خلالها أمورها فولى عليها وعلى قنسرين (٧) على بن

---

(١) الناعورة : فى الشمال بين حلب وبالس . ياقوت : معجم ٥/٢٥٣ .
(٢) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، ذكره ابن سميع فى الطبقة الرابعة من تابعى أهل الشام . ابن حجر : تهذيب ١/١٤٤ ، وله مواقف مشهورة مع الروم ، وهو الذى غزا القسطنطينية ، وكان ميمون النقيبة ولى العراقين لأخيه يزيد ثم أرمينية . توفى مسلمة فى سنة ١٢١هـ . الدميرى : حياة الحيوان ١/١٧٠ ، الذهبى : سير أعلام ٥/٢٤١ ، ابن كثير : البداية ٩/٣٢٨ .
(٣) محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أول من قام بالدعوة العباسية وهو والد السفاح والمنصور . انظر أخباره : مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ص ١٣٨ ومابعدها .
(٤) الطبرى : تاريخ ٨/١٤٤ ، وانظر أيضا ابن النديم : زبدة الحلب ١/٦١ .
(٥) الحدث : ثغر بين طرسوس والمصيصة . ياقوت : معجم ٢/٢٢٧ .
(٦) اليعقوبى : تاريخ ٢/٣٩٦ ، ياقوت : معجم ٢/٢٢٨ .
(٧) قنسرين : كورة بالشام بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم . ياقوت : معجم ٤/٤٠٤ .

سليمان بن على بن العباس حربا وخراجا وصلاة [١] ، لما كان يتصف به على هذا من العدل والرفق بالرعية والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر [٢] .

ومن ثم تابع الخليفة المهدى سيره فوصل الى قنسرين حيث قابلته تنوخ [٣] بالهدايا وكان معظمهم نصارى فأسلم جماعة منهم على يده ولكن رجلا منهم ارتد فضرب عنقه مما أخاف الباقين فثبتوا على الاسلام [٤] ، "فكتب على أيديهم بالخضرة قنسرين" [٥] .

وقد أكمل الخليفة المهدى مسيرته فوصل دمشق فنزلها حيث نظم أمورها القضائية [٦] ، وقام بزيارة المسجد الاموى هناك [٧] .

واخيرا ختم المهدى جولته تلك بزيارة القدس ، حيث زار بيت المقدس وصلى فيه ومن معه من أهل بيته [٨] . ويبدو انه أقام فيها فترة حيث استقبل خلالها بعضا من كبار أهلها [٩] .

ولعل خير مثال ضربه المهدى فى محاولة استرضاء الأمويين احسانه لامرأة مروان بن محمد وكانت هذه قد لجأت

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ٦١/١ .
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم ٦٢/٢ .
(٣) تنوخ : هم أخلاط من العرب نزلت قبل الاسلام فى قنسرين واستقروا بها ، وقد دعاهم أبو عبيدة الى الاسلام فاسلم بعضهم وأقام البعض الآخر على النصرانية . البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ٢٦/١.
(٤) اليعقوبى : تاريخ ١٤٦/٢ .
(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ٢٦/١ .
(٦) ابن طولون : قضاة دمشق ١٤/٢ .
(٧) النويرى : نهاية ٣٤١/١ .
(٨) البسوى : المعرفة والتاريخ ١٥٠/١ ، الطبرى : تاريخ ١٤٨/٨ ، ابن الأثير : الكامل ٦١/٦ ، ابن كثير : البداية ١٤٦/١٠ .
(٩) ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٩١/٦ .

الى الخيزران وهى كما تصف نفسها "جائعة ذليلة"(١) ، فاحسنت اليها الخيزران واصلحت من حالها ووصلتها بخمسة آلاف دينار ومائة الف درهم(٢) ، ولما علم المهدى بالامر قال للخيزران : "والله والله لو لم تفعلي بها مافعلت ماكلمتك أبدا ، وبكى بكاء كثيرا وقال : اللهم انى أعوذ بك من زوال النعمة"(٣) ثم بعث يقول لها : "يابنت عم ان اخوتك قد اجتمعن عندى ، ولولا اغمك لجئناك"(٤) ، فلما قدمت عليه رحب بها ورفع منزلتها فوق منزلة أحسن نساء القصر وقال لها : "يابنت عم ... لاشيء أصون لك من حجابى وكونك مع اخوتك فى قصرى لك مالهن ، وعليك ماعليهن ، الى أن يأتيك أمر من له الامر فيما حكم به على الخلق ، ثم أقطعها مثل مالهن من الاقطاع ، وأخدمها وأجازها بعشرة آلاف دينار ومائتى ألف درهم(٥) . وذلك يعكس على(٦) كل حال نفس مؤمنة لم يعد للحقد على الخصومة السياسية فيها مكان ، كما يعكس التزام باحكام الله فى صلة الرحم ورحمة عزيز القوم اذا ذل ، اضافة الى مايكشف عنه من رغبة فى نسيان الماضى وفتح صفحة جديدة فى العلاقات الحسنة مع أبناء عمومته من بنى أمية .

---

(١) التنوخى : الفرج ٧٨/٤ ، ابن حجة الحموى : ثمرات الاوراق ٢١٩/١ .
(٢) التنوخى : الفرج ٨٠/٤ .
(٣)،(٤) المسعودى : مروج ٣٢٤/٣،٣٢٥ .
(٥) المسعودى : مروج ٣٢٥/٣ .
(٦) التنوخى : الفرج ٨١/٤ . ويذكر المسعودى بان مزنة امرأة مروان بن محمد قد أقامت فى قصر المهدى الى أن توفى وأيام الهادى وصدرا من أيام الرشيد وماتت فى خلافته لايفرق بينها وبين نساء بنى هاشم . مروج ٣٢٥/٣.

(٤) مشكلة ولاية العهد

مشكلة ولاية العهد :

استند العباسيون فى مطالبتهم بالخلافة الى اعتبار أنها "حق شرعى" لهم قد اغتصب منهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان هذا الاعتقاد هو صلب الدعوة العباسية الذى اعتمده دعاتهم ، فيقول المقريزى عند ذكر فرق الرافضة (١) : "وقد اختلف الناس فى الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذهب الجمهور الى انه ابو بكر الصديق رضى الله عنه ، وقال العباسية والربوبدية ... هو العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه لأنه العم والوارث فهو أحق من ابن العم" (٢) . وهذا مايكشف بوضوح الأساس الذى بنى عليه العباسيون أحقيتهم فى الخلافة أثناء الدعوة العباسية بمرحلتيها السرية والعلنية ، والذى استمر حتى فى صدر الدولة العباسية (٣) .

غير أن مما يلاحظ فى هذا المجال أن الادعاء بمبدأ "الحق الشرعى فى توريث الخلافة" قد جرى تجاهله فى مسألة

---

(١) الروافض : هم الذين رفضوا امامة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وأجمعوا على أن النبى صلى الله عليه وسلم قد نص على استخلاف على بن أبى طالب ، وهم يرون بأن أكثر الصحابة قد ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
انظر : الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ١٦ ، المقريزى : الخطط ٣٥١/٢ .

(٢) المقريزى : الخطط ٣٥١/٢ .

(٣) انظر اثبات المهدى الامامة للعباس بن عبد المطلب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه عمه فهو أولى الناس به وأقربهم اليه ، ثم من بعده عبد الله بن العباس ثم من بعده على بن عبد الله ثم من بعده محمد ابن على ثم من بعده ابراهيم بن محمد ثم من بعده السفاح . انظر : مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ص ١٦٥ .

ولاية العهد التي وان كانت قد انحصرت في اطار البيت العباسي الرئيسي ، فانها تاثرت الى حد بعيد بالاجتهادات الشخصية مما ادى الى أن تصبح ولاية العهد من المشكلات الرئيسة التي واجهت الخلافة العباسية في مرحلة التاسيس . بل تكاد تكون من المشكلات الدائمة التي واجهتها طوال العصر العباسي الأول ، فلقد قدم أبو العباس السفاح على اخيه ابي جعفر المنصور رغم كون الثاني أكبر سنا وأرجح تفكيرا (١) ، ولعل السبب في ذلك يعود الى تدخل أبي مسلم الخراساني بما كان له من نفوذ وسطوة عظيمة في الأمر ، ذلك ان أبا مسلم ، كما دلت مجريات الأحداث فيما بعد ، كان يخطط لهدف سياسي بعيد وخطير وهو اعادة السلطة الى الفرس واعادة أمجادهم عن طريق تكوين دولة خاصة بهم (٢) . ويبدو أنه من اجل تحقيق ذلك ، قد استغل مكانته عند ابراهيم بن محمد (٣)(٤) وسعى الى ابعاد أبي جعفر قدر الامكان عن ولاية العهد بسبب ماكان يتصف به الأخير من قوة الشخصية ودهاء سياسي وعسكري الى جانب معرفة المنصور الدقيقة بأحوال الدعاة وأسرار الدعوة (٥) ، مما جعله على بينة من نوايا أبي مسلم ، وماتتطلع اليه نفسه من آمال

---

(١) اليعقوبي : تاريخ ٣٢٢/٢ ، الأزدي : تاريخ ص ١٦١ ، القلقشندي : مآثر الانافة ٣٤٩/٣ .

(٢) المقريزي : الخطط ٣٦٢/٢ .

(٣) ابراهيم بن محمد : هو أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، عهد اليه أبوه بالامامة من بعده فتسمى بالامام وأتم تنظيم الدعاة في خراسان وعين أبا مسلم واليا عليهم ، وعندما انكشف أمر ابراهيم بن محمد أخذه مروان بن محمد وحبسه وتوفي في سجنه سنة ١٣١هـ .
انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣٧٩/٥ .

(٤) اليعقوبي : تاريخ ٣٥١/٢ .

(٥) حسن العاني : سياسة المنصور ص ١١٢ .

وكــان ذلــك ســببا فى أن تكون العلاقة بينهما علاقة حذر وعدم تآلف .(١)

وحرصا من الأسرة العباسية على وحدة الصف ، وارضاء لأبى مسلم ولمكانته مــن الدعــوة فهــو "صاحب الدولــة والقائم بامرهــا" أوصى الامام ابراهيم بن محمد بالخلافة بعد اعتقاله(٢) من قبل الأمويين ، لأخيه أبى العباس .(٣)

ولقــد تمكــن أبــو مسلم من تثبيت سلطته فى خراسان على اثــر قيــام الدولــة العباســية ففتك بجميع المنافسين له من النقبــاء والدعــاة ، كمــا أنه عمل على توسيع سلطته ونفوذه الــى أقــاليم ايران الأخرى واستبد بالأمر حيث أعلن أن تعيين والــى فــارس من اختصاصه وليس من اختصاص الخليفة(٤) ، مما جعل أبــو جــعفر يشــعر بخــطر أبى مسلم المتزايد على الدولة فحث أخــاه أبــا العبــاس عــلى قتلــه(٥) . ولكــن الخليفة أبا العباس الســفاح امتنع عن اتخاذ أى اجراء صارم ضده لأنه كان يرى فى غضبــه خــطرا عــلى كيــان الدولة الجديدة(٦) ، مما ساعد على أن يزيد من وطأة أبى مسلم ودفعه الى التمادى كثيرا على سلطات الخليفة السفاح ، "وكثر خلافه اياه ورده لأمره"(٧) .

تــوفى أبــو العباس السفاح فى ١٣ ذى الحجة سنة ١٣٦هـ/ ١٠ يونيــو ٧٥٣م وكان قد عقد لأخيه أبى جعفر بولاية العهد من

---

(١) ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٦٨ .
(٢) اليعقوبى : تاريخ ٢/٣٥١ .
(٣) مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ص ٤٠٩ ، الطبرى تاريخ ٧/٤٢٣ .
(٤) الطبرى : تاريخ ٧/٤٥٠ ، فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٣٨ .
(٥) الطبرى : تاريخ ٧/٤٥٠ .
(٦) الدينورى : الأخبار الطوال ص ٣٧٦ .

بعده "وجعله ولي عهد المسلمين ، ومن بعد أبي جعفر عيسى بن موسى بن محمد بن علي" (١) . وكانت العلاقة قد توترت كثيرا بين ابي جعفر وابي مسلم ، بل ازداد حقد كل منهما على صاحبه وبغضا له (٢) ، لذلك فقد حرص أبو مسلم على ابعاد أبي جعفر عن الخلافة للمرة الثانية ، فاسرع الى الانبار (٣) حيث عيسى بن موسى واخذ يحرضه على خلع أبي جعفر وتنصيب نفسه خليفة بدلا منه ، ووعده بالمساعدة (٤) . لكن عيسى بن موسى رفض ذلك العرض بشدة وقال له بان الخلافة من حق عمه أبي جعفر ، وأضاف قائلا "والله لو قدمني عليه أمير المؤمنين الماضي لكرهت ذلك" (٥) . وبذلك فشلت محاولة أبي مسلم هذه ، فلما بلغ الخبر الى أبي جعفر ، زادت نقمته على أبي مسلم ، غير أن تمرد عمه عبد الله بن علي جعلته يرجىء النظر في أمره (٦) .

أعلن عبد الله بن علي الثورة في الشام (٧) حينما ارسل اليه عيسى بن موسى كتابا يبلغه فيه بوفاة السفاح وتولية أبي جعفر الخلافة ويطالبه بالبيعة لأبي جعفر ، لكن عبد الله ابن علي امتنع عن ذلك وأعلن الخلافة لنفسه موضحا بأنه العم وبانه الوارث الشرعي للخلافة طبقا لمبدأ الأحقية في الوراثة

---

(١) الطبري : تاريخ ٤٧٠/٧ .
(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ١٨٥/٣ نقلا من كتاب حسين عطوان : الدعوة العباسية ص ٣٧٢ .
(٣) الانبار : مدينة على الفرات في غربي بغداد ، وكان أبو العباس السفاح قد اتخذها مقرا للخلافة .
انظر : ياقوت : معجم ٢٥٧/١ .
(٤) ابن أعثم الكوفي : الفتوح ٢١٣/٨ ، الطبري : تاريخ ٤٨٠/٧ ، ابن الأثير : الكامل ٤٦٩/٥ .
(٥) ابن أعثم الكوفي : الفتوح ٢١٣/٨ .
(٦) الطبري : تاريخ ٤٨٠/٧ .
(٧) كان أبو العباس السفاح قد ولي عمه عبد الله على الشام والصائفة قبل وفاته .
انظر : ابن كثير : البداية ١٠٤/١٠ .

الذى نادى به العباسيون (١) ، كما أنه أعلن فى الوقت نفسه من ناحية أخرى على جنده بأن أبا العباس كان قد وعده بالخلافة حينما أراد ارسال الجيوش لقتال مروان بن محمد واستشهد بقول السفاح لأعمامه وأهل بيته : "من انتدب منكم فسار اليه فهو ولى عهدى ، فلم ينتدب اليه غيرى" (٢) . وهكذا ضمن عبد الله بن على اتساق طموحه ومطالبه مع مبدأ توريث الخلافة وأحقية الأصول فيها قبل الفروع الذى نادى به العباسيون ، كما صدق به قادته وجنده ، وهم أصحاب المصلحة المباشرة عند خلافته فاسرعوا لمبايعته ، كما بايعه عدد كبير من أهل الشام ودعى له بالخلافة على منابرها (٣) .

وبغض النظر عن الادعاءات والتبريرات المذكورة آنفا فان عبد الله بن على كان فى الغالب ينتظر أن تؤول اليه الخلافة نظير خدماته الجليلة التى قدمها للدولة فهو الذى قتل مروان بن محمد واستصفى الشام ووطدها للعباسيين (٤) .

غير أن الذى يعنينا هنا أن حركة عبد الله بن على هذه هى واحدة من سلسلة المشاكل التى جابهت الدولة العباسية بسبب ولاية العهد والتى تعرض بسببها أمن الدولة وسلامتها الى الخطر .

وجد المنصور فى حركة عمه عبد الله بن على فرصة مناسبة للتخلص من أحد الخصمين الخطرين المباشرين عمه الثائر وأبى مسلم الخراسانى ، لذلك فانه قد اختار الأخير

---

(١) ابن أعثم الكوفى : الفتوح ٢١٤/٨ .
(٢) الطبرى : تاريخ ٤٧٤/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٤٦٤/٥ .
(٣) ابن أعثم الكوفى : الفتوح ٢١٥/٨ .
(٤) شاكر مصطفى : دولة بنى العباس ٢٠٩/١ .

ليضربه بعمه قائلا : "نحن لأبي مسلم أشد تهمة منا لعبد الله ابن على الا انا نرجو واحده"[١] . ولقد تمكن أبو مسلم من الانتصار على عبد الله بن على وتمزيق جيشه في جمادى الآخرة سنة ١٣٧هـ/اكتوبر ٧٥٤م بينما فر عبد الله الى البصرة حيث كان أخوه سليمان بن على واليا عليها[٢] فاقام عنده متواريا[٣] .

قرر أبو مسلم بعد ذلك العودة الى خراسان عازما على الخلاف[٤] ، لكن الخليفة أبا جعفر عمل جاهدا على منعه من تحقيق ذلك ، ونجح أخيرا في استدراجه الى معسكره في المدائن حيث دبر له كمينا مكونا من عثمان بن نهيك[٥] رئيس حرسه ، وأربعة ممن يعتمد عليهم[٦] ، وبعد مواجهة عاصفة بينهما عاتب فيها أبو جعفر أبا مسلم وعدد عليه ذنوبه خرج عليه الكمناء فقتلوه وكان ذلك في ٢٥ شعبان سنة ١٣٧هـ/ ٢٧ يناير ٧٥٥م[٧] .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٤٨١/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٤٦٩/٥ .
(٢) سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ، كان كريما جوادا روى الحديث عن أبيه وأبى برده بن موسى ، ذكره ابن حبان في الثقات ، كان مقدما عند السفاح والمنصور ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢١١/٤ ، ولاه المنصور على البصرة وعمان والبحرين ، توفى سليمان في سنة ١٤٢هـ . انظر : ابن قتيبة : المعارف ص ١٦٤ ، الذهبى : سير ١٦٣/٦ ، الزركلى : الاعلام ١٧٧/٣ .
(٣) اليعقوبى : تاريخ ٣٦٦/٢ ، الطبرى : تاريخ ٤٧٨/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٤٦٩/٦ ، ابن العماد : شذرات ٢٠٥/١ .
(٤) الطبرى : تاريخ ٤٨٤/٧ ، الذهبى : سير أعلام ٦٢/٦ .
(٥) عثمان بن نهيك العتكى : من نقباء الدعوة العباسية . مؤلف مجهول : أخبار الدولة ص ٢١٨ ، ولاه المنصور أثناء خلافته رئاسة حرسه وتوفى عثمان في سنة ١٤١هـ متاثرا بجراحه بعد القضاء على ثورة الراوندية . انظر الطبرى : تاريخ ٥٠٦/٧ ، ابن كثير : البداية ٧٦/١٠ .
(٦) الطبرى : تاريخ ٤٨٨/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٤٧٤/٥ ، الذهبى : سير أعلام ٦٥/٦ ، ابن كثير : البداية ٧٦/١٠.
(٧) اليعقوبى : تاريخ ٣٦٧/٢ ، الطبرى : تاريخ ٤٩١/٧ ، ابن الساعى : مختصر أخبار ص ١٣،١٢ .

رأى أبو جعفر بعد ذلك أن المصلحة تقتضى التخلص من خطر عمه عبد الله بن على أيضا فكتب الى سليمان وعيسى ابنى على يلح عليهما فى اشخاص أخيهما عبد الله بن على من البصرة اليه وأعطاهما من الأمان له مارضياه ووثقا به (١)، وبذلك خرج به سليمان الى المنصور فى سنة ١٣٩هـ/٧٥٦م (٢) فعمد المنصور الى حبسه وأبقاه فى السجن تسع سنوات قبل أن يقتل فى حادث سقوط بناء المعتقل عليه فى ظروف غامضة سنة ١٤٧هـ/ ٧٦٤م (٣).

خلع عيسى بن موسى :

ولم يكد المنصور ينتهى من تصفية العناصر المناوئة له حيث بدأت أوضاع الدولة العباسية تميل الى الاستقرار ، حتى بدأ محاولاته فى نقض بيعة ابن أخيه عيسى بن موسى بولاية العهد بعده والتى كان السفاح قد أثبتها فى عهده اليه ، وتحويلها الى ولده محمد الذى لقب بعد ذلك بالمهدى . وقد يكون ذلك نابعا من رغبة المنصور فى حفظ الخلافة فى نسله ، وفى ولده محمد بالذات لكونه أكبر أبنائه (٤) حيث انه "كان شديد الحب له شغوفا به" (٥) . وبذلك بدأت ولاية العهد منذ هذه

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص ١٠٤ ، وانظر المبحث الخاص بالزندقة فى ماتقدم من هذا البحث .
(٢) الطبرى : تاريخ ٥٠١/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٤٩٦/٥ ، الخضرى : الدولة العباسية ص ٥٦ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٩/٨ ، ابن كثير : البداية ١٠٤/١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٧/٢-٨ .
(٤) الطبرى : تاريخ ١٠٢/٨ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢١ .
(٥) الطبرى : تاريخ ٧٥/٨ ، ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٧٢ .

المرحلة المبكرة من تاريخ الدولة العباسية تتبلور باتجاه التوريث المباشر .

ولقد مهد الخليفة المنصور لهذا الأمر فاهتم بتعليم محمد وتاديبه[(١)] ، كما أنه حرص على تقريبه من الناس فولاه النظر في مظالمهم والعمل على انصافهم[(٢)] . وفي سنة ١٤١هـ/٧٥٧م دفعه الى ممارسة السلطات السياسية والعسكرية مختبرا مقدرته وحكمته وحنكته فولاه على خراسان التي تعد من أهم ولايات الخلافة بعد السواد ، وعهد اليه بقيادة الجيوش هناك[(٣)] والى جانب ذلك فقد اختار المنصور لولده محمد لقبا له دلالته الدينية والدعائية حيث لقبه "بالمهدى"[(٤)] وعمل على بث الدعايات الواسعة التي تشير الى ان ولده هو "المهدى المنتظر"[(٥)] الذى بشر به النبي صلى الله عليه وسلم[(٦)] .

وتشير بعض المصادر المتاخرة الى ظهور بعض الاحاديث الموضوعة الكاذبة خلال هذه المرحلة بقصد تاييد صفة المهدية لمحمد بن أبي جعفر ، غير أن البحث لايمكن أن يقطع بأن ذلك

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ ٧٢/٨ ، ابن عبد البر : جامع بيان العلم ٣٥/٢ ، الذهبى : سير ٤٠١/٧ .

(٢) الجهشيارى : الوزراء ص ٣٧، ٣٨ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٥١٠/٧، ٥١١ ، ابن كثير : البداية ٧٦/١٠، ٧٧ .

(٤) لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدى في أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم : "لاتذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى" . رواه سفيان الثورى عن عاصم بن بهدلة عن ذر عن عبد الله . وقال أبو عيسى عن على وأبى سعيد وأم سلمة وأبى هريرة حديث صحيح .
انظر الترمذى : الجامع الصحيح ، كتاب الفتن ، باب ماجاء في المهدى ٥٠٥/٤ .

(٥) فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسي ص ٢١٣ .

(٦) انظر : الاصبهانى : الأغانى ٨١/١٢ ، ابن حجر الهيثمى : الصواعق المحرقة ص ١٦٦ .

قد تم بتدبير من الخليفة المنصور أو بناء على توجيهاته . والغريب أن أحد المؤلفين المعتمدين ، وهو الخطيب البغدادى ينقل احدى الروايات على لسان الفضل بن الربيع يرد فيها انه "لما أفضت الخلافة اليه (الى المنصور) قدم عليه وافد من الروم يهنئه فاستدناه ثم كلمه بترجمان يعبر عنه . فقال الرومى : "انى لم أقدم على أمير المؤمنين لمال ولاغرض وانما قدمت شوقا اليه والى النظر الى وجهه لانا نجد فى كتبنا ان الثالث من بيت نبى هذه الامة يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا " (١) .

وأخيرا أمر الخليفة أبى جعفر المنصور بأن تضرب النقود باللرى باسم ولده محمد المهدى وكان ذلك فى سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م (٢) مما يعتبر تمهيدا للخطوة الأخيرة .

غير أن المشكلة الصعبة التى واجهت الخليفة المنصور تكمن فى أن ولاية عيسى بن موسى للعهد كانت ولاية شرعية ، تعادل فى شرعيتها خلافة أبى جعفر نفسه كما (٣) أنهما مترابطتان لذلك فلقد حاول المنصور أولا التخلص من عيسى بن موسى بواسطة ضربه بخصومه . وهكذا فانه بادر بارساله على رأس القوات العباسية التى انتدبت الى الحجاز لقمع ثورة محمد النفس الزكية بالمدينة فى سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م ، وتؤكد المصادر قول المنصور فى تلك المناسبة : "لا أبالى أيهما قتل صاحبه" (٤) فلما عاد عيسى بن موسى من المعركة منتصرا بادر المنصور

---

(١) الخطيب البغدادى : تاريخ ٩٢/١ ، فاروق عمر : بحوث فى التاريخ العباسى ص ٢١٣ .
(٢) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٥١٤ .
(٣) شاكر مصطفى : دولة ٥١٤/١ .
(٤) الطبرى : تاريخ ٥٧٧/٧ ، ابن الأثير : الكامل ٥٤٤/٥ .

بارساله للقضاء على ثورة ابراهيم بن عبد الله فى البصرة .
ولقد تمكن عيسى بن موسى من تحقيق الانتصار هذه المرة أيضا والخروج سالما [١] .

ويبدو أن عيسى بن موسى لم يكن غافلا عما يدبره له المنصور ، لذلك فانه طلب منه أن يعفيه من ولاية الكوفة وذلك ليتسنى له أن يقيم فى بغداد فيكون بذلك على اطلاع على مايحاك ضده . لكن المنصور رفض ذلك ووعده بانه سيسمح له بأن يقيم معه فى بغداد سنة وفى الكوفة سنة [٢] .

وابتداء من سنة ١٤٧هـ/٧٦٤م تبدلت محاولات الخليفة وتركزت فى اتجاه آخر يحقق نفس الهدف ، ويظهر انه أدرك بأن الوقت قد حان لمحاولة نقل ولاية العهد بشكل سلمى هادىء وذلك عن طريق محاولة اقناع ابن أخيه عيسى بن موسى بتقديم المهدى عليه فى ولاية العهد ، وهكذا فانه استدعاه واستدناه وبدأ يفاوضه على خلع نفسه لكن عيسى رفض قائلا : "ليس الى ذلك سبيل ياأمير المؤمنين" [٣] . عندئذ بدأ المنصور بتغيير موقفه تجاه عيسى بن موسى فباعده بعض المباعدة وقلل من مكانته عنده ، فبعد أن كان يقدمه فى الدخول عليه ويجلسه عن يمينه فى مجلسه العام ، أخذ يأذن للمهدى قبله ويجلسه فى مكانه ، ثم أخذ يؤخر دخوله عليه أو يأذن لأعيان بنى هاشم قبله [٤] . وقد أخذ الخليفة المنصور يلاحق عيسى بن موسى

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ١٦٥ ، المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣١٠ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ١٨٩أ ، ابن أبى اصيبعه : عيون الانباء ص ٢٣١ .
(٢) ابن أبى اصيبعه : عيون الانباء ص ٢٣١ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٠/٨ .
(٤) الطبرى : تاريخ ١٠/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٧٨/٥ .

بأساليب متنوعة من المضايقات والترهيب منها اقدامه على عزله عن ولاية الكوفة (١)، وتحريضه الجند على اهانته والنيل منه (٢). وقد انتهى الأمر بالمنصور الى محاولة التخلص من عيسى ابن موسى ، وتذكر بعض المصادر بانه قد "دس له بعض مايتلفه فمرض عيسى وبلغت به العلة كل مبلغ فخرج الى الكوفة طلبا للعلاج" (٣). فلما شفى سلط عليه الخليفة المنصور بعضا من أهل خراسان ممن هدده بالقتل (٤).

واخيرا ، وبعد أن وجد المنصور بان أساليبه آنفة الذكر ، لم تجد نفعامع عيسى بن موسى فانه قام بارسال خطاب مفصل الى ولي عهده وضح له فيه الأسباب التي دعته الى طلب نقل ولاية العهد للمهدى في محاولة من المنصور لاقناع عيسى ابن موسى بالتخلي عن ولاية العهد ، أكد له فيها بان خلافة المهدى أمر تمثلت فيه مشيئة الله تعالى الذى قذف في قلوب أنصار الدولة محبته "فصاروا لايذكرون الا فضله ولاينوهون الا باسمه ولايعرفون الا حقه .. أيقنت نفس أمير المؤمنين أن ذلك أمر تولاه الله وصنعه ، لم يكن للعباد فيه أمر ولاقدرة ولامؤامرة ولامذاكرة " (٥).

كما أوضح له بأن طلب ولاية العهد للمهدى كان نتيجة لاجتماع كلمة الرعية على ذلك لما عرفوا من فضله ولما أملوه

---

(١) الطبرى : تاريخ ٢٥/٨ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٥٧/٣ ، ابن خلدون : العبر ١٦٧/٣ ، عبد المنعم ماجد العصر العباسي ١٢٥/١ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٤/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٨٠/٥ ، ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٧٣ .

(٣) الطبرى : تاريخ ١١/٨ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٦٠/٣ .

(٤) الصولى : أشعار أولاد الخلفاء ص ٣١٦ .

(٥) انظر الطبرى : تاريخ ١٦/٨-١٧ .

فيـه "... وكان أمير المؤمنين لايمنع ما اجتمعت عليه العامة ولايجد مناصا عن خلاص مادعوا اليه ، وكان أشد الناس على أمير المؤمنين فى ذلك الأقرب فالاقرب من خاصته وثقاته من حرسه وشرطته "[(١)] .

وقد أكد الخليفة المنصور لابن أخيه وولى عهده بان ولده محمد المهدى هو المهدى الحقيقى فقد "... وهب الله لأمير المؤمنين وليا ، ثم جعله تقيا مباركا مهديا ، وللنبى صلى الله عليه وسلم سميا ، وسلب من انتحل هذا الاسم ، ودعا الى تلك الشبهة التى تحير فيها أهل تلك النية ، وافتتن بها تلك الشقوة ، فانتزع ذلك منهم وجعل دائرة السوء عليهم ، وأقر الحق قراره ، وأعلن للمهدى مناره وللدين أنصاره "[(٢)] .

ويظهر أن هذه الرسالة لم تحقق الغرض المنشود ، ولم تلق أذنا صاغية من عيسى بن موسى، ذلك أنه بادر بان رد على الخليفة المنصور برسالة شديدة اللهجة حذره فيها من مغبة قطيعة الرحم ، ونقض ما أخذ عليه من المواثيق التى تنص على الوفاء له بولاية العهد والخلافة من بعده ، كما ذكره أيضا أنه بعمله هذا يخالف قضاء الله ويتابع الشيطان فى هواه لأن عهده هو بدوره من الله وليس لأحد من المسلمين أن ينقضه ، ثم هدده بضرورة الالتزام بالوفاء والا فانه أولى بان يعامله بالمثل[(٣)] .

كان تأثير رد عيسى بن موسى شديدا على المنصور ، اذ غضب غضبا شديدا ،وعاد الجند ينالون من عيسى بن موسى بشدة

---

(١) انظر الطبرى : تاريخ ٨/١٦-١٧ .
(٢) انظر الطبرى : تاريخ ٨/١٦-١٧ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٨/١٧ ، انظر الملحق رقم (١) .

حتى اخذ بعضهم يقف على باب عيسى فيمنعون من أن يدخل عليه أحد ، فاذا ركب مشوا خلفه وأهانوه وقالوا : أنت البقرة التي قال تعالى : {فذبحوها وماكادوا يفعلون} (١) (٢) . مما جعل عيسى على مايبدو يشعر بالخوف على نفسه ، فشكاهم الى المنصور الذي وجدها فرصة لزيادة تحطيم اعصاب عيسى واجباره على خلع نفسه فقال له : "يا ابن أخي انا والله اخافهم عليك وعلى نفسي فانهم يحبون هذا الفتى فلو قدمته بين يديك لكفوا" (٣) .

واخيرا اضطر عيسى بن موسى الى أن يرضخ للأمر (٤) ، ووافق الخليفة على اقتراحه بتقديم المهدى عليه في ولاية العهد . وهكذا فقد عقد المنصور مجلسا عاما أشهد فيه الناس على تنازل عيسى بن موسى عن حقه في ولاية العهد للمهدى ، ثم تقدم عيسى بن موسى فخطب في الناس فوضح بأن ذلك قد تم برضاه وطيب نفسه ، وقال بأن المهدى هو أولى بالتقدم فيها وأقوى على القيام بها (٥) .

وتأكيدا على هذا التنازل ، فقد أمر المنصور بأن يكتب بذلك اقرارا أشهد عليه الشهود "ووضع عليه عيسى خطه وخاتمه" (٦) . وبذلك تمكن المنصور من ازاحة عيسى بن موسى عن

---

(١) سورة البقرة : آية ٧١

(٢) الطبرى : تاريخ ١٩/٨ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ٥٨٠/٥ .

(٤) عدد الطبرى الوسائل التي أجبر بواسطتها المنصور عيسى ابن موسى على قبول التنازل عن ولاية العهد للمهدى ولكن لم نذكرها منعا للتطويل .
انظر : تاريخ ١٢/٨-١٤ ، ١٩-٢٠،٢٤ .

(٥) الطبرى : تاريخ ٢٤/٨-٢٥ ، الجهشيارى : الوزراء ص ١٢٦-١٢٧ .

(٦) الطبرى : تاريخ ٢٥/٨ .

ولاية العهد بعده وتحقيق المصلحة لابنه محمد المهدى ، الذى بايعت له جميع اقاليم الخلافة بولاية العهد [١] .

وفى مقابل تنازل عيسى بن موسى عن ولاية العهد فقد اغدق عليه المنصور الأموال والعطايا [٢] ، ومنحه ولاية العهد بعد المهدى [٣] . غير أن المنصور قد فكر بعد ذلك أن وجود عيسى بن موسى وليا للعهد بعد المهدى يخالف مايامل فيه من حفظ الخلافة فى نسله ، لذلك فقد عمد بعد عدة أشهر من تقديمه المهدى عليه على محاولة التخلص منه نهائيا [٤] . ولكى يصل الى هدفه فانه دفع اليه عبد الله بن على سرا وطلب منه أن يقتله ، وقد توجه المنصور الى الحج بعد أن اقنع عيسى بضرورة فعل ذلك [٥] . ويظهر ان عيسى بن موسى قد تلقى تحذيرا مخلصا من مغبة الاقدام على ذلك واتضح وغلب على ظنه بانها مكيدة مدبرة من المنصور ليقتله قصاصا بعمه فيتخلص منهما معا . وقد ظهرت معالم المكيدة واضحة حينما عاد المنصور من الحج وسأل عن عبد الله بن على وعندما تظاهر عيسى بانه قتله اثار المنصور أعمامه الذين هموا بقتل عيسى لولا أنه أسرع باخراج اخيهم اليهم [٦] .

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ٣٨٠/٢ .
(٢) انظر : الطبرى : تاريخ ٢٥/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٨٠/٥ ، ابن الطقطقى : الفخرى ١٧٣/٩ ، النويرى : نهاية الارب ٩٣/٢٢ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٩/٨ ، المرزبانى : معجم الشعراء ص ٢٥٩ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ١٨٩ب .
(٤) الطبرى : تاريخ ٧/٨ .
(٥) الطبرى : تاريخ ٧/٨ ، ابن العمرانى : الانباء ص ٦٣ ، ابن كثير : البداية ١٠٤/١٠ .
(٦) الطبرى : تاريخ ٧/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص ٣٠ .

ونتيجة لفشل المحاولة الأخيرة فقد لجأ المنصور في سنة ١٥١هـ/٧٦٨م الى تجديد البيعة لنفسه ولابنه المهدي ولعيسى ابن موسى بعده ، فكان المبايعون يقبلون يد المنصور ويد المهدي ثم يمسحون على يد عيسى بن موسى ولايقبلونها (١) .

ولكن عيسى بن موسى ظل في الغالب يشعر بانه كان قد أكره على التنازل عن ولاية العهد المباشرة ، ويظهر بانه قد كان له أنصارا يؤيدونه في ذلك ، فقد ألقى المنصور القبض على بعضهم سنة ١٥٣هـ/٧٧٠م ، كان منهم عباد مولاه وهرثمة بن أعين وأحضرهم مقيدين من خراسان متهما اياهم بنشاطات تآمرية لتعصبهم لعيسى بن موسى (٢) .

وأخيرا فقد خرج المنصور في سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م للحج مصطحبا معه عددا من أعيان بني هاشم وموسى بن المهدي وعيسى ابن موسى (٣) ، ولكنه مرض في الطريق ، وقبل وفاته طلب من حاجبه الربيع بن يونس تأكيد البيعة للمهدي (٤) ، وذلك لمعرفته بدخائل نفوس بعض بني هاشم وطموحهم في الخلافة .

وتشير الروايات بأن الربيع قد أدرك خطورة الموقف لذلك فانه عمل على اخفاء خبر وفاة الخليفة والاسراع في أخذ البيعة للمهدي . وهكذا فانه أجلس الخليفة المتوفى وأسنده بحيث يوهم من يراه بانه حي ، ثم جمع بني هاشم وأخبرهم بأن الخليفة المنصور يطلب منهم تجديد البيعة للمهدي ، فوافق

---

(١) الطبري : تاريخ ٣٩/٨ ، الأزدي : تاريخ الموصل ص ٢١٤ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ١٦/٢ .
(٢) الطبري : تاريخ ٤٢/٨ ، ابن الأثير : الكامل ٦١٠/٥ ، فاروق عمر : العباسيون الأوائل ٢١٥/٢ .
(٣) الطبري : تاريخ ٦٠/٨ ، ابن الأثير : الكامل ٢١/٦ .
(٤) الطبري : تاريخ ١١٣/٨ .

الجميع على ذلك وبايعوا [١] . وعندئذ كشف لهم عن وفاة الخليفة ثم قرأ عليهم مرسوم الخلافة الذى كتبه المنصور قبل وفاته للمهدى والذى حض فيه بنى هاشم وأهل خراسان على الوفاء بالبيعة للمهدى ومناصرته [٢] ، فكان الحسن بن زيد أول من جدد البيعة [٣] ، ثم تبعه سائر الناس .

أما عيسى بن موسى فلقد تمنع عن المبايعة حينما علم بوفاة المنصور ، وكاد ذلك ان يؤدى الى تصدع خطير فى البيت العباسى وخاصة أن بعض القادة ناصروه وترددوا فى البيعة للمهدى ، لكن على بن عيسى بن ماهان [٤] قائد حرس موسى بن المهدى أسرع الى تدارك الأمر فاستل سيفه وهدد عيسى قائلا : "والله لتبايعن أو لأضربن عنقك ، فلما رأى عيسى ذلك بايع" [٥] .

وأما من ناصر عيسى فلقد تكفل بهم محمد بن سليمان اذ رفع سيفه وقال لهم مهددا : "والله لئن امتنع أحد منكم عن البيعة لأرمين برأسه ، فبادروا الى البيعة" [٦] . وبذلك فقد

---

(١) الطبرى : تاريخ ١١٤/٨ ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٢٥ ، ابن الساعى : مختصر أخبار الخلفاء ص٢٢ ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٧٤ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١١٢،١١١/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٣٣/٦
(٣) الطبرى : تاريخ ١١٢/٨ .
(٤) على بن عيسى بن ماهان : ولاه المهدى بعد ذلك رئاسة حرسه وأقره الهادى عليها عندما تولى الخلافة وضم اليه أيضا ديوان الجند . الطبرى : تاريخ ١٨٩/٨ ، ثم ولاه الرشيد على خراسان سنة ١٨٩هـ ولكنه أساء التصرف فعزله الرشيد فى سنة ١٩١هـ . الطبرى : تاريخ ٣٢٤،٣١٤/٨ ، ابن خياط : تاريخ ص ٤٥٩ ، وعندما وقع الخلاف بين الأمين والمأمون انضم عيسى الى جانب الأمين وقتل فى سنة ١٩٥هـ . ابن خياط : تاريخ ص ٤٦٦ .
(٥) الطبرى : تاريخ ١١٣،١١٢/٨ .
(٦) الابى : نثر الدر ٤٤٨/١ .

خرج مناره مولى المنصور مسرعا الى عاصمة الخلافة ومعه مرسوم الخلافة وشاراتها ليسلمها الى المهدى الذى استدعى على عجل لتسلم مقاليد الحكم[(١)] .

مشكلة ولاية العهد فى عهد المهدى :

تولى المهدى الخلافة فى ١٩ ذى الحجة سنة ١٥٨هـ/٢/ اكتوبر ٧٧٤م[(٢)] ، وارثا معها مشكلة ولاية العهد المتمثلة فى بقاء عيسى بن موسى وليا للعهد بعده ، وكان لموقف عيسى بن موسى الاخير من البيعة له ، بالاضافة الى رغبة المهدى تحت ضغط عاطفة الابوة فى حفظ الخلافة فى أبنائه اثره فى تصميم المهدى على ازاحة عيسى بن موسى نهائيا عن ولاية العهد ، وفى أن يقررها الى ابنه موسى ثم الى هارون من بعده .

ولقد تابع المهدى خطوات أبيه فيما يتعلق باعداد أبنائه لولاية العهد فارسل كل من موسى وهارون الى مالك بن أنس فى المدينة ليسمعا منه[(٣)] ، كما أسند الى محمد بن مسلم الجزرى[(٤)] مهمة تاديب ولده موسى وتعليمه ، وكان المهدى "كثيرا مايخرج ويسأل عن موسى وتاديبه"[(٥)] ، وقد حرص المهدى

---

(١) الطبرى : تاريخ ١١٣/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٣٤/٦ .
(٢) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٢/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٠٩/٨ ، المسعودى : مروج ٢٩٤/٣ ، ابن دحية : النبراس ص ٣١ .
(٣) الذهبى : سير أعلام ٦٣/٨ .
(٤) محمد بن مسلم أبى وضاح المثنى القضاعى ، أبو سعيد المؤدب الجزرى ، روى الحديث عن هشام بن عروة ويحيى ابن سعيد الانصارى وغيرهما ، قال احمد وابن معين والنسائى وأبو حاتم ثقة ، وقال أبو داود جزرى ثقة ، وقال البخارى فيه نظر ، وذكره ابن حبان فى الثقات وقال مستقيم الحديث ، وقال ابن سعد مات فى خلافة موسى الهادى وكان ثقة .
انظر : ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٥٣/٩، ٤٥٤ .
(٥) الخطيب البغدادى ٢٥٤/٣ .

كذلك على اختيار صحابة موسى وكان يامر رئيس شرطته بضرب ندماء موسى ومغنيه ، ويامرهم بالابتعاد عنه .(١)

أما هارون فلقد اختار له المهدى فى بداية الأمر يحيى ابن خالد بن برمك(٢) ليربيه ويثقفه ويعرفه الأمور(٣) ، ثم انتدب له بعد ذلك الامام الكسائى(٤) ، حيث طلب منه مواصلة تعليم هارون وتاديبه(٥) .

ولقد سار المهدى على نفس نهج أبيه فيما يتصل باختيار القاب لها دلالتها الدينية ليطلقها على ابنه موسى ، وذلك لكى يضمن له ولاء الرعية ، ويغريهم الى التطلع الى خلافته ، ولذلك فقد لقبه "بالهادى" ليكسبه صفة المهدية(٦) .

ويبدو أن هناك عاملا اضافيا شجع المهدى على سرعة المبادرة الى خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد ، وهو تحمس

---

(١) الطبرى : تاريخ ٢١٦/٨ .

(٢) يحيى بن خالد بن برمك : سيد بنى برمك وأفضلهم ، كان الرشيد قد رضع من زوجة يحيى مع ابنهما الفضل فكان يدعوه يا أبى ، وعندما تولى الرشيد الخلافة قلد يحيى أمور الدولة ، واشتهر يحيى بالجود وحسن السياسة ، واستمر الى أن نكب الرشيد البرامكة فقبض عليه ومات فى السجن سنة ١٩٠هـ .
لمزيد من المعلومات انظر : ابن خلكان : وفيات ٢٢١/٦-٢٢٧ ، ابن كثير : البداية ٢٠٤/١٠ ، الذهبى : سير ٨٩/٩،٩٠ ، الزركلى : الاعلام ١٤٤/٨ .

(٣) الذهبى : سير أعلام ٨٩/٩ .

(٤) الكسائى : على بن حمزة بن عبد الله الكوفى أحد أئمة القراءة والتجويد فى بغداد ، أثنى عليه الشافعى فى النحو وقال الانبارى كان أعلم الناس بالنحو والعربية والقراءات ، صحب الرشيد بعد توليته الخلافة وأدب له ابنه الأمين ، توفى الكسائى فى سنة ١٨٩هـ .
لمزيد من المعلومات انظر : السمعانى : الانساب ٤١٩/١٠-٤٢٢ ، القفطى : انباه الرواة ٢٥٦/٢-٢٧٤ ، الذهبى : سير ١٣١/٩-١٣٤ ، ابن حجر : تهذيب ٣١٣/٧،٣١٤

(٥) ابن الجوزى : أخبار الحمقى ص ١٢١ ، القفطى : انباه الرواه ٢٥٩/٢ .

(٦) فاروق عمر : بحوث فى التاريخ ص ٢١٨ .

معظم بني هاشم وكبار القادة من أهل خراسان لهذا الاجراء ذلك ان هؤلاء كانوا قد ساعدوا المنصور على خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد المباشر ولذلك فانهم كانوا يخشون من أن يلى عيسى الخلافة فينتقم منهم ، ولهذا فانهم كما ذكر الطبرى قد تحركوا "فى خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد وتصيير ذلك لموسى بن المهدى" (١) .

ولقد بدأ المهدى فى سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م أول خطوة فى سبيل خلع عيسى بن موسى ، فأرسل اليه يستقدمه الى بغداد ، وكان يقيم فى ضيعة له بالرحبة من أعمال الكوفة . ولكن عيسى بن موسى رفض الحضور بعد أن أحس بما يدبر له المهدى (٢) . وعندئذ لجأ المهدى الى تطبيق وسائل مختلفة لاجبار عيسى بن موسى على التنازل عن ولاية العهد .

وقد بدأ أولا باستعمال أسلوب المفاوضة اذ أرسل اليه كتابا يصرح له فيه بالأمر ويماله خلع نفسه ، وعندما امتنع عيسى بن موسى عن ذلك (٣) ، ولى المهدى روح بن حاتم المهلبى (٤) على الكوفة وطلب منه أن يجد وسيلة للايقاع بعيسى بن موسى ،

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٢١/٨ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٢١/٨ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص ٢٣٦ ابن الأثير : الكامل ٤٢/٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٥/٢ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٨/٣ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٢٢/٨ .
(٤) روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى : من الكرماء الأجواد ولى لخمسة من الخلفاء ـ أبى العباس السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد ـ ولاه المهدى على الكوفة ثم عزله عنها وولاه على السند فى سنة ١٦٠هـ ثم عزله عنها وولاه على البصرة ، وولاه الرشيد بعد ذلك على افريقية سنة ١٧١هـ ولم يزل واليا عليها حتى توفى سنة ١٧٤هـ .
لمزيد من المعلومات انظر : ابن الابار : الحلة السيراء ٣٥٨/٢-٣٦١ ، ابن خلكان : وفيات ٤٠٥/٢-٤٠٦ .

ولكن عيسى فوت على روح أية فرصة لتحقيق غرضه اذ كان لايدخل الكوفة الا ليشهد الجمع فى شهر رمضان وعيد الفطر وعيد الاضحى ثم يعود الى ضيعته [1] .

استخدم المهدى بعد ذلك اسلوبا آخر ، مزج فيه التهديد بالترغيب ، اذ أرسل اليه كتابا يقول فيه : "انك أجبت عمك فى تقديمى وأنا أحب أن أخرجك عن هذا الامر وأجعله لابنى" [2] ، فانك "ان لم تجبنى الى ان تنخلع منها حتى أبايع لموسى وهارون استحللت منك بمعصيتك مايستحل من العاصى ، وان اجبتنى عوضتك منها ماهو أجدى عليك وأعجل نفعا" [3] .

وتشير بعض الروايات على أن المهدى حاول فى نهاية الامر الاستعانة ببعض الاشخاص للتأثير على عيسى الذى كان قد استقر فى الكوفة واقناعه بالتنازل ، فيذكر الجهشيارى بان المهدى قد أرسل وزيره عبيد الله بن معاوية بن يسار ليناظر عيسى فى خلع نفسه فقال له : "ان المنصور قدم المهدى عليك وعوضك فان اخرجت نفسك من هذا الامر عوضك المهدى ماهو انفع لك وأبقى عليك ، وان أبيت استحل منك المحظور بمعصيتك وخلافك أمره ، وقد لزمتك طاعته ووجب عليك القبول منه" [4] .

ويبدو أن محاولة الوزير لم تحقق ماكان يامله الخليفة ، غير انه لم يتوقف عن المحاولة . ويذكر الطبرى بانه أرسل عمه العباس بن محمد لنفس الغرض ولكن سفارته فشلت ايضا

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٢١/٨، ١٢٢ ، ابن الاثير : الكامل ٤٢/٦
ابن كثير : البداية ١٣٠/١٠ .

(٢) الصولى : أشعار أولاد الخلفاء ص ٣١٨ .

(٣) الطبرى : تاريخ ١٢٢/٨ ، وانظر أيضا ابن الاثير : الكامل ٤٤/٦ ، النويرى : نهاية ١١١/٢٢ .

(٤) الجهشيارى : الوزراء ص ١٤٥، ١٤٦ .

وعاد بجواب عيسى بالرفض .(١)

وهكذا فقد أحس المهدى بأن المفاوضات مع عيسى بن موسى قد طال أمدها دون نتيجة ، فبادر الى ارسال قائده أبى هريرة محمد بن فروخ مع الف فارس ، وأمره باحضار عيسى الى بغداد ، ويبدو أن هذا القائد أراد أن يدخل الفزع والروع فى قلب عيسى لتسهل عليه مهمته ، فاعطى لكل جندى ممن كان معه طبلا وأمرهم بالضرب عليه عند دخول الكوفة . ولقد تم له ماأراد اذ فزع عيسى فزعا شديدا فدخل عليه أبو هريرة واشخصه معه من ساعته الى بغداد .(٢)

وفى السادس من محرم سنة ١٦٠هـ/٢٧ اكتوبر ٧٧٦م وصل عيسى بن موسى الى بغداد حيث ظل يتردد على الخليفة عدة أيام دون أن يحدثه المهدى فى الأمر ، ويبدو أن المهدى قد تعمد ذلك من أجل التأثير فى نفسيته . ثم انتهى ذلك الموقف حينما قرر أنصار المهدى بان الوقت قد حان لاجبار عيسى على خلع نفسه(٣) ، فتآمروا عليه وعمدوا الى ترهيبه والنيل منه وحاصروه فى غرفة صغيرة فى قصر الخلافة وشنوا عليه كيلا من التهديدات والشتائم ، وقد تظاهر المهدى بالانكار على مافعلوه ، ولكن ذلك لم يردعهم اذ استمروا فى التضييق على عيسى وحبسه لأيام متتالية . ولقد اشترك فى هذا التآمر عدد من كبار بنى هاشم(٤) مما يدل على مدى مشاركة الخليفة فى

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٢٢/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٤٤/٦ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٢٣/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٤٤/٦ ، ابن كثير : البداية ١٣١/١٠ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٢٤/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٤٤/٦ .
(٤) الطبرى : تاريخ ١٢٥/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٤٥/٦ ، النويرى : نهاية الارب ١١٢/٢٢ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٨/٣ .

المكيـدة ، اضافـة الـى مايعكسـه ذلك من رغبتهم الاكيدة فى ابعاد عيسى بن موسى عن الخلافة تحقيقا لمصلحتهم .

وعندمـا حشد المهـدى تصميم غالبية بنى هاشم وأركان الدولة على خلع عيسى بن موسى وضمن كراهيتهم له ، فانه الح عليه فى خلع نفسه ، ومبايعة موسى الهادى . غير أن عيسى بن موسى اعتذر بأن الميثاق الذى عين بموجبه وليا للعهد لايمكن مخالفتـه . وقـد أرسـل المهدى الى عدد من القضاة والفقهاء يستفتيهم فى الامر ، وكان منهم محمد بن علاثة ومسلم بن خالد المكى[(١)] فافتوه بامكانية التحلل من اليمين اذا ابتاع المهدى بيعة عيسى التى كانت له فى أعناق الناس "بمال يكون له فيه رضـا وعـوض"[(٢)] ، فقـدر المهدى ثمن البيعة بعشرين مليون درهم وقطـائع كثيرة أعطاهـا لعيسى[(٣)] الذى لم يجد بدا من الاستسلام والموافقة على خلع نفسه .

---

(١) مسلم بن خالد المكى المعروف بالزنجى : فقيه مكة ومفتيهـا ، روى عـن عمـر بن دينار والزهرى وغيرهما . قـال ابـن معيـن فى رواية عنه ثقة وذكره ابن حبان فى الثقـات وقـال منـه تعلـم الشافعى الفقه قبل أن يلقى مالكا ، توفى مسلم سنة ١٨٠هـ .
انظر ترجمته فى : الفاسى : العقد الثمين ١٧٨/٧-١٩٠ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٢٨/١٠-١٣٠ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٢٥/٨ .

(٣) الطبرى : تاريخ ١٢٢/٨ ، الصولى : أشعار ص ٣١٨ ، ابن كثير : البداية ١٣٠/١٠ ، وتذكـر روايـات أخرى بأن المهـدى قد دفع لعيسى عشرة مليون درهم ، الجهشيارى : الـوزراء ص ١٤٦ ، ابن الاثير : الكامل ٤٥/٦ ، اليافعى مـرآة الجنـان ٣٣٩/١ ، لكن من الراجح أن ماذكرناه هو الاصـح لأن المنصـور عـوض عيسى مقابل التنازل ١١ مليون درهـم ، الطبرى : تـاريخ ٢٥/٨ ، فلابـد أن المهدى قد ضاعف الرقم لعيسى كتعويض له .

أخذ البيعة لموسى الهادى :

تمت موافقة عيسى بن موسى على خلع نفسه من ولاية العهد فى ٢٦ محرم سنة ١٦٠هـ/١٤ نوفمبر ٧٧٦م فقام المهدى عندئذ باعداد الترتيبات النهائية لكى تأخذ البيعة صفتها الشرعية فعقد فى اليوم التالى مجلسا خاصا أخذ فيه البيعة من أهل بيته جميعا لنفسه ولابنه موسى من بعده (١) ، ثم خرج الى المسجد الجامع فى الرصافة لأخذ البيعة العامة فيذكر الطبرى بأن المهدى قد خطب فى الناس خطبة تضمنت تبريرا لخلع عيسى بن موسى عن ولاية العهد أوضح فيها بأن ذلك هو ما "أجمع عليه أهل بيته وشيعته وقواده وأنصاره وغيرهم من أهل خراسان من خلع عيسى بن موسى وتصيير الأمر الذى كان عقد له فى أعناق الناس لموسى بن أمير المؤمنين ، لاختيارهم له ورضاهم به ، ومارأى من اجابتهم الى ذلك لما رجا من مصلحتهم وألفتهم ، وخاف مخالفتهم فى نياتهم واختلاف كلمتهم" . كما أعلن فيها عن موافقة عيسى بن موسى على الخلع "وأن عيسى قد خلع تقدمة وحللهم مما كان له من البيعة فى أعناقهم ، وأن ماكان له من ذلك فقد صار لموسى بن أمير المؤمنين وأهل بيته وشيعته فى ذلك" . كما أن الخليفة قد أوضح فى الخطبة بأن ولى عهده الجديد موسى الهادى "عامل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بأحسن السيرة وأعدلها" . مما يعكس الرغبة فى حرص الخليفة على أن يكسب له حب الرعية وولائها . وفى

(١) الطبرى : تاريخ ١٢٥/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٤٥/٦ ، النويرى : نهاية الارب ١١٢/٢٢ ، ابن كثير : البداية ١٣١/١٠ .

نهايـة خطبته ، طلب المهدى من الرعية الاسراع بالمبايعة لأن "الخير كله فى الجماعة ، والشر كله فى الفرقة" [١] .

ثم أمر المهدى فقرىء على الناس كتاب خلع عيسى بن موسى وبانه فعل ذلك "وهو طائع غير مكره ، راض غير ساخط ، محب غير مجبر" [٢] . فاقر عيسى بذلك وبايع المهدى ومسح على يده ثم تبعه كبار بنى هاشم ثم وجوه القادة والشيعة ثم سائر الناس [٣] . واخيرا كتب الى الآفاق بما تم من أمر البيعة للهادى [٤] .

وزيادة فى الحرص والاحتياط فقد طلب المهدى من عيسى بان يكتب كتابا يقر فيه ويشهد على نفسه بتنازله عن ولاية العهد ، ليكون حجة عليه وقطعا لاى ادعاء له فى العدول عن ذلك ، أو المطالبة بالخلافة فيما بعد . وقد تم ذلك ، وتضمن الكتاب جملة أمور أساسية منها اعلانه الرضى عن تولية موسى ابن المهدى ولاية العهد وبأن ذلك ما اجتمعت عليه كلمة الأمة كما أعلن عن خلع نفسه من الولاية ، وبانه ليس له طاعة ولابيعة على أحد من المسلمين طوال حياته . كما انه اشترط على نفسه الوفاء بالعهد الذى قطعه على نفسه بخصوص ذلك ، مؤكدا بالايمان الغليظة على السمع والطاعة ، والنصيحة للمهدى ولولى عهده موسى ، والموالاة لهما ولمن والاهما ، والمعاداة لمن عاداهما .

وقد تضمن الكتاب فوق ذلك بانه اذا حاول عيسى بن موسى

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ ١٢٥/٨-١٢٦ .
(٢) ن . م . ص ١٢٦/٨ .
(٣) ن . م . ص ١٢٦/٨ ، ابن كثير : البداية ١٣١/١٠ .
(٤) الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٠ .

التبديل أو التغيير في ما أعطى من عهد وميثاق أو نقض البيعة للمهدى أو لولى عهده "فكل زوجة عنده طالق ثلاثين سنة ، وكل مملوك يملكه حر الى ثلاثين سنة ، وكل مال لديه نقد أو عرض قليل أو كثير صدقة على المساكين الى ثلاثين سنة وعليه المشي حافيا من بغداد الى مكة نذرا واجبا ثلاثين سنة ولايخرجه من هذا العهد الا الوفاء به" . وقد شهد على اقرار عيسى بن موسى بما في ذلك الكتاب (٤٣٠) رجلا من بني هاشم والموالي وصحابة المهدى من قريش والوزراء والكتاب والقضاة (١) .

وبذلك فقد ضمن الخليفة المهدى الخلافة في ولده وأزاح عيسى بن موسى عن ولاية العهد ، يبدو الأخير قد آثر التنازل عن حقه في ولاية العهد بعدما اتضح له أنه أضعف من أن يقف أمام قوة وسلطان المهدى والتفاف الناس حوله ، فكان يقول : "مالقى أحد مالقيت . كل أهلى أمنوا بعد خوف ، وأنا خفت بعد أمن ، وسممت مرتين ، وخلعت مرتين ، مع قديم بلائى وطول غنائى" (٢) .

على أن اعتزال عيسى بن موسى عن ولاية العهد لم ينه الخلافات حول السلطة ، فلقد كان هناك البعض من بني هاشم من تتطلع نفسه الى الخلافة نذكر منهم اسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن من نسل الحارث بن عبد المطلب الهاشمى ، والذى كان يرشح نفسه للخلافة (٣) ، لأن الخلافة في رأيه تجوز في صالحى بني هاشم جميعا ولاتصلح الا فيهم "وكان يكثر في قوله ، للاكبر من

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٢٧/٨-١٢٨ ، انظر الملحق رقم (٢) .
(٢) الابى : نثر الدر ٤٤٤/١ .
(٣) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٧١ .

بني عبد المطلب" . فهو بذلك يرى بأنه أحق بالخلافة من (١) المنصور والمهدى . وكان الخليفة المنصور قد سجنه في (٢) المطبق ، واستمر على حاله حتى ولى الخليفة محمد المهدى (٣) الحكم . وفي وزارة يعقوب بن داود في سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م أطلق (٤) المهدى سراحه ، ذلك أن الوزير كان يميل الى اسحاق بن الفضل لما كان بينهما من صداقة قديمة نشأت بينهما في السجن ، وقد أشار الوزير على المهدى بأن يولي اسحاق بن (٥) الفضل على مصر . ولكن الوشاة اقنعوا المهدى بأن اسحاق كان (٦) يخطط بمساعدة الوزير يعقوب على نيل الخلافة ، وبأنه قد اجتمع حوله الكثير من الأنصار ، وانما "يكفيه أن يكتب اليهم فيثوروا في يوم واحد على ميعاد فيأخذوا الدنيا له" (٧) لذلك فقد أعاد المهدى اعتقاله . وقد أنكر اسحاق تلك الاتهامات بشدة أمام المهدى ، ويظهر أن الخليفة قد تحقق من صدقه اضافة الى أنه كان قد انتهج سياسة كسب قوى المعارضة لذلك فلقد عفا عنه وأخلى سبيله . (٨)

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٥٥/٨ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٦٢/٨ ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ١٠٥/٤ .

(٣) المطبق : هو سجن تحت الأرض معد خصيصا للمساجين السياسيين ، وقد وصفه يعقوب بن داود بأنه بئر بنيت عليه قبة لايرى فيه ضوءا ولايسمع فيه صوتا الا في أوقات الصلاة عندما يعلمونه بذلك .
انظر : الخطيب البغدادى : تاريخ ٢٦٤/١٤ ، ابن كثير : البداية ١٨٢/١٠ .

(٤) الطبرى : تاريخ ١٥٦/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٦ ، ابن خلكان : وفيات ٢١/٧ .

(٥) سبق وذكرنا أن يعقوب كان مسجونا في المطبق مع اسحاق ابن الفضل .

(٦) الطبرى : تاريخ ١٥٦/٨ ، التنوخى : الفرج ١٠٥/٤ .

(٧) الطبرى : تاريخ ١٥٦/٨ .

(٨) الطبرى : تاريخ ١٦٢/٨ ، التنوخى : الفرج ١٠٦/٤ .

ولاية العهد الثانية لهارون بن المهدى :

يبدو أن المهدى قد فكر فى أن حفظ الخلافة فى نسله يقتضى تعيين ابنا آخر فى ولاية العهد على أن يلى الخلافة بعد ولده موسى ، وقد وقع اختياره على ولده هارون دون بقية أبنائه ليكون وليا ثانيا للعهد بعد موسى ، وربما تكون قد لعبت عوامل متعددة في هذا التوجه ، لاشك فى أن من بينها تاثير يحيى بن خالد بن برمك واستغلاله لمكانته وحرمته عند المهدى (١) . ولاشك فى أن الصلة الوطيدة التى تربط يحيى بن برمك بهارون بن المهدى ، وتنشئته له منذ نعومة أظفاره واختصاصه به (٢) ، قد جعلته يميل الى تامين مستقبل هارون السياسى فيعمل على أن يتولى العهد بعد الهادى . ولاشك فى ان ذلك يخدم مصلحة اسرة آل برمك الخاصة التى أصبحت منذ ذلك الوقت محورا مهما وقويا فى تاييد هارون ومساندته (٣) . هذا الى جانب تاثير الخيزران زوجة المهدى وتدخلها فى الأمر وتشير الروايات الى انها كانت ذات نفوذ قوى على الخليفة (٤) . ولاريب فى أن عاطفة الأمومة قد دفعتها الى تامين تنصيب ابنها الثانى فى هذا المنصب . وينبغى الا نهمل تاثير صحابة المهدى عليه ، ولاسيما القرشيين المقيمين فى بغداد فقد سأل عبد الله بن مصعب بن الزبير الخليفة المهدى بأن يأخذ البيعة لولده هارون بعد ولى عهده موسى (٥) .

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص ١٣٦ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٤٧/٨ ، ابن كثير : البداية ٢٠٤/١٠ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٤٦/٨ .
(٤) الطبرى : تاريخ ٢٠٥/٨ ، ابن كثير : البداية ١٥٣/١٠ .
(٥) الزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش ص ١٢٩ .

ولقد ظهرت رغبة المهدى فى تعيين هارون وليا للعهد بعد موسى منذ بدا محاولته الاولى لخلع عيسى بن موسى[(١)]، ولكنه أجل البيعة له لصغر سنه حينذاك ، وان كان قد عمل فى نفس الوقت على اظهاره على مسرح الأحداث السياسية فاصطحبه معه الى الحج فى سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م[(٢)]، ثم ضم اليه فى سنة ١٦١هـ/٧٧٧م يحيى بن خالد بن برمك الرجل المتمرس بالعمل السياسى والادارى لتوجيهه وشد أزره[(٣)]. وفى سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م عينه قائدا عاما على جيش الصائفة وخرج معه مشيعا له حتى بلغ هارون حدود بلاد الروم[(٤)]. ثم خطى المهدى خطوة أوسع فى اعلاء شان ابنه هارون اذ عينه بعد عودته من تلك الغزوة أميرا على جميع الاقاليم الغربية فى الدولة الاسلامية وعلى أذربيجان وارمينية[(٥)]، وأمر بان يساعده فى ادارتها وتدبير شئونها خالد بن برمك[(٦)]. وأخيرا أعاد المهدى فى سنة ١٦٥هـ/٧٨١م تعيين هارون قائدا عاما على حملة عسكرية ضد الروم ، ولقد كان للانتصار الكبير الذى حققه هارون فى تلك الغزوة ووصوله الى مشارف القسطنطينية[(٧)] أثره الكبير على المهدى حيث

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٢٢/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٤٤/٦ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٣٣/٨ ، ابن كثير : البداية ١٣٢/١٠ ، الجزيرى : درر الفرائد ٤٦٥/١ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٤٠/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٦/٦ ، أبو الفداء : المختصر ٨/٢ .
(٤) انظر الطبرى : تاريخ ١٤٧/٨، ١٤٨ ، ابن كثير : البداية ١٤٦/١٠ .
(٥) الطبرى : تاريخ ١٤٨/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٦١/٦ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ١٩١أ ، النويرى : نهاية ١١٤/٢٢ ، ابن كثير : البداية ١٤٦/١٠ ، ابن تغرى بردى النجوم ٤٥/٢ .
(٦) الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٠ .
(٧) البسوى : المعرفة والتاريخ ١٥٤/١ ، الطبرى : تاريخ ١٥٢/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٦٦/٦ ، مؤلف مجهول : العيون ٢٧٨/٣، ٢٨٩ .

عقد العزم بعدها على أخذ البيعة لهارون وليا ثانيا للعهد بعد أخيه موسى .

وحين عاد هارون من الغزوة في سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م ، استقبله المهدى استقبالا حافلا وعقد مجلسا خاصا في قصره بالرصافة جمع فيه أعيان بنى هاشم ورؤساء القادة وأطلعهم على رغبته في تولية هارون وليا للعهد بعد موسى ، وأخذ عليهم البيعة بذلك ولقبه "بالرشيد" (١) .

على أن قضية ولاية العهد لم تقف عند هذا الحد بل أن المهدى عزم تحت ضغط الجماعة المؤيدة لهارون وبخاصة زوجته الخيزران التى كانت تريد اقصاء الهادى لوقوفه بوجه تدخلها في الأمور السياسية (٢) ، على تقديم هارون على أخيه الهادى في ولاية العهد . وقد أرسل الخليفة المهدى رسلا الى ولده الهادى ، وكان معسكرا بجرجان ليقطع في أمر تقديم البيعة للرشيد . وقد امتنع موسى الهادى عن الاستجابة الى رغبة والده ، مما دفع الخليفة الى أن يرسل بطلب استقدامه مع احد الموالى (٣) ، وقد رفض الهادى الاذعان له وضربه واعتصم بجرجان (٤) ، وعندئذ قرر المهدى الخروج بنفسه لاقناع الهادى بما يريد ، ولكنه توفى في الطريق اليه في سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م قبل أن يحقق ماكان يريد (٥) .

---

(١) ابن أعثم الكوفى : الفتوح ٢٤٠/٨ .
(٢) الطبرى : تاريخ ٢٠٥/٨ ، المسعودى : مروج ٣٣٨/٣ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٦٨/٨ ، النويرى : نهاية الارب ١١٨/٢٢ العصامى المكى : سمط النجوم ٢٦٧/٣ .
(٤) السهمى : تاريخ جرجان ص ٢٥٩ ، الذهبى : العبر ٢٥٤/١.
(٥) الطبرى : تاريخ ١٦٨/٨ ، المسعودى : مروج ٣١٩/٣ ، مؤلف مجهول : العيون ٢٧٩/٣ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر ص ١٢٧ ، النويرى : نهاية الارب ١١٨/٢٢ ، ابن كثير : البداية ١٥٦/١٠ .

الفصل الثاني

التنظيمات الإدارية والمالية

المبحث الأول : الوزارة .

المبحث الثاني : حركة تبديل العمال والولاة .

المبحث الثالث : تشديد الرقابة على الدواوين .

المبحث الرابع : النظر في المظالم وردها .

المبحث الخامس : تطوير البريد وتنظيمه .

(١) الـــوزارة

أولا : الوزراء وازدياد أدوار الوزراء .

استحدث لقب الوزارة لأول مرة في تاريخ الاسلام قبل استخلاف أبي العباس السفاح بشهرين تقريبا ، عندما أظهر الدعاة أبا سلمة الخلال[1] وسلموه الرياسة "وسموه وزير آل محمد"[2] ، فلما تولى السفاح الخلافة أبقاه على منصبه ، ويعلق ابن خلكان على استيزار السفاح له بقوله : "وأبو سلمة أول من وقع عليه اسم الوزير ، وشهر بالوزارة في دولة بني العباس ، ولم يكن من قبله يعرف بهذا النعت ، لافي دولة بني أمية ولافي غيرها من الدول"[3] .

والظاهر فان وظيفة الوزراء الأول كانت كوظيفة الكاتب لدى الأمويين ، ويؤيد ذلك ابن الطقطقى بقوله : "والوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها الا في دولة بني العباس فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ، ولامقررة القوانين ، بل كان لكل واحد من الملوك اتباع وحاشية فاذا حدث أمر استشار بذوي الحجا والآراء الصائبة ، فكل منهم يجري مجرى وزير ، فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة وسمي الوزير وزيرا ، وكان قبل ذلك يسمى كاتبا أو مشيرا"[4] ، وقول

---

(١) أبو سلمة الخلال ، حفص بن سليمان مولى لبني حارثة بن كعب ، كان له دورا كبيرا في الدعوة العباسية اذ كان واسطة الاتصال بين ابراهيم الامام ودعاته في خراسان ، استوزره السفاح وفوض اليه الأمور ، وبعد أربعة أشهر اغتيل ليلا على يد أبي مسلم الخراساني سنة ١٣٢هـ .
لمزيد من المعلومات انظر : ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ٣٨٠/٤ ، ابن خلكان : وفيات ١٩٥/٢ ، الزركلي : الأعلام ٢٦٣/٢ .

(٢) الجهشياري : الوزراء ص ٨٤ .

(٣) ابن خلكان : وفيات ١٩٥/٢ .

(٤) ابن الطقطقى : الفخري ص ١٥٣ .

المسعودى : "استخارت بنو العباس تسمية الكاتب وزيرا فلم يكن الخلفاء والملوك تستوزر الا الكامل من كتابها ..."(١) .

ولما قتل أبو سلمة الخلال لم يتلقب أحد ممن استوزرهم السفاح بعده بلقب الوزارة تطيرا مما جرى عليه(٢) .

أما فى عهد المنصور فلم تكن للوزارة قيمة كبيرة اذ كان الوزير مجردا من كل سلطان وذلك راجع الى قوة شخصية المنصور وسيطرته على جميع أمور الدولة فيقول ابن الطقطقى "لم تكن الوزارة فى أيامه طائلة لاستبداده واستغنائه برأيه وكفاءته مع انه كان يشاور فى الأمور دائما ، وانما كانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء ، وكانوا لايزالوا على وجل منه وخوف فلايظهر لهم أبهة ولارونق"(٣) .

على أن دور الوزارة بدأ يتضح على مايبدو فى عهد الخليفة المهدى ، وقد يعود ذلك الى استقرار الأوضاع فى الدولة والى كفاءة أول وزرائه أبا عبيد الله معاوية بن يسار ، فيقول ابن الطقطقى : "فى أيامه ظهرت أبهة الوزارة بسبب كفاءة وزيره أبى عبيد الله معاوية بن يسار ، فانه جمع له حامل المملكة ورتب الديوان وقرر القواعد ، وكان كاتب الدنيا ، وأوحد الناس حذقا وعلما وخبرة"(٤) .

وقد استوزر الخليفة محمد المهدى ثلاثة من الوزراء .

---

(١) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣١٠ .
(٢) ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٥٦ .
(٣) ن . م . ص ص ١٧٤ .
(٤) ن . م . ص ص ١٨١ .

أولا : وزارة أبى عبيد الله معاوية بن يسار (١) .

كان عبيد الله من موالى الاشعريين (٢) ، أصله من طبريه من بلاد الاردن (٣) ، اشتغل فى بداية أمره بالحديث وطلب العلم وكان "خيرا فاضلا عابدا" (٤) ، ثم عمل بالتعليم (٥) ، ولقد لفت اليه انظار معاصريه لما اظهره من البراعة فى البلاغة والادب بالاضافة الى الذكاء مما جعل صالح بن على يستقدمه اليه ويستكتبه (٦) ، فلما تتابعت كتبه عن صالح بن على الى المنصور قال المنصور : "كنت أرى كتب صالح بن على ترد ملحونة ، وأراها الآن ترد بغير ذلك الخط ، وهى محكمة ، سديدة ، حسنة فخبر بخبر أبى عبيد الله ، فأحضره ، فلما فاتشه ، وجده "كما أراد فاستكتبه لابنه المهدى" (٧) . ويذكر ابن الطقطقى أن المنصور "كان قد عزم على أن يستوزره ، لكنه آثر به ابنه المهدى" (٨) ، ولما انفذ المنصور المهدى الى الرى لمحاربة

---

(١) يسميه الجهشيارى أبو عبيد الله عبيد الله بن عمران . الوزراء ص ١٤١ .

(٢) الاشعريين : هذه النسبة الى أشعر وهى قبيلة مشهورة باليمن ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى لأعرف منزل الأشعريين بالليل لقراءتهم القرآن ، لمزيد من المعلومات انظر : السمعانى : الانساب ٢٧٣/١ .

(٣) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣١٣ ، المرزبانى : معجم ص ٣٩٥ ، مؤلف مجهول : العيون ٢٨٠/٣ ، الخطيب البغدادى : تاريخ ١٩٦/١٣ ، ابن خلكان : وفيات ٢١/٧ .

(٤) الخطيب البغدادى : تاريخ ١٩٦/١٣ .

(٥) التنوخى : الفرج ٢٦٠/٣ ، الجهشيارى : الوزراء ص ١٤٥.

(٦) صالح بن على بن عبد الله بن عباس : عم المنصور ، قائد وأمير كان قائد الجيش الذى تعقب مروان الى مصر وقتله ، فولاه السفاح مصر ، ثم ضمت اليها فلسطين ، فانتقل اليها ثم ولى مصر وفلسطين وافريقية ثم ولى الجزيرة واستقر بها ، وكانت له الديار الشامية كلها توفى بقنسرين سنة ١٥١هـ .
انظر : الزركلى : الأعلام ٢٧٨/٣ .

(٧) التنوخى : الفرج بعد الشدة ٢٦٠/٣ .

(٨) ابن الطقطقى : الفخري ص ١٨٢ .

عبد الجبار بن عبد الرحمن الذى ثار بخراسان سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م ضم اليه أبا عبيد الله وأوصاه به وأمره بامتثال[1] مايشير به ، بل ان المنصور قد أعطى ثقته لأبى عبيد الله[2] فأذن له فى الانفاق والتصرف فى بيت المال بالرى[3] .

ويبدو أن مكانة أبى عبيد الله قد علت عند المهدى فكانت كتبه تخرج الى القادة بالأمر والنهى[4] ، وكان المهدى يعظمه ولايعصى له قولا[5] ، ولايخالفه فى شىء مما يشير به عليه[6] ولعل ذلك هو ماجعل الموالى من الجند يضيقون به لمكانته عند المهدى فكانوا "يشنعون على أبى عبيد الله عند المهدى ويسعون عليه عنده ، فكانت كتب أبى عبيد الله تنفذ عند المنصور بما يريد من الأمور ، وتتخلى الموالى بالمهدى ، فيبلغونه عن أبى عبيد الله ويحرضونه عليه"[7] . ويذكر الطبرى بأن أبا عبيد الله لما رأى غلبة الموالى على المهدى وخلوتهم به "نظر الى أربعة رجال من قبائل شتى من أهل الادب والعلم فضمهم الى المهدى ، فكانوا فى صحابته فلم يكونوا يدعون الموالى يتخلون به"[8] . وهذا مما سر المنصور وحقق له ماكان يرمى من اصطناع أبى عبيد الله حتى انه قال للربيع ابن يونس : "قد كنت اجتهد بابن عبد الله - يعنى المهدى - أن ينزع عنه لباس العجم ، فلايفعل ، فلما صحبه معاوية ،

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٣٧/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٢/٦ .
(٢) ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٨٢ .
(٣) الجهشيارى : الوزراء ص ١٢٧ .
(٤) الطبرى : تاريخ ٢٩/٨ .
(٥) ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٨٢ .
(٦) الجهشيارى : الوزراء ص ١٢٨ .
(٧) الطبرى : تاريخ ١٣٧/٨ ، وانظر ابن الاثير : الكامل ٥٢/٦ .
(٨) الطبرى : تاريخ ١٣٧/٨ .

لبس لباس الفقهاء" .(١)

ويبدو أن الموالي قد نجحوا لفترة في الايقاع بأبي عبيد الله عند المنصور اذ عظموا عليه الأموال التي انفقها أبو عبيد الله حينما كان في الري ، فلما انصرف المهدي الى بغداد طالب المنصور أبا عبيد الله برفع الحساب بما جرى على يده ، فتخوف هذا الأخير لعظم النفقات التي انفقها المهدي نظرا لكرمه وتقريبه الشعراء ،(٢) فاشار عليه خالد بن برمك بأن "يصير المهدي الى أبيه وعليه سيفه وسواده ، فاذا مثل بين يديه نزع سيفه ، فرمي به ، وقال له : ياأمير المؤمنين ، انت ترشحني لهذا الامر ، وتروى اني المهدي بعدك في الناس ، ثم تكشف كاتبي عما اجريته على يده ، ونفذه بامري وبتوقيعاتي ، فلعلك تنكر شيئا ، فيقول الناس : انه كشف عن خيانة ، فصار أبو عبيد الله الى المهدي فطالبه بذلك ، ففعل ، فأمسك أبو جعفر عنه" .(٣)

وهذه الواقعة تدل بوضوح على مكانة أبي عبيد الله عند المهدي الذي يقول عنه : "ماارأيت احزم ، ولاافهم ، ولاأكفا ولاأعف ، من أبي عبيد الله ، ولقد كنت أحبه مع اجرائي اياه مجرى الوالد" .(٤)

فلما تولى المهدي الخلافة قلد أبا عبيد الله وزارته في سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م وسلم اليه ادارة الدواوين ،(٥) وقد اظهر

---

(١) التنوخي : الفرج ٢٦٠/٣ .
(٢) البيهقي : المحاسن ص ٢٤٦ ، الوطواط : غرر الخصائص ص ٢٩٣ ، ابن عمر البغدادي : خزانة الادب ٢٥٤/٣ .
(٣) الجهشياري : الوزراء ص ١٢٧، ١٢٨ .
(٤) التنوخي : نشوار المحاضرة ١٣٦/٨ .
(٥) الجهشياري : الوزراء ص ١٤١ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٨٢ .

أبو عبيد الله كفاءة كبيرة في عمله فاقترح عمل اصلاح جذري لنظام الخراج ألغى فيه نظام المساحة واستبدل به نظام المقاسمة ، "وصنف كتابا في الخراج ذكر فيه أحكامه الشرعية ودقائقه وقواعده ، وهو أول من صنف كتابا في الخراج" (١) (٢) .

نكبة الوزير معاوية بن يسار وأسبابها :

تكاد تتفق المصادر على أن سبب نكبة أبي عبيد الله هي شدة تكبره على الربيع بن يونس ، اذ أن الربيع كانت له سابقة فضل لدى أبي عبيد الله ، فعندما كانت كتب هذا الأخير ترد الى المنصور من الري يشكو له الموالي ومايلاقيه منهم ويخاف تغير المهدي عليه ، فكان الربيع يحسن ذكر أبي عبيد الله عند المنصور ويكف عنه من يريد غيبته والقدح فيه (٣) ، ويعلمه ثقته وكفايته ويتنجز له الكتب من المنصور الى المهدي بالوصاة" به وترك قبول السعاية فيه (٤) ، ولما توفي المنصور وهو في طريقه الى مكة للحج سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م كان الربيع في جملة من خرج معه فكتم خبر موته وقام بأخذ البيعة للمهدي من أهل بيت المنصور ثم من القادة "فلم يبق أحد من خاصته والأولياء ورؤساء من حضره الا بايع المهدي" (٥) .

ولما عاد الربيع الى بغداد وقد استتب الأمر للمهدي والوزير أبي عبيد الله رأى أن يقابل أولا أبا عبيد الله

---

(١) انظر : قدامة : الخراج ص ٢٢٢ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٨٢ .
(٢) ابن الطقطقي : الفخري ص ١٨٢ .
(٣) الطبري : تاريخ ١٣٧/٥ ، الجهشياري : الوزراء ص ١٥٢ .
(٤) مؤلف مجهول : العيون ٢٧٤/٣ .
(٥) الطبري : تاريخ ١١٤/٨ ، وانظر مؤلف مجهول : العيون ٢٧٤/٣ .

للسلام عليه قبل أن يرى المهدى قائلا لابنه : "يابنى هو صاحب الرجل وليس ينبغى أن نعامله على ماكنا نعامله عليه ، ولا أن نحاسبه بما كان منا فى أمره من نصرتنا له " (١) . لكن أبا عبيد الله لم يكن عند حسن ظن الربيع به فاوقفه ببابه دون أن يأذن له بالدخول عليه من المغرب الى العشاء ، فلما أذن له قابله وهو متكىء فلم يقم اليه ولم يستو جالسا ، ولم يلق اليه شيئا ليجلس عليه ، "وجعل يسأله عن سفره وسيره وحاله والربيع يتوقع أن يسأله عما كان منه فى أمر المهدى وتجديد بيعته ، فأعرض أبو عبيد الله عن ذلك ، فذهب الربيع ليبتدئه بذكره ، فقال : قد بلغنا نبؤكم" (٢) . فكانت هذه المقابلة السيئة للربيع قد أوغرت صدره على الوزير أبى عبيد الله ، فخرج من عنده وهو حاقد عليه وقد عقد النية على الايقاع به " (٣) .

أخذ الربيع يبذل غاية جهده فى سبيل التخلص من معاوية ابن يسار واقصائه عن الوزارة ، فلما لم يجد ، بالرغم من دهائه وسعة مكره ، مطعنا عليه لكفاءة أبى عبيد الله وعفته علم فى سنة ١٦١هـ/٧٧٧م عن طريق خصوم أبى عبيد الله أن له ابنا متهما بالزندقة فبدأ عندئذ فى الدس عليه عند المهدى (٤).

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٣٧/٨ ، وانظر الجهشيارى : الوزراء ص ١٠٢ ، ابن الأثير : الكامل ٥٢/٦ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٩/٣ .

(٢) الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٢ .

(٣) الطبرى : تاريخ ١٣٨/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٣/٦ ، ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٨٢ ، مؤلف مجهول : العيون ٢٧٤/٣ ، ابن خلدون : العبر ٢١٠/٣ .

(٤) الطبرى : تاريخ ١٣٩/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٣/٦ ، مؤلف مجهول : العيون ٢٧٥/٣ .

ويذكر ابن واصل أن المهدى قد شك فى البداية فى صحة خبر الربيع فقال له : "هذا حسد منك ، فقال : افحص عن هذا ، فان كنت مبطلا بلغت فيك الذى يلزم من كذبك"(١) . فأمر المهدى باحضار ابن ابى عبيد الله وناظره ، "فلما صح عنده أمره استتابه فقال لارغبة عما انا عليه ، ولاحاجة فى غيره"(٢) فأمر عندئذ بقتله فقتل .

الا أن دسائس الربيع لم تقف عند هذا الحد بل أخذ يحرض الخليفة على وزيره معاوية بن يسار ويقول له : "قتلت ابنه وليس ينبغى أن يكون معك ، ولاأن تثق به"(٣) . ويذكر الجهشيارى أن الربيع لما قتل عبد الله بن أبى عبيد الله قال لبعض خدم المهدى "لك على ثلاثة آلاف دينار ، ان فعلت شيئا لايضرك قال له : وماهو ؟ قال : اذا دخل أبو عبيد الله الى المهدى فصار بحضرته ، قبضت على سيفه ، ومشيت الى جانبه ، فسينكر ذلك عليك أمير المؤمنين ، فتقول : ياأمير المؤمنين ، قتلت ابنه بالامس ، فكيف آمنه عليك أن يخلو بك ومعه سيفه اليوم ففعل ذلك الخادم ، فكان ذلك مما أوحش المهدى من أبى عبيد الله"(٤) . ويبدو أن مشكلة ابى عبيد الله قد تفاقمت نتيجة لوجود منافس آخر على الوزارة وهو يعقوب بن داود الذى حاز على ثقة المهدى منذ سنة ١٦١هـ/٧٧٧م(٥) . وبذلك اتفقت مصالح يعقوب بن داود مع مصالح الربيع بن يونس

---

(١) ابن واصل : تجريد الاغانى ٣/القسم الثانى ص ٢٠٤٢ .
(٢) اليعقوبى : تاريخ ٤٠٠/٢ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٣٩/٨ ، وانظر ابن خلكان : وفيات ٢١/٧ .
(٤) الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٤ .
(٥) الطبرى : تاريخ ١٣٦/٨ .

فتآمرا على التخلص من أبى عبيد الله (١) . وقد لقيت مساعيهما هذه نجاحا كبيرا اذ لم يلبث أن أصبح "حال يعقوب تزيد ، وحال أبى عبيد الله تنقص ، الى أن سمى المهدى يعقوب أخا فى الله ووزيرا" (٢) . وعزل الخليفة المهدى أبا عبيد الله عن الوزارة فى سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م واقتصر به على ديوان الرسائل ، ثم عزله أيضا عن ديوان الرسائل (٣) وولى عليه الربيع بن يونس (٤) ولكن وعلى الرغم من اضمحلال أمر أبى عبيد الله فقد ظل المهدى يجله ويعامله باحترام كسابق عهده ويقدر له حرمته (٥) .

ثانيا : وزارة يعقوب بن داود .

هو يعقوب بن داود بن طهمان مولى بنى سليم ، كان أبوه داود واخوته يعملون كتابا لنصر بن سيار (٦) ، والى خراسان فى أيام الدولة الأموية (٧) . وقد عنى داود بتربية أبنائه

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٥ ، ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٨٤ .
(٢) الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٥ .
(٣) الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٦ ، ابن خلكان : وفيات ٢١/٧
(٤) الطبرى : تاريخ ١٦٥/٨ ، ابن الأثير : الكامل ٧٥/٦ ، ابن خلكان : وفيات ٢١/٧ ، ابن كثير : البداية ١٤٩/١٠ ابن تغرى بردى : النجوم ٥٢/٢ .
(٥) الطبرى : تاريخ ١٦٥/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٦ .
(٦) نصر بن سيار بن رافع الكنانى : أمير من الدهاة الشجعان ، كان شيخ مضر بخراسان ، ولاه هشام بن عبد الملك امارة خراسان سنة ١٢٠هـ ، وقويت الدعوة العباسية فى أيامه فكتب الى بنى مروان بالشام يحذرهم فلم يأبهوا للخطر ، وعندما سيطر أبو مسلم على خراسان اضطر نصر الى الهرب ، وتوفى بساوه سنة ١٣١هـ . انظر : الزركلى : الأعلام ٢٣/٨ .
(٧) الطبرى : تاريخ ١٥٤/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٥ ، ابن الاثير : الكامل ٦٩/٦ ، ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٨٤ ، أبو الفداء : المختصر ٧٣/٢ ، النويرى : نهاية ١٦٦/٢٢ .

وتعليمهم فنشأوا على درجة كبيرة من العلم والمعرفة والأدب ولما سقطت الدولة الأموية لم يطمع يعقوب واخوته في التقرب من العباسيين لمركز أبيهم السابق عند نصر بن سيار فوجدوا ان العلويين هم البديل للعباسيين ، فأظهروا ميولا نحو الزيدية والتحق يعقوب بابراهيم بن عبد الله فكان يتجول في البلاد منفردا أو مع ابراهيم في طلب البيعة لمحمد بن عبد الله ، ويبدو أن انضمام يعقوب للعلويين لم يكن الا لهدف أن تكون له مكانة مرموقة عند نجاح هذه الثورة واقامة دولة للعلويين[(١)] .

لكن هذه الثورة لم تلبث أن فشلت وقتل كل من محمد وابراهيم ابني عبد الله ، وتمكن المنصور من القبض على يعقوب فضربه[(٢)] ، وحبسه في المطبق في سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م[(٣)] ، مع كل من اسحاق بن الفضل بن العباس والحسن بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ، فظلوا جميعا في السجن حتى تولى المهدي الخلافة وقام في سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م باطلاق السجناء السياسيين من عهد أبيه وكان منهم يعقوب بن داود[(٤)] ، في حين أبقى الحسن ابن ابراهيم مسجونا .

من الراجح أن يعقوب بن داود قد تطلعت نفسه في ذلك الوقت الى الوصول الى مكانة مرموقة في الدولة العباسية ،

---

(١) الطبري : تاريخ ١٥٥/٨ ، ابن الأثير : الكامل ٦٩/٦ ، النويري : نهاية ١٦٦/٢٢ .
(٢) الفاسي : العقد الثمين ٤٧٥/٧ .
(٣) هذا التاريخ يرجحه ابن خلكان لأن مقتل ابراهيم كان في سنة ١٤٥هـ فلابد أن القبض على يعقوب كان في تلك السنة أو بعدها . وفيات ٢٠/٧ ، لذلك فان ماذكره الجهشياري بأن المنصور قبض على يعقوب في سنة ١٤٤هـ وهم . الوزراء ص ١٥٥ .
(٤) الطبري : تاريخ ١١٧/٨ ، مؤلف مجهول : العيون ٢٧٠/٣ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٦/٣ .

فأخذ يخطط لذلك ويسلك طرقا مختلفة ، فلقد بدا يكثر التردد على القاضي ابن علاثة ويعمل على ملازمته متحينا الفرصة ، فما أن علم بمحاولة الحسن بن ابراهيم الفرار من المطبق حتى طلب من القاضي ابن علاثة ايصاله الى أبى عبيد الله معاوية بن يسار وزير المهدى فى ذلك الوقت ، وعندما قابل الوزير فانه التمس منه أن يوصله الى الخليفة المهدى ليبلغه نصيحة مهمة يريد أن يسديها له رافضا أن يبوح بسر تلك النصيحة لغير الخليفة حتى لايعلم آل الحسن بافشائه لسرهم ، فلما دخل يعقوب على المهدى "شكر له بلاءه عنده فى اطلاقه اياه ومنه عليه ، ثم أخبره أن له عنده نصيحة ، فسأله عنها بمحضر من أبى عبيد الله وابن علاثة ، فاستخلاه منهما ، فاعلمه المهدى ثقته بهما ، فابى أن يبوح له بشىء حتى يقوما ، فاقامهما وأخلاه ، فأخبره خبر الحسن بن ابراهيم وما أجمع عليه ، وان ذلك كائن من ليلته المستقبلة فوجه المهدى من يثق به ليأتيه بخبره فاتاه بتحقيق ما أخبره به يعقوب"(١) . فامر المهدى بتحويل الحسن الى سجن آخر ، غير أن الحسن لم يلبث أن نجح فى الهرب فمكث المهدى مدة يطلبه هو وعيسى بن زيد(٢) ، وخلال تلك الفترة كان يعقوب ملازما لأبى عبيد الله معاوية بن يسار(٣) .

ولما كان المهدى تواقا الى اقامة علاقات ودية مع العلويين ، لذلك فانه لما علم بصلة يعقوب بن داود الوثيقة

---

(١) الطبرى : تاريخ ١١٨/٨ ، وانظر ابن الأثير : الكامل ٣٧/٦ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٥٥/٨ .
(٣) ن . م . ص ١١٨/٨ .

بهم بادر وقربه اليه ليساعده فى زيادة التفاهم معهم ، ويدل على ذلك قول المهدى : "لو وجدت رجلا من الزيدية له معرفة بآل حسن وبعيسى بن زيد ، وله فقه فاجتلبه الى على طريق الفقه ، فيدخل بينى وبين آل حسن وعيسى بن زيد ، فدل على يعقوب بن داود" [(١)] ، فلما أحضره ، تقدم يعقوب وضمن له أن يحتال حتى ياتيه به مقابل أن يعطى الحسن الأمان ويمله ويحسن اليه ، فأعطاه المهدى ذلك وضمن له [(٢)]. لذلك يقال أن "منزلته عند المهدى انما كانت للسعاية بآل على" [(٣)].

وقد بدأ يعقوب خطوته التالية فى التقرب الى المهدى ، بعد أن تبين له مبلغ حب الخليفة للعدل والانصاف وأعمال الخير والبر ، ومن هذا المنطلق تقدم الى المهدى بقوله : "يا أمير المؤمنين قد بسطت عدلك لرعيتك وانصفتم ، وعممتهم بخيرك وفضلك ، فعظم رجاؤهم ، وانفسحت آمالهم ، وقد بقيت أشياء لو ذكرتها لك لم تدع النظر فيها بمثل مافعلت فى غيرها ، وأشياء مع ذلك خلف بابك يعمل بها لاتعلمها ، فان جعلت لى السبيل الى الدخول عليك ، وأذنت لى فى رفعها اليك فعلت ، فأعطاه المهدى ذلك ، وجعله اليه ... فكان يعقوب يدخل على المهدى ليلا ويرفع اليه النصائح فى الأمور الحسنة الجميلة من أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة ، وتزويج العزاب ، وفكاك الأسارى والمحبسين ، والقضاء على الغارمين ، والصدقة على المتعففين" [(٤)] ، فحظى بفعله هذا عند

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٥٥/٨ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١١٨/٨ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٥٥/٨ ، وانظر ابن الأثير : الكامل ٧٠/٦ ، النويرى : نهاية الارب ١١٦/٢٢ .
(٤) الطبرى : تاريخ ١١٩/٨ ، وانظر ابن الأثير : الكامل ٣٨/٦ ، ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٨٤ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٦/٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٣٧/٢ .

المهدى وعلت مكانته وأصبح موضع ثقته ، فأعلن أنه اتخذه اخا فى الله واخرج توقيعا بذلك أثبته فى الدواوين ، ثم وصله بمائة الف دينار (١) . ما يشير الى مدى ارتفاع مكانته لديه .

ومما زاد من مكانته لدى المهدى أنه لما حج فى سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م استأمن يعقوب للحسن بن ابراهيم الذى كان قد استتر فى مكة بعد هروبه ، فاحضره للمهدى الذى أحسن صلته وجائزته واقطعه مالا من الصوافى بالحجاز (٢) .

فلما عاد المهدى من الحج أمر يعقوب بتوجيه الأمناء فى جميع الآفاق ، فقام يعقوب بتنفيذ هذا الأمر فى سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م "فكان لاينفذ للمهدى كتاب الى عامل فيجوز حتى يكتب يعقوب بن داود الى أمينه وثقته بانفاذ ذلك" (٣) . وذلك دليل على ماوصلت اليه قدرة يعقوب فى التحكم بادارة الدولة ، والمكانة العالية التى تبوأها فى العاصمة .

ويبدو أن طموح يعقوب بن داود قد ذهب الى أبعد من ذلك اذ تطلع الى منصب الوزارة ذاتها فاستغل عداوة الربيع بن يونس لأبى عبيد الله فشجعه على أن ينال منه ، ويذكر الجهشيارى بانه تمالأ والربيع على أبى بن عبيد الله (٤) ، كما

---

(١) الطبرى : تاريخ ١١٩/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٣٨/٦ ، مؤلف مجهول : العيون ٢٧١/٣ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٦/٣ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٥٦/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٦ ، الأزدى : تاريخ ص ٢٣٩ ، ابن كثير : البداية ١٣٢/١٠ ، النجم عمر : اتحاف الورى ص ٢٠٣، ٢٠٤ .

(٣) الطبرى : تاريخ ١٣٦/٨ ، وانظر ابن الاثير : الكامل ١٥٥/٦ ، ابن خلكان : وفيات ٢١/٧ ، ابن خلدون : العبر ٢١٠/٢ ، الفاسى : العقد الثمين ٤٧٥/٧ .

(٤) الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٥ .

يذكر ابن الطقطقى : "ان يعقوب بن داود قرر للربيع مائة ألف دينار ان حملت له الوزارة" [١] . وقد تم له ما أراد فبعد عزل الخليفة المهدى ابا عبيد الله عنها ، وقام باسناد الوزارة الى يعقوب بن داود فى سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م [٢] ، "وسلم اليه الدواوين وقدمه على جميع الناس" [٣] .

نكبة يعقوب وأسبابها :

لعل من اهم أسباب نكبة يعقوب بن داود ، هى كثرة الوشاية به والدس عليه من جانب الموالى والحاشية عند المهدى [٤] . فيذكر الطبرى انهم كانوا يخلون بالمهدى ليلا "فقولون : هو على أن يصبح فيثور بيعقوب ، فاذا أصبح غدا عليه يعقوب وقد بلغه الخبر ، فاذا نظر اليه تبسم ، فيقول ان عندك لخيرا ! فيقول : نعم ، فيقول : اقعد بحياتى فحدثنى .. فيحدث المهدى ... ويفترقان على الرضا" [٥] .

ولكن هؤلاء الموالى لم يزالوا يحرضونه على يعقوب حتى وجدوا عليه مطعنا ، ويبدو ان المهدى قد تاكد له فى النهاية عدم ولاء يعقوب له وانه يمثل خطرا على الدولة ولذلك فقد بادر الى التخلص منه ، ويبدو ان جملة أسباب اشتركت فى التاثير على الخليفة المهدى قبل أن يقرر التخلص من يعقوب وابعاده عن الوزارة ، منها ماتذكره المصادر من

---

(١) ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٨٤ .
(٢) الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٦ ، ابن خلكان : وفيات ٢١/٧ الفاسى : العقد الثمين ٤٧٥/٧ .
(٣) ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٨٤ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ٧٠/٦ ، ابن كثير : البداية ١٤٨/١٠ ، ابن خلدون : العبر ٢١١/٣ .
(٥) الطبرى : تاريخ ١٥٧/٨ .

صداقة قوية تربطه باسحاق بن الفضل ، وترجع تلك العلاقة الى الفترة التى تعارفا فيها حيث أودعا سويا فى سجن المطبق فى عهد الخليفة المنصور . وقد تعمقت صلتهما ببعضهما بعد ذلك واستمرت حتى ولى يعقوب وزارة المهدى الذى استمر على مايبدو يكثر من التردد على اسحاق وكان لاسحاق رأى فى الخلافة لاينسجم مع نظرية العباسيين فيها ، فهو يرى أن الخلافة لاتجوز الا فى بنى هاشم على أن تكون للاكبر من بنى عبد المطلب (١). ولقد استغل خصوم يعقوب ذلك وعملوا على تحذيره من خطره ، فكان يقال للمهدى "ان المشرق والمغرب فى يد يعقوب واصحابه ، وقد كاتبهم ، وانما يكفيه أن يكتب اليهم فيثوروا فى يوم واحد ، على ميعاد ، فيأخذوا الدنيا لاسحاق بن الفضل" (٢).

ويظهر انه كان لتلك السعاية أثرها القوى على الخليفة المهدى . وقد تأكد للخليفة حقيقة الخطر حينما رشح الوزير اسحاق بن الفضل ليتولى امارة مصر . وقد ذكر الطبرى ان الوزير يعقوب قد دخل يوما على المهدى فقال له : "يا أمير المؤمنين قد عرفت اضطراب أمر مصر ، وأمرتنى أن التمس لها رجلا يجمع أمرها ، فلم أزل أرتاء حتى اصبت لها رجلا يصلح لذلك ، قال : ومن هو ؟ قال : ابن عمك اسحاق بن الفضل" (٣). فبدأ المهدى منذ ذلك الوقت يرتاب فى أمر يعقوب ثم تتابعت الوشاية فيه اذ وجد أعداؤه مطعنا آخر عليه وهو صلته

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٥٥/٨ ، التنوخى : الفرج ١٠٥/٤ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٥٦/٨ ، وانظر ابن الاثير : الكامل ٧٠/٦ ، النويرى : نهاية ١١٦/٢٢ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٥٦/٨ ، وانظر التنوخى : الفرج ١٠٥/٤

القديمة بالعلويين ، فأخذوا يذكرون للمهدي خروجه على المنصور مع ابراهيم بن عبد الله العلوي (١) ، وانه بعد أن تولى الوزارة قد أرسل الى الزيدية "فاتى بهم من كل أوب ، وولاهم من أمور الخلافة في الشرق والغرب كل جليل وعمل نفيس والدنيا كلها في يده" (٢) . ويظهر ان الخليفة المهدي لم يرد أن يقبل فيه شيئا من السعايات والوشايات قبل أن يمتحن اخلاصه له ، لذلك فقد دعا به يوما الى مجلسه وقال له : "لي اليك حاجة ، فقام قائما ، وقال : ياأمير المؤمنين ماهذا القول الا لموجدة ، وأنا استعيذ بالله من سخطك ، فقال له : احب أن تضمن لي قضاءها ، فقال : السمع والطاعة ، فقال له والله ، فقال والله ثلاثا" (٣) ، فلما استوثق منه دفع اليه رجلا من العلويين وقال له : أحب أن تكفيني مؤونته وتريحني منه ثم أهدى اليه جميع ماكان في مجلسه من فرش بالاضافة الى جارية كانت فيه ، كما وصله بمائة الف درهم ، فحمل ذلك كله الى منزله (٤) . لكن يعقوب ، وبسبب ميوله العلوية وربما لزهده وتعففه عن الولوغ في الدم الحرام ، أقدم على مخالفة

---

(١) الجهشياري : الوزراء ص ١٥٩ ، ابن خلكان : وفيات ٢٣/٧

(٢) الطبري : تاريخ ١٥٦/٨ ، وانظر الجهشياري : الوزراء ص ١٥٨ ، ابن الأثير : الكامل ٧٠/٦ ، النويري : نهاية ١١٦/٢ .

وفي ذلك يقول بشار بن برد :

بني أمية هبوا طال نومكم ... ان الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم ياقوم فاطلبوا ... خليفة الله بين الدف والعود

انظر في ذلك : الطبري : تاريخ ١٥٦/٨ .

(٣) الجهشياري : الوزراء ص ١٦٠ ، وانظر ابن خلكان : وفيات ٢٣/٧ .

(٤) الطبري : تاريخ ١٥٨/٨ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ٢٦٥/٤ ، ابن خلكان : وفيات ٢٣/٧ ، ابن كثير : البداية ١٤٨/١٠ .

الخليفة واطلق سراح الرجل ، وأعطاه مالا وأوعز اليه بالرحيل والاختفاء . ويبدو أن خبر ذلك قد بلغ مسامع الخليفة اذ سربت الجارية أخبار الوزير اليه ، وتمكن حرس الخلافة من اعادة العلوى الى السجن ، فلما كان اليوم التالي حضر يعقوب الى مجلس المهدى دون أن يعلم ماحمل من تطورات ، فساله المهدى عن الرجل فاجابه بأنه قد قتله وأراحه منه (١) ، وعندئذ أخرج له المهدى الرجل فسقط فى يده وامتنع عن الكلام ، فقال المهدى : "لقد حل لى دمك لو آثرت اراقته ، ولكن احبسوه فى المطبق ، ولاأذكر به" (٢) . وكان ذلك فى سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م ، وقد أتبع المهدى ذلك بأن أصدر أوامره بعزل جميع أصحاب يعقوب من الاعمال والولايات فى المشرق والمغرب ، بل لقد بلغ غضب المهدى على يعقوب حدا دفعه الى أن يامر بان يحبس جميع أهل بيته واقاربه (٣) .

ثالثا : وزارة الفيض بن صالح بن شيرويه .

كان اهل الفيض من نصارى نيسابور ، فلما قامت الدولة العباسية انتقلوا الى بغداد وأسلموا ، وتربى الفيض فى

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٥٩/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص ١٦١ ، ابن الاثير : الكامل ٧٢/٦ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٥٩/٨ ، وانظر الخطيب البغدادى : تاريخ ٢٦٥/١٤ ، ابن خلكان : وفيات ٢٤/٧ ، مؤلف مجهول العيون ٢٧٨/٣ .
ولقد ظل يعقوب فى سجنه حتى عهد الخليفة هارون الرشيد حيث شفع فيه يحيى بن خالد البرمكى لدى الرشيد فاخرجه وأحسن اليه وخيره المقام حيث يريد فاختار مكة ، فاقام بها حتى مات فى سنة ١٨٢هـ .
انظر : الخطيب البغدادى : تاريخ ٢٦٥/١٤ ، الفاسى : العقد الثمين ٤٧٥/٧ .

(٣) الطبرى : تاريخ ١٦١/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص ١٦٣ .

الدولة العباسية وتأدب وبرع [1]، فلما غضب المهدى على يعقوب وعزله ، وصف له الفيض ، فأمر باحضاره ويبدو أنه أعجب به لعلمه وعزة نفسه [2]، فاستوزره ، ولقد بقي الفيض في منصب الوزارة حتى وفاة الخليفة المهدى ، وان كانت المصادر لاتوضح طبيعة الاعمال التى عهد بها للوزير في هذه المرحلة ، ذلك انها اخذت تتوسع في ذكر اجراءات الخليفة واشرافه الشخصي على مختلف الأمور وخصوصا الشؤون الادارية والمالية [3]، وهو مايكشف عن تدهور مكانة الوزير واختصاصاته ، كما ويتضح من ذلك بانه على الرغم من اتساع سلطة الوزير في عهد المهدى الا أن الوزراء ظلوا على الدوام تحت الاشراف المباشر للخليفة الذى كان في مقدوره سحب اختصاصاتهم بشكل مباشر متى ماأراد ذلك ، وان دورهم قد اقتصر في الغالب على تنفيذ مطالب الخليفة وانفاذ أوامره وآرائه .

---

(١) ابن الطقطقى : الفخري ص ١٨٧ .
(٢) يوصفه ابن الطقطقى بأنه جوادا عزيز النفس كبير الهمة الفخري ص ١٨٧ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٨/١٦٢-١٦٨ .

(٢)حركة تبديل العمال والولاة

ثانيا : حركة تبديل العمال والولاة .

عنى المهدى عناية كبيرة باختيار العمال والولاة ، فكان تقويمه لهم يقوم على أساس الكفاية والاخلاص له (١) . وقد عرف عن الخليفة المهدى انه يباشر الأمور بنفسه (٢) ، "ولايتكل فى الامور على غير ثقة" (٣) ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى كان يحرص على تغيير العمال واجراء عمليات نقلهم بصورة مستمرة (٤) ، ولعل ذلك يعود الى محاولته بان لايترك لوال فرصة فى تثبيت قدمه فى الولاية لفترة طويلة خشية أن تحدثه نفسه بالاستقلال عن الدولة ، وهذه السياسة هى استمرار لسياسة أبيه المنصور الذى حرص على التاكيد على ولده المهدى بالالتزام بها حين قال له موصيا : "واستعمل حسن الظن بربك ، وأسىء الظن بعمالك وكتابك ، وخذ نفسك بالتيقظ وتفقد من يبيت على بابك" (٥) .

أما ولاة المهدى على الاقاليم فهم :

---

(١) يذكر السيوطى أن رجلا صاح بالمهدى وهو فى موكبه :
قل للخليفة : حاتم لك خائن
فخف الاله واعفنا من حاتم
فقال المهدى يعزل كل عامل يدعى حاتم . تاريخ ص ٢٠٨ .

(٢) الثعالبى : تحفة الوزراء ص ١١٥ ، النويرى : نهاية ١١٩/٢٢ .

(٣) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣١٣ .

(٤) المسعودى : التنبيه ص ٣١٣ ، ابن كثير : البداية ١٣٠/١٠ ، مؤلف مجهول : العيون ٢٨١/٣ .

(٥) الطبرى : تاريخ ١٠٦/٨ ، ابن الأثير : الكامل ٢٠/٦ ، النويرى : نهاية ١٠٥/٢٢ .

(١) مكة والطائف :

توفى المنصور وعامله على مكة والطائف ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عباس[(١)] ، وقد أقره المهدى عليها بوصية من أبيه[(٢)] ، لكنه عزله فى سنة ١٦٠هـ بعد أن حج وقرر العمل على زيادة المسجد الحرام والمسجد النبوى ، ولعله لم يجد فيه الكفاية المرجوة ، وقد عين بدلا منه جعفر بن سليمان بن على فى سنة ١٦١هـ/٧٧٧م[(٣)] ، فجمع له ولاية مكة والمدينة والطائف[(٤)] ، وعهد اليه بالاشراف على التوسعة[(٥)] ، فكانت تلك التوسعة الأولى له ، غير أنه ما ان انتهى من عمله فى التوسعة فى نهاية سنة ١٦٥هـ/٧٨١م[(٦)] ، حتى عزله المهدى فى السنة التالية من الولاية "وماكان اليه من العمل"[(٧)] ، وعهد

---

(١) ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس أمير عباسى ، وهو ابن أخ الخليفة أبى جعفر المنصور وهو الذى صلى عليه عندما توفى لأن الربيع قال : لايصل عليه أحد يطمع فى الخلافة .
الطبرى : تاريخ ٦١/٨ ، حج بالناس سنة ١٦٦هـ ، وتوفى بعد عودته بأيام . البسوى : المعرفة ١٥٤/١ ، الطبرى تاريخ ١٦٥/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٧٦/٦ ، ابن كثير : البداية ١٤٩/١٠ .

(٢) الفاسى : تحصيل المرام ورقة ٢٥٠ .

(٣) جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ، كان من نبلاء الملوك جودا وبذلا وشجاعة وعلما (الذهبى : سير ٢٣٩/٨) ، كان المنصور قد جمع له بين امرة مكة والمدينة فكان أول من خطب بهما فى خلافة بنى هاشم وظل واليا عليها لمدة ثلاث سنوات (السخاوى : التحفة اللطيفة ٧٣،٧٢/١) ثم عزله عنها فى سنة ١٤٩هـ . (ابن خياط : تاريخ ص ٤٣٠) ، توفى جعفر سنة ١٧٤هـ ، وقيل سنة ١٧٥هـ . الذهبى : سير ٢٤٠/٨ .

(٤) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٠ ، ابن الاثير : الكامل ٦١/٦ .

(٥) البلاذرى : فتوح ص ١٧ ، ابن محاسن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٧٤ ، النجم عمر : اتحاف الورى ٢١٢/٢ .

(٦) ابن محاسن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٧٥ .

(٧) الطبرى : تاريخ ١٥٤/٨ .

بها الى عبيد الله[1] بن قثم بن العباس[2] ، الذى استمر فى منصبه حتى سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م حيث عزله كذلك وولى أحمد بن اسماعيل[3] .

(٢) المدينة :

عندما تولى المهدى الخلافة كان الوالى على المدينة عبد الصمد بن على ، لكن المهدى عزله عنها فى سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م لموجدة حدثت بينهما[4] ، ويذكر الآبى أن سبب ذلك هو أن الخليفة المهدى أمر عبد الصمد بن على "أن يقسم فى أهل مكة مائة ألف درهم أرسلها له ، غير ان الاخير حواها ولم يعطهم شيئا ، فلما عزل وخرج صرخوا به : "أيتها العير انكم لسارقون" فقال ... ماذا تفقدون ؟ قالوا : مائة ألف درهم أمرك أمير المؤمنين بقسمتها فى أهل مكة ، فقال : أنا البطحاء ، وأنا مكة ، وأنا زمزم ، فاذا قسمتها فى دارى فقد قسمتها فى أهل مكة"[5] .

وقد ولى الخليفة المهدى مكانه محمد بن كثير[6] ، غير أن

---

(١) عبيد الله بن قثم بن العباس بن عبد الله بن عباس ، ولاه الهادى على مكة والطائف فى سنة ١٦٩هـ ، فظل بها حتى خلافة هارون الرشيد ، ثم عزله عنها ، وذكر الفاسى نقلا عن الفاكهى بأن عبيد الله بن قثم هذا كان فيمن مات بمكة من الولاة . العقد الثمين ٣١٥/٥ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٦٦/٨ ، الفاسى : العقد الثمين ٣١٤/٥
(٣) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٠ ، الأزدى : تاريخ ص ٢٥٢ ، وسوف ترد ترجمته فيما بعد .
(٤) الطبرى : تاريخ ١١٦/٨ .
(٥) الآبى : نثر الدر ٤٥٦/١ .
(٦) محمد بن عبد الله بن كثير بن الصلت الكندى : ولى قضاء المدينة فى سنة ١٥٠هـ . وكيع : أخبار القضاة ٢٢٤/١ ، ثم عزله المنصور وولاه على شرطة المدينة ، ثم ولاه المهدى قضاءها ثم ولاه على المدينة . وكيع : أخبار ٢٢٧/١٥ .

ولايته لم تستمر طويلا لسوء ادارته[1] ، فعزله فى تلك السنة ، واستعمل عليها عبيد الله بن محمد بن صفوان الجمحى[2] ، فظل واليا عليها حتى توفى فى سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م[3] ، فولى المهدى عليها زفر بن عاصم الهلالى[4] ، ثم عزله وجعل جعفر بن سليمان[5] واليا على مكة والطائف والمدينة سنة ١٦١هـ . وقد ظل جعفر عاملا على الحجاز حتى سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م حيث عزله واقام مكانه ابراهيم بن يحيى العباسى[6] الذى لم يلبث أن توفى فى سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م ، فعين اسحاق بن عيسى بن على العباسى[7] واليا على المدينة ، مما يؤكد اعادة النظر فى التقسيم الادارى وافراد المدينة بوال خاص كما كانت قبل توحيدها مع مكة

---

(١) هجاه الأسود بن عمارة من ولد عبد المطلب بن عبد مناف فقال :
نقمناك شرطيا فاصبحت قاضيا
وصرت أميرا بشرى قحطان
وكيع : أخبار القضاة ٢٢٨/١ .

(٢) عبيد الله بن محمد بن صفوان بن عبيد الله الجمحى : كان قاضيا على المدينة زمن هشام بن عبد الملك الأموى وكيع : أخبار ١٧٢/١٥ ، وفى عهد الخليفة المنصور ولاه على القضاء ببغداد . الطبرى : تاريخ ١١٥/٨ ، ثم ولاه المهدى على المدينة حتى توفى بها سنة ١٦٠هـ . ابن مصعب الزبيرى : نسب قريش ص ٣٩٢ ، الطبرى : تاريخ ١٣٢/٨ .

(٣) البسوى : تاريخ ١٤٧/١ ، الطبرى : تاريخ ١٣٢/٨ .

(٤) زفر بن عاصم بن يزيد الهلالى : أحد قادة المنصور ، ولاه على الصائفة فى سنة ١٥٤،١٥٦هـ . انظر ابن خياط : تاريخ ص ٤٢٨،٤٢٨ ، الطبرى : تاريخ ٤٤/٨،٥٠ .

(٥) وكيع : أخبار القضاة ٢٢٨/١ .

(٦) الطبرى : تاريخ ١٦٣/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٧٣/٦ ، الفاسى : العقد الثمين ٢٧٣/٣ ، السخاوى : التحفة اللطيفة ٧٥/١ .

(٧) اسحاق بن عيسى بن على بن عبد الله بن عباس ، كان والى المدينة فى أواخر عهد المهدى ، استعفى الهادى من الولاية واستأذنه فى الشخوص الى بغداد ، فاعفاه . الطبرى : تاريخ ١٩٢/٨ ، ولاه الرشيد على البصرة فلم يزل عليها حتى مات هارون . ابن خياط : تاريخ ص ٤٦٢ ، الطبرى : تاريخ ٣٤٧/٨ .

والطائف ، وقد استمر اسحاق بن عيسى واليا عليها حتى وفاة الخليفة المهدى .(١)

(٣) اليمن :

كان المنصور قد ولى يزيد بن منصور(٢) واليا على اليمن منذ سنة ١٥٣هـ ، فظل عليها حتى سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م حيث تولى المهدى الخلافة ، فلما كانت تلك السنة كتب اليه الخليفة المهدى كتابا أعلمه فيه باعفائه عن ولاية اليمن لرغبته فى أن يكون بقربه لثقته به وشوقه اليه ، كما أعلمه فيه بتوليته امارة الحج فى تلك السنة(٣) .

وقد ولى المهدى على اليمن بدلا منه رجاء بن روح بن زنباع الجذامى(٤)(٥) ، وقد صادف مع وصول الوالى الجديد أن وقع اضطراب فى صنعاء تمكن روح على مايبدو من القضاء عليه ، ولم تطل فترة ولاية روح على اليمن كثيرا ، فلقد استمر فى ولايته مايزيد قليلا على سنة واحدة ، بادر الخليفة المهدى

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٦٥/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٧٦/٦ ، النويرى : نهاية ١١٧/٢٢ ، ابن كثير : البداية ١٤٩/١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٥٢/٢ .

(٢) يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد الحميرى : خال المهدى كان متقدما فى دولة بنى العباس ، ولى للمنصور البصرة واليمامة . ابن خلكان : وفيات ١٩٠/٦ ، وفى عهد المهدى ارتفعت مكانته أكثر حتى صار الشعراء يمدحونه . ابن الابار : الحلة السيراء ٣٤٠/٢ ، وتوفى يزيد فى سنة ١٦٥هـ . ابن الاثير : الكامل ٦٨/٦ .

(٣) الطبرى : تاريخ ١٢٣/٨ ، ابن كثير : البداية ١٣٠/١٠ .

(٤) رجاء بن روح بن زنباع الجذامى ، من أهل فلسطين كان أبوه من خيار التابعين ، ومن سادات أهل الشام . السمعانى : الانساب ٢١٠/٣ ، ولم أجد فى المصادر ذكر لرجاء بعد ذلك .

(٥) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٠ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٩٩/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٢١/٨ ، القلقشندى : مآثر ١٨٨/١ .

عندها بعزله عنها في سنة ١٦١هـ/٧٧٧م وتعيين علي بن سليمان بن علي[١] ، الذي قدمها في المحرم سنة ١٦١هـ ، وكانت "اقامته في اليمن سنة وخمسة اشهر[٢] ، سار بعدها نحو العراق مستخلفا على اليمن أحد عماله[٣] ، لذلك لم يلبث أن عزله المهدي في سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م وولي مكانه عبد الله بن سليمان[٤][٥] ويبدو أن الأخير لم يحسن السيرة في اليمن ، ذلك أنه أرهق الناس بجمع الأموال ، ولهذا فقد عزله الخليفة المهدي ، ووجه من يستقبله ويفتش متاعه ، ويحصي مامعه ثم أمر بحبسه عند الربيع حين قدم ، حتى اقر من المال والجوهر ، والعنبر بما اقر به ،فرده اليه ، واستعمل مكانه منصور بن يزيد بن منصور"[٦][٧] في سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م . وقد ظل منصور واليا على اليمن

---

(١) علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، أمير من الولاة ، ولاه الهادي على مصر سنة ١٦٩هـ ، فرحل اليها وكان معروفا بالرفق بالرعية والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، طمع في الخلافة في عهد هارون الرشيد وفاتح بعض اهل مصر بذلك فكتبوا الى هارون يعلمونه بذلك فعزله في سنة ١٧١هـ ، وولاه بعض الاعمال في الجيش واستمر مكرما حتى مات في سنة ١٨٧هـ .
انظر : ابن تغري بردي : النجوم ٦٢/٢، ٦٣ ، الزركلي : الأعلام ٢٩١/٤ .

(٢) الخزرجي : العسجد المسبوك ورقة ٢٧ .

(٣) ن . م . س ورقة ٢٧ .

(٤) لم يذكر اسمه كاملا في المصادر .

(٥) الطبري : تاريخ ١٤٣/٨ ، القلقشندي : مآثر الانافة ١٨٨/١ .

(٦) منصور بن يزيد بن منصور بن عبد الله الحميري الرعيني هو ابن خال المهدي ، ولاه المهدي قبل ذلك على مصر ثم عزله عنها . ابن تغري بردي : النجوم ٤١/٢ ، كما ولاه الرشيد على خراسان سنة ١٧٩هـ . الطبري : تاريخ ٢٦١/٨ ويذكر ابن تغري بردي : انه لم يعرف سنة وفاة منصور . النجوم ٤١/٢ .

(٧) الطبري : تاريخ ١٥١/٨ ، انظر أيضا ابن الاثير : الكامل ٦٣/٦ .

حتى سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م ، حيث عزله الخليفة المهدى وعين عليها عبد الله بن سليمان النوفلى (١) الربعى (٢) ، غير أنه لم يلبث أن عزله (٣) فى السنة التالية وولى مكانه سليمان بن يزيد الحارثى فمكث عليها حتى وفاة الخليفة المهدى .

(٤) اليمامة (٤) :

كان قثم بن العباس (٥) واليا على اليمامة فى عهد المنصور فاقره المهدى فى البداية الى أن حدث ماأسخطه عليه فعزله فى سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م ، وعين مكانه بشر بن المنذر البجلى (٦) ، وقد وصل كتاب عزل قثم الى اليمامة بعد أن كان قد توفى (٧) .

وفى سنة ١٦١هـ/٧٧٧م أراد المهدى على مايبدو أن يكرم جعفر بن سليمان فجمع له ولاية كل من مكة والمدينة واليمامة وقد ظل عليها حتى سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م . ويذكر اليعقوبى بان المهدى قد ولى عقبة بن مسلم الهنائى (٩) على اليمامة ولكنه لم

---

(١) عبد الله بن سعيد النوفلى : ذكر الخزرجى اسمه كذلك وهو من رواة الأحاديث ، كان خيرا . انظر : المسجد المسبوك ورقة ٢٧ ، وانظر أيضا ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢٤٦/٥ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٦١/٨ ، ابن الأثير : الكامل ٧٤،٧٣/٦ القلقشندى : مآثر ١٨٩/١ .
(٣) سليمان بن يزيد بن عبد الله بن عبد الله الحارثى : ابن خال أبى العباس السفاح . الأزدى : تاريخ ص ١٤٢ .
(٤) اليمامة : تقع بالقرب من البحرين بينهما مسيرة عشرة أيام . ياقوت : معجم ٤٤٢/٥ .
(٥) قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس : هو والد عبيد الله بن قثم ، وكان والى المنصور على اليمامة . ابن مصعب الزبيرى : نسب قريش ص ٣٣ ، ابن خياط : تاريخ ص ٤٣٣ ، الفاسى : العقد الثمين ٧٠/٧ .
(٦) بشر بن المنذر البجلى : لم أعثر على ترجمة له .
(٧) الطبرى : تاريخ ١٢١/٨ ، ابن الأثير : الكامل ٤٠/٦ .
(٨) الطبرى : تاريخ ١٥٤/٨ .
(٩) عقبة بن سلم الهنائى الأزدى : كان من ولاة المنصور على اليمامة والبحرين سنة ١٤٢هـ . الأزدى : تاريخ ص ١٧٥ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٨٥/٢ ، الطبرى : تاريخ ٣٩/٨ .

يذكر متى كان ذلك ، والأرجح أنه تم فى السنة المذكورة آنفا على أن عقبة كان شديد الوطأة على أهلها "فقتل من بها من ربيعة مجازاة لما فعل معن باليمن"(١) ، ولكن المهدى "لما بلغه ماقتل من ربيعة قال : لايرانى الله أبوء باثمه ولاأرضى فعله"(٢) ، فعزله فى سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م واستقدمه الى بغداد ، ولكن القدر لم يمهله حيث تربص له غلام من أهل اليمامة كان عقبة قد قتل اباه وعمه وخالين له وخمسة اخوة ، فلما جاز عقبة فى موكبه ضربه بسكين مسمومة فقتله ، ولما علم المهدى بقصة الغلام أراد أن يطلقه ، الا أن القادة خشوا من تكرار الحادثة فقالوا : "والله مافيه درك من عقبة ، ولكنه ان ترك وثب كل يوم كلب من الكلاب على قائد فقتله ، فأمر المهدى بضرب عنقه"(٣) . وعند ذلك عين المهدى عبد الله بن مصعب الزبيرى على اليمامة ، وكان من صحابته لما عرف عنه من السيرة الحسنة ، وذلك لتهدئة أحوال اليمامة فظل واليا عليها الى أن توفى المهدى(٤) .

(٤) البصرة :

كان على أحداث البصرة حين تولى المهدى الخلافة

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ٣٨٥/٢ ، وكان معن الشيبانى الربعى قد ولاه المنصور على اليمن للقضاء على ثورة أهلها ، وقد سبق الحديث عنها فى البحث الخاص عن الخوارج .
(٢) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٦/٢ .
(٣) ن . م . س ٣٩٧/٢ .
(٤) الزبير بن بكار : جمهرة ١٢٤/١ ، الطبرى : تاريخ ١٦٦/٨ ، ابن خلدون : العبر ٢١٣/٣ .

سعيد بن دعلج[1] الذى كان قد استغل ولايته[2] فى ظلم الناس وجمع الأموال بالباطل ، بالاضافة الى اهماله الادارى ، وهذا ماجعل المهدى على مايبدو يحرص على الخروج بنفسه الى البصرة فى سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م لتفقد أحوالها فيذكر وكيع بان المهدى دخل دار الديوان فوجدها قد تهدمت وكثر التراب فيها ، ثم "مضى فى نهر الابلة ثم فى دجلة ثم رجع فى نهر معقل ، فرأى أموالا عظاما ، فقال لعبيد الله[3] : أرأيت رجلا اقطعناه قطيعة فوجدنا فى يده أكثر مما اقطعناه ؟ ..."[4] لذلك ما ان عاد المهدى الى بغداد حتى أصدر قرارا بعزل سعيد بن دعلج عن ولاية البصرة وتولية عبد الملك بن أيوب النميرى[5] مكانه ، ثم "كتب الى عبد الملك يامره بانصاف من تظلم من أهل البصرة من سعيد بن دعلج"[6] .

عزل المهدى عبد الملك بن أيوب فى نهاية سنة ١٥٩هـ ،

---

(١) سعيد بن دعلج من ولاة المنصور ، ولاه على شرطة البصرة وأحداثها فى سنة ١٥٦هـ ، ثم عزله عنه وولاه على امارة البحرين فى سنة ١٥٧هـ . الطبرى : تاريخ ٥٢،٥٠/٨ ، ثم أعاده واليا على البصرة فى السنة التالية . الطبرى : تاريخ ١١٥/٨ .

(٢) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٠ ، وكيع : أخبار القضاة ٩١/٢ الطبرى : تاريخ ١٢٠،١١٥/٨ .

(٣) عبيد الله بن الحسن بن حصين بن أبى الحر العنبرى : ولى قضاء البصرة من قبل المنصور فى المحرم سنة ١٥٧هـ فظل عليها حتى عزله المهدى فى سنة ١٥٩هـ ولعبيد الله قدر وشرف . وله فقه كثير ماثور . وكيع : أخبار ٨٨/٢.

(٤) وكيع : أخبار القضاة ١١٧/٢ .

(٥) عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النميرى : سبق أن ولاه المنصور على البصرة فى سنة ١٥٤هـ .
ابن خياط : تاريخ ص ٤٣٢ ، الطبرى : تاريخ ٤٤/٨ .

(٦) الطبرى : تاريخ ١٢٠/٨ ، وانظر ابن الاثير : الكامل ٤٠/٦ .

وعين مكانه محمد بن سليمان بن العباس[1][2] ، ويبدو أن تولية البصرة كان تكريما لمحمد بن سليمان الذى كان له دورا كبيرا فى تجديد البيعة للمهدى بعد وفاة المنصور[3] ، وفى اثناء ولايته هذه قام محمد بن سليمان بعدة مهام أمره بها المهدى ، منها رد نسب آل بكرة وآل زياد[4] ، كما كلفه بالاشراف على اعمال التوسعة فى المسجد الجامع بالبصرة[5] .

وظل محمد بن سليمان واليا على البصرة حتى سنة ١٦٥هـ "حيث عزله المهدى عنها ، وعين صالح بن داود بن على واليا عليها ، وبعث معه كاتب ديوان الخراج وأمره بان ياخذ كاتب محمد بن سليمان وخليفته وعماله فيحاسبهم ثم يصادرهم"[6] . وقد ذكر الرشيدى سبب عزل محمد بن سليمان ، فيقول بانه كان قد أهدى الى الخيزران زوج الخليفة المهدى مائتا وصيف بيد كل واحد منهم جام ذهب مملوءا مسكا ، فقبلت ذلك منه ، "واتصل ذلك بالمهدى فغاظه ، وكتب الى محمد بن سليمان ان المئتين التى بعثت بها صارت شفيعا فى قطع ماتصل ، لايدفع

---

(١) محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس : ابن عم المنصور من رجالات بنى هاشم وشجعانهم ، كان غنيا كثير الصدقة ، لعب دورا كبيرا فى تجديد البيعة للمهدى حينما توفى المنصور وقد شكر له المهدى ذلك فرفعه وزوجه ابنته العباسة .
الابى : نثر الدر ٤٤٨/١ ، توفى فى سنة ١٧٣هـ . الطبرى تاريخ ٢٣٧/٨ ، الرشيدى : الذخائر ص ٢٢٢ ، الذهبى : سير ٢٤١/٨ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٣٤/٨ ، الرشيدى : الذخائر ص ١٧ ، ابن الاثير : الكامل ٤٩/٦ .

(٣) الطبرى : تاريخ ١١٣/٨ ، الآبى : نثر الدر ٤٤٨/١ .

(٤) سوف يرد تفصيل ذلك فى المبحث الخاص برد المظالم .

(٥) الطبرى : تاريخ ١٣٦/٨ .

(٦) الطبرى : تاريخ ١٥٠/٨ .

الامر من خصصت بها فيك ولاتستطيع ماتسل" .[1]

ولم تدم ولاية صالح بن داود أكثر من سنة حيث عزله فى سنة ١٦٦هـ[2] ، وولى مكانه روح بن حاتم[3] ، الذى ظل على ولاية البصرة حتى وفاة الخليفة المهدى[4] .

(٥) الكوفة :

عندما تولى المهدى الخلافة عزل اسماعيل بن أبى اسماعيل والى المنصور عنها وولى عيسى بن لقمان بن محمد بن حاطب الجمحى[5] سنة ١٥٩هـ[6] ، ثم عزله عنها وولى عليها شريك بن عبد الله النخعى القاضى[7] ، ثم عزله المهدى وولى عليها اسحاق بن الصباح الكندى[8] ، فظل عليها حتى نهاية سنة[9]

---

(١) الرشيدى : الاثار والتحف ص ٢٢٢ .
(٢) روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى : من الكرماء الأجواد صحب أبا جعفر المنصور أول أيامه . ابن الابار : الحلة السيراء ٣٥٨/٢ ، ثم ولى للمهدى والهادى والرشيد ، وتوفى فى افريقية سنة ١٧٤هـ . ابن خلكان : وفيات ٣٠٦/٢ .
(٣) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٠ ، الطبرى : تاريخ ١٥٣/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٦٧/٦ .
(٤) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٠ ، الطبرى : تاريخ ١٦٦/٨ .
(٥) الجمحى : هذه النسبة الى بن جمح وهم بطن من قريش . ابن الاثير : اللباب ٢٩١/١ .
(٦) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٠ ، الطبرى : تاريخ ١٢٠/٨ .
(٧) شريك هو الحارث بن أوس بن الحارث بن النخع ، ولد بخراسان ، كان عالما فهما ذكيا ولاه المنصور على قضاء الكوفة فلم يزل عليها حتى مات المنصور وأقره المهدى عليه ثم ولاه على الكوفة ، كان شريك ثقة مأمون الحديث ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٧٨/٦، ٣٧٩ ، وانظر ترجمته أيضا : وكيع : أخبار ١٤٩/٣ ، ابن خلكان : وفيات ٤٦٤/٢ ، الخزرجى : خلاصة تذهيب ص ١٦٥ .
(٨) اسحاق بن صباح بن عمران بن اسماعيل بن محمد بن الاشعث ، ولاه المهدى والرشيد على الكوفة ، وكان الاشعث جده من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . ابن أبى اصيبعة : عيون الأنباء ص ٢٨٥ .
(٩) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٠ .

١٦٣هـ/٧٧٩م[1] حيث عزله وولى هاشم بن سعيد بن منصور ابن خاله[2] حتى سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م ، حيث عزله عنها وولى روح بن حاتم ، وتصادف أن توفى عيسى بن موسى فى تلك السنة وامتنع روح من الصلاة عليه ، فلما بلغ ذلك المهدى غضب على روح وكتب اليه "قد بلغنى ماكان نكوصك عن الصلاة على عيسى ، أبنفسك ، أم بابيك ، أم بجدك ، كنت تصلى عليه ، أوليس انما ذلك مقاسى لو حضرت ، فاذا غبت كنت انت أولى به لموضعك من السلطان ، وأمر بمحاسبته ، وكان يلى الخراج مع الصلاة والاحداث"[3] . وقد عزله بسبب ذلك وولى موسى بن عيسى الذى استمر فى منصبه حتى وفاة الخليفة المهدى[4] .

(٦) الجزيرة والموصل[5] :

اختلفت الروايات حول آخر ولاة المنصور على الموصل[6] ، ويرجح ابن خياط والازدى بانه كان عليها موسى بن مصعب بن

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٤٩/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٦١/٦ .
(٢) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤١ ، الطبرى : تاريخ ١٥٣/٨ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٦٤/٨ ، وانظر ابن كثير : البداية ١٤٩/١٠ .
(٤) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤١ .
(٥) قد تكتفى المصادر أحيانا بذكر اسم الوالى على الموصل فى الوقت الذى يكون هو الوالى على الجزيرة كلها بما فيها الموصل ، ويعلل الازدى ذلك بقوله : "واصحاب الموصل أو بعضهم يجعلون الموصل هى الجزيرة" . تاريخ ص ٢٢٦ .
(٦) ذكر الطبرى بان والى أبى جعفر على الموصل فى سنة ١٥٨هـ هو خالد بن برمك . تاريخ ٥٦/٨ ، ولكن الازدى يخطئ ذلك بقوله : وهذا غلط لان أهل البلد أخبر بما كان من أمرهم . الازدى : تاريخ ص ٢٢٨ .

سفيان بن ربيعة[1] ، وبان الخليفة المهدي قد أقره[2] على عمله بالموصل وماكان مضافا اليها . وفي سنة ١٦٠هـ أعلن عبد السلام بن هاشم الخارجي الثورة في الجزيرة[3] ، ويبدو أن موسى ابن مصعب قد عجز عن الوقوف في وجهه مما دفع الخليفة المهدي الى عزله عن ولايته ، وأعاد أفراد ولاية الموصل عن الجزيرة ، فولى الفضل بن صالح على الجزيرة[4] في حين ولى حسان الشروى على الموصل[5] ، ويظهر أن تزايد قوة وشوكة عبد السلام الخارجي وايقاعه الهزيمة بجميع القادة الذين أرسلهم الفضل ابن صالح للقضاء عليه قد شكك الخليفة بمقدرة الفضل بن صالح وكفاءته في مواجهة الخطر ولهذا فقد عمد المهدي الى عزله وتولية عبد الصمد بن علي[6] . غير أن الأخير لم يلبث أن عزل في سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م ، وكان السبب في ذلك أن المهدي لما غزا ابنه هارون بلاد الروم وخرج مشيعا له سلك في سفرته هذه طريق الموصل ، فلما بلغ الجزيرة لم يستقبله عبد الصمد "ولاهيأ له نزلا ، ولاأصلح له قناطر ، فاضغن ذلك عليه المهدي فلما لقيه تجهمه وأظهر له جفاء .. وأمر بأخذه باقامة النزل ، فتعبث في ذلك ، وتقنع ، ولم يزل يربي مايكرهه الى أن نزل حصن مسلمة ، فدعا به ، وجرى بينهما كلام أغلظ له

---

(١) موسى بن مصعب بن سفيان بن ربيعة : كان أخا للمهدي من الرضاعة ، ولي الموصل لابي جعفر ثم أقره المهدي . الأزدي : تاريخ ص ٢٢٧ ، ثم عزله عنها المهدي وولاه على مصر سنة ١٦٧هـ . وسوف يرد خبره .

(٢) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤١ ، الأزدي : تاريخ ص ٢٢٦ .

(٣) الأزدي : تاريخ ص ٢٣٦ .

(٤) الطبري : تاريخ ١٢٣/٨ .

(٥) الأزدي : تاريخ ١٣٤/٨ ، الأزدي : تاريخ الموصل ص ٢٤٠ ، ابن الاثير : الكامل ٥٦/٦ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٨/٣ .

(٦) الأزدي : تاريخ ص ٢٣٩ .

فيه القول المهدى ، فرد عليه عبد الصمد ولم يحتمله ، فامر بحبسه وعزله عن الجزيرة". (١) وقلدها زفر بن عاصم الهلالى ، ثم واصل المهدى سيره مع هارون حتى حدود بلاد الروم فتركه هناك يواصل توغله فيها ، بينما اتجه هو نحو بلاد الشام لتفقد أحوالها ، فلما رجع من بيت المقدس الى الجزيرة ثانية عزل زفر بن عاصم عنها وولى مكانه عبد الله بن صالح بن على فى (٢) سنة ١٦٣هـ ، لما عرف عنه من حسن سيرته "وكان المهدى نزل (٣) عليه فى سيره الى بيت المقدس فاعجب بما رأى من منزله بسلمية. (٤) وفى عام ١٦٦هـ/٧٨٢م قلد الخليفة المهدى أعمال الجزيرة لعلى بن سليمان العباسى الذى بقى فى منصبه حتى وفاة الخليفة. (٥)

اما الموصل فكان الوالى عليها بعد عزل عبد الصمد هو محمد بن الفضل بن صالح وظل واليا عليها حتى سنة ١٦٥هـ/٧٨١م ، (٦) فقد ذكر الطبرى فى تاريخه "بان عمال الأمصار فى هذه السنة هم عمالها فى السنة الماضية". (٧)

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٤٧/٨ ، وانظر الأزدى : تاريخ ص ٢٤٣ .

(٢) عبد الله بن صالح بن عبد الله بن عباس : قربه الهادى واستقدمه الى بغداد . الأزدى : تاريخ ص ٢٦٠ ، فظل فترة هناك ثم عاد الى منزله بسلمية حيث توفى فيه فى سنة ١٨٦هـ . الأزدى : تاريخ ص ٣٠٣ ، ابن الأثير : الكامل ١٧٤/٦ .

(٣) مؤلف مجهول : العيون ٢٧٨/٣ .

(٤) سلمية : بليدة من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين ، كان صالح بن على قد اتخذها منزلا وبنى هو وولده فيها الأبنية ونزلوها . ياقوت : معجم ٢٤٠/٣ . وعن المعلومات فى المتن انظر : الطبرى : تاريخ ١٤٩/٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ٦٣/٦ .

(٦) الأزدى : تاريخ ص ٢٤٥ ، الطبرى : تاريخ ١٥١/٨ ، ابن الأثير : الكامل ٦٣/٦ .

(٧) الطبرى : تاريخ ١٥٣/٨ ، مع استثناءات لم يرد ذكر الموصل ضمنها .

وفي سنة ١٦٥هـ/٧٨١م ولى الخليفة المهدي على الموصل وأعمالها أحمد بن اسماعيل بن علي[١]، فأحسن السيرة في أهلها ويذكر الأزدي عنه بأنه قد "كانت له سيرة بالموصل جميلة حسنة ، وكان معظما لأهل السنة ، مائلا الى أهل الصلاح"[٢] . فاقام بها واليا حتى سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م حيث عزله المهدي وولى موسى بن مصعب الخولاني مرة ثانية ، ولكن لم يلبث أن نقله بعد مدة يسيرة الى ولاية مصر . وينفرد الأزدي بذكر السبب فيقول : انه لما رفع الى المهدي خراج الموصل "فنظر فيه فوجد فيه ضيعة قد نقصت عبرتها[٣] نقصا فاحشا ، فكتب الى موسى ابن مصعب الخولاني أن يقدم على البريد ، فلما قدم وأدخل اليه ساله : "مابال هذه الضيعة ناقصة العبرة ؟ قال : ... ياأمير المؤمنين انتقلت عمارتها الى فلان وهما لرجل واحد ، فنظر في الأمر فاذا الصورة على ماذكرت ، فاستحسن ذلك مني ، ثم قال : عد الى عملك والقني مودعا"[٤] . فلما خرج موسى تبعه أحد خدم المهدي وذكر له ان المهدي قال : "ان كان موسى بلغ الاربعين قلدته مصر ، فعاد موسى مودعا فقال له المهدي : الى كم سنوك ؟ فقال اثنتين وأربعين سنة . فقال : تاهب لمصر فقد قلدتك اياها"[٥] . وكانت مصر في ذلك الوقت تضطرم

---

(١) أحمد بن اسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس ، ولاه الهادي على مكة سنة ١٦٩هـ . الأزدي : تاريخ ص ٢٥٨ ، ثم ولاه الرشيد بعد ذلك على مصر سنة ١٨٧هـ فاستمر سنتين و٤٥ يوما . ابن تغرى بردى : النجوم ٢/١٢٤ ، الزركلي : الأعلام ١/٩٦ .

(٢) الأزدي : تاريخ ص ٢٥١ .

(٣) العبرة : المقصود بها هنا هي مستوى الغلة أو الدخل . الزهراني : موارد بيت المال ص ١٤٧ .

(٤) الأزدي : تاريخ ص ٢٤٨،٢٤٩ .

(٥) الأزدي : تاريخ ص ٢٤٩ .

بثورة دحية بن مصعب الأموى ، لذلك لما خرج موسى من الموصل (١) أخذ معه ألف رجل من أهلها فكان ينادى موسى يقول : "أين أهل الشر أين أهل الدخنة وغير ذلك" (٢) .

وبعد نقل موسى بن مصعب الى مصر أعاد المهدى على الموصل أحمد بن اسماعيل (٣) فظل عليها بقية سنة ١٦٧هـ ، ثم عزله عنها فى سنة ١٦٨هـ ، وولاه على مكة (٤) ، واستعمل على الموصل هرثمة بن أعين (٥) ، على ماذكر الأزدى (٦) .

(٧) خراسان :

توفى المنصور وعلى خراسان حميد بن قحطبة (٧) واليا فاقره عليها المهدى ولكن حميد لم يلبث أن توفى فى مستهل شهر شعبان سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م فكتب المهدى الى عبد الله بن حميد

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم ٥٤/٢ .
(٢) الأزدى : تاريخ ص ٢٤٩ .
(٣) الأزدى : تاريخ ص ٢٥٠ ، ابن الأثير : الكامل ٧٦/٦ .
(٤) الأزدى : تاريخ ص ٢٤٧ .
(٥) هرثمة بن أعين أحد أمراء الرشيد وخواص قواده ، كان شجاعا مقداما مهيبا ، ولاه أمرة مصر سنة ١٧٨هـ ، ثم عزله عنها وولاه على أفريقية ، ثم استعفى الرشيد فاعفاه فى سنة ١٨١هـ . ابن تغرى بردى : النجوم ٨٩/٢ ولاه الرشيد بعد ذلك على خراسان سنة ١٩١هـ . الطبرى : تاريخ ٣٢٨/٨ ، ولما قامت الفتنة بين الأمين والمأمون انضم هرثمة الى المأمون ، وقد قتل هرثمة فى سنة ٢٠٠هـ . الطبرى : تاريخ ٥٤٢/٨، ٥٤٣ .
(٦) الأزدى : تاريخ ص ٢٤٧ ، ولم يذكر بعد ذلك ولاة المهدى على الجزيرة على أن ابن خياط يذكر أن على بن سليمان قد ولى على الجزيرة مرتين ، كما وليها عبد الملك بن صالح مرتين ، ثم عبد الله بن صالح ، ويبدو أن فى هذه الرواية شيئا من الخلط . تاريخ ص ٤٤١ .
(٧) حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان الطائى ، من جملة أمراء المنصور ، كان شجاعا مقداما عافا بأمور الحرب ، تنقل فى الأعمال الجليلة ، ولاه المنصور على خراسان فى سنة ١٥١هـ ، فظل بها الى أن مات . انظر : الأصفهانى : سنى ملوك الأرض ص ١٦٣ .

يعهد اليه بالولاية خلفا لأبيه ، فعمل بها ستة أشهر[(١)] . غير أن تفاقم ثورة المقنع الخراساني وفشل عبد الله في القضاء عليها قد دفعت الخليفة المهدي الى أن يستبدله بأبي عون عبد الملك بن يزيد في سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م . ولما فشل الأخير في تحقيق انتصار يذكر ضد المقنع فقد سخط عليه الخليفة وعزله عن منصبه[(٢)] ، وولى مكانه معاذ بن مسلم في سنة ١٦١هـ/٧٧٧م . وقد بذل الوالي الجديد أقصى مايستطيع من جهد في تجميع المحاربين واعداد الخطط الكفيلة بمحاصرة المقنع ، غير أ فترة لحصار قد امتدت لما يزيد على سنتين ، ودب اليأس في نفوس جند الخلافة من احتمال الوصول الى النصر ، كما حصل خلاف شديد بين الوالي معاذ بن مسلم والقائد سعيد الحرشي أمير هراة[(٣)] ، مما دفع والي خراسان الى أن يكتب الى الخليفة المهدي يستعفيه من الاستمرار في الولاية[(٤)] . وقد أعفاه المهدي وولى زهير بن المسيب الضبي مكانه ، فقدم مرو في سنة ١٦٣هـ ٧٧٩م ليشرف بنفسه على سير المعارك[(٥)] ، وقد أقر قيادة الجيوش لسعيد الحرشي نفسه[(٦)] الذي تمكن من القضاء على حركة المقنع ، ويبدو أن ظروف الحرب قد دفعت الوالي زهير بن المسيب الى الاهتمام بجمع الأموال والى زيادة نسبة الجباية في الضرائب[(٧)]

---

(١) الطبري : تاريخ ١٢٨/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٣٩/٦ .
(٢) الطبري : تاريخ ١٤٨/٨ ، البغدادي : الفرق ص ١٥٦ .
(٣) ابن الاثير : الكامل ١/٦ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٧/٣ .
(٤) شاكر مصطفى : دولة بني العباس ٢٩٣/١ .
(٥) ابن خياط : تاريخ ص ٤٣٧ ، البسوي : المعرفة ١٥١/١ ، الطبري : تاريخ ١٤٩/٨ ، الأصفهاني : سني ملوك الأرض ص ١٦٤ .
(٦) الطبري : تاريخ ١٤٤/٨ ، البغدادي : الفرق ص ١٥٦ .
(٧) شاكر مصطفى : دولة ٧٣٥/١ .

مما نجم عنه اضطراب الأوضاع فى خراسان ، وكان ذلك سببا فى عزله فى بداية سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م (١) وعين الخليفة المهدى ، الفضل بن سليمان الطوسى واليا جديدا على خراسان (٢) التى قدمها فى ربيع الأول سنة ١٦٦هـ ، فأحسن السيرة فى أهلها وأقام بها واليا الى أن توفى المهدى (٣) .

(٧) مصر :

توفى المنصور وعلى ولاية مصر موسى بن على بن رباح (٤) ، وقد أقره المهدى عليها ، ويظهر انه كانت لدى الأخير مهارة ادارية كبيرة ذلك أنه مهد أمور مصر ونظمها ، كما كان فيه رفق بالرعية ، وتواضع ، حتى انه كان يقول لصاحب الشرطة حين يقيم الحدود بين يديه "ارحم أهل البلاد" (٥) ، غير أن الخليفة المهدى قام بعزله فى سنة ١٦١هـ وولى عيسى بن لقمان الجمحى مكانه بعد أن عزله عن الكوفة (٦) ، وقال له حين

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٦٢/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٧٣/٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٥١/٢ .

(٢) أبو العباس الفضل بن سليمان الطوسى : كان من ولاة المنصور . الجهشيارى : الوزراء ص ١٢٤ ، ولاه المهدى على خراسان فظل واليا عليها طوال فترة الهادى ، ثم أمره الرشيد عليها حتى توفى فى اثناء خلافة الأخير فى سنة ١٧٠هـ . ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٦،٤٦٢ ، الطبرى : تاريخ ٢٣٥/٨ ، الأصفهانى : سني ملوك ص ١٦٤ .

(٣) البسوى : المعرفة ١٥٤/١ ، الأصفهانى : سنى ملوك ص ١٦٤ شاكر مصطفى : دولة ٧٣٥/١ .

(٤) موسى بن على بن رباح اللخمى ، ولى مصر من قبل المنصور سنة ١٥٥هـ ، فاستمر فى ولايته ست سنين حتى عزله المهدى ، كان صالحا من الثقات . توفى فى سنة ١٦٣هـ . ابن تغرى بردى : النجوم ٢٦/٢ .

(٥) الكندى : ولاة مصر ص ١٤٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٢٦/٢ ، وانظر : المقريزى : الخطط ٣٠٧/١ .

(٦) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٠ .

ولاه : "قد وليتك عمل عبد العزيز بن مروان ، وصالح بن علي"[1] ويبدو انه قصد من ذلك أن يكون في حسن سيرتهما وحسن ادارتهما للبلاد .

وقد ظل عيسى هذا واليا على مصر قرابة خمسة أشهر قبل أن يقرر الخليفة المهدى عزله عنها سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م ، وولى عليها واضح[2] مولى أبي جعفر المنصور ، وكان ذلك بمشورة من يعقوب بن داود ، غير أن الوالي الجديد فشل في عمله اذ انه تشدد كثيرا مع أهل البلاد مما دفعهم الى رفع الشكايات ضده الى الخليفة الذى بادر الى عزله في رمضان من نفس السنة[3] ، وعين منصور بن يزيد مكانه . غير أن الأخير لم يلبث أن كلف من قبل الخليفة بقيادة الجيش المكلف بحرب عبد السلام اليشكرى الخارجي الذى كان قد أعلن ثورته في اقليم الجزيرة[4] وهكذا فقد أصدر الخليفة المهدى أمره بتعيين يحيى بن داود الخرسي[5] واليا على مصر . وكان الأخير عظيم الهيئة ، له معرفة بادارة الدولة وتدبيرها ، فلما وصل الى مصر هاله

---

(١) الكندى : ولاة مصر ص ١٤٢ ، القلقشندى : مآثر ١٨٧/١ ، المقريزى : الخطط ٣٠٧/١ .

(٢) كان واضح خصيصا عند المنصور الى الغاية ، وكان يندبه الى المهمات لشجاعة فيه وشدة ، عزله المهدى عن الولاية وجعله على البريد في مصر فظل كذلك حتى خرج ادريس بن عبد الله مع الحسين صاحب فخ ، فلما انهزم هذا الأخير هرب ادريس الى مصر واختفى عند واضح الذى كانت له ميول علوية ، ثم حمله الى المغرب ، فلما علم الهادى بذلك ، قبض على واضح وقتله سنة ١٦٩هـ . ابن تغرى بردى : النجوم ١٤٠/٢ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم ٤٠/٢ .

(٤) ن . م . ص ٤١/٢ .

(٥) أبوصالح يحيى بن داود الخرسي : من أهل خراسان ، كان أبوه تركيا وأمه خالة ملك طبرستان . كان سفاكا للدماء ، شديد الهيبة ، وهو أخو القائد سعيد الخرسي . الكندى : ولاة مصر ص ١٤٥ ، المقريزى : الخطط ٣٠٧/١ .

ماوجد فيها من كثرة المفسدين وقطاع الطرق ، فأخذ "في اقماع المفسدين وأبادهم وقتل منهم جماعة كثيرة ، فعظمت حرمته وتزايدت هيبته في قلوب الناس حتى تجاوز ذلك الحد ، فكان يمنع الناس من غلق الدروب والأبواب وغلق الحوانيت حتى جعلوا عليها شرائح القصب والشباك لمنع الكلاب من دخولها في الليل ، وهو أول من فعل ذلك بمصر ، فكان ينادي بمصر ويقول من ضاع له شيء فعلى أداؤه ، فانه كان أشد الملوك حرمة وأعظمهم هيبة وأقدمهم على سفك الدماء وأنهكهم عقوبة" (١) .

ولكنه أسرف في الشدة حتى عمت الناس جميعا ، فقاسى منه أهل مصر شدائد كثيرة (٢) ، وكثرت الشكوى منه حتى بلغت مسامع الخليفة المهدي الذي بادر الى عزله في محرم سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م (٣) ، وقد ولي مصر بعد ذلك سالم بن سوادة التميمي الذي استمر في منصبه عليها نحو السنة (٤) ، ثم عزله وولي ابراهيم بن صالح بن علي في سنة ١٦٥هـ/٧٨١م ودامت ولايته ثلاث سنوات اهتم خلالها كثيرا بجمع الأموال لنفسه ، فجمع أموالا طائلة وابتنى دارا عظيمة ، هذا بالاضافة الى اهماله قتال دحية بن مصعب المرواني الذي كان قد ثار في صعيد مصر ودعا الى نفسه بالخلافة . وقد أدى ذلك الى استفحال أمر دحية حتى كاد أن يسيطر على كافة اقليم مصر . وقد دفع ذلك الخليفة المهدي الى أن يسخط عليه ويعزله عزلا قبيحا في

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم ٤٤/٢ ، وانظر أيضا الكندي : ولاة مصر ص ١٤٥ .

(٢) كان يحيى معروفا بشدته حتى ان أبا جعفر قال عنه : "هو رجل يخافني ولايخاف الله" . الكندي : ولاة مصر ص ١٤٥ .

(٣) الكندي : ولاة مصر ص ١٤٥ ، المقريزي : الخطط ٣٠٧/١ .

(٤) ابن تغري بردي : النجوم ٤٥/٢ .

ذى الحجة سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م . وقد أمر الخليفة بمصادرته ، كما أخذ منه ومن عماله ثلثمائة وخمسين ألف دينار [١] . ثم ولى المهدى بعده موسى بن مصعب الخثعمى ، فلم تكن ولايته أفضل من ولاية سلفه ذلك أنه كان ظالما غاشما [٢] ، أخذ الناس بالجور والشدة "وزاد على كل فدان ضعف ماكان عليه أولا ، ولقى الناس منه شدائد وساءت سيرته ، وارتشى فى الأحكام ، ثم رتب دراهم على أهل الأسواق وعلى الدواب" [٣] ، فكان لسياسته هذه رد فعل عظيمة [٤] على أهل مصر وعلى الجند الذين كانوا معه ، اذ تشغبوا عليه ونابذوه ، فلما خرج لقتال دحية انهزموا عنه "باجمعهم وأسلموه فقتل" [٥] ، فى شوال سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م .

وكان موسى بن مصعب قد استخلف على مصر قبل مقتله عسامه بن عمرو بن علقمة ، فلما قتل موسى أقره المهدى على امرة مصر ، لكن عسامة فشل فى التصدى لحركة دحية فعزله المهدى عن مصر فى نهاية سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م وولى عليها الفضل ابن صالح بن العباس الذى أعد جيشا عظيما لحرب دحية ، وفى هذه الفترة توفى المهدى وخلفه ابنه الهادى ، واستطاع

---

(١) الكندى : ولاة مصر ص ١٤٧ ، المقريزى : الخطط ٣٠٨/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٤٠٩/٢ .

(٢) الكندى : ولاة ص ١٥١ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم ٤٩/٢ ، وانظر أيضا الكندى : ولاة مصر ص ١٤٨ .

(٤) كتب أحد الشعراء الى المهدى يقول له عن سيرة موسى :

لو يعلم المهدى ماذا الذى يفعله موسى وأيوب
بأرض مصر من حلابها لم يتهم فى النصح يعقوب

وكان يعقوب على مايبدو ينصح المهدى بعدم الموافقة على سياسة موسى . الكندى : ولاة مصر ص ١٤٨ .

(٥) المقريزى : الخطط ٣٠٨/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٥٠/٢ .

الفضل بعد عدة معارك من أسر دحية وقتله[1] .

(٨) افريقيـــة :

في عهد الخليفة المنصور أخذ الخوارج الاباضية في توحيد صفوفهم وجمع شملهم من أجل التخلص من حكم العباسيين في افريقية ، وقد تمكنوا بعد عدة معارك من احكام الحصار على القوات العباسية في مدينة القيروان . وقد طال الحصار على القوات العباسية "حتى أكلوا دوابهم"[2] ، وبلغ ذلك المنصور الذي أدرك خطورة الموقف وخشي من سقوط القيروان ، لذلك فقد عمد الى سرعة انفاذ يزيد بن حاتم[3] بجيش عظيم لانقاذ المدينة في سنة ١٥٤هـ ، وقد التقى الأخير بالخوارج في بداية سنة ١٥٥هـ/٧٧١م وقاتلهم قتالا شديدا حتى أبادهم[4] . وبذلك استقامت له الامور ودانت له البلاد بالطاعة . فلما تولى المهدي الخلافة أقره على افريقية فاخذ في تنظيم شؤون تلك المنطقة وأقام بها واليا خمسة عشر سنة وثلاثة أشهر[5] ، ويذكر النويري بانه كان خلالها قد "رتب أسواق القيروان وجعل كل صناعة في مكانها حتى لو قيل انه الذي مصرها لم يبعد عن الحق ، ولم تزل البلاد مستقيمة والامور ساكنة مدة

---

(١) الكندي : ولاة مصر ص ١٥٢ ، ابن تغري بردي : النجوم ٦٠/٢ .
(٢) ابن الاثير : الكامل ٦٠٠/٥ .
(٣) يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، كان من أشراف قيس ، وشجعانهم ، ومن ذوي الآراء الصائبة ، ولاه أبو جعفر على مصر سنة ١٤٢هـ ، ثم عزله وولاه افريقية . توفي سنة ١٧٠هـ بالقيروان . ابن خلكان : وفيات ٣٢٦/٦ .
(٤) ابن الاثير : الكامل ٦٠٢/٥ ، ابن خلكان : وفيات ٣٢٢/٦
(٥) ابن خلكان : وفيات ٣٠٦/٦ .

حياته الى أن توفى فى شهر رمضان سنة سبعين ومائة فى خلافة الرشيد ، وكان كريما شجاعا نافذ الرأى بعيد الصيت غاية فى الجود"[(١)] .

وقد اثبت له المؤرخون شواهد كثيرة تدل على جوده منها أنه بلغه أن أحد وكلائه زرع فولا فى أحد مزارعه وان انتاجه منه يؤمل أن يدر عليه مالا جليلا ، فأمر الوالى عندئذ باباحتها للناس قائلا : انه لاينبغى للحكام أن يزاحموا العامة فى طرائق مكاسبهم ، كما لاينبغى للعامة أن يزاحموا الحكام فى تدبير سياستهم[(٢)] .

(٩) السند :

تولى المهدى الخلافة وعلى السند معبد بن الخليل[(٣)] فاقره فى منصبه ، ولكنه لم يلبث أن توفى فى سنة ١٥٩هـ فولى المهدى عليها روح بن حاتم بمشورة من وزيره أبى عبيد الله معاوية بن يسار[(٤)] ، اذ توسم فيه على مايبدو المقدرة على القضاء على ثورة الزط[(٥)] الذين هاجموا على مايبدو القوات العباسية هناك . ولكنه فشل فى تلك المهمة فعزله الخليفة

---

(١) النويرى : نهاية الارب (الجزء الخاص بتاريخ المغرب الاسلامى) ص ٢٣٩ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس ٩٨/١ ، عبد العزيز الثعالبى : تاريخ شمال افريقيا ص ١٨٩ .

(٣) لم أجد فى المصادر ترجمة له ، ويذكر ابن خياط أنه رجل من بنى تميم . تاريخ ص ٤٤١ .

(٤) الطبرى : تاريخ ١١٧/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٤١/٦ ، ابن كثير : البداية ١٢٩/١٠ .

(٥) الزط : جماعة أو طائفة رحل يذكر البلاذرى أنها كانت قبل الاسلام تنتقل على طول سواحل السند طلبا للكلأ ، وقد هاجر الكثير منهم الى منطقة الأهواز والبصرة وانضم بعضها الى الجيش الاسلامى فى فتوحه . فتوح البلدان ص ٣٦٣ .

المهدى وعين نصر بن محمد الاشعث الخزاعى (١) ، فتسلم البلاد سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م ، فى ذلك الوقت قام المهدى بتجهيز حملة بحرية تاديبية كبيرة بلغت عدتها حوالى عشرة آلاف مقاتل الى بلاد السند وقد جعل على قيادتها عبد الملك بن شهاب السمعى (٢) وعهد اليه أيضا بولاية السند ، فاقامت تلك الحملة فى السند ثمانية عشر يوما ، فتحت خلالها مدينة باربد (٣) ، ثم عاد عبد الملك الى البصرة بعد عزله واعادة نصر الى الولاية ، فاستمر نصر بن الاشعث واليا على السند الى أن توفى فى سنة ١٦٤هـ (٤) ، فولى المهدى سطيح بن عمرو التغلبى الذى انشغل بالنزاع القبلى القيسى اليمانى الذى ظهر بين القبائل العربية فيها مما شجع الزط على معاودة الثورة بشدة فى سنة ١٦٥هـ/٧٨١م ، فعزل الخليفة المهدى عامله سطيح بن عمرو التغلبى وولى عليها مولاه الليث بن طريف (٥) ، الذى تمكن خلال شهر واحد من القضاء على الزط ويذكر اليعقوبى أنه قد "جرد عليهم السيف فافناهم" (٦) ، وظل واليا على السند حتى وفاة الخليفة المهدى (٧).

---

(١) نصر بن محمد الاشعث الخزاعى : أمير وقائد ، ولاه المنصور على مصر سنة ١٤١هـ ، ثم أضاف اليه ولاية المغرب . ابن خلدون : العبر ٤١١/٤ ، ثم أفرده بولاية المغرب ليتفرغ لقيادة الجيوش هناك . ابن الاثير : الكامل ٢٨١/٤ ، فضبط افريقية وأعمالها ، حتى فسد عليه جنده وكتبوا الى المنصور فعزله المنصور واستقدمه الى بغداد حيث أكرمه . النويرى : نهاية الارب ص ٢٢٩ .

(٢) سوف يرد تفصيل هذه الحملة فى الفصل الخامس .

(٣) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٨/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٤٠/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٥/٦ .

(٤) الطبرى : تاريخ ١٥٠/٨ .

(٥) الليث بن طريف : كان هو وأخوه المعلى مملوكين مولدين من مولدى الكوفة اشتراهما على بن سليمان وأهداهما الى المنصور للمهدى فاعتقهما . الاصبهانى : الاغانى ٤٤/٦، ٤٥ .

(٦) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٨/٢ .

(٧) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤١ .

ولعل من المناسب أن نشير في ختام هذه الدراسة عن الادارة الى سياسة المهدى في الادارة وشدته وحزمه في مراقبة ولاته وعماله ، وعنايته بأن يكون العدل والحق هو منهجهم ، وقد كان يطالب أصحاب البريد في الولايات أن يكونوا عيونا له على الولاة والعمال (١) .

فعندما بلغه أن حماد بن موسى كاتب محمد بن سليمان قد بلغت به الجرأة على القضاء أن أطلق رجلا من سجن سوار (٢) قاضي البصرة كتب الى محمد بن سليمان بكلام غليظ يذكر فيه حماد ويقول : الرافضي الرافضي والله لولا أن الوعيد أمام العقوبة ما أدبته الا بالسيف ليكون عظة لغيره ، ونكالا . يفتات على قاضي المسلمين في رأيه ، ويركب هواه لموضعه منك ويعرض بالأحكام استهانة بأمر الله وأقدما على أمير المؤمنين ، وماقالا الا بك ، ولما أرخيت من رسنه ، وبالله لئن عاد الى مثلها ليجدني أغضب لدين الله ، وانتقم لأولياء الله من أعدائه . والسلام" (٣) .

---

(١) وكيع : أخبار القضاة ٩٤/٢ ويسمى وكيع صاحب البريد بصاحب الخبر .

(٢) سوار بن عبد الله بن قدامة بن عنزة بن نقب العنبرى البصري ، قال عنه ابن المديني هو ثقة ، وقال ابن سعد كان قليل الحديث ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال كان فقيها ولاه أبو جعفر القضاء بالبصرة سنة ١٣٨هـ وبقى على القضاء الى أن مات وهو أمير البصرة وقاضيها ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢٦٩/٤ .

(٣) وكيع : أخبار القضاة ٦٩/٢، ٧٠ .

(٣) النظر في المظالم وردها

(٤) النظر فى المظالم وردها :

تكاد تتفق المصادر على أن عهد الخليفة المهدى قد اتسم باشاعة العدل والانصاف وعلى أن الخليفة نفسه كان حريصا على النظر فى المظالم (١)، نذكر منها ماأكده المسعودى عن المهدى فى أنه "كان محببا الى الخاص والعام لأنه افتتح عهده بالنظر فى المظالم وكف عن القتل وأمن الخائف، وانصاف المظلوم" (٢)، ولعله كان أول من جلس لها جلوسا عاما من خلفاء بنى العباس (٣)، وكان اذا جلس للمظالم يشرك القضاة معه عند النظر فيها ويقول : "أدخلوا على القضاة فلو لم يكن ردى للمظالم الا للحياء منهم لكفى" (٤)، لذلك قيل "انه كان فى بنى العباس كعمر بن عبد العزيز فى بنى أمية" (٥).

ويبدو أنه كان لوالده الخليفة المنصور دورا مهما فى ذلك اذ كان قد عهد اليه ببعض الأعمال التى تتعلق بالنظر فى المظالم ورد الحقوق الى أهله فى الوقت الذى كان فيه المهدى وليا للعهد (٦). كما أن ابن الطقطقى يذكر بأن الخليفة

---

(١) انظر : الدوسى : حذف نسب قريش ص ١٢ ، الخطيب البغدادى : تاريخ ٣٩٣/٥ ، الأزدى : تاريخ ص ٢٣٢ ، ابن دحية : النبراس ص ٣١ ، البن الكازورنى : المختصر ص ١١٩ ، القلقشندى : مآثر ١٨٥/١ ، العصامى المكى : سمط النجوم ٢٦٥/٣ .
(٢) المسعودى : مروج ٣٢٢/٣ .
(٣) النويرى : نهاية ٢٧٠/٦ .
(٤) الطبرى : تاريخ ١٧٢/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٨٣/٦ ، وانظر النويرى : نهاية ١١٩/٢٢ ، النهروالى : الاعلام بالاعلام ص ٤٥ ، الاسحاقى : أخبار الدول ص ٥٦ .
(٥) القلقشندى : مآثر ١٨٥/١ .
(٦) انظر الأزدى : تاريخ ص ١٥٦ .

المنصور كان "اذا جنى أحد جناية أو أخذ من أحد مالا جعله في بيت المال مفردا [١] ، وكتب عليه اسم صاحبه ، فلما ادركته الوفاة قال لابنه المهدى : يابني قد أفردت كل شيء أخذته من الناس على وجه الجناية والمصادرة وكتبت عليه أسماء أصحابه فاذا وليت أنت فاعده على أربابه ليدعو لك الناس ويحبوك" [٢] .

كما أن الخليفة المنصور كان قد ترك وصية لابنه يوصيه بالعدل وانصاف الرعية جاء منها : "... والرعية لايصلحها الا العدل وأولى المسلمين بالعدل أقدرهم على العفو ، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه" [٣] .

ولاشك في أن المهدى قد استفاد من توجيهات والده تلك ، غير أن ذلك لم يكن على الاغلب هو العامل الحاسم الذى دفعه الى النظر في مظالم الناس وردها [٤] ، وانما كان ذلك نابعا من اخلاقه الخاصة ، ومن تمسكه بأهداب الدين وورعه [٥] ، واحساسه بفداحة الظلم الذى وقع على الناس على يد أبيه المنصور الذى صادر الاموال حتى لم يترك عند أحد فضلا" [٦] ، ومن محاولة الاقتداء بسيرة الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز ، الذى كان يكن له اعجابا كبيرا ، وليس أدل على ذلك من أنه حينما

---

(١) يذكر الطبرى بأن المنصور قد سمى ذلك البيت بيت مال المظالم . تاريخ ٨١/٨ .
(٢) ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٥٩، ١٦٠ .
(٣) ابن أعثم الكوفى : الفتوح ٢٨٦/٨ ، وانظر ابن عبد ربه العقد الفريد ٣٠/١ ، الازدى : تاريخ ص ٢٠٢ ، ابن الاثير : الكامل ٢٧/٦ ، النويرى : نهاية ٤١/٦ .
(٤) المقدسى : البدء والتاريخ ٩٥/٦ .
(٥) يصف ابن الكازورنى المهدى بقوله : "كان صاحب نسك وورع ، لبس الصوف وعم الناس بافاضة العدل ، والمعروف وكان يسمى راهب بنى العباس لنسكه وديانته" . المختصر ص ١١٩ .
(٦) اليعقوبى : تاريخ ٣٨٧/٢ .

زار المسجد الأموى بدمشق قال لوزيره : "يا أبا عبد الله سبقنا بنو أمية بثلاث ، قال : وماهن يا أمير المؤمنين ؟ قال بهذا البيت (يعنى المسجد) ... وبنبل الموالى فان لهم موالى ليس لنا مثلهم ، وبعمر بن عبد العزيز ، لايكون والله فينا مثله أبدا" .(١)

ولقد تمثلت سياسة المهدى فى رد المظالم فى ثلاثة اتجاهات ، بدأ أولها بعد توليته الخلافة بقليل حينما أمر مولاه ثوبان بالجلوس فى موضع معلوم لجمع رقاع المتظلمين ، فكان يجلس للناس بالرصافة "فاذا ملأ كساءه رقاعا رفعها الى المهدى" لينظر فيها .(٢) ثم بدأ الخليفة المهدى بعد ذلك بالجلوس للمظالم والنظر فيها وكان قد أمر بأن "تدخل القصص عليه" .(٣) فلما ثبت لديه أن بعض مواليه قد ارتشى وقدم بعض القصص على ماسبقها ، فانه أمر "فاتخذ بيتا له شباك حديد على الطريق تطرح فيه القصص ، وكان يدخله وحده فيأخذ مايقع بيده من القصص أولا فأول فينظر فيه لئلا يقدم بعضها على بعض" .(٤) ويظهر بأن كثرة المظالم قد انعكس فى كثرة الرقاع المرفوعة الى الخليفة المهدى ، وان ذلك قد استلزم الحاجة الى تنظيمها مما دفع بالمهدى الى أن ينشىء لها ديوانا خاصا ، وذلك يوضح بأن الخليفة كان قد اعتبر ذلك جزءا أساسيا من مهام النظام الاسلامى ومن واجبات الخلافة . وقد أصدر الخليفة المهدى أمره باستحداث منصب صاحب دار المظالم

---

(١) النويرى : نهاية ٣٤١/١ .
(٢) البغدادى : خزانة الأدب ٥٢٤/٣ .
(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ٢٠٥/٦ .
(٤) نفس المصدر السابق ٢٠٥/٦ .

للاشراف على الدار والديوان [1] ، وقد توالى على الرئاسة فيه اثنان هما عمر بن مطرف المروزى [2] ، وبعده سلام مولى الخليفة المهدى الذى استمر فى رئاسته لديوان المظالم حتى وفاة الخليفة [3] . ومن الجدير بالملاحظة أن المهدى لم يحدد وقتا معينا للجلوس للنظر فى المظالم فيذكر ابن الطقطقى أنه كان "يجلس فى كل وقت لرد المظالم" [4] .

وقد شملت سلطات الديوان المذكور كافة طبقات المجتمع بما فيه من قادة وولاة ، كما تناول الخليفة نفسه ، الذى طلب من القاضى شريك أن يقضى عليه وعلى ولده [5] . ومن الأمثلة التى حفظتها لنا المصادر والتى تعكس مدى حرص الخليفة على رد المظالم وانفاذ العدل ماأورده الطبرى عن مسور بن مساور من أنه جاء متظلما الى سلام صاحب المظالم وأعطاه رقعة ذكر فيها بأن وكيل المهدى قد غصبه ضيعة له .وقد أوصله سلام ومعه الرقعة الى الخليفة المهدى ، وكان عنده عمه العباس بن محمد والقاضيان عافية [6] وابن علاثة [7] ، فقال له المهدى : أتقبل

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١/١٣٠ .
(٢) الخطيب البغدادى : تاريخ ١/٨٧ .
(٣) ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٢ .
(٤) ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٧٩ .
(٥) وكيع : أخبار القضاة ٣/١٧٤ .
(٦) عافية بن يزيد بن قيس بن عافية القاضى الأودى الكوفى قال عنه ابن معين ثقة مأمون ، وقال الدورى عن ابن معين ثقة ، وقال النسائى ثقة ، كان المهدى قد استقضى ابن علاثة وعافية سنة ١٦١هـ ، فكانا يقضيان فى عسكر المهدى . ابن حجر : تهذيب التهذيب ٥/٦١ .
(٧) محمد بن عبد الله بن علاثة الكلابى ـ ويكنى أبا اليسر كان ثقة وهو أصلا من أهل حران ، قدم بغداد فولاه المهدى القضاء على الجانب الشرقى منها .
انظر ترجمته فى : ابن سعد : الطبقات الكبرى ٧/٣٢٣ ، الخطيب البغدادى : تاريخ ٥/٣٨٨ ، ابن حجر : تهذيب ٩/٢٦٩ .

حكم احد هذين ؟ قال : نعم . قال : تكلم . قال : "قلت : أصلح الله القاضي . انه ظلمني في ضيعتي هذا ، فقال القاضي ماتقول ياأمير المؤمنين ؟ قال : ضيعتي وفي يدي ، قال : قلت : أصلح الله القاضي سله صارت الضيعة اليه قبل الخلافة أو بعدها ؟ قال : فساله : ماتقول ياأمير المؤمنين ؟ قال : صارت الى بعد الخلافة ، قال : فأطلقها له ، قال : قد فعلت فقال العباس بن محمد : والله ياأمير المؤمنين لذا المجلس أحب الى من عشرين ألف ألف درهم " (١).

وقد ذكر ابن أبى الدم الحموى بان الخليفة المهدى كان قد تقدم مع خصوم له الى قاضي البصرة عبد الله بن الحسن العنبرى ، "فلما رآه القاضي مقبلا أطرق الى الأرض حتى جلس المهدى مع خصومه مجلس المتحاكمين ، فلما انقضت الحكومة بينهم ، قام القاضي فوقف بين يديه ، فقال له المهدى والله لو قمت حين دخلت لعزلتك ، ولو لم تقم حين انقضى الحكم لعزلتك" (٢).

وكان المتظلمون يأتون من أنحاء الدولة لينصفهم الخليفة المهدى ، وقد نقل القلقشندى خبرا عن رجل قدم على المهدى متظلما "فأنصفه فاستخفه الفرح حتى غشى عليه ، فلما افاق قال : ماحسبت انى أعيش حتى أرى هذا العدل ، فلما رأيته داخلنى من السرور ماأزال عقلى ، فقال له المهدى : كان الواجب أن ننصفك فى بلدك ، وكان قد صرف فى نفقة طريقه

---

(١) الطبرى : تاريخ ٨/١٧٣،١٧٤ ، وانظر الازدى : تاريخ ص ٢٥٠،٢٥٦ ، ابن الاثير : الكامل ٨٣/٦ .

(٢) ابن أبى الدم الحموى : كتاب أدب القضاة ص ١٢٩ .

عشرين دينارا ، فأمر له بخمسين دينارا" .[1]

نماذج من المظالم التى ردها الخليفة المهدى :

(١) رد مظالم أبى جعفر المنصور :

(أ) كان أول ما اهتم به المهدى بعد أن بلغه خبر وفاة المنصور هو رد المظالم التى كان المنصور قد أحدثها .[2]

فوجه الى كل من كان والده أبى جعفر قد قبض شيئا من ماله فأحضره ، ثم جلس فى النصف من المحرم وأمر الربيع فأحضر دفتر القبوض ثم أقبل عليهم فقال : "ان أمير المؤمنين المنصور كان بما حمله الله من أموركم ، وقلده من رعايتكم ، يدبر عليكم كما يدبر الوالد البر على ولده ، وكان أنظر لكم منكم لأنفسكم ، وكان يحفظ عليكم مالاتحفظون على أنفسكم ، فحرس لكم من أموالكم مالم يأمن ذهابه ، وهذه أموالكم مبارك لكم فيها ، فحللوا أمير المؤمنين من ابطائها عنكم" .[3] وبذلك فانه أعاد الحقوق الى أصحابها فى نفس الوقت الذى لم ينتقص فيه من اجراءات والده أو يسمح بالتعريض به .

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٢٠٥/٦ .
(٢) توفى المنصور فى السادس من ذى الحجة سنة ١٥٨هـ . ابن قتيبة : المعارف ص ١٦٥ ، الطبرى : تاريخ ٦٠/٨ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ٢٩٧/١ ، وقدم الربيع من مكة ومعه مفاتيح الخزائن فى مستهل محرم سنة ١٥٩هـ . اليعقوبى : تاريخ ٣٩٤/٢ .
(٣) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٤/٢ .

(ب) رد فـدك[1] :

كانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم[2] ، فلما توفى رسول الله طلبتها فاطمة رضى الله عنها من أبى بكر قائلة : "ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحلنيها"[3] فطلب أبو بكر شهودا على ذلك فشهد لها على وأم أيمن ، فقال : "قد علمت يابنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لايجوز الا شهادة رجل وامرأتين" ، فانصرفت ، ثم أدى اجتهاد عمر بن الخطاب لما ولى الخلافة الى أن يردها الى ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب يتنازعان فيها وعمر بن الخطاب يرفض أن يحكم بينهما[4] ، ويظهر انها قد دخلت فى حوزة بنى أمية بعد عمر الراشدين وانها استمرت كذلك حتى خلافة عمر بن عبد العزيز فكانت أول مظلمة ردها الى بنى على بن أبى طالب ، ثم قبضها يزيد بن عبد الملك فلم تزل فى بنى أمية حتى ولى أبو العباس السفاح الخلافة فأمر بردها الى عبد الله بن الحسن ، فلما ثار محمد بن عبد الله بن الحسن فى خلافة أبى جعفر المنصور أمر بقبضها منهم ، فلما ولى المهدى الخلافة كانت من المظالم التى أعادها الى بنى الحسن[5] .

---

(١) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة ، أفاءها الله على رسوله صلحا فى سنة ٧هـ .
ياقوت : معجم ٢٣٨/٤ .
(٢) ياقوت : معجم ٢٣٨/٤ .
(٣) السمهودى : وفاء الوفاء ٩٩٩/٣ .
(٤) ياقوت : معجم ٢٣٩/٤ ، السمهودى : وفاء ٩٩٩/٣ .
(٥) ياقوت : معجم ٢٣٩/٤ ، السمهودى : وفاء ٩٩٩/٣ .
(٦) العسكرى : الأوائل ٢٧٥/١ ، ياقوت : معجم ٢٣٩/٤ ، السمهودى : وفاء ٩٩٩/٣ .

(ج) رد عين أبى زياد : (١)

لما قتل محمد بن عبد الله بن الحسن قبض عيسى بن موسى بموافقة من الخليفة أبى جعفر المنصور جميع أموال بنى الحسن ومن بينها أموال جعفر بن محمد بن عبد الله ، فقصد جعفر أبا جعفر المنصور وقال له : "رد على قطيعتى عين أبى زياد آكل من سعفها ، قال : اياى تتكلم بهذا الكلام ؟ والله لأزهقن نفسك. قال :لاتعجل على قد بلغت ثلاثا وستين،وفيها مات أبى وجدى على بن أبى طالب ، وعلى كذا وكذا ان ربتك بشىء أبدا ... قال فرق له وأعفاه" (٢) ، ولكنه لم يرد عليه قطيعته فلما تولى المهدى الخلافة ردها الى ولد جعفر (٣) . كما أمر المهدى برد القطائع التى كان المنصور قد قبضها من أهل بيته وغيرهم (٤) .

(٢) رد آل أبى بكرة وآل زياد الى نسبهم :

فى سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م أمر الخليفة المهدى برد آل بكرة من نسبهم فى ثقيف الى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) ،

---

(١) عين أبى زياد : من عيون المدينة . ابن رستة : الأعلاق ص ٣١٣ .
(٢) الطبرى : تاريخ ٦٠٣/٧ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٦٠٣/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٥٤/٥ .
(٤) الطبرى : تاريخ ١٣٤/٨ .
(٥) أبو بكرة :أمه سمية كانت أمة للحارث بن كلدة الثقفى وقد ولدت له نافع ثم نفيع وهو أبو بكرة وكان أسود اللون فنفى الحارث نسبه اليه كما نفى نافعا بسبب أبى بكرة . ونسب نفيع الى مسروح غلامه ، ثم تزوج الحارث صفية بنت عبيد بن أسيد ومهرها سمية ، فزوجتها صفية عبدا لها روميا يقال له عبيد ، فولدت له زيادا ، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف نادى فى أهلها من خرج الى فهو حر فخرج اليه أبو بكر =

وكان السبب في ذلك "أن رجلا من آل أبي بكرة رفع ظلامة الى المهدي وتقرب اليه فيها بولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له المهدى ان هذا نسب واعتزاء ، ماتقرون به الا عند الحاجة تعرض لكم وعند اضطراركم الى التقرب به الينا " فسأله الرجل حينئذ أن يرده وجميع آل أبي بكرة الى نسبهم من ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر المهدى تحقيقا للعدالة أن يرد الى أبي بكرة الى نسبهم "وكتب الى محمد بن سليمان كتابا وأمره أن يقرأ في مسجد الجماعة على الناس ، وأن يرد آل أبي بكرة الى ولائهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبهم الى نفيع بن مسروح ، وأن يرد على من اقر منهم ماأمر برده عليهم من أموالهم بالبصرة مع نظرائهم ، ممن أمر برد ماله عليه ، والا يرد على من أنكر منهم ... فأنفذه محمد ماأتاه في آل أبي بكرة الا في أناس منهم غيب عنهم" .[(١)][(٢)]

وأما آل زياد : فان رجلا كان قد قدم الى المهدى وهو يجلس للنظر في المظالم ، فقال له يابن عمي ، فساله المهدى أي ابن عمي أنت ، فانتسب الى زياد ، فغضب المهدى وأمر به[(٣)]

= فأعتقه ، فصار مولى لرسول الله . البلاذري : أنساب ٤٨٩/١، ٤٩٠ ، وقد أسلم أبو بكر ، وحسن اسلامه . ابن قتيبة : المعارف ص ١٢٥ .

(١) الطبري : تاريخ ١٢٩/٨ ، وانظر ابن الاثير : الكامل ٤٧/٦ .

(٢) الطبري : تاريخ ١٢٩/٨ .

(٣) كان زياد بن عبيد عامل علي بن أبي طالب على فارس ، فلما قتل علي تحصن زياد في قلعة بفارس ، فخشي معاوية ابن أبي سفيان أن يقوم زياد وهو داهية العرب على مبايعة رجل من أهل البيت فيعيد الخلافة بذلك اليهم ، في نفس الوقت كان زياد يخشى معاوية فاشار عليه المغيرة الذي كان قد أرسله معاوية الى زياد أن يقدم =

فأخرج وكتب الى الأمير هارون الرشيد "وكان والي البصرة من قبله يأمره بأن يكتب الى واليها يأمره أن يخرج آل زياد من قريش وديوانهم والعرب" [١] .

وقد انفرد الطبري فذكر في تاريخه [٢] نص كتاب الخليفة المهدي الى والي البصرة في رد آل زياد الى نسبهم ، وقد تضمن الكتاب استعراضا لتاريخ علاقة آل زياد بالخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان واستلحاقه لزياد بن عبيد ، عبد ال علاج من قبيلة ثقيف وادعاؤه مارفضه بعده عامة المسلمين ومخالفته في ذلك المأثور من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر . كما تضمن الكتاب توجيها من الخليفة المهدي بأن "يرد زيادا وماكان من ولده الى أمهم ونسبهم المعروف ويلحقهم بابيهم عبيد وأمهم سمية ، ويتبع في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه الصالحون وأئمة الهدى" ، وفي نهاية الكتاب أشار المهدي الى أنه انما يعمل ذلك "لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه آثاره واحيائه سنته وابطاله سنن غيره الزائفة

= على معاوية مشترطا عليه أن ينقل أصله الى أصل معاوية ففعل ، وقدم الى معاوية فادعا هذا الأخير والحقه بأبي سفيان .
العسكري : الأوائل ٢٥٦/١ ، اليعقوبي : تاريخ ٢١٨/٢ ، البلاذري : أنساب الأشراف ١/القسم الرابع/ص ١٨٨،١٩١ ، ومات زياد بالكوفة وهو أميرها وأمير البصرة سنة ٥٤هـ اليعقوبي : تاريخ ٢٣٥/٢ ، البلاذري : أنساب ٤٩٦/١ .

(١) الطبري : تاريخ ١٣٠/٨ ، المقدسي : البدء والتاريخ ٩٥/٦ ، الأزدي : تاريخ الموصل ص ٢٤٠ ، ابن الأثير : الكامل ٤٨/٦ ، أبو الفدا : المختصر ٨/٢ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٨٠ ، الجنابي : البحر الزاخر ١/ورقة ٣٧٧أ .

(٢) الطبري : تاريخ ١٣٠/٨-١٣٢ وانظر نص الخطاب كاملا في الملحق رقم (٣) .

الجائرة عن الحق والهدى ..." كما كرر أمره بالتأكيد على مسألة الحاق ولد زياد بأبيهم زياد بن عبيد وأمهم سمية وبحملهم على ذلك وباعلان ذلك لعموم المسلمين فى البصرة "حتى يعرفوه ويستقيم فيهم ، فان أمير المؤمنين قد كتب الى قاضى البصرة ، وصاحب ديوانهم بذلك" . وقد صدر الخطاب على ماذكر الطبرى فى نهايته بخط الوزير معاوية بن عبيد الله ، سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م .

ومع دقة التعليمات الواردة فى الكتاب وصراحة التوجيه الذى كتب به الوزير عن الخليفة المهدى ، فقد أورد الطبرى معلومات تشير الى عدم الالتزام بانفاذه ، ذلك أنه ذكر "فلما وصل الكتاب الى محمد بن سليمان وقع بانفاذه ، ثم كلم فيهم ، فكف عنهم" . أما نسخة الكتاب التى أرسلت الى عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النميرى فقد أشار الطبرى الى أنه "لم ينفذه لموضعه من قيس وكراهته أن يخرج أحد من قومه الى غيرهم" (١) .

(٣) <u>رفع مظالم العمال</u> :

كان سعيد بن دعلج يتولى أحداث البصرة فى أواخر فترة حكم الخليفة المهدى ، فعزله ضمن حركة تغيير العمال سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م ، كما عزل عن الصلاة والقضاء من أهلها عبيد الله بن الحسن ، وولى مكانهما عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النميرى ، وقد كتب اليه الخليفة "يأمره بانصاف من تظلم من أهل البصرة من سعيد بن دعلج" (٢) .

---

(١) الطبرى : <u>تاريخ</u> ١٣٢/٨ .
(٢) الطبرى : <u>تاريخ</u> ١٢٠/٨ ، ابن الأثير : <u>الكامل</u> ٤٠/٦ .

كما وقع في قصة متظلمين شكوا بعض عماله "لو كان عيسى عاملكم قدناه الى الحق كما يقاد الجمل المخشوش ، يريد عيسى ولده" (١) .

وكان الخليفة المهدى قد أوصى الربيع بن الجهم واليه على فارس قائلا : "ياربيع ، آثر الحق ، والزم القصد ، وابسط العدل ، وارفق بالرعية ، واعلم أن أعدل الناس من انصف من نفسه ، وأجورهم من ظلم الناس لغيره" (٢) . ولاشك في أن ذلك يشير الى مدى حرصه على اشاعة العدل والانصاف ومنع الظلم والحرص على تحرى الحق وكذلك منع العمال والولاة من استغلال نفوذهم وايقاع الأذى بالرعية .

(٤) تعديل طرق جباية الخراج :

من أهم اجراءات الاصلاح التى قام بها المهدى ورفع بها الظلم عن الناس هو ماحصل من تطور جذرى في وضع الضرائب المفروضة على الأراضي الخراجية وذلك أن استيفاء حق بيت المال من أرض الخراج قد عدل من نظام المساحة (٣) الى نظام المقاسمة (٤) .

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٦٤/٤ .
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٣/١ ، وانظر النويرى : نهاية ٣٥/٦ .
(٣) نظام المساحة : أن يؤخذ الخراج على أساس مساحة الأرض التابعة للزراعة ، زرعت أم لم تزرع ، في حين أن نظام المقاسمة يعتمد على كمية المحصول الذى جرى انتاجه فعلا وتختلف نسبة الجباية فيه باختلاف المحصول . السامرائي : المؤسسات ص ٢٠٦ .
(٤) نظام المقاسمة : أن يتغير الخراج تبعا لتغير المحصول الذى ينتج . ن . م . س. ، وانظر : الريس : الخراج ص ٤٠٣ .

ويكشف الماوردي الأسباب التي دعت الى ذلك فيقول بأن "السعر قد نقص فلم تف الغلات بخراجها وخرب السواد"(١) . وقد تم تنفيذ هذا الاجراء على يد الوزير معاوية بن عبيد الله ابن يسار الذي كان قد أدرك الآثار الخطيرة المترتبة عن انخفاض أسعار الغلال . ولذلك فقد بادر الوزير واقترح على الخليفة المهدي بأن ينقل الخراج الى المقاسمة وكان رأيه يتلخص في أن "يجعل أرض الخراج مقاسمة بالنصف ان سقي سيحا وفي الدوالي على الثلث ، وفي الدواليب(٢) على الربع لاشيء عليهم سواه" ، وقد تضمن الاقتراح كذلك ابقاء النخل والكرم والشجر على أساس المساحة وأن يدخل في الاعتبار قربه من الأسواق . أما ماكان يزرع بين الأشجار من المحاصيل الشتوية أو الصيفية فقد اقترح أن يطبق عليها نظام المقاسمة أيضا(٣) . ولم تشر المصادر الى مدى تطبيق التفصيلات الخاصة باقتراح الوزير آنفة الذكر ، غير أن الثابت هو أن الخراج قد نقل الى المقاسمة وألغى الخراج على المساحة في السواد"(٤) . أما حصة بيت المال فقد جعلها الخليفة المهدي تعادل نسبة ثلاثة أخماس الانتاج الزراعي الفعلي في الأراضي الخراجية(٥) .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد أصدر الخليفة المهدي قرارا بمنع تعذيب المزارعين والفلاحين من أجل استيفاء الخراج

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٧٦ .
(٢) الدلاء التي يستقى بها من الآبار . انظر المصباح ص ٣٠٦
(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٧٦ .
(٤) السامرائي : مجالات الضرائب على الأرض والانتاج الزراعي ص ١٨ .
(٥) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٢،٢٦٧ ، قدامة بن جعفر : الخراج وصنعة الكتابة (مخطوطة مكتبة كوبريلي — استانبول) ورقة ١٠١ب ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٨٢ .

المتأخر عليهم ، وقد أكد الجهشيارى على أن أهل الخراج كانوا يعذبون بصنوف متنوعة من العذاب ، ويذكر أن الخليفة المهدى قد استشار بعض خواصه بشأنهم فقال له : "يا أمير المؤمنين ، هذا موقف له مابعده ، وهم غرماء المسلمين ، فالواجب أن يطالبوا مطالبة الغرماء ، فتقدم الى أبى عبيد الله بالكتابة الى جميع العمال برفع العذاب عن أهل الخراج" (١) .

وعندما ولى المهدى خالد بن برمك على فارس أناب خالد عنه ابنه يحيى ، "فقسط الخراج على أهلها ووضع عنهم خراج الشجر ، وكانوا يلزمون له خراجا ثقيلا" (٢) ، ولعل ذلك كان بأمر من الخليفة المهدى ، ذلك أن مثل هذه الاجراءات تؤثر حتما على معدلات الجباية السنوية ومدخولات بيت المال .

(٥) رفع الحيف من النصارى فى الموصل :

يبدو أن النصارى فى الموصل قد استغلوا اضطراب الأوضاع فيها بسبب اشتداد شوكة عبد السلام بن هاشم اليشكرى (٣) ، فقاموا بتوسيع بيعتهم المعروفة باسم دير توما على حساب أراضى المسلمين هناك . وقد أغاظوا بعملهم الغيورين من المسلمين ، فما أن انتشر ذلك الخبر فى الموصل حتى نهض جماعة منهم فهدموا البيعة وخربوها ، فلما قدم المهدى الموصل سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م تظلم النصارى اليه "فنظر المهدى فى الأمر ، فأحضر النصارى من شهد بهدم بيعتهم ، وأحضر

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص ١٤٣ .
(٢) ن . م . ص ص ١٥١ .
(٣) الأزدى : تاريخ ص ٢٤٢ .

المسلمون من شهد بما أدخلوه فيها وأضافوه اليها مما ليس منها . وخرج الفريقان معه الى بلد (١) ، فأوجب الخليفة على النصارى اخراج أربعمائة ذراع من بيعتهم بسبب ما أدخلوه فيها من زيادة " (٢) ، وذلك يعني أنه سمح لهم باعادة بناء بيعتهم على ماكانت عليه قبل قيامهم بالاعتداء على الأراضى المجاورة لها وباخراج الأرض التى اغتصبوها عن حوزتهم ، مما يعكس مدى حرصه على رعاية مصالح الجميع على أساس من الحق والانصاف وعدم التعجل فى اصدار الحكم ، والتحرى والتدقيق الشديدين قبل الوصول الى القرار السديد .

(٦) رفع مظالم القضاة :

حرص المهدى على اخضاع القضاة لمراقبته الدقيقة والدائمة ، فكان أصحاب أخباره يرفعون اليه تقارير دورية بما يجرى فى مجالس القضاة وذلك حرصا منه على ضمان العدل والانصاف ، وكان يتدخل فى القضاء والأحكام اذا وجد أن ذلك ضروريا لاقرار العدل أو رفع الظلم . فعندما تحامل القاضى عبيد الله بن الحسن العنبرى قاضى البصرة على محمد بن سليمان بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل وحكم عليه بأن تنزع عنه ملكية ضيعة كان الخليفة السفاح قد أقطعها له ، سار الى الحجاز حيث كان الخليفة المهدى يؤدى فريضة الحج هناك ، وقابله على ماذكر وكيع فى أخبار القضاة وهو يطوف بالبيت ومعه محمد بن سليمان بن على والى البصرة

---

(١) بلد : هى مدينة على دجلة فوق الموصل . ياقوت : معجم ٤٨١/١ .
(٢) الأزدى : تاريخ ص ٢٤٤ .

قال : "فطاف معه واستعداه على عبيد الله ، وقص عليه ماصنع أجمع ، فوقف المهدى حتى استمع كلامه ، فغضب المهدى ، وقال أفرغ من طوافى ، واكتب فى ذلك . فلما فرغ دخل وأذن لمحمد ابن سليمان ، ثم أذن للنوفلى ، قال النوفلى : فدخلت وهو جالس على كرسى ، فقال : اردد على كلامك ، فرددته فدعا بكاتب ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، ياكذا وكذا والله الذى لااله الا هو لتجلسن فى مجلس الحكم ، ولتجمعن عليك الناس ثم لتخبرنى ، أنك خالفت الحق ، وحكمت بغيره على محمد بن سليمان ، ولتردن قضاءك ، أو لأرسلن من يأتينى برأسك" (١) .

ومع أن الخبر ينطوى على اتجاه خطير لدى القاضى يتمثل فى عدم الالتزام بقرارات السلف من خلفاء بنى العباس واجراءاتهم مما يفتح الباب واسعا لمقاضاتهم واعادة النظر فى جميع أعمالهم وما الى ذلك مما يعمل على تدنى مكانة الخلفاء ، ومايستتبعه ذلك من خطر على البيت العباسى والخلافة سويا ويهدد بالفوضى . فان الاجراء الذى اتخذه الخليفة المهدى يعكس استيعابا شاملا لكل ماذكرناه آنفا مع رغبة جامحة فى تحرى العدل وضرورة التزام القضاة به وبالتراجع عن الاقضية والأحكام التى يصدرونها ثم يكتشفون أنهم قد أخطأوا فيها . اضافة الى مايدل عليه من جرأة الخليفة المهدى وتدخله المباشر فى اجراءات التقاضى وأحكام القضاة .

---

(١) وكيع : أخبار القضاة ٩٥،٩٤/٢ .

(٤) تطوير البريد وتنظيمه

(٥) تطوير البريد وتنظيمه :

من الثابت أن ديوان البريد لم يأخذ أهمية ومكانة بين الدواوين الأخرى للدولة الا فى العصر العباسى الأول [١] ، فلقد اهتم الخليفة المنصور كثيرا بتنظيمه وتطعيمه بالعناصر الموثقة ، كما انه اهتم برفع كفاءته تقديرا منه لخطورته اذ اعتبره أحد أركان الملك الأربعة التى لايستقر الا بقيامها [٢] .

وكان المنصور يطلب من ولاة البريد فى جميع النواحى أن يكتبوا له يوميا عن أمور ولاياتهم من كافة النواحى ليكون على اطلاع دائم بما يجرى فى دولته [٣] . فكانوا "يكتبون الى المنصور أيام خلافته فى كل يوم بسعر القمح والحبوب والادم ، وبسعر كل مأكول ، وبكل مايقضى به القاضى فى نواحيهم ، وبما يعمل به الوالى ، وبما يرد الى بيت المال من المال ، وكل حدث ، وكانوا اذا صلوا المغرب يكتبون اليه بما كان فى كل ليلة اذا صلوا الغداة ، فاذا وردت كتبهم نظر فيها ، فاذا رأى الأسعار على حالها أمسك ، وان تغير شىء منها من حاله كتب الى الوالى والعامل هناك ، وسأله عن العلة التى نقلت ذاك عن سعره ، فاذا ورد الجواب بالعلة تلطف لذلك برفقه حتى يعود سعره ذلك الى حاله ، وان شك فى شىء مما

---

(١) د . السامرائى : المؤسسات الادارية ص ٢٦٧ .
(٢) كان المنصور يرى أن أركان الملك هم : قاض لاتأخذه فى الحق لومة لائم ، وصاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى ، وصاحب خراج يستقصى ولايظلم الرعية ، أما الرابع فهو صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة .
الطبرى : تاريخ ٦٧/٨ .
(٣) العانى : سياسة المنصور ص ٤٤٣ .

قضى به القاضي كتب اليه بذلك وسأل من بحضرته عن عمله ، فان أنكر شيئا عمل به كتب اليه يوبخه ويلومه "(١) .

وقد بلغت أهمية البريد وصاحبه عند المنصور أن أوصى ابنه المهدى بالاهتمام الكبير به . ولاشك فى أن السبب فى ذلك يعود الى ادراك الخليفة المنصور العميق لدور البريد الفعال فى تحقيق وضمان أمن الدولة واستقرارها فى المجالين الداخلى والخارجى (٢) ، فقد أوصاه قائلا : "وأعد رجالا بالليل لمعرفة مايكون بالنهار ، ورجالا بالنهار لمعرفة مايكون بالليل" (٣) ، وقوله : "ولاتقدم فى الحياطة بمثل نقل الأخبار" (٤) .

ونظرا لأن المهدى قد نشا على يد أبيه المنصور فلقد واصل اهتمامه بأمور البريد فقدم خدمات جليلة لتنظيم الطرق وعمارتها وانشاء مصادر متنوعة للمياه فيها ، فتذكر المصادر بانه فى سنة ١٦١هـ/٧٧٧م "أمر باتخاذ المصانع فى كل منهل ، وبتجديد الأميال (٥) والبرك ، وحفر الركايا (٦) مع المصانع" (٧) ، وفى سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م استخدم المهدى البريد كوسيلة لتنظيم عملية تبادل الأخبار والمشورة بين الخليفة فى العاصمة وقادة الجيوش فى ساحات القتال (٨) ، فعندما "أغزى

---

(١) الطبرى : تاريخ ٩٦/٨ .
(٢) طلال رفاعى : نظام البريد ص ١٢١٦ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٠٦/٨ .
(٤) ن . م . ص ٧١/٨ .
(٥) الأميال : هى الأعلام المبنية لهداية المسافرين ، والميل حجر طوله ثلاثة أذرع .
انظر طلال رفاعى : نظام البريد ص ١٢٣٠ .
(٦) الركايا : هى المهاريج التى يجمع فيها الماء .
طلال رفاعى : نظام البريد ص ٨٢ .
(٧) الطبرى : تاريخ ١٣٦/٨ ، وانظر ابن الاثير : الكامل ٥٥/٦ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٩/٣ .
(٨) طلال رفاعى : نظام البريد ص ١٢٥٠ .

ابنه هارون الرشيد الروم واحب أن لايزال على علم قريب من خبره فرتب مابينه وبين معسكر ابنه بردا كانت تأتيه باخباره وتريه متجددات أيامه ، فلما قفل الرشيد قطع المهدى تلك البرد" (١) .

وفى سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م أوجد المهدى تنظيمات جديدة للبريد فى الطريق الذى يربط بين الحجاز واليمن وذلك الذى يربط الاقليمين بعاصمة الخلافة العباسية . وقد شملت تلك التنظيمات ، كما ينعكس من النصوص التاريخية التشكيلات الادارية والأمنية مع توفير المبالغ النقدية لتنفيذ ذلك ، وقد ذكر الطبرى ضمن اخباره عن أحداث سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م : "وفيها أمر المهدى باقامة البريد بين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين مكة واليمن ، بغالا وابلا ، ولم يقم هنالك بريد قبل ذلك" (٢) .

ان تقويم انجاز مثل هذا العمل يقتضى التدقيق فى طول المسافة المحصورة بين اليمن والحجاز وعاصمة الخلافة ، مع تقدير واع لطبيعة المنطقة التضاريسية والمناخية والسكانية والاحتياجات التى يقتضيها اقامة مثل هذا المشروع من جوانبها المختلفة الانشائية والمالية والبشرية . ولاشك فى أن اقامة البريد بين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) العمرى : التعريف ص ١٨٥ ، القلقشندى : صبح الأعشى ٣٦٨/١٤ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٦٢/٨ ، وانظر ابن الاثير : الكامل ٧٣/٦ ، أبو الفداء : المختصر ١٠/٢ ، النويرى : نهاية الارب ١١٧/٢٢ ، ابن كثير : البداية ١٤٩/١٠ ، الفاسى : العقد الثمين ٧٨/٢ ، المقريزى : الذهب المسبوك ص ٤٥ ابن تغرى بردى : النجوم ٥١/٢ ، النجم عمر بن فهد : اتحاف الورى ٢١٧/٢ .

وبين مكة واليمن وهو مشروع جديد ، يحتاج الى جهود كبيرة وأموال طائلة لبناء محطات البريد وتوفير الحيوانات المناسبة لطبيعة التضاريس وتجهيز المحطات بما تحتاج اليه من عدد ومواد غذائية ، وشحنها بالرجال وتنظيم أمر مراقبتها ودقة أعمالها اضافة الى تعيين العديد من أصحاب البريد وأصحاب الأخبار وتحرى الدقة فى انتقائهم وتوزيعهم على تلك المناطق . وهو أمر يعكس فى مجمله مدى حرص الخليفة المهدى على معرفة أحوال ديار الاسلام ومايستجد فيها بشكل دقيق وسريع ضمانا للمصلحة العامة ومصلحة الخلافة على حد سواء . أضف الى ذلك ففى مجال السياسة الداخلية ، تؤكد المصادر بأن الخليفة المهدى قد تابع سياسة أبيه المنصور فى اخضاع ولاته وقضاته ووزرائه للمراقبة الدقيقة والدائمة عن طريق البريد حتى يكون على علم تام بما يجرى فى دولته . وهكذا فانه حينما شك فى اخلاص وزيره يعقوب بن داود له أخضعه لمراقبة شديدة ثم دس اليه جارية جميلة كانت صاحب خبر الخليفة عليه تمكنت من أن تكشف للخليفة حقيقة تصرفاته ومدى ميله للعلويين (١) .

أما عن القضاة ، فقد ألزم الخليفة المهدى أصحاب الأخبار بحضور مجالسهم ورفع تقارير دورية عنهم اليه وذلك لرغبته الأكيدة على مايبدو فى اقرار الحق ورفع الظلم . ويذكر وكيع بأن أبناء عبد الملك بن الحجاج بن يوسف قد تظلموا الى قاضى الخليفة المهدى على البصرة عبيد الله بن

---

(١) الطبري : تاريخ ١٥٩/٨ ، مؤلف مجهول : العيون ٢٧٧/٣ ، طلال رفاعي : نظام البريد ص ١٦٤ .

الحسن العنبرى فى أمر ضيعة لهم فى نواحى البصرة كان السفاح قد أقطعها لسليمان بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، وسألوه أن يحتال فى ردها اليهم ، "فقال ايتونى بكتاب من أمير المؤمنين حتى أحتال لكم ، فخرجوا فرفعوا الى المهدى قصة يذكرون فيها أن محمد بن سليمان بن عبيد الله غصبهم أرضا وحدودها ، فكتب لهم المهدى بكتاب نصه : ان كان محمد بن سليمان غصبهم كما ذكروا ردت الى أيديهم الا تكون عند محمد بن سليمان حجة يدفع بها ماذكروه فقدموا بالكتاب على عبيد الله وقد ورد على محمد نسخة الكتاب ، فأرسل محمد بن سليمان الى عبيد الله يسفر بينه وبينه ، فرآه متحاملا ، فانطلق محمد الى صاحب البريد ، فقال له : ان هذا الرجل متحامل على ، فأحضر لتكتب بما تسمع ، وسأل ذلك سروات أهل البصرة فحضر أكثرهم فقال عبيد الله : قد ورد على كتاب أمير المؤمنين فهذا صاحب خبره يأمر برد هذه الضيعة على هؤلاء القوم ، لانك غصبتهم اياها ، قال : اقرأ كتاب أمير المؤمنين فهذا صاحب خبره ، وهؤلاء وجوه أهل المصر ، فقرأ الكتاب وترك الا ان يكون عند محمد ابن سليمان حجة ، تدفعهم بها ، فقال له محمد : لم تتم قراءة الكتاب . قال : قد قرأته ، قال : قلت الباطل ، ثم ضرب بيده الى الكتاب ، فانتزعه من يد عبيد الله ، ثم قال ياصاحب الخبر ، وأنتم أيها الناس فانظروا ثم قرأ الكتاب فأراهم اياه ، فقال له عبيد الله : أتفعل هذا بقاضى أمير المؤمنين ، وتجرىء عليه هذه الجرأة ، فقال له : يامحمد انما كنت قاضيا لأمير المؤمنين اذ كنت فأما وأنت تسحر من

كتاب أمير المؤمنين مافيه العدل ، والنصفة وتقرأ منه مافيه الحمل على ، فلست بأهل أن توقر ، ولست له بقاض ، فقال عبيد الله : والله لاضعن في عنقك طوقا من الحكم لاتفكه العيون ، أشهدكم أني قد حكمت عليه لولد عبد الملك ابن الحجاج ، وسلمت اليهم هذه الضيعة . قال محمد : والله لتعلمن أن قضاءك لايجاوز اذنيك ، أيها الناس وأنت ياصاحب الخبر ، اشهدوا أن الذى أدفع به مادعى هؤلاء القوم من غصب هذه الضيعة هذا السجل سجل أمير المؤمنين أى العباس ، باقطاعه اياى هذه الضيعة ثم قرأ بمحضرهم" .(١)

وقد سبق أن أشرنا الى خبر تظلم محمد بن سليمان الى الخليفة المهدى الذى كان يقوم فى ذلك الوقت بمناسك الحج ، والذى لم يمنعه ذلك من النظر فى مصالح الرعية ، ولذلك ما ان انتهى من طوافه حتى كتب يأمر عبيد الله بن الحسن بأن يرد قضاءه وأرسل الكتاب مع واليه على البصرة محمد بن سليمان بن على ، فلما قدم هذا الأخير جمع الناس فلم يتخلف احد ثم دفع الكتاب بحضرة صاحب الخبر ، فقال عبيد الله : "اشهدكم أنى قد قبلت كتاب أمير المؤمنين ، وفسخت حكمى" .(٢)

وقد نقل وكيع أيضا بان القاضى سوار بن عبد الله كان قد حبس رجلا ، فبعث حماد بن موسى كاتب محمد بن سليمان من أخرجه من الحبس ، فركب سوار حتى دخل مجلس محمد بن سليمان وهو قاعد للناس والناس على مراتبهم ، فدعا بجماعة من القواد ، "وقال : انطلقوا الى حماد بن موسى فضعوه فى

---

(١) وكيع : أخبار القضاة ٢/٩٣،٩٤ .
(٢) ن . م . س ٢/٩٥ .

الحبس ، فانصرف سوار ، فلما كان العشى أراد محمد بن سليمان الركوب الى سوار ، فبلغه ذلك فقال : أنا أحق بالركوب الى الأمير فركب اليه ، فقال : ياأبا عبد الله كنت على المجيء اليك ، فقال : أنا أحق أن أركب اليك ، فقال : قد بلغنى ماصنع الجاهل ، فأحب أن تهب له ذنبه ، قال : قد فعلت ان رد الرجل الى الحبس ، فوجه الى الرجل فحبسه وأخرج حمادا" (١) . وكتب صاحب الخبر بذلك الى المهدى ، فكتب الى سوار يحمده على ماصنع (٢) .

اما عن مراقبة الولاة فقد كان أصحاب البريد يحرصون أيضا على حضور مجالسهم فيذكر وكيع بانه لما مرض قاضى مصر اسماعيل بن اليسع (٣) أمر واليها ابراهيم بن صالح صاحب البريد سراج بن خالد أن يكتب الى الخليفة المهدى ليخبره "بمرض اسماعيل وضجيج الناس من ذلك ، ففعل سراج وكتب" (٤) .

ولقد استمر البريد على كفاءته فى عهد المهدى من حيث السرعة فى نقل الأخبار ، كما انه قد استفيد منه أحيانا فى نقل بعض كبار الشخصيات . فقد ورد أنه قد كتب الخليفة المهدى فى سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م الى ولده هارون الرشيد بان يركب البريد من الرقة بعد أن أتم غزو الروم ويقدم اليه فى بغداد ، فركب هارون من حران "ودخل الموصل ، وانحدر منها

---

(١)،(٢) وكيع : أخبار القضاة ٢/٦٩،٧٠ .
(٣) اسماعيل بن اليسع الكندى : ولاه المهدى قضاء مصر سنة ١٦٤هـ ، وكان كوفيا يذهب الى مذهب أبى حنيفة ، ولم يكن أهل مصر يعملون بهذا المذهب فثقل عليهم . لذلك عزله المهدى سنة ١٩٧هـ .
انظر : الكندى : الولاة والقضاة ص ٣٧١ .
(٤) الكندى : الولاة ص ٣٧٣ .

على البريد ، فوافى بغداد فى أيام يسيرة "[١] .

كما ورد أيضا أن الخليفة المهدى بعد أن اكتشف نقصا فى خراج الموصل سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م وأراد محاسبة العامل عليها فانه أمره أن "يقدم على البريد فقدم وادخل اليه "[٢] ليضمن دقة المحاسبة وسرعة الاجراءات .

ويذكر وكيع بان الخليفة المهدى حينما هم بعزل قاضيه على البصرة عبيد الله بن الحسن العنبرى كتب الى صاحب البريد يأمره بأن يحمل كلا من خالد بن طليق وعبد الله بن اسيد الكلابى على خمس من دواب البريد ليختار الاصلح منهما للقضاء[٣] . مما يشير الى استمرار البريد فى تقديم الخدمات العامة فى عصره .

---

(١) الازدى : تاريخ ص ٢٤٥ ، وانظر أيضا : الرفاعى : نظام البريد ص ١٢٤٦ .
(٢) الازدى : تاريخ الموصل ص ٢٤٩ .
(٣) وكيع : أخبار القضاة ١٢٢/٢ .

(١) تعديل نظام الجباية :

لقد أدرك المسؤولون من رجال الدولة العباسية العلاقة الوثيقة بين أحوال الزراعة والمزارعين وبين واردات الخزينة وأن كل تحسن يطرأ على الحياة ينعكس أثره على الخراج وغيره من الضرائب التى كانت تجبى من المزارعين أو تفرض على الزراعة (١) .

ومن هذا المنطلق فلقد قام الوزير معاوية بن يسار بتقديم اقتراحه الى الخليفة المهدى بتبديل جذرى فى نظام جباية الخراج وذلك بنقل الجباية من نظام المساحة الى نظام المقاسمة على الانتاج (٢) .

وقد كان نظام المساحة وهو تخمين خراج مقرر معين على وحدة المساحة المستعملة فى مساحة الأرض تستحقه الدولة كل عام (٣) معمول به فى الدولة الساسانية من عهد قباذ وابنه كسرى انو شروان ، ثم أقره الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند فتح السواد وبلاد فارس واستمر طيلة العصر الأموى والجزء الأول من العصر العباسى الى حين وفاة المنصور (٤) .

---

(١) د. السامرائى : السياسة الزراعية للدولة العباسية مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ص ٣٦١ ، العدد ١٦ ، ١٩٧٢م .

(٢) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٩٨ ، ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٨٢ .

(٣) الزهرانى : موارد بيت المال ص ١٥٩ .

(٤) الريس : الخراج ص ٤٠٣ .

وتشير المصادر بأن الناس قد سألوا المنصور في آخر خلافته بتبديل نظام الجباية الى المقاسمة ولكن المنصور توفي دون أن يطبقه (١).

ويذكر الماوردى السبب الذى من أجله سأل الناس الخليفة المنصور ذلك بقوله : "لأن السعر نقص فلم تف الغلات بخراجها وخرب السواد فجعله مقاسمة (٢) واشار أبو عبيد الله على المهدى أن يجعل أرض الخراج مقاسمة " .

وهذا النص كما يظهر يتألف من حقيقتين هما :

(١) رخص الأسعار .

(٢) خراب السواد .

ويعلل المؤرخون المحدثون هذا الأمر بقولهم : ان الناس قد وجدوا على مايظهر في نظام المساحة اجحافا بهم وتحميلهم أكثر مما يطيقون - والنظام فى جوهره صالح وعادى - ولكن مدى صلاحه يقع على حالة السوق وأوضاعه اضافة الى معدل اثمان المنتوجات ، ثم أن رخص الأسعار ليس هو السبب الوحيد الذى جعل المزارعين ينفرون من نظام المساحة وانما تتداخل فى الأمر عوامل متعددة منها مايتصل بجنس الانتاج ، ومنها ماله علاقة بمعدل الانتاج ، ومنها مرتبط بالقرب والبعد من الأسواق ، ومنها قلة العملة المتبادلة سواء من الذهب أو الفضة ، ومانجم عنها من تكدس البضائع نتيجة لقلة النقود

---

(١) البلاذرى : فتوح ص ٢٦٧ ، قدامة : الخراج ص ٣٦٨ .

(٢) المقصود به المنصور اذ أن الماوردى يذكر بأن المنصور هو الذى حول للناس الخراج الى المقاسمة ، لكنه يعود ويناقض روايته السابقة بقوله وأشار أبو عبيد الله على المهدى أن يجعل أرض الخراج مقاسمة . الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٩٨ ، مما يدل على أن نظام المقاسمة قد طبق فعلا في عهد المهدى .

ومنها تطور الحياة الاقتصادية ، والانتقال المفاجىء من الحصول على الضروري فقط الى الاستكثار من الكماليات بالاضافة الى جملة عوامل مساعدة أخرى طارئة كالفيضانات والحريق والأمراض وغيرها . لذلك فقد كانت المقاسمة في نظرهم أعدل بهم وأن يتقاسموا هم والسلطان ماينتجون من محصول مادامت النسبة الخاصة بالجباية ستكون ثابتة وعادلة وتنسجم مع طاقة المزارع وتحقق له المصلحة ، فلهذا طالبه الناس بنظام المقاسمة (١) .

ولما كانت سياسة المهدى هي سياسة التودد الى الرعية بالسيرة الحسنة ، فانه سعى الى تنفيذ هذا النظام لما يحققه من عدل اجتماعي ، فأمر بأن يقاسموا في السواد فيما دون عقبة حلوان (٢) . وقد بدأ تطبيقه على الأرجح منذ سنة ١٦٠هـ ٧٧٦م (٣) . ولعله أراد بذلك تجربة النظام في موضع بارز ومهم مثل السواد لأهميته من جهة ولوضوح تأثير التبدل الحاصل وقربه من العاصمة من جهة أخرى .

وقد حدد أبو عبيد نسبة المقاسمة في الزروع كما يلي (٤) :

نصف الانتاج على الأراضي التي تسقى سيحا (٥) .

ثلث الانتاج على الأراضي التي تسقى بالدوالي (٦) .

---

(١) الزهراني : موارد بيت المال ص ٢١٣ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٦٧ ، قدامة : الخراج ص ٣٦٨ .

(٣) الريس : الخراج ص ٤٠٤ .

(٤) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٩٨ .

(٥) السيح : السقي بدون مشقة ولامئونة . الزهراني : موارد بيت المال ص ٢١٣ .

(٦) الدوالي : الدالية الساقية الصغيرة وهي المنجون والناعورة ويديرها رجلان أو ثلاثة . الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص ٦٢ .

ربع الانتاج على الأراضي التى تسقى بالدواليب[١] ، ولاشىء عليهم سواه[٢] .

أما الأراضي المزروعة بأشجار الثمار كالنخل والكروم فلقد ظلت على نظام المساحة ، غير انه أجرى تعديلا على كمية الخراج وذلك بحسب قربها من الاسواق أو بعدها عن مراكز تصريف الانتاج[٣] . كما قرر أيضا استيفاء الخراج عن المنتوجات الشتوية - وهى الحبوب كالحنطة والشعير - اذا مازرعت بين الاشجار والبساتين "اذا بلغ حاصل الغلة مايفى بخراجين أخذ عنها خراجا كاملا ، واذا نقص ترك"[٤] .

ولقد أثبت هذا النظام عند تطبيقه تحقيق العديد من الايجابيات سواء على الخزينة أو على المزارعين ، بجانب بساطته وعدالته وشموله . ذلك أنه ربط الجباية بالانتاج الواقعى الفعلى فاصبح المزارع مسؤولا عن دفع نسبة محددة من الانتاج الفعلى مما دفع عنه الحرج والظلم والمطالبة بأن يدفع ضريبة لاعلاقة لها بالانتاج ، وربما تستهلك مجموع ماكانت تغله له أرضه ، وربما فى بعض الحالات قد يضطر الى الاقتراض فى سبيل تسديد حصة بيت المال بعد أن يستولى الجباة وأعوانهم على كامل انتاجه بأسلوب متعسف . وبجانب ذلك فقد أصبح الخراج متناسبا مع المحصول ، ومنع الجباة وعمال الخراج من التعنت والعبث باموال المسلمين ، كما أنه

---

(١) الدواليب : عجلة مائية كبيرة ، وهى نوعان الأول يديره ثور أو حصان أو جمل ، والثانى يديره ثوران . الدورى تاريخ العراق الاقتصادي ص ٦٢ .
(٢) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٩٨ .
(٣) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٩٨ ، الريس : الخراج ص ٤٥٧ ، الزهرانى : موارد بيت المال ص ١٦٠ .
(٤) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٤٠٧ .

ضمن لبيت المال دخلا ثابتا ذلك انه سهل حصولها على حقوقها وجعل تلك الحقوق واضحة محددة ، ويبدو أن المزارعين قد شعروا بايجابيات النظام الجديد حال انفاذه ، ولعله كان من بين العوامل التي ساعدت على الإستقرار وتركز الأموال مما عمل على نمو العمران في العراق ابتداء من تاريخ تطبيقه . ففي ما أشار اليه القاضي ابو يوسف في عهد الرشيد حين قال : "فلم أجد شيئا أوفر على بيت المال ، ولا أعفى لأهل الخراج من التظالم فيما بينهم وحمل بعضهم على بعض ، ولا أعفى لهم من عذاب ولاتهم وعمالهم من مقاسمة عادلة خفيفة فيها للسلطان رضى ، ولأهل الخراج من التظالم فيما بينهم وحمل بعضهم على بعض راحة وفضل" (١) .

---

(١) أبو يوسف : الخراج ص ١١٢ .

(٢) تشديد الرقابة المالية واستحداث الازمة وديوان زمام الازمة :

يعتبر انشاء ديوان الزمام من أهم الأحداث الادارية التى جدت فى عهد الخليفة المهدى[(١)] ، اذ لم يكن هذا الديوان معروف فى عهد بنى أمية[(٢)] ، أو حتى فى بداية الدولة العباسية ويرجع السبب فى انشائه الى اختلال واضطراب الامور المالية فى دواوين الدولة[(٣)] ، ويظهر أن الخليفة المهدى قد لمس تلك المشكلة ، وانه قد فكر فى طريقة لضبطها . ويذكر الطبرى ذلك فى تاريخه عن أحداث سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م فيقول : "وفيها وضع المهدى دواوين الازمة ، وولى عليها عمر بن بزيع مولاه ، فولى عمر بن بزيع النعمان بن عثمان أبا حازم زمام خراج العراق"[(٤)] ويظهر أن عمر بن بزيع[(٥)] قد استمر فى توليه لديوان الزمام المركزى طيلة عصر الخليفة المهدى وانه كانت له خبرة خاصة فى ذلك ، فقد نقل الطبرى فى أحداث سنة ١٦٨هـ/٧٧٤م مايفيد بأن عمر بن بزيع هو "أول من عمل ديوان الزمام فى خلافة المهدى وذلك أنه لما جمعت له الدواوين تفكر فاذا هو لايضبطها الا بزمام يكون له على كل ديوان فاتخذ دواوين الازمة وولى كل ديوان رجلا ، فكان واليه على زمام ديوان

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص ١٤٦ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٦٧/٨ ، ابن كثير : البداية ١٥٠/١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٤٢/٢ .
(٣) ابن تغرى بردى : النجوم ٤٢/٢ .
(٤) الطبرى : تاريخ ١٤٢/٨ .
(٥) عمر بن بزيع : مولى المهدى ، كان أثيرا لديه مقربا منه يحضر معه رحلات صيده ، وظل كذلك عند ولديه موسى وهارون الرشيد .
انظر : الطبرى : تاريخ ١٧٤/٨-١٨٩،٢٢٨ ، وانظر أيضا هامش التنوخى : نشوار ٢٧٠/٥ .

الخراج اسماعيل بن صبيح ..." .[1]

وهكذا فالنص صريح في أن عملية تطوير اداري ـ حسابي قد جرت خلال فترة حكم المهدي ذلك انها بدأت بانشاء ديوان خاص بالزمام ، ويظهر انه قد تطور ليشمل اختصاصه الاشراف على جميع الدواوين المالية ، وكانت له مجالس تشرف على الحسابات فيها وتدقق في الواردات والنفقات ، حيث يقوم كل منها بالاشراف على الديوان الذي يختص به ، فيدقق الحسابات ويراقب ويتتبع كل مامن شانه ضمان مصلحة خزينة الدولة .[2]

وبجانب ذلك فلقد كان هناك زمام ديوان النفقات فيذكر ابن خياط انه كان عليه أيوب بن أبي سمير[3] ، وقد كان يختص كبقية دواوين الأزمة بالناحية المالية من مراقبة وتدقيق في الحسابات .[4] وبذلك يكون حال دواوين الأزمة حال ديوان الرقابة المالية والتفتيش في عصرنا الحاضر .[5]

ويظهر من خلال ماأوردته المصادر الموثقة بأن تطورا آخر قد تم في هذا المجال في أواخر عمر الخليفة المهدي قصد منه احكام ضبط الرقابة المالية وعدم الاعتماد الكامل على شخص معين وباستمرار في موضوع التدقيق والرقابة منعا

---

(١) الطبري : تاريخ ١٦٧/٨ .
اسماعيل بن صبيح : تولى بعد ذلك في عهد الخليفة الهادي الكتابة ليحيى بن خالد لما كان يحيى على مايليه هارون الرشيد من عمل المغرب بين يدي الرشيد . ولما اختلف الأخوان مال الى جهة الأمين ، وكان يكتب بين يديه ، حتى اذا فر الفضل بن الربيع واستتر استوزره الأمين . انظر : حاشية التنوخي : الفرج ٣٥٨/٣

(٢) د. السامرائي : المؤسسات الادارية ص ٢٠٤ .

(٣) أيوب بن أبي سمير : مولى لبني فهر من أهل الشام . ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٢ .

(٤) د. السامرائي : المؤسسات ص ٢٤٢ .

(٥) عوف الكفراوي : الرقابة المالية في الاسلام ص ٢٣٣ .

للانحراف وضمانا لدقة العمل . ولاشك في أن ذلك كان وراء اجراء الخليفة المهدى الذى اتخذه عام ١٦٨هـ/٧٨٤م حين ولى على بن يقطين ديوان زمام الأزمة [(١)] . وهو أمر يشير الى احكام الرقابة على نفس الجهاز المكلف بالرقابة المالية على الدواوين فى الدولة وهو بلاشك يعكس الرغبة المطلقة فى التدقيق ومنع التضييع واشعار الجميع بانهم معرضون للمساءلة والحساب مهما علت مكانتهم أو توثقت علاقتهم بالخليفة . ولهذا فقد اعتبر هذا الديوان من أعظم النظم الرقابية التى أدخلها المهدى على الجهاز الادارى فى الدولة العباسية [(٢)] ، والذى يماثل فى عمله ديوان المراقبة المالية فى العصر الحديث [(٣)] .

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٦٧/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص ١٦٦ . وعلى بن يقطين هو : أحد قادة المنصور وكان الأخير معجبا بحسن تصرف على فى المال حيث قال عنه : "انه لايعطى شيئا من ماله باطلا ولايضع مالا فى حقه" . الأصفهانى : الأغانى ٦٤/٦ ، كان قريب الصلة بالمهدى . الطبرى : تاريخ ١٧٠/٨ ، ولاه المهدى والهادى على ديوان الخاتم . انظر ابن خياط : تاريخ ص ٤٤٣-٤٤٧ ، الطبرى : تاريخ ١٨٩/٨ .

(٢) الكفراوى : الرقابة المالية ص ٢٠٥ .

(٣) ن . م . س ص ١٣٩ .

(٣) الاشراف على دور الضرب :

كان الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان [(١)] هو أول من ضرب النقود فى الاسلام وحمل التعامل بها على مستوى الدولة وذلك فى سنة ٧٤هـ/٦٩٣م [(٢)] وأمر بنقشها فكتب عليها اسم الله تعالى وآيات قرآنية واسم رسول الله صلى الله عليه وسلم [(٣)] ، فنقش على أحد وجهى الدرهم "قل هو الله أحد" ، وعلى الآخر : "لا اله الا الله" ، وطوق الدرهم على وجهيه بطوق وكتب فى الطوق الواحد : "ضرب هذا الدرهم بمدينة كذا ، وفى الطوق الآخر : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" [(٤)] .

وقد حرص الولاة الأمويون أشد الحرص على المحافظة على سلامة النقود وجودتها [(٥)] فعندما تولى عمر ابن هبيرة ولاية

---

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى القرشى ، أبو الوليد : من أعاظم الخلفاء ودهاتهم ، نشأ فى المدينة فقيها واسع العلم ، متعبدا ناسكا ، استعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة ، وانتقلت اليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ ، فضبط أمورها وظهر بمظهر القوى وكان أديبا ذكيا فاضلا ، توفى سنة ٨٦هـ .
لمزيد من المعلومات انظر : الذهبى : سير الاعلام ٢٦٤/٤ ابن كثير : البداية ٦٢/٩ ، ابن الطقطقى : الفخرى ص ١٢٢ ، الزركلى : الأعلام ١٦٥/٤ .
(٢) الزهرانى : موارد بيت المال ص ٣٣٥ .
(٣) المناوى : النقود والمكاييل ص ٦٢ .
(٤) الزهرانى : موارد بيت المال ص ٣٧٧ .
(٥) عمر بن هبيرة بن معين بن سكين بن خديج بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة بن ذبيان ، كان واليا على الجزيرة منها غزا أرمينيا فهزمهم ثم ولى العراق فى نفس السنة ، واستمر واليا على العراق حتى سنة ١٠٥هـ انظر هامش قدامة بن جعفر : الخراج المنزلة الخامسة ، تحقيق طلال رفاعى ص ٢٢٩ .

العراق "خلص الفضة أبلغ من تخليص من قبله وجود الدراهم فاشتد في العيار"(١) ، ثم ولي خالد بن عبد الله البجلي ثم القسري العراق لهشام بن عبد الملك فاشتد في النقود أكثر(٢) من شدة ابن هبيرة حتى أحكم أمرها أبلغ من احكامه ..."(٣) .

وبذلك كانت نسبة العيار في الدينار أيام الأمويين عالية ومستقرة(٤) .

وعندما جاء العباسيون الى الخلافة حدث تطور جديد في نظام النقود العربية ، فقد أمر الخليفة المنصور بان يكتب اسمه واسم المهدي أو ألقابهما على النقود ، ففي سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م أمر باصدار سكة بالري تحمل اسم ابنه المهدي تحت لقب ابن أمير المؤمنين ، ويظهر بأن هذا اللقب كان يرتبط بصفة دائمة بابن الخليفة اذا كان وليا للعهد(٥) ، ولهذا فان هذه السكة تعتبر احدى الأساليب التي اتبعها المنصور من أجل التمهيد لأخذ ولاية العهد لابنه المهدي وعزل

---

(١) العيار : عيار الدنانير والدراهم ماجعل فيها من الفضة الخالصة أو الذهب الخالص يقال هو من عيار كذا وعيار الشيء ماجعل نظاما له يقاس به ، ومنه عيار الميزان للدرهم والأواقي والأرطال يوزن بها ، الجمع عيارات . هامش قدامة : الخراج ص ٢٣١ .

(٢) خالد بن يزيد بن أسد القسري ، أبو الهيثم البجلي ، أمير مكة والحجاز للوليد ثم لسليمان ، وأمير العراقين لهشام خمس عشرة سنة ، حتى عزله سنة ١٢٠هـ ، وولي مكانه يوسف بن عمر الثقفي ، وأمره بأن يحاسبه ويستخلص منه أموالا طائلة ، فمات خالد تحت وطأة التعذيب سنة ١٢٦هـ .
لمزيد من المعلومات انظر ابن كثير : البداية ١٠/١٧-٢١ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٥٠ ، وانظر قدامة : الخراج ص ٢٢٩ .

(٤) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص ٢٠٥ .

(٥) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ١٩٧ .

عيسى بن موسى . ذلك الهدف الذي تمكن المنصور من تحقيقه في سنة ١٤٧هـ/٧٦٤م[(١)] . كما أمر في سنة ١٥١هـ/٧٦٨م بأن تضرب سكة أخرى في بخارى باسم المهدى ملقبا له بالامام ، وهو أحد الالقاب ذات المدلول الشرعي ، وقد أطلقه المنصور على المهدى حينما كان وليا للعهد[(٢)] .

وفي عهد الخليفة المهدى فانه حرص مثل من سبقه من الخلفاء العباسيين على مباشرة أمر العيار فتولى النظر في عيار الدنانير والدراهم بنفسه[(٣)] ، وبذلك حافظ العباسيون في ذلك الوقت على مستوى النقاء العالي في المعدن الثمين في النقود وهو ماكان قد حققه أسلافهم الأمويون ، بل وحرصوا دائما على أن يجودوا فيها . فقد بلغت درجة نقاء الدنانير عادة بين ٩٦٪ و٩٨٪[(٤)] .

وقد استمر الخليفة المهدى في اصدار النقود المنقوش عليها اسمه او اسم ولي عهده ، ففي سنة ١٦١هـ/٧٧٧م ورد على سكة صدرت من أرمينيا[(٥)] اسم المهدى ملقبا بالخليفة ، وهي المرة الأولى في العصر العباسي ينقش هذا اللقب على النقود كما ورد هذا اللقب على نقود أخرى صدرت من أذربيجان[(٦)] ،

---

(١) الطبري : تاريخ ٩/٨ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ١٨٩ب
(٢) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ١٦٨ .
(٣) المناوي : النقود والمكاييل ص ٨٥ .
(٤) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص ٢٠٥ .
(٥) أرمينيا : اسم لصقع واسع عظيم في جهة الشمال وحدها من برذعة الى باب الأبواب ، ومن الجهة الأخرى الى بلاد الروم وجبل القبق ، وهي صغرى وكبرى فالصغرى تفليس ونواحيها ، والكبرى خلاط نواحيها . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ٦٠/١ .
(٦) أذربيجان : هو اقليم واسع وحدها برذعة شرقا الى أذربيجان غربا الى بلاد الديلم شمالا وقصبتها وأكبر مدنها فهي مدينة تبريز . ياقوت : معجم ١٢٨/١ .

وآران[1] بتاريخ ١٦٦هـ/٧٨٢م[2] .

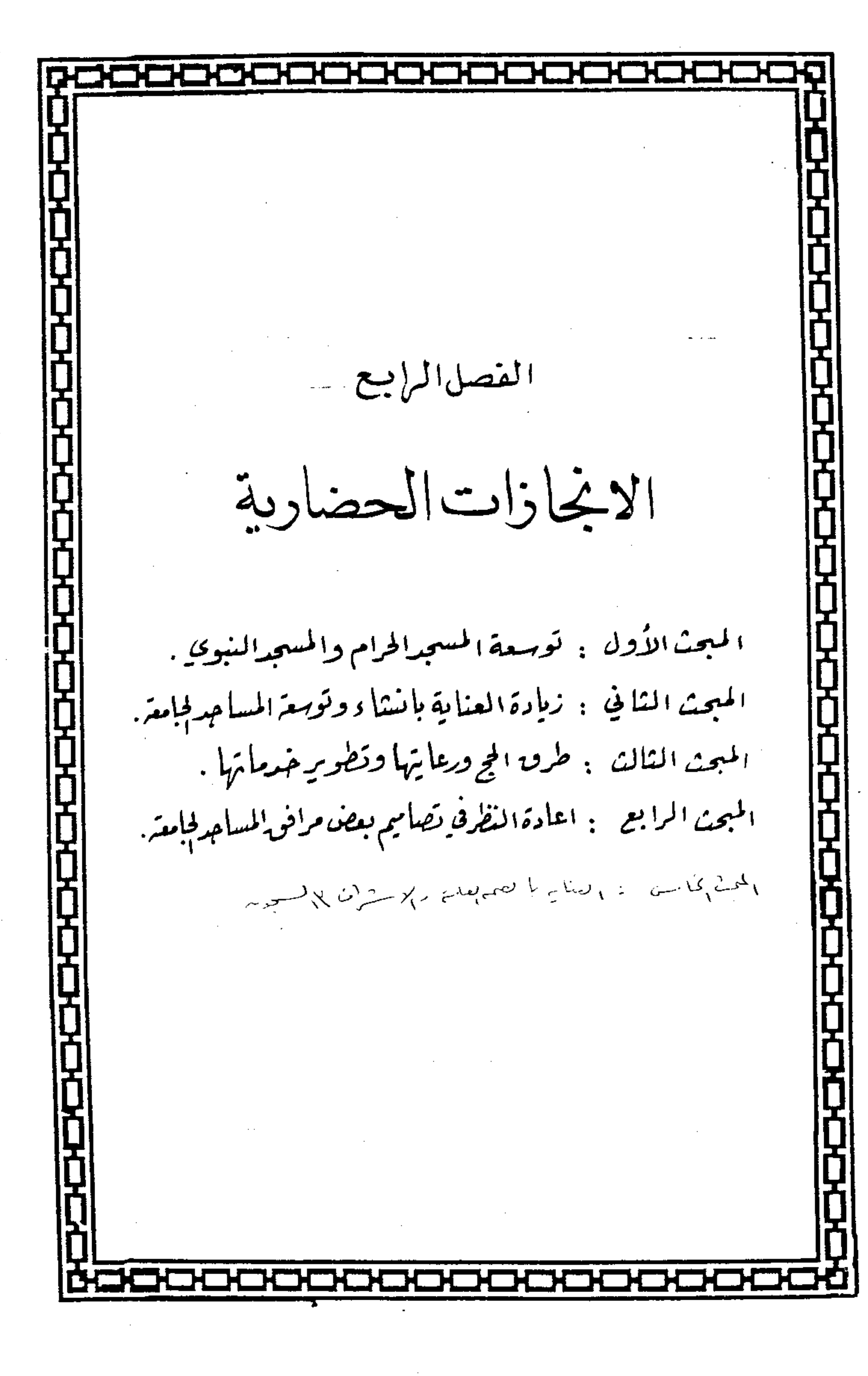
كما نقش المهدى اسم ابنه موسى الهادى ولقبه "ولى العهد" على سكة صدرت فى البصرة سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م ، وثانية فى المحمدية[3] وثالثة بتاريخ سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م من البصرة كذلك[4] .

ويبدو أن المهدى أراد أيضا أن يخلد ذكر بعض الاماكن التى اقام فيها وأعجب بها ، فعندما انتقل الى قصره المسمى بعيساباذ ضرب هناك الدنانير والدراهم ونص فيها على ذلك[5] .

ولاشك فى أن اشراف الخليفة المباشر على اصدارات النقود التى تشرف عليها الدولة وتأكيده على دقة صناعتها وتعليماته المباشرة فى مايكتب عليها ، اضافة الى تحريه الشديد مسألة عيار النقد ودرجة النقاوة فى المعادن الثمينة فيها قد اكسب النقود العباسية فى العصر الأول أهمية كبيرة وتعاملا واسع النطاق الى حد ان الناس بدأوا باستعمال أنصافها وأرباعها وأسداسها وأثمانها وكل ذلك دليل على دقة صناعتها وتجانس عيارها ووزنها[6] . ولعل من المناسب أن نشير بعد ذلك الى أن أعدادا كبيرة من تلك الاصدارات لاتزال ماثلة أمامنا فى عدد كبير من المتاحف وخزائن الآثار وهى بلاشك تحت تصرف الدارسين المختصين .

---

(١) اران : اسم أعجمى لولاية واسعة وبلاد كثيرة منها جنزه وبرذعه ، وشمكور ، وبيلقان . ياقوت : معجم ١/١٣٦ .
(٢) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٢٧٦ .
(٣) المحمدية : اسم لمواضع منها : قرية من نواحى بغداد من كورة طريق خراسان ، والمحمدية أيضا ببغداد من قرى بين النهرين . ياقوت : معجم ٥/٦٤ .
(٤) حسن الباشا : الألقاب ص ١٩٧ .
(٥) الطبرى : تاريخ ٨/١٦٢ ، ابن كثير : البداية ١٠/١٤٩ .
(٦) د. السامرائى : الضرائب في الدولة العباسية ، المجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية ص ٢٤٧ ومابعدها .



الفصل الرابع

الانجازات الحضارية

المبحث الأول : توسعة المسجد الحرام والمسجد النبوي .

المبحث الثاني : زيادة العناية بانشاء وتوسعة المساجد الجامعة .

المبحث الثالث : طرق الحج ورعايتها وتطوير خدماتها .

المبحث الرابع : اعادة النظر في تصاميم بعض مرافق المساجد الجامعة .

المبحث الخامس : العناية بالصم [illegible] من الاشتراك [illegible]

(١) توسعة المسجد الحرام :

تمت أول توسعة للمسجد الحرام في العصر العباسي على يد الخليفة المنصور ، ذلك أنه حينما حج في سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م وشاهد ضيق المسجد الحرام ، أمر بتوسعة المسجد الحرام (١) وكلف واليه على مكة بالاشراف على توسعته فكانت الزيادة فيه من الجهتين الشمالية والغربية (٢) ، الى أن أوصله غربا الى باب بني جمح ، ولم يزد في أعلاه أي في جهته الشرقية (٣) ، ولافي الجهة الجنوبية لاتصاله بمجرى السيل وادي ابراهيم ولصعوبة البناء فيه (٤) . فكانت توسعة المنصور من الجانبين تتكون من رواق واحد بأساطين الرخام دائرا على صحن المسجد (٥) وتقدر زيادته بضعف ماكان عليه المسجد قبل زيادته (٦) ، وقد أمر الخليفة المنصور بتزيين الأساطين بالفسيفساء المزخرف ، وبعد الانتهاء من تلك التوسعة أمر أن يكتب على باب بني جمح حيث انتهى عمل أبي جعفر في تلك الناحية بالفسيفساء الأسود والمذهب لوحة تأسيسية تضمنت ما يلي :

"بسم الله الرحمن الرحيم : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٧٥ ، فوزية مطر : تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف ص ١٣٣ .
(٢) الأزرقي : تاريخ مكة ٢٧٢/٢ ، النجم عمر بن فهد : اتحاف الورى ١٧٣/٢ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ١٢٤ .
(٣) الفاسي : شفاء الغرام ٢٢٤/١ .
(٤) حسن باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٥ .
(٥) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ١٢٤ ، ابن يحيى الطبري الارج المسكي ورقة ٩٩ .
(٦) حسن باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٥ .

ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا ... الى قوله غنى عن العالمين ...} .

أمر عبد الله أمير المؤمنين اكرمه الله بتوسعة المسجد الحرام وعمارته والزيادة فيه نظرا منه للمسلمين واهتماما بأمورهم ، وكان الذى زاد فيه الضعف عما كان عليه قبل ، وأمر ببنيانه وتوسعته فى المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة ، وفرغ منه ورفعت الأيدى عنه فى ذى الحجة سنة أربعين ومائة بتيسير أمر الله بأمر أمير المؤمنين ومعونة منه له عليه وكفاية منه له وكرامة أكرمه الله بها فاعظم الله اجر أمير المؤمنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام ..." .(١)

وعندما حج الخليفة المهدى فى سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م رفع اليه حجبة الكعبة أنهم يخافون على أركان البيت من التهدم لكثرة ماعليه من الكسوة(٢) حيث أن تلك الكسوة "لاتنزع من الكعبة فى كل سنة كما هو العمل الآن ، بل تلبس كل سنة كسوة فوق تلك الكسوة"(٣) . فامر المهدى بتجريدها ثم طلى البيت كله من الداخل والخارج بالغالية والمسك والعنبر ، "ثم أفرغ عليها ثلاث كسى من قباطى(٤) وخز وديباج والمهدى قاعد على ظهر

---

(١) الأزرقى : تاريخ مكة ٧٤،٧٣/٢ ، النجم عمر : اتحاف الورى ١٧٦،١٧٥/٢ .

(٢) الأزرقى : تاريخ مكة ٢٦٣/١ ، الطبرى : تاريخ ١٣٣/٨ ، النويرى : نهاية ١١٢/٢٢ ، القلقشندى : صبح الاعشى ٢٧٩/٤ ، المقريزى : الذهب المسبوك ص ٤٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٣٦/٢ ، النجم عمر : اتحاف الورى ٢٠٤/٢ السيوطى : تاريخ ص ٢٥٤ ، العصامى المكى : سمط النجوم ٢٦٥/٣ ، الأسدى : أخبار الكرام ورقة ٤٥ .

(٣) المقريزى : الذهب المسبوك ص ٤٤ .

(٤) قباطى : جمع قبطية بالضم وهو ثوب من ثياب مصر رقيق أبيض كان منسوبا الى القبط ، وهم أهل مصر . الفاسى : شفاء الغرام ١٢١/١ .

المسجد مما يلي دار الندوة ينظر اليها وهي تطلى بالغالية وحين كسيت" .(١)

التوسعة الأولى للمسجد الحرام في عهد الخليفة المهدي :

يبدو أن المهدي قد لمس أيضا في تلك الحجة ضيق المسجد الحرام والحاجة الماسة لتوسعته نظرا لتزايد عدد الحجاج والمعتمرين ، لذلك فقد استقر رأيه على العمل على توسعته ، فأمر بأن يزاد من أعلاه ويشترى ماكان في ذلك الموضع من دور ، واختار للاشراف على تلك المهمة قاضي مكة محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن الأوقص المخزومي(٢)(٣) ، وعندما رحل المهدي الى بغداد ترك من الأموال مايقدر بثلاثة مليون درهم وخمسمائة ألف دينار لغرض انجاز تلك التوسعة(٤) .

وقد بدأ القاضي بالعمل على تنفيذ ماتقرر بشأن توسعة المسجد الحرام في أول سنة ١٦١هـ/٧٧٨م فاشترى من الجانب

---

(١) الأزرقي : تاريخ مكة ٢٦٣/١ ، وانظر النجم عمر : اتحاف الورى ٢٠٥/٢ ، ابن ظهير : الجامع اللطيف ص ٢٧٠ القرماني : أخبار الدول ص ١٤٨ ، الأسدي : أخبار الكرام ورقة ٤٥ .

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن يحيى بن هشام بن العاص القرشي المخزومي الملقب بالأوقصي ، روى عن ابن جريج وعيسى بن طهمان ، وروى عنه معن بن عيسى ، ومحمد ابن زبالة وذكره ابن حبان في الثقات ، ولاه المهدي على قضاء مكة وتوفي في خلافة الهادي .
الفاسي : العقد الثمين ١١٨/٢، ١١٩ .

(٣) الأزرقي : تاريخ مكة ٧٤/٢ ، النجم عمر : اتحاف الورى ٢٠٥/٢ ، النهروالي : الاعلام بالاعلام ص ٤٦ ، ابن يحيى الطبري : الارج المسكي ورقة ٩٩ .

(٤) كان المهدي قد أنفق بعضها في صلات أهل الحرمين وترك الباقي للانفاق منه على عملية التوسعة في الحرمين .
انظر الطبري : تاريخ ١٣٣/٨ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٩/٦ ، الفاسي : شفاء الغرام ٢١٦/٢ ، النجم عمر : اتحاف الورى ٢٠٥/٢ ، النهروالي : الاعلام ص ٤٦ .

الشرقى "جميع ماكان بين المسجد الحرام والمسعى من الدور فما كان من الصدقات والأوقاف اشترى للمستحقين بدلها دورا فى فجاج مكة" (١)، وكان الثمن الذى دفعه مقابل لتلك الدور يقدر على أساس اعتبار المساحة "فاشترى كل ذراع فى ذراع مكسرا مما دخل فى المسجد الحرام بخمسة وعشرين دينارا (٢)، ومادخل فى الوادى بخمسة عشر دينارا" (٣)، فكان مما دخل فى المسجد فى تلك التوسعة من الدور : ماتبقى من دار الأزرق التى كان عبد الله بن الزبير قد أدخل نصفها فى توسعته للمسجد الحرام سنة ٦٤هـ/٦٨٣م (٤)، فكان ثمنها حوالى ثمانية عشر ألف دينار ، وقد اشترى القاضى لأهلها بثمنها مساكن عوضا عنها (٥).

كما أدخل فى التوسعة دارا لخيرة بنت سباع الخزاعية كانت تطل على المسعى ، وقد بلغ ثمنها ثلاثة وأربعين ألف دينار . وقد دخل فى تلك التوسعة كذلك دارا لآل جبير بن مطعم ، وجزءا من دار شيبة بن عثمان . وقد اشترى القاضى جميع ذلك لأغراض التوسعة حيث جرى هدمها وادخالها ضمن المسجد الحرام . وقد أصبح دار القوارير عند ذلك رحبة

---

(١) النهروالى : الاعلام ص ٤٦ .

(٢) ذراع فى ذراع مكسرا معناه ذراع مربع ، ويذكر باسلامة أن القاضى الأوقصى استعمل الذراع الحديد الذى يبلغ طوله ٥ر٦٠ سم . تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٤٠، ٤٢ .

(٣) الأزرقى : تاريخ مكة ٧٤/٢ ، وانظر النجم عمر : اتحاف الورى ٢٠٧/٢ ، الجزيرى : درر الفرائد ٤٦٥/١ ، ابن يحيى الطبرى : الارج المسكي ورقة ١٠٠ .

(٤) الأزرقى : تاريخ مكة ٧٠/٢ .

(٥) يدل هذا على أن ثمن تلك الدور لم تكن بهذا الارتفاع فى الأسعار لكن على مايبدو كان لحرص أهلها الشديد على التمسك بها لمجاورتها البيت الحرام جعل المهدى يدفع أكثر من أسعارها الحقيقية .

محصورة بين المسجد الحرام وبين المسعى .(١)

وقد شملت توسعة المهدى الأولى هذين الجانبين الجنوبى والغربى من المسجد الحرام فكان مازاد فيه "ان مضى بجداره الذى يلى الوادى ، اذ كان لاصقا ببيت الشراب ، حتى انتهى به الى حد باب بنى هاشم ، الذى يقال له : باب البطحاء على سوق الخلقان ، الى حده الذى يلى باب بنى هاشم ، الذى عليه العلم الأخضر الذى يسعى منه من أقبل من المروة يريد الصفا وموضع ذلك بين لمن تأمله ، فكان ذلك الموضع زاوية المسجد وكانت فيه منارة شارعة الى الوادى والمسعى ، وكان الوادى لاصقا بهما يمر فى بطن المسجد اليوم قبل أن يؤخر المهدى المسجد الى منتهاه اليوم من شق الصفا والوادى ثم رده على مطماره حتى انتهى به الى زاوية المسجد التى تلى الحذائين وباب بنى شيبة الكبير ، الى موضع المنارة اليوم . ثم رد جدر المسجد منحدرا حتى لقى به جدر المسجد القديم من بناء أبى جعفر أمير المؤمنين قريبا من باب دار شيبة من وراء الباب منحدرا عن الباب باسطوانتين من الطاق اللاصق بجدر المسجد الى منتهى عمل الفسيفساء من ذلك الطاق الداخل وذلك الفسيفساء وحده وجدر المسجد منحدرا الى أسفل المسجد من عمل أبى جعفر أمير المؤمنين ، فكان هذا الذى زاد المهدى فى المسجد فى الزيادة الأولى".(٢) فكانت زيادة المهدى رواقين على زيادة أبيه المنصور.(٣) ولم يزد المهدى فى هذه التوسعة

---

(١) الازرقى : تاريخ مكة ٧٥/٢ ، النهروالى : الاعلام بالاعلام ص ٤٦ .

(٢) الازرقى : تاريخ مكة ٧٥/٢ .

(٣) الازرقى : تاريخ مكة ٧٦/٢ ، النجم عمر بن فهد : اتحاف الورى ٢٠٩/٢ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ١٢٤ ، الأسدى : أخبار الكرام ورقة ٤٩ .

شيئا من ناحية شق الوادى والصفا بل أقره على ماكان عليه طاقا واحدا "وذلك لضيق المسجد فى تلك الناحية انما كان بين جدر الكعبة اليمانى وبين جدر المسجد الذى يلى الوادى والصفا تسعة وأربعون ذراعا ونصف ذراع" (١) .

وقد أمر الخليفة المهدى ، من أجل اتمام تلك التوسعة على أحسن وجه بنقل أساطين الرخام من الشام الى جدة حيث حملت بعد ذلك على عجلات الى مكة (٢) ، وهناك "حفر لها أرباضا على كل صف من الأساطين جدارا مستقيما ثم رد بين الأساطين جدارات أيضا بالعرض حتى صارت كالصليب ... فلما أن قرر الأرباض على قرار الأرض حتى انبسط الماء وبناها بالنورة والرماد والجص حتى اذا استوى بالأرض على وجه الأرض وضع فوقها الأساطين" (٣) .

أما أبواب المسجد التى أحدثها المهدى فى زيادته الأولى فقد كانت خمسة أبواب وهى : الباب الذى كان فى دار شيبة بن عثمان وهو طاق واحد ، وأما الثانى فهو باب عبد شمس وهو ثلاث طاقات وفيه اسطوانتان والباب الثالث هو الباب الذى فى دار القوارير وكان شارعا على الرحبة فى موضع الدار وهو طاق واحد ، أما الباب الخامس فهو باب العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه وموضعه عند العلم الأخضر الذى يسعى منه من أقبل من المروة يريد الصفا ، وهو ثلاث طاقات

---

(١) الأزرقى : تاريخ مكة ٧٧،٧٦/٢ ، ابن نجم : اتحاف الورى ٢١٠/٢ .

(٢) الأزرقى : تاريخ مكة ٧٦/٢ ، الجزيرى : درر الفرائد ٤٦٦،٤٦٥/١ .

(٣) الأزرقى : تاريخ مكة ٧٦/٢ ، ويذكر النهروالى بأن هذه الأساسات قد ظلت حتى كشف عنها السيل العظيم الذى حدث بمكة سنة ٩٠٣هـ . انظر الاعلام ص ٤٧ .

وفيه اسطوانتان .(١)

ومن أعمال المهدى فى تحسين المسجد الحرام فى تلك الفترة تحلية المقام وهو أول من قام بذلك(٢) اذ أن حجبة الكعبة رفعوه "فانثلم وخيف عليه أن يتفتت فكتب فى ذلك الحجبة الى المهدى فبعث بالف دينار فضبب بها المقام من أعلاه وأسفله " بالذهب .(٣)

كما أمر المهدى فى سنة ١٦١هـ/٧٧٧م واليه على مكة جعفر بن سليمان بان يبلط بطن الحجر بالرخام الملون ،(٤) وبتجديد رخام الحوض الذى كان على زمزم .(٥)

التوسعة الثانية للمسجد الحرام فى عهد الخليفة المهدى :

وكان سبب التوسعة الثانية كما يذكر الأزرقى أنه "لما بنى المهدى المسجد الحرام وزاد الزيادة الأولى ، اتسع أعلاه وأسفله وشقه الذى يلى دار الندوة الشامى ، وضاق شقه اليمانى الذى يلى الوادى والصفا ، فكانت الكعبة فى شق المسجد ، وذلك ان الوادى كان داخلا لاصقا بالمسجد فى بطن المسجد اليوم ، قال : وكانت الدور وبيوت الناس من ورائه فى موضع الوادى اليوم انما كان موضعه دور الناس ، وانما كان يسلك من المسجد الى الصفا فى بطن الوادى ، ثم يسلك فى

---

(١) الأزرقى : تاريخ مكة ٧٨،٧٧/٢ ، النجم عمر : اتحاف الورى ٢١١،٢١٠/٢ .

(٢) الفاسى : شفاء الغرام ٢٠٢/١ .

(٣) النجم عمر : اتحاف الورى ٢١٢/٢ ، وانظر القزوينى : آثار البلاد ص ١١٨ .

(٤) الأزرقى : تاريخ مكة ٣١٤/١ ، الفاسى : العقد الثمين ٤١٩/٣ .

(٥) الأزرقى : تاريخ مكة ١٠٢/٢ ، ابن رستة : الأعلاق ص ٤٣ ، النهروالى : الاعلام ص ٤٧ .

زقاق ضيق حتى يخرج الى الصفا من التفاف البيوت فيما بين الوادى والصفا ، وكان المسعى فى موضع المسجد الحرام اليوم وكان باب دار محمد بن عباد بن جعفر عند حد ركن المسجد الحرام اليوم عند موضع المنارة الشارعة فى نحو الوادى ، فيها علم المسعى ، وكان الوادى يمر دونها فى موضع المسجد الحرام اليوم" (١) .

ولذلك كره المهدى ذلك وأحب أن تكون الكعبة متوسطة فى المسجد (٢) ، فدعا المهندسين فى سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م (٣) بعد انتهائه من الزيادة الأولى وشاورهم فى الأمر فقالوا : "ان وادى مكة له أسيال عارمة ، وهو واد حدور ، ونحن نخاف ان حولنا الوادى عن مكانه أن لاينصرف لنا على مانريد ، مع ان وراءه من الدور والمساكن ماتكثر فيه المؤن ولعله أن لايتم ، فقال المهدى : لابد لى من أن أوسعه حتى أوسط الكعبة فى المسجد على كل حال ، ولو أنفقت فيه مافى بيوت الأموال ، وعظمت فى ذلك نيته ، واشتدت رغبته ، ولهج بعمله ، فكان من أكبر همه

---

(١) الازرقى : تاريخ مكة ٧٩،٧٨/٢ ، وانظر : النجم عمر : اتحاف الورى ٢١٤/٢ ، النهروالى : الاعلام ص ٤٧ .

(٢) الازرقى : تاريخ مكة ٧٩/٢ ، مؤلف مجهول : العيون ٢٧٩/٣ ، ابن ظهيرة : الجامع ص ١٢٤ ، النهروالى : الاعلام ص ٤٧ ، ابن يحيى الطبرى : الارج المسكي ورقة ١٠٠ ، العصامي المكي : سمط النجوم ٢٦٥/٣ .

(٣) اختلف المؤرخون حول قدوم المهدى للحج فى سنة ١٦٤هـ فيذكر كل من الازرقى : تاريخ مكة ٧٩/٢ بأن المهدى حج فى تلك السنة ، ورأى الكعبة فى شق المسجد وكره ذلك ، وتبعه فى ذلك كل من النجم عمر : اتحاف الورى ٢١٤/٢ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ١٢٤ ، النهروالى : الاعلام ص ٤٧ . فى حين أن الطبرى ذكر بأن المهدى كان قد عزم على الحج فى سنة ١٦٤هـ فخرج حتى انتهى الى العقبة فغلا عليه وعلى من معه الماء وخاف ألا يحمله ومن معه مابين أيديهم وعرضت له مع ذلك حمى ، فرجع من العقبة . تاريخ ١٥٠/٨ ، غير أن الرأى الأول على مايبدو هو الأصح .

فقدروا ذلك وهو حاضر ونصبت الرماح على الدور ، من أول موضع الوادى الى آخره ثم ذرعوه من فوق الرماح حتى عرفوا مايدخل فى المسجد من ذلك ، ومايكون للوادى فيه منه ، فلما نصبوا الرماح على جنبتى الوادى وعلم مايدخل فى المسجد من ذلك ، وزفوه مرة بعد مرة وقدروا ذلك وخرج المهدى الى العراق وخلف الأموال" .(١)

وفى سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م(٢) بدأ العمل فى هذا المشروع حيث احضر له الصناع والمهندسون من كل بلد(٣) ، وأعدت له الأموال الطائلة ، فولى يقطين بن موسى بالاشتراك مع القاضى محمد بن عبد الرحمن المخزومى مهمة الاشراف المالى على التوسعة ، فاشتريا من الناس دورهم فكان ثمن كل ذراع مكعب دخل فى المسجد بخمسة وعشرين وكل مادخل فى وادى ابراهيم بخمسة عشر دينارا(٤) . ثم كتب المهدى الى عامله على مصر يامره بحمل "الأموال الى مكة واتخاذ الآلات ، ومايحتاج اليه من الذهب والفسيفساء وسلاسل القناديل ، والخروج بها حتى يسلمها الى يقطين بن موسى ومحمد بن عبد الرحمن"(٥) . كما أمر بنقل أساطين الرخام بالسفن من مصر والشام حتى انزلت جدة ثم نقلت على العجل الى مكة ، فابتدأوا العمل من أعلى المسجد

---

(١) الازرقى : تاريخ مكة ٧٩/٢، ٨٠ ، انظر النجم عمر : اتحاف الورى ٢١٥/٢ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ١٢٤، ١٢٥ ، ابن يحيى : الارج المسكى ورقة ١٠٠ .

(٢) البسوى : المعرفة ١٥٦/١ ، الطبرى : تاريخ ١٦٥/٨ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٥/٢ ، ابن دحية : النبراس ص ٣٢ .

(٤) الازرقى : تاريخ ٨٠/٢ ، النجم عمر : اتحاف الورى ٢١٥/٢ ، ويذكر البسوى أنه سمع أرباب تلك الدور قالوا عوضنا كل ذراع ذراعا من مكان آخر ودفع الينا لكل ذراع مائة دينار . المعرفة ١٥٦/١ .

(٥) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٥/٢ .

"من باب بني هاشم الذي يستقبل الوادي والبطحاء ووسع ذلك الباب وجعل بازائه من أسفل المسجد مستقبله باب آخر ... فقال المهندسون : ان جاء سيل عظيم فدخل المسجد خرج من ذلك الباب ، ولم يحمل في شق الكعبة ... واشتروا الدور وهدموها فهدموا أكثر دار ابن عباد بن جعفر العايذي ، وجعلوا المسعى والوادي فيهما فهدموا ماكان بين الصفا والوادي من الدور ، ثم حرفوا الوادي في موضع الدور حتى لقواب الوادي القديم بباب اجياد الكبير" (١) ، كما دخلت في التوسعة دار أم هانيء بنت أبي طالب وكانت بجوارها بئر حفرها في الجاهلية قصي بن كلاب ، فدخلت تلك البئر في المسجد وحفر المهدي عوضا عنها بئرا أخرى بجوار باب البقالين ، وبذلك أصبحت الزيادة التي أدخلها المهدي في المسجد من الكعبة الى جدر المسجد اليماني تسعون ذراعا ، وقد كان سابقا تسع وأربعون ذراعا ونصف ، ومن الكعبة الى باب بني شيبة ستين ذراعا (٢) . وأما المساحة الاجمالية للمسجد فقد أصبحت مائة وعشرون الف ذراع مربع (٣) . وكان عدد الاساطين التي زادها في المسجد "أربعمائة واربع وثمانون اسطوانة ، طول كل اسطوانة عشر أذرع ، وصير فيه اربع مائة طاق ، وثمانية وتسعين طاقا ، وجعل في المسجد الأبواب ثلاثة وعشرين بابا ... وبنى العلمين اللذين يسعى بينهما وبين الصفا والمروة" (٤) .

---

(١) الأزرقي : تاريخ مكة ٢/٨٠ .

(٢) الأزرقي : تاريخ مكة ٢/٨٠ ، النجم عمر بن فهد : اتحاف الورى ٢/٢١٨ ، الجزيري : درر الفرائد ١/٤٦٨ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ ٢/٣٩٦ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٣١٥ ، ابن دحية : النبراس ص ٣٣ .

(٤) اليعقوبي : تاريخ ٢/٣٩٦ ، وانظر : النويري : نهاية الارب ٢٢/١١٣ .

أما سقف المسجد فقد جعله المهدى "سقفان أحدهما فوق الآخر ، فأما الأعلى منهما فمسقف بالدرم اليمانى ، وأما الأسفل فمسقف بالساج والسيلج الجيد ، وبين السقفين فرجة قدر ذراعين ونصف ، والسقف الساج مزخرف بالذهب ، مكتوب فى دوارات من خشب ، فيه قوارع القرآن وغير ذلك من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والدعاء للمهدى" (١) .

وقد استمر العمل فى هذه التوسعة الى أن توفى المهدى فى المحرم سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م ، قبل أن تتم عمارة المسجد بشكل نهائى فاتم الهادى ابنه هذه التوسعة ، ولكنها جاءت دونعمل المهدى فى الاحكام والحسن (٢) .

وقد قدر ماانفقه المهدى فى هذه التوسعة الاخيرة على أقل تقدير باربعة ملايين وخمسمائة وثمانية وسبعين ألف وسبعمائة وخمسين دينارا (٤٢٥٧٨٧٥٠) دينارا (٣) ، فكان هذا العمل ذكرا خالدا سجله له المؤرخون فيقول الفاسى : "وليس لأحد من الاثر فى النفقة فى عمارته مثل ماللمهدى ، فالله يثيبه ، واسمه الى الآن فى سقف المسجد الحرام قريبا من منارة الميل" (٤) .

وهذا مايبطل مايزيفه بعض المؤرخين عن المهدى من أنه قد "زين له هواه ، فأنفق المال ، وأكب على اللذات والشرب وسماع الغناء" (٥) .

---

(١) الأزرقى : تاريخ مكة ٩٦/٢، ٩٧ .
(٢) الأزرقى : تاريخ ٨١/٢ ، الفاسى : شفاء الغرام ٢٢٥/١ ، الجزيرى : درر الفرائد ٤٦٨/١ .
(٣) باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٥١ .
(٤) الفاسى : تحصيل المرام ورقة ١٣٧ .
(٥) الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٩ .

فليس من المتصور أن يكون الخليفة المهدى على تلك الشاكلة من الأخلاق فى الوقت الذى ينفق فيه كل هذه الأموال فى توسعة المسجد الحرام والمسجد النبوى ، بالاضافة الى بناء المساجد الأخرى ، ومايتفقه فى حرب الزنادقة وفى الجهاد ضد نشاط الروم وغيرهم من أعداء دين الله .

تعمير وتوسعة المسجد النبوى :

شيد الرسول صلى الله عليه وسلم مسجده الشريف فى السنة الأولى من الهجرة باللبن وجعل عمده من جذوع النخل وسقفه بالجريد[1] ، وفى عام ٧هـ/٦٢٨م رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسجد قد ضاق باهله فعمل على توسعته[2] ، وعندما استخلف أبو بكر رضى الله عنه لم يزد فيه شيئا لانشغاله بالفتوحات ، ثم استخلف عمر رضى الله عنه فوسعه وكلم العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فى بيع داره ليزيدها فيه فوهبها لله والمسلمين فزادها عمر رضى الله عنه فى المسجد ، ثم ان عثمان بن عفان رضى الله عنه بناه فى خلافته بالحجارة والقصه[3] وجعل عمده حجارة وسقفه بالساج وزاد فيه ونقل اليه الحصباء من العقيق"[4] .

وظل المسجد كذلك حتى خلافة الوليد بن عبد الملك الذى

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٦ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٦٩ .

(٢) المراغى : تحقيق النصرة ص ٤٤ ، السمهودى : وفاء الوفاء ٣٣٨/١ .

(٣) القصة : هى مادة تستخرج من بطن النخل . المراغى : تحقيق النصرة ص ٤٧ .

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧ ، ابن قتيبة : المعارف ص ٢٤٥ .

كتب الى عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز يأمره بالزيادة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارته ، فاشترى عمر ماحول المسجد من الدور من ناحية الشمال والشرق والغرب فادخلها فيه كما أدخل فيه حجرات النبى صلى الله عليه وسلم (١) .

وقد عنى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ببناء المسجد وتحسينه فبناه بالحجارة المنقوشة ، وجعل عمد المسجد من حجارة محشوة بالحديد ثم زين جدار المسجد بالفسيفساء والمرمر ، وعندما انتهى الى جدار القبلة فى صحن المسجد كتب بالفسيفساء مانسخته : "بسم الله الرحمن الرحيم : لااله الا الله وحده لاشريك له ، محمد عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" . أمر عبد الله امير المؤمنين الوليد بتقوى الله وطاعته ، والعمل بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ..." (٢) .

وكان عمر بن عبد العزيز أول من أحدث للمسجد المحراب والشرفات ، كما جعل له أربع منارات فى كل ركن واحدة (٣) .

ويذكر المؤرخون بان المسجد النبوى "لم يزل على حالة مازاد فيه الوليد الى أن اهتم ابو جعفر المنصور بالزيادة فيه ثم توفى ولم يزد فيه ، حتى زاد فيه المهدى" (٤) .

---

(١) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٧٢ ، السمهودى : وفاء الوفاء ٥١٦/٢ .
(٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٧٣ .
(٣) الحربى : كتاب المناسك وطرق الحج ص ٣٦٨ ، ابن النجار الدرة الثمينة ص ٣٧٣ .
(٤) السمهودى : وفاء الوفاء ٥٣٦/٢ .

وعندما حج المهدى فى سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م وقدم الى المدينة منصرفا من الحج شاهد على مايبدو ضيق المسجد النبوى فأمر بتوسعته واستعمل عليها جعفر بن سليمان بن العباس سنة ١٦١هـ/٧٧٧م ، وأمره باجراء توسعة كبيرة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهته الشمالية تقدر (١) بحوالى مائة ذراع (٢) .

وقد عهد جعفر بن سليمان الى كل من عمر بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز وعبد الملك بن شبيب الغسانى من أهل الشام بمهمة الاشراف على هذه التوسعة ، ولكن عمر بن عاصم لم يلبث أن توفى فولى مكانه عبد الله بن موسى الحمصى (٣) . وكانت بداية العمل فى هذا المشروع فى سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م فقدروا ماحول المسجد من دور فابتيع وكان مما أدخل فيه من الدور : دار عبد الرحمن بن عوف التى يقال لها دار مليكة ، ودار شرحبيل بن حسنة وكانت صدقة ، فابتاعوا دورا ومنازل فاوقفوها صدقة بدلا عنها ، وبقية دار عبد الله بن مسعود التى يقال لها دار القراء ، ودار المسور بن مخرمة بن نوفل ابن أهيب بن عبد مناف بن زهرة (٤) .

---

(١) الدينورى : الاخبار الطوال ص ٣٨٦ ، الحربى : كتاب المناسك ص ٣٧٠ ، المراغى : تحقيق النصرة ص ٥٤ ، السمهودى : وفاء الوفاء ٥٣٦/٢ ، البرزنجى : نزهة الناظرين ص ١٣ .

(٢) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٧٢ ، العراغى : تحقيق النصرة ص ٥٤ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٧٤ ، القرطبى : بهجة النفوس ورقة ١٢١ ، والذراع المستعملة هنا هى الذراع الآدمى . انظر السمهودى : وفاء الوفاء ٣٤٠/١ . وتقدر هذه الزيادة ب ٢٤٥٠ مترا مربعا . انظر الملحق الثالث لكتاب شفاء الغرام ص ٤١٠ .

(٣) الحربى : كتاب المناسك ص ٣٨٨ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٧٥ .

(٤) الحربى : كتاب المناسك ص ٣٧١ .

وقد اهتم المهدى المهدى بعمارة المسجد وزخرفته فحمل اليه أساطين الرخام والفسيفساء والذهب ورفع سقفه والبس خارج قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرخام (١)، وقد زاد فى صحن المسجد عشرة أساطين وفى سقائف النساء خمس أساطين (٢)، وأمر بسد خوخة (٣) آل عمر "فكلموه ففتحوها وخفضوها فى الأرض حتى كانت كالسرداب ، وجعل عليها شباكا من حديد فى قبلة المسجد" (٤) كما أمر بهدم المقصورة (٥)، وخفضها الى مستوى المسجد وجعل سقفها من الخشب (٦).

وقد استمر العمل حتى وصل العمال الى صحن المسجد ، وكان المهدى قد أمر بان يمحى ماكتبه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى سنة ٩١هـ/٧٠٩م (٧) وأن يكتب بدلا عنه بالسيفساء مانصخته : "أمر عبد الله المهدى أمير المؤمنين

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٦/٢ ، ابن دحية : النبراس ص ٣٣ ، النويرى : نهاية الارب ١١٣/٢٢ .

(٢) الحربى : كتاب المناسك ص ٣٧١ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٧٥ ، السمهودى : وفاء الوفاء ٥٣٨/٢، ٥٣٩ .

(٣) الخوخة : طاقة فى الجدار تفتح لأجل الضوء ولايشترط علوها . وحيث تكون سفلى يمكن الاستطراق منها لاستقراب الوصول الى مكان مطلوب . انظر السمهودى : وفاء ٤٧١/٢

(٤) الحربى : كتاب المناسك ص ٣٧٠ ، وانظر ابن رستة : الأعلاق ص ٧٣ ، القرطبى : بهجة النفوس ورقة ١٢١ .

(٥) كان معاوية بن أبى سفيان هو أول من اتخذ المقصورة فى المسجد ، وعندما بنى عمر بن عبد العزيز مسجد النبى رفع المقصورة عن الأرض بمقدار ذراعين . انظر السمهودى وفاء ٥١٢/٢ .

(٦) السمهودى : وفاء الوفاء ٥١٢/٢ .

(٧) يذكر الطبرى بأن المهدى أمر بان تمحى هذه الكتابة فى سنة ١٦٠هـ حينما دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع رأسه فنظر فرأى اسم الوليد ، فقال : وانى لأرى اسم الوليد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليوم ، فدعا بكرسى فألقى فى صحن المسجد ، وقال : مأانا ببارح حتى يمحى ويكتب اسمى مكانه . الطبرى : تاريخ ١٧٩/٨ ، ومن المحتمل أن يكون قد أمر بذلك فى تلك السنة ثم سجل اسم المهدى بدلا عنه عندما قام العمل فى المسجد .

أكرمه الله وأعز نصره بالزيادة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحكام عمله ، ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، فأحسن الله ثوابه باحسن الثواب ، والتوسعة لمن صلى فيه من أهله وابنائه من جميع المسلمين فاعظم الله اجرا أمير المؤمنين فيما نوى من حسن نية فى ذلك وأحسن ثوابه ، بسم الله الرحمن الرحيم - ثم كتب أم القرى كلها ، ثم كتب : وكان مبتدأ ما أمر به عبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين أكرمه الله بالزيادة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمله فى سنة اثنتين وستين ومائة ، وفرغ منه سنة خمس وستين ومائة ، وأمير المؤمنين أصلحه الله يحمد الله على ما أذن له وما اختصه به من عمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوسعته حمدا كثيرا ، ونحمد الله رب العالمين على كل حال" (١) .

وكان المهدى قد أمر بان يكتب على الأبواب التى زيدت فى المسجد على عهده مايلى :

(١) كتب على الباب الذى كان يقابل دار خالد بن الوليد :

"بسم الله الرحمن الرحيم والهكم اله واحد - الآيتين - وعلى آخرها : واذا سألك عبادى عنى الآية - وعليه من خارج مكتوب : وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن - الآية - وفى حاف الباب مكتوب من داخل : اللهم صلى على محمد النبى صلى الله عليه وسلم ، مما أمر به المهدى محمد أمير

---

(١) الحربى : كتاب المناسك ص ٣٨٨،٣٨٧ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٧٥ .
وليس من الواضح المقصود بما ورد فى النص فى قوله : ثم كتب "أم القرى كلها" .. ولعل المقصود قوله تعالى {لتنذر أم القرى ومن حولها ...} الآية .

المؤمنين ، مما عمل البصريون سنة اثنتين وستين ومائة[(١)] .

(٢) وكتب على الباب الذى يقابل زقاق المناصع[(٢)] من الداخل :

بسم الله الرحمن الرحيم . ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض ـ الآيتين ـ وعليه من خارج مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم . الهاكم التكاثر ، الى آخر السورة .

(٣) كتب على الباب الذى كان فى دبر المسجد مما يلى الشام من الداخل :

بسم الله الرحمن الرحيم فى بيوت أذن الله أن ترفع الى منتهى ثلاث آيات ، وعليه مكتوب من خارج : بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك واجزه خير ماتجزى النبيين ، وافضل ماتعطى المرسلين ، أمر بعمارة هذا المسجد وأن يبنيه ويوسعه عبد الله المهدى أمير المؤمنين[(٣)] .

---

(١) الحربى : كتاب المناسك ص ٣٩١ .
(٢) زقاق المناصع : كان يقع بين دار عمرو بن العاص وأبيات الموافى ، وكان هذا الزقاق ينفذ الى المناصع خارج المدينة . السمهودى : وفاء الوفاء ٢/٦٩٣ .
(٣) الحربى : كتاب المناسك ص ٣٩١ .

(٢) التوسع فى انشاء المساجد الجامعة :

(أ) مسجد الرصافة :

كان المنصور قد بنى مدينة الرصافة فى الجانب الشرقى من بغداد سنة ١٥١هـ/٧٦٨م قبل قدوم ابنه المهدى من خراسان وهو يومئذ ولى العهد "وعمل لها سورا وخندقا وميدانا وبستانا وأجرى له الماء"(١) . كما بنى له أيضا قصره الذى يعرف بقصر الوضاح(٢) ، فلما استتم بناءها فى سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م(٣) أمر ابنه بالاقامة فيها ، فنزلها المهدى وزاد فى تعميرها ، والتحق الناس بها حتى صارت فى مقدار مدينة بغداد ، ولما كان المهدى يهتم اهتماما كبيرا بالمساجد فلقد عمل بها مسجدا جامعا "أكبر من جامع المنصور وأحسن"(٤) ، وكان فراغه من بناء الرصافة والجامع بها فى سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م(٥) . وقد ظل المسجد على أهميته حتى وقت خلافة المعتضد بالله ، "فلم تكن صلاة الجمعة تقام بمدينة السلام الا فى مسجدى المدينة والرصافة"(٦) .

(١) الطبرى : تاريخ ٣٧/٨ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ٨٢/١ .
(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٨٩ .
(٣) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ٨٢/١ .
(٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان ٤٦/٣ ، وانظر ابن حوقل صورة الأرض ص ٢١٦ .
(٥) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ٨٢/١ .
(٦) ن . م . ص ١٠٩/١ .

(ب) مسجد البصرة :

كان زياد بن أبيه والى البصرة فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، أول من زاد فى المسجد الجامع بالبصرة زيادة كبيرة وبناه بالآجر والجص وسقفه بالساج بعد أن كان مبنيا قبل ذلك باللبن والطين .(١)

وظل المسجد على حاله ذلك حتى تولى المهدى الخلافة فأمر فى سنة ١٦١هـ/٧٧٧م بالزيادة فيه من الجهتين الجنوبية والغربية "مما يلى رحبة بنى سليم ، وولى بناء ذلك محمد بن سليمان وهو يومئذ والى البصرة"(٢) ، فاشترى محمد بن سليمان الدور التى كانت فى ذلك الموضع فهدمها وزادها فى المسجد .(٣)

(ج) مسجد الموصل :

شملت عمارة المهدى فى الموصل مسجدين أولهما : المسجد المعروف ببنى ساباط ، وكان يقع بالقرب من البيعة المعروفة برتوما ، وقد استغل النصارى على مايبدو انشغال المسلمين فى الموصل خلال ثورة الخارجى عبد السلام اليشكرى فأدخلوا جزءا من هذا المسجد فى بيعتهم ، فلما علم المسلمون بذلك عمد جماعة منهم فهدموها . وظلوا كذلك حتى قدم المهدى الى الموصل فى طريقه الى بيت المقدس سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م فتظلم اليه أولئك النصارى لهدم بيعتهم ، فلما نظر المهدى فى

---

(١) البلاذرى : فتوح ص ٣٣٨ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٣٦/٨ ، وانظر ابن كثير : البداية ١٣٣/١٠ .
(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٤٠ .

الأمـر أوجـب عـلـى النصارى "اخراج أربعمائة ذراع من بيعتهم لسبب ماأدخلوه فيها من زيادة ، وأمر فبنى المسجد من ماله فهو مسجد المهدى وانما غلب اسم بنى ساباط لملاصقتهم فيه" (١).

أمـا المسجد الثـانى : فهـو المسجد الجامع الذى كان يحيط به "حوانيت للمسجد وسوقا لأهل المدينة ، فما كان يلى سوق الداخل للبزازين (٢) ، ومايلى باب جابر للسراجين ، ومايلى دبـر القبلة للسقط ومواضع الطبخ التى كان يطبخ للناس فيها فـى شهر رمضـان ، فـأمر المهـدى بهدم جميع ذلك وأدخله فى المسجد" (٣) ، وجعله أروقة تحيط بالصحن ، وكان المشرف على هذه الزيـادة موسـى بـن مصعب عامله على الموصل ، وقد نقش لوحة عـلـى باب المسجد من الخارج جاء فيها : "بركة من الله لعبد الله الامـام محمد المهـدى ، فأجرى على يد عامله موسى بن مصعب" (٤).

ويذكـر ابـن الأثـير أن تلـك اللوحـة قـد ظلت فى مسجد الموصل حتى سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م (٥).

(د) مسجد ذات عرق (٦) :

يذكر الحربى أن المهدى قد بنى مسجدا فى ذات عرق سماه المحرم (٧) ، ويظهـر انـه قـد أمـر بـذلك تيسـيرا على الحجاج القـادمين مـن العـراق والمشرق حيث ان المـوضع هـو مكان احرامهم .

---

(١) الأزدى : تاريخ الموصل ص ٢٤٤ .
(٢) البزاز بائع البز وهى الثياب والسراج متخذ السرج .
هامش الأزدى : تاريخ الموصل ص ٢٤٨ .
(٣)،(٤) الأزدى : تاريخ الموصل ص ٢٤٨ .
(٥) ابن الأثير : الكامل ٧٦/٦ .
(٦) ذات عرق : هو ميقات الاحرام لأهل العراق .
الحربى : كتاب المناسك ص ٣٤٨ .
(٧) ن . م . ص ص ٣٤٧ .

(٣) زيادة الاهتمام بطرق الحج وبناء المناهل وتجديد الأميال وتاسيس البرك والمصانع وحفر الركايا :

اهتمت الدولة الاسلامية على مختلف عصورها بالطرق وتنظيمها وتعبيدها وتسهيلها وايجاد المرافق الضرورية فيها ولقد حظيت طرق الحج بحظ وافر من هذا الاهتمام (١) .

ولعل الذى يهمنا فى هذا المجال هو ماقدمته الدولة العباسية فى عهد الخليفة المهدى لهذه الطرق فتشير المصادر بان امر هذه الطرق قد تطور تطورا ملحوظا بل يكاد يكون منقطع النظير فى العصر العباسى (٢) ، فقد حرص الخليفة العباسى الأول أبو العباس السفاح على اقامة القصور لاستراحة الحجاج وضرب المنار والأميال فى الطريق مابين الكوفة الى مكة فى المسافة الممتدة من قادسية الكوفة وزبالة (٣) (٤) .

أما فى عهد الخليفة المنصور فلقد كان اهتمامه بطريق الحج العراقى نابعا من ادراكه لمدى خطورة أوضاع المنطقة وانعكاساتها على النظرة العامة الى الخلافة العباسية ، فأمر باصلاح طريق الحج وبناء القصور على مسافات متباعدة على امتداده (٥) .

---

(١) ، (٢) طلال رفاعى : تنظيم البريد ص ٣٨٧ .

(٣) زبالة : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة ، وهى قرية عامرة بها أسواق بين واقمة والثعلبية ، ويقال انها سميت زبالة بزبلها الماء أى بضبطها له وأخذها منه . ياقوت : معجم ٣/١٢٩ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٧/٤٦٥ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٣/٢١١ ، النجم عمر بن فهد : اتحاف الورى ٢/١٧١ ، طلال رفاعى : نظام البريد ص ٣٨٨ .

(٥) الطبرى : تاريخ ٨/١٣٦ ، النجم عمر : اتحاف الورى ٢/٢١٢ ، طلال رفاعى : نظام البريد ص ٣٨٨ .

ولقد استمر هذا الاهتمام وتدعم في عمر الخليفة المهدى الذى أبدى اهتماما كبيرا بالحرمين وأهله وذلك انطلاقا من رسوخ ايمانه وعقيدته الاسلامية الواعية ، ولذلك فانه قد أمر بعد رجوعه من الحج في سنة ١٦١هـ/٧٧٧م بعمارة طريق مكة من نواحي عدة وكلف القيام بها مولاه يقطين بن موسى[(١)] . وقد شملت هذه العمارة مايلي :

(أ) بناء القصور :

"فقد أمر المهدى ببناء القصور في طريق مكة أوسع من القصور التي كان عمه أبو العباس السفاح قد انشاها بين القادسية وزبالة ، وأمر بالزيادة في قصور أبي العباس وترك منازل أبي جعفر التي كان بناها على حالها"[(٢)] .

(ب) تجديد الأميال :

أما مايتصل بالأميال فلقد عمل المهدى على يد يقطين بن موسى منذ سنة ١٦١هـ/٧٧٧م على تجديد الأميال التي كانت موجودة في عهد سلفه[(٣)] ، ويبدو أن هذا التجديد كان على مستوى

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٣٦/٨ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ١٩٠ب ، النويرى : نهاية الارب ١١٣/٢٢ ، العصامى المكى سمط النجوم ٢٦٦/٣ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٣٦/٨ ، وانظر ابن الاثير : الكامل ٥٥/٦ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٩/٣ ، الفاسى : العقد الثمين ٧٧/٣ ، النجم عمر : اتحاف الورى ٢١١/٢ ، الجزيرى : درر الفرائد ٤٦٦/١ .

(٣) الطبرى : تاريخ ١٣٩/٨ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ١٩٠ب ، ابن الأثير : الكامل ٥٥/٦ ، أبو الفداء : المختصر ٨/٢ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٩/٣ ، القلقشندى مآثر الانافة ١٨٦/١ ، الفاسى : العقد الثمين ٧٨/٣ ، المقريزى : الذهب المسبوك ص ٤٥ ، ابن العماد : شذرات ٢٤٨/١ .

كبير من المتانة والقوة مما جعلها متماسكة قائمة على مدى قرون طويلة امتد جزء منها الى العصر الحديث ، اذ عثر على عدد من تلك الأميال في الطريق ذاته (١) . ففي زبالة عثر على ميلين ، وفي موقع الرضم (٢) عثر على ميل واحد ، وفي الشقوق عثر على ميلين ، وفي بركة التناهي عثر على ميل واحد ، وفي التنانير (٣) عثر على ميلين وفي مسجد الثعلبية (٤) عثر على ميل واحد ، كما عثر أيضا على سبعة أميال على امتداد الطريق من عقبة الأجفر (٥) الى بركة عبد الله بن مالك ، وفي الأجفر عثر على عدد من الأميال . وفي موقع البله (٦) عثر على ميل واحد ، وفي موضع حوض موسى بن عيسى (٧) عثر على ميل واحد ، وفي القرائن (٨) عثر على ميل واحد ، وفي توز (٩) عثر على عدد من الأميال ، وعند موضع بركة الحمة عثر على ميلين ، وعند موضع

---

(١) طلال رفاعي : نظام البريد ص ١١٣٣ .
(٢) الرضم : هو موضع على بعد ستة أيام من زبالة ، بينها وبين الشقوق فيه بركة . ياقوت : معجم ٥٠/٣ .
(٣) التنانير : تبعد عن زبالة باثني عشر ميلا ، وهو قاع كثير السدر . الحربي : كتاب المناسك ص ٢٨٦ .
(٤) الثعلبية : وهي منازل تقع بعد الشقوق وقبل الخزعية ، وهي ثلثا الطريق بين مكة والكوفة . ياقوت : معجم ٧٨/٢ .
(٥) الأجفر : موضع بين فيد والخزيمة بينه وبين فيد ستة وثلاثون فرسخا نحو مكة . ياقوت : معجم ١٠٢/١ .
(٦) البله : تعرف أيضا ببركة زبيدة وهي على بعد ثمانية أميال من الأجفر ، وعندها بئر كثيرة الماء . الحربي : كتاب المناسك ص ٣٠٣ .
(٧) حوض عيسى بن موسى : يقع على بعد ستة أميال من فيد . الحربي : كتاب المناسك ص ٣٠٤ .
(٨) القرائن : تبعد باحد عشر ميلا ونصف من فيد ، وهي بركة وحوض لعبد الله بن مالك تسمى القرائن . الحربي : كتاب المناسك ص ٣١٠ .
(٩) توز : تسمى الآن التوزي ، وهي موضع في طريق الحاج بعد فيد للقاصد الى الحجاز . هامش الحربي : كتاب المناسك ص ٣١١ .

بركة الحسنة عشر على ميلين ، وفى قروى[1] عشر على سبعة أميال على امتداد الطريق بينهما مسافات منتظمة طول كل منها ٢ كم[2] وذلك فى مجمله يوضح مدى فخامة وامتداد أعمال اصلاح المهدى لطريق الحج من جهة وتقديم الخدمات المختلفة فيه سواء للحجاج أو للأغراض الرسمية .

(ج) بناء المناهل وتاسيس البرك والمصانع وحفر الركايا :

من الراجح أن توفير المياه الصالحة للشرب وانشاء مصادر متنوعة لها كانت من أكثر الأمور التى أولاها الخليفة المهدى عنايته الفائقة عند عمارته للطريق الذى يربط الكوفة بمكة المكرمة . فقد أثبتت المصادر بانه فى سنة ١٦١هـ/٧٧٧م أمر الخليفة المهدى يقطين بن موسى أن يعمل على انشاء المصانع فى كل منهل ، وبتجديد الأميال ، وحفر الركايا[3] ، فيذكر الحربى بان المهدى حفر بئرا فى السخمة ، كما عمل فى الثعلبية عددا من البرك والآبار ، فيذكر أنه "من بطان الى الثعلبية اثنان وعشرون ميلا ونصف وبها قصر ومسجد ... وبحضرة المنزل بركة تدعى الخالصة ، لها مصفاة وعلى مقدار ميل ونصف من البركة يسرة بركة تعرف بالمهدى[4] ،

---

(١) قروى : موضع بين المعدن والحاجر على اثنى عشر ميلا من الحاجر . ياقوت : معجم ٣٣٤/٤ .
(٢) طلال رفاعى : نظام البريد ص ١١٣٣-١١٣٥ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٣٦/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٥/٦ ، أبو الفداء : المختصر ٨/٢ ، النويرى : نهاية الارب ١١٣/٢٢ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٩/٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ٣٠١/١ ، الجزيرى : درر الفرائد ٤٦٦/١ ، الجنابى : البحر الزاخر ١/٣٧٧أ ، العصامى المكى : سمط النجوم ٢٦٦/٣ .
(٤) الحربى : كتاب المناسك ص ٢٩١ .

وفي الثعلبية "حفر المهدي بئرين أيضا"[1] ، كما أنه ذكر أيضا "وبالثعلبية قصر ، ومسجد جامع ، وبركتان مربعتان احداهما تعرف بالكبرى ، وهي المهدية ، ولها مصفاة"[2] ، وفي الأجفر حفر المهدي خمسة آبار يذكرها الحربي بقوله : "وعلى مقدار ميل ونصف من الأجفر ناحية عن الطريق يسرة المصعد آبار كثيرة ، فمن خيارها وكبارها خمس آبار يعرفن بالهاتا مطوية بالحجارة من عمل المهدي"[3] . وفي فيد احتفر عينا عرفت بالباردة[4] ، وقد ذكر الحربي بأن المهدي قد حفر في توز بئرا معروفة فقال : "وبها من الآبار الكبار والأوساط تسع آبار ، منها بئر تعرف بالمهدي"[5] . وفي الحاجر احتفر المهدي بئرين وبنى عليها حوض[6] ، ويذكر ياقوت بأن المهدي قد بنى في النقرة بركة كما وحفر فيها كذلك ثلاثة آبار عرفت بالمهدي[7] .

أما الربذة[8] فيذكر الحربي بان بها "آبارا كثيرة ، وخيارها بئر تعرف بابي ذر ، وبئر تعرف ببني المنذر في حلقة آل الطيلسان ، وبئران يعرفان بالمهدي بينهما حوض"[9] .

ومن الراجح أن اقامة هذه الانشاءات قد استغرق الكثير

---

(١) الحربي : كتاب المناسك ص ٢٩٤ .
(٢) ن . م . ص ٢٩٧ .
(٣) ن . م . ص ٣٠٣ .
(٤) ن . م . ص ٣٠٩ ، السمهودي : وفاء الوفاء ١١٠٢/٣ .
(٥) الحربي : كتاب المناسك ص ٣١٢ .
(٦) ن . م . ص ٣١٨ .
(٧) ياقوت : معجم ٢٩٩/٥ .
(٨) الربذة : من قرى المدينة على بعد ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز اذا رحلت من فيد تريد مكة . ياقوت : معجم ٢٤/٣ .
(٩) الحربي : كتاب المناسك ص ٣٢٨ .

من الجهد والوقت فتذكر المصادر بأن العمل فيها قد استغرق مدة عشر سنين وبشكل متواصل حتى سنة ١٧١هـ/٧٨٧م [١]، ولكن ما أن انتهت حتى "صارت طريق الحجاز من العراق من أرفق الطرقات وآمنها وأطيبها" [٢].

---

(١) الطبري : تاريخ ١٣٦/٨ ، النجم عمر بن فهد : اتحاف الورى ٢١٢/٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٣٩/٢ .

(٢) ابن كثير : البداية ١٣٣/١٠ .

(٤) اعادة النظر فى تصميمات العمارة فى المساجد الجامعة فى جميع أطراف الدولة والغاء المقاصير وتقصير المنابر

سبق وأشرنا الى اهتمام المهدى الكبير بتعمير المساجد الجامعة فى أطراف الدولة العباسية ، فقد زاد فى المسجد الحرام حتى جعل الكعبة الشريفة تتوسط فيه ، وتعتبر هذه العمارة من أهم العمائر التى احدثت فى المسجد الحرام حيث استقرت فيها حدود الجوانب الأربعة فيه (١) .

كما حرص المهدى أن يحقق فى هذه العمارة ماتطور اليه فن العمارة الاسلامية ، فاستخدم أساطين الرخام التى جلبها من مصر والشام (٢) ثم بنى لها أساسات بلغت من الاتقان والمتانة حيث بقى جزء منها الى العصر الحديث (٣) . وسقفه بالساج المزخرف بماء الذهب (٤) .

كما أن المهدى يعتبر أول من وسع الحرم النبوى الشريف فى العصر العباسى (٥) ، وكانت زيادته فى الجهة الشمالية فقط ، وزخرفه بالفسيفساء واعمدة الرخام (٦) .

وقد شمل هذا التعمير والتوسيع العديد من المساجد الجامعة فى الدولة ، فبنى جامع الرصافة ثم وسع فى مسجد البصرة ومسجد الموصل . وقد عنى المهدى بان تكون هذه

---

(١) حسن الباشا : مدخل الآثار الاسلامية ص ١١٥ .
(٢) النجم عمر بن فهد : اتحاف الورى ٢٠٩/٢ .
(٣) حيث يوجد بعض هذه الأساطين فى الجهة الجنوبية فى المسجد الحرام الى اليوم .
(٤) الأزرقى : تاريخ مكة ٨١/٢ ، النهروالى : الاعلام ص ٤٩ .
(٥) السمهودى : وفاء الوفاء ٣٩٦/٢ .
(٦) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٦/٢ .

العمارة على نسق تصميم المسجد النبوى حينما بناه الرسول صلى الله عليه وسلم[(١)] ، والغاء بعض المظاهر التى لم تكن موجودة فى عهده عليه الصلاة والسلام مثل بناء المقصورات . ولعله قد قصد من ذلك الوصول الى هدف سياسى محدد يخدم اغراض وأهداف الدعاية العباسية وفكرتها عنه .

الغاء المقاصير :

كان معاوية بن أبى سفيان هو أول من أحدث المقصورة فى المسجد بعد أن ضربه الخارجى[(٢)] ، فلما وسع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه المسجد النبوى بامر من الوليد بن عبد الملك رفع المقصورة عن مستوى سطح المسجد بمقدار ذراعين[(٣)] ، وظلت كذلك حتى خلافة المهدى فلما قدم الى المدينة بعد انتهاء الحج فى سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م أمر بأن تهدم تلك المقصورة وتخفض الى مستوى المسجد[(٤)] ، والراجح فان المهدى قد أمر بذلك لانه اعتبرها بدعة وهذا مانص عليه الفقهاء فقال ابن رشد : "ان المقصورة محدثة لم تكن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولاعلى عهد الخلفاء بعده ، وانما أحدثها الأمراء للخوف على

---

(١) حسن الباشا : مدخل الآثار ص ١٢٣ .
(٢) كان ذلك فى سنة ٤٥هـ حينما اجتمع كل من ابن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمى على قتل كل من على بن أبى طالب رضى الله عنه ومعاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص ، وقد استطاع ابن ملجم قتل على ابن أبى طالب ، وضرب البرك بن عبد الله معاوية ضربة لم تكن قاتلة ، أما عمرو بن بكر فلقد قتل صاحب شرطة عمرو بن العاص وهو يظن أنه قتل عمرو بن العاص . وعند ذلك أمر معاوية بالمقصورات وحرس الليل .
انظر الطبرى : تاريخ ص ١٤٣-١٤٩ .
(٣) السمهودى : وفاء الوفاء ٥١٢/٢ .
(٤) الطبرى : تاريخ ١٣٣/٨ ، مؤلف مجهول : العيون ٢٧٢/٣ ، ابن كثير : البداية ١٣٢/١٠ .

انفسهم فاتخاذها فى الجوامع مكروه ".(١)

ولتتمة هذا العمل أصدر منشورا فى العام التالى سنة ١٦١هـ/٧٧٧م بالغاء المقصورات من جميع المساجد الجامعة فى جميع أطراف الدولة الاسلامية .(٢)

تقصير المنابر :

فى السنة الثامنة من الهجرة اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم المنبر وكان عبارة عن ثلاث درجات بالمجلس.(٣) فلما تولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة أمر فى سنة ٥٠هـ/٦٧٠م بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينقل الى الشام ، فلما حرك كسفت الشمس حتى بدت النجوم "فأعظم الناس ذلك ، فقال : لم أرد حمله ، انما خفت أن يكون قد أرض(٤) ، فنظرت اليه ".(٥) ثم كتب الى عامله على المدينة "أن ارفعه عن الأرض فزاد من أسفله ست درجات ورفعه عليها فصار له تسع درجات بالمجلس".(٦) ثم لم يزد فيه أحد قبله ولابعده .(٧)

فلما قدم المهدى المدينة سنة ١٦١هـ/٧٧٧م أراد أن ينقص منبر رسول الله فيعيده الى ماكان عليه قبل زيادة

(١) السمهودى : وفاء الوفاء ٥١٢/٢ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٣٦/٨ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص ٢٤٠ المقدسى : البدء ٩٦/٦ ، ابن كثير : البداية ١٣٣/١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٣٩/٢ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٥٤ .
(٣) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٦١ ، المراغى : تحقيق النصرة ص ٦٥ .
(٤) الأرضة : دودة بيضاء شبه النملة تظهر فى أيام الربيع هامش الطبرى : تاريخ ٢٣٨/٥ .
(٥) الطبرى : تاريخ ٢٣٨/٥ .
(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ٢٨٨/٤ .
(٧) العسكرى : الأوائل ٣٣٦/١ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٦٣ ، السمهودى : وفاء الوفاء ٤٠١/٢ .

معاوية فيه ، فاستشار الامام مالك بن أنس فى ذلك فقال له : "ان المسامير قد سلكت فى الخشب الذى أحدثه معاوية ، وفى الخشب الأول ، وهو عتيق ، فلا نامن ان خرجت المسامير التى فيه وزعزعت أن يتكسر ، فتركه المهدى"(١) . غير أن ذلك لم يثنه عن تغيير ما أحدثه معاوية فى سنة النبى صلى الله عليه وسلم بما يتصل بطول المنبر ، فأمر بأن تقصر جميع المنابر الى المقدار الذى كان عليه منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم "وكتب الى الآفاق فعمل به"(٢) ، وذلك يعكس ماكان يوليه الخليفة المهدى مظاهر العمارة الدينية من اهتمام ورعاية .

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٣٣/٨ ، وانظر : ابن كثير : البداية ١٣٢/١٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى ٢٨٨/٤ ، المراغى : تحقيق النصرة ص ٦٧ ، السمهودى : وفاء الوفاء ٤٠٠/٢ ، العباسى : عمدة الأخبار ص ١١٠ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٣٦/٨ ، وانظر : الأزدى : تاريخ الموصل ص ٢٤٠ ، المقدسى : البدء ٩٦/٦ ، ابن الأثير : الكامل ٥٥/٦ ، أبو الفداء : المختصر ٨/٢ ، النويرى : نهاية الارب ١١٣/٢٢ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٩/٣ ، القلقشندى : مآثر الانافة ١٨٦/١ ، الجنابى : البحر الزاخر ١٣٧٧/١ .

(٥) العناية بالصحة العامة والاشراف على السجون :

تمتاز الحضارة الاسلامية بسمو النزعة الانسانية فى أفرادها ، سموا يفيض بالخير والبر والرحمة على طبقات المجتمع كافة ، ففى الوقت الذى لم تعرف الأمم والحضارات ميادين للبر الا فى نطاق محدود لايتعدى المدارس والمعابد ، فان الحضارة الاسلامية قد بلغت ذروة السمو الانسانى فى عصور قوتها ومجدها ، اذ كان الدافع الأول لأعمال الخير هو ابتغاء وجه الله تعالى ، وهذا ماملأ المجتمع الاسلامي بالمؤسسات الخيرية التى بلغت حدا من الكثرة يصعب احصاؤه (١) .

والذى يهمنا فى هذا المجال هو مدى اسهام الدولة فى عهد الخليفة المهدى فى انشاء واستحداث مثل هذه المؤسسات الخيرية ، فلقد أولت الدولة فى عهد المهدى اهتماما كبيرا بانشاء المساجد الجامعة فى أطراف الدولة والعناية بها بالاضافة الى توسعة تعمير كل من المسجد الحرام والمسجد النبوى الشريف ، وقد سبقت الاشارة الى ضخامة النفقات التى صرفت فى هذا المجال (٢) .

كما أولت السلطة عناية خاصة كما أسلفنا بأمر الخليفة المهدى ببناء القصور فى طريق الحج لراحة الحجاج والحرص على توفير المياه من مصادر متعددة طمعا فى مثوبة الله على اعتبار انها صدقة جارية ، فيذكر الحربى بأن المهدى وكبار

---

(١) مصطفى السباعى : من روائع حضارتنا ص ١٢١ .
(٢) باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٥١ ، وسوف يرد ذكر تفصيل ذلك فى الفصل الرابع .

رجال دولته كانوا يتنافسون على توفير المياه للمسافرين على طريق الحج ، فمثلا طلب المهدى من عيسى بن على بركته التى فى أسفل المسلح ، فقال : ياأمير المؤمنين تصدقت بها على الحاج (١). كما أن يقطين بن موسى احتفر بئر العمق من ماله فخرجت أعذب بئر ، فأمر له المهدى بما انفق عليها فابى قبوله وأخبره انه فعل ذلك لله عز وجل ، فسأله المهدى أن يجعل له حظا فى أجرها فجعل له الثلث (٢).

وقد أولت الدولة العباسية فى عهد المهدى لقطاع الخدمات الصحية كل رعاية واهتمام فاسست عددا من المستشفيات ودورا للمرضى (٣). ويبدو أن الخليفة المهدى قد بلور خطوات عملية فى مجال العمل على تحقيق التكافل الاجتماعى فانشأ ديوانا للبر وديوانا للصدقات لمساعدة المعوزين (٤). فقد أمر فى سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م بان تجرى الأرزاق فى سائر أنحاء الدولة على العميان والمجذومين والضعفى (٥) "وهذه مثوبة عظيمة ومكرمة جسيمة" (٦) ، وفى سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م وعندما انتقل الخليفة المهدى الى قصره بعيساباذ قعد للناس قعودا عاما "وفرق فيهم ثلاثة آلاف ألف درهم ، وأغنى كل عائل وجبر كل كسير وفرج عن كل مكروب" (٧).

---

(١) الحربى : كتاب المناسك ص ٣٤٤ .
(٢) ن . م . ص ص ٣٣٣ .
(٣) المقدسى : البدء والتاريخ ٩٦/٦ .
(٤) ناجى معروف : أصالة الحضارة ص ٣٣٧ .
(٥) الطبرى : تاريخ ١٤٢/٨ ، المقدسى : البدء ٩٦/٦ ، ابن الاثير : الكامل ٥٧/٦ ، ابن كثير : البداية ١٣٥/١٠ ، ابن العماد : شذرات ٢٥٥/١ .
(٦) ابن كثير : البداية ١٣٥/١٠ .
(٧) الكازورنى : مختصر ص ١١٩ .

ولما كان المهدى "سمحا سخيا كريما جوادا بالأموال"(١) فلقد اهتم بأن يخصص جزءا من أموال بيت المال ليقضى عن الغارمين ديونهم ، فيذكر ابن عبد ربه ان المهدى قال لرجل من الغارمين : "خذ من بيت مال المسلمين ماتقضى به دينك وتقر به عينك ، وفي قصة رجل شكا الحاجة : أتاك الغوث"(٢) .

ويفيق الطبرى بأن المهدى قد جعل من مهمات الدولة الاسهام بتقوية الغزاة بالمال والسلاح "وتزويج العزاب وفكاك الأسارى والمحبسين والقضاء على الغارمين ، والصدقة على المتعففين"(٣) .

ولعل من الخدمات الاجتماعية المهمة التى جعل المهدى للدولة نصيب فيها هى الانفاق على أهل السجون(٤) فى جميع الآفاق(٥) وقد استمر ذلك فى عهد هارون الرشيد بناء على نصيحة قدمها القاضى ابى يوسف للرشيد حيث قال له : ان ذلك يغنيهم عن "الخروج فى السلاسل يتصدقون فان هذا عظيم أن يكون قوم من المسلمين قد أذنبوا وأخطأوا وقضى الله عليهم ماهم فيه فيحبسوا ، يخرجون فى السلاسل يتصدقون ، وما أظن أن أهل الشرك يفعلون هذا بأسارى المسلمين الذين فى أيديهم ، فكيف ينبغى أن يفعل هذا بأهل الاسلام ... فتفقد أمرهم ومر

---

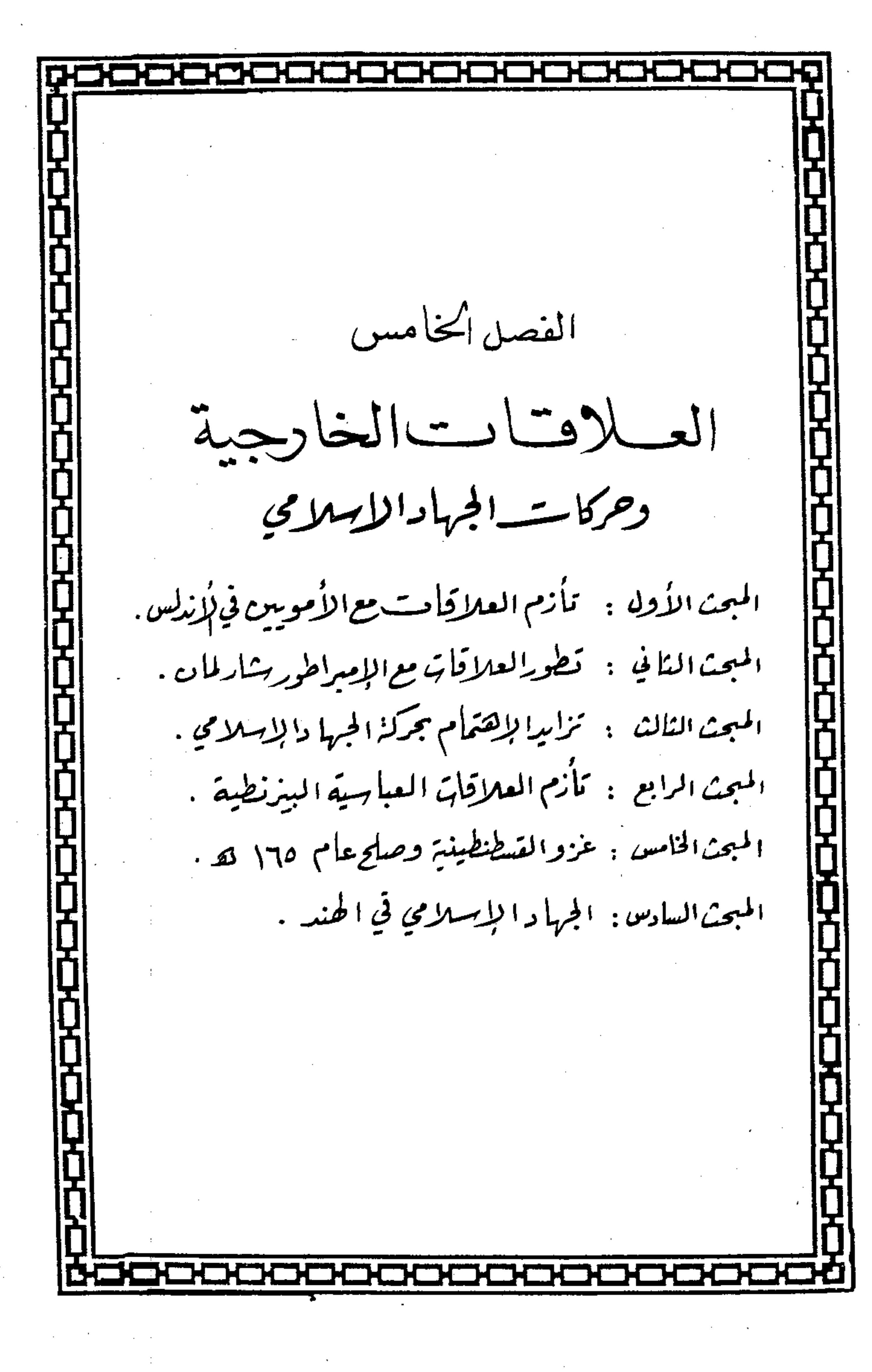
(١) اليعقوبى : مشاكلة الناس ص ٢٣ .
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٦٤/٤ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١١٩/٨ .
(٤) كان هذا العمل امتدادا لاهتمام السلف الصالح بأهل السجون منذ عهد على بن أبى طالب الذى قال : نحبس عنهم شره ، وننفق عليهم من بيت مالهم . أبو يوسف : الخراج ص ٢٩٩-٣٠٠ .
(٥) الطبرى : تاريخ ١٤٢/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٧/٦ ، النويرى : نهاية ١١٤/٢٢ ، ابن العماد : شذرات ٢٥٥/١.

بالاجراء عليهم ..." .[1]

ومع أن المصادر لم تقدم معلومات دقيقة وواضحة عما كان يجرى على أهل السجون من نفقات فى عهد المهدى غير انه من الممكن أن يقاس على ماذكره ابو يوسف للرشيد حينما قال "ولم تزل الخلفاء ياأمير المؤمنين تجرى على أهل السجون مايقوتهم من طعامهم وأدمهم وكسوة الشتاء والصيف"[2] ، "فمر بالتقدير لهم مايقوتهم فى طعامهم وادمهم ، ومير ذلك دراهم تجرى عليهم فى كل شهر ، يدفع ذلك اليهم ... ويكون الاجراء عشرة دراهم فى الشهر لكل واحد وليس كل من فى السجن يحتاج الى أن يجرى عليه ، وكسوتهم فى الشتاء قميص وكساء ، وفى الصيف قميص وازار" .[3]

---

(١) أبو يوسف : الخراج ٥/٣٠٠-٣٠١ .
(٢) ن . م . س ص ٣٠٠ .
(٣) ن . م . س ص ٣٠٠ .



الفصل الخامس

العلاقات الخارجية وحركات الجهاد الإسلامي

المبحث الأول : تأزم العلاقات مع الأمويين في الأندلس.

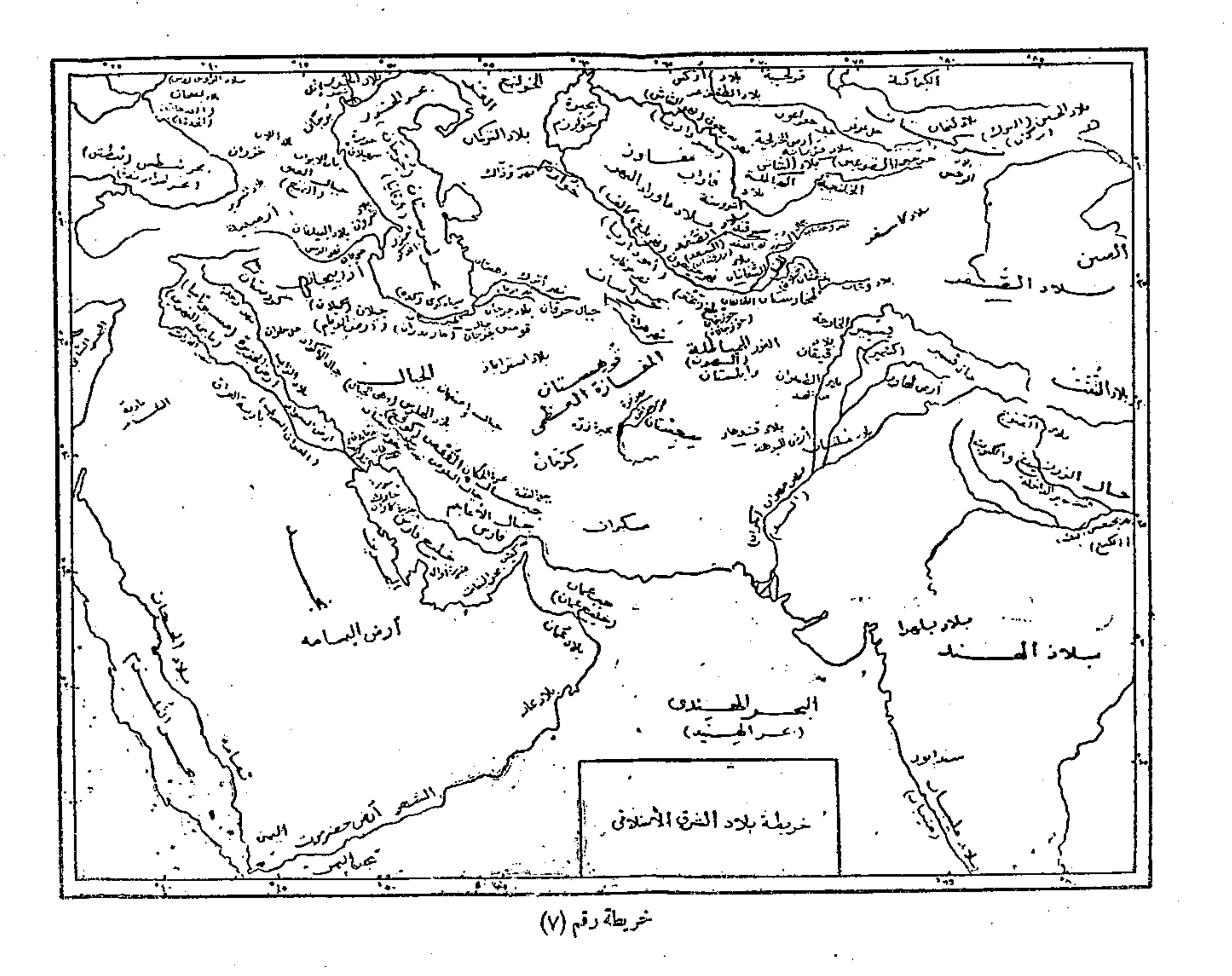
المبحث الثاني : تطور العلاقات مع الإمبراطور شارلمان .

المبحث الثالث : تزايد الاهتمام بحركة الجهاد الإسلامي .

المبحث الرابع : تأزم العلاقات العباسية البيزنطية .

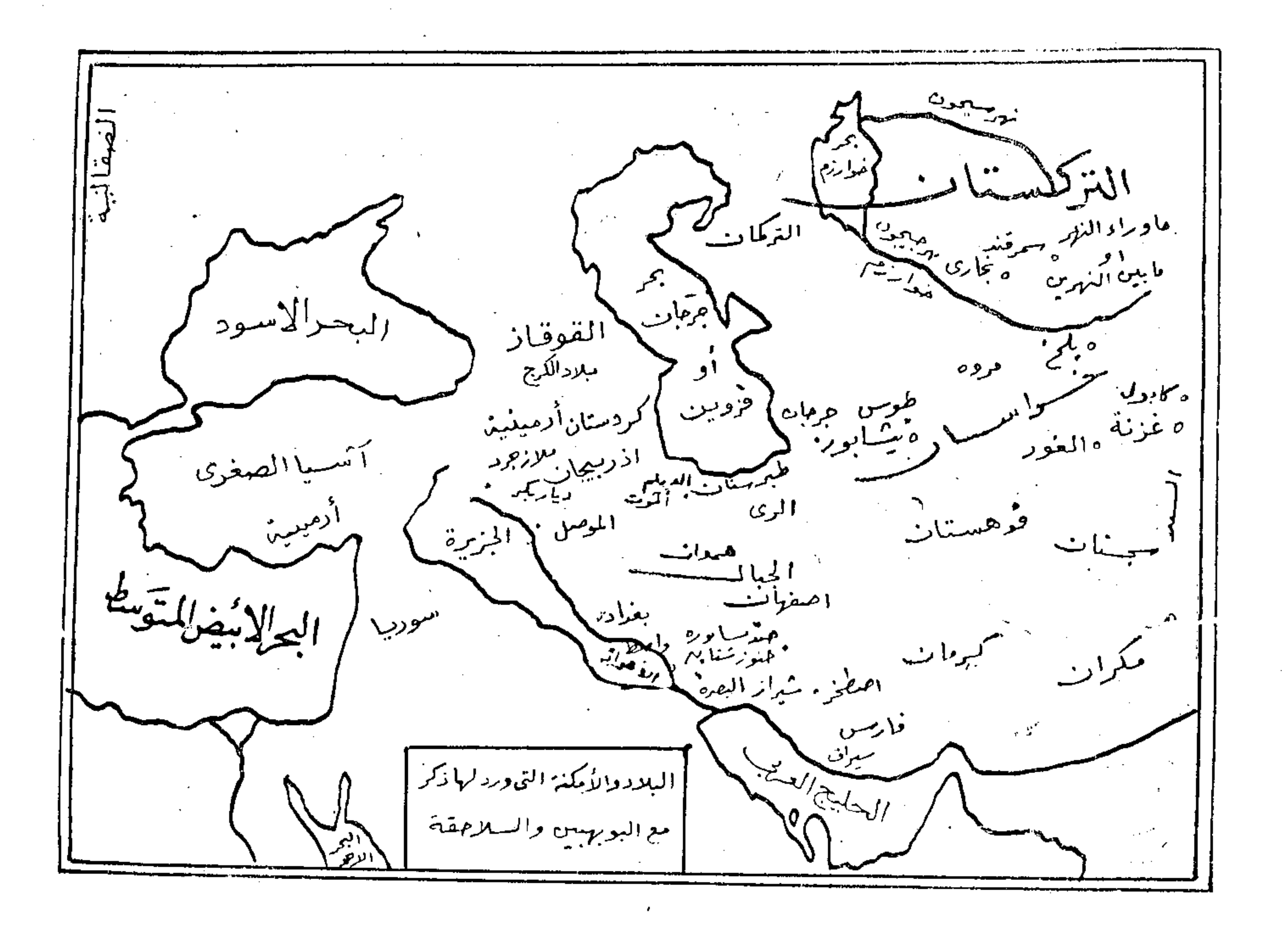
المبحث الخامس : غزو القسطنطينية وصلح عام ١٦٥ هـ .

المبحث السادس : الجهاد الإسلامي في الهند .

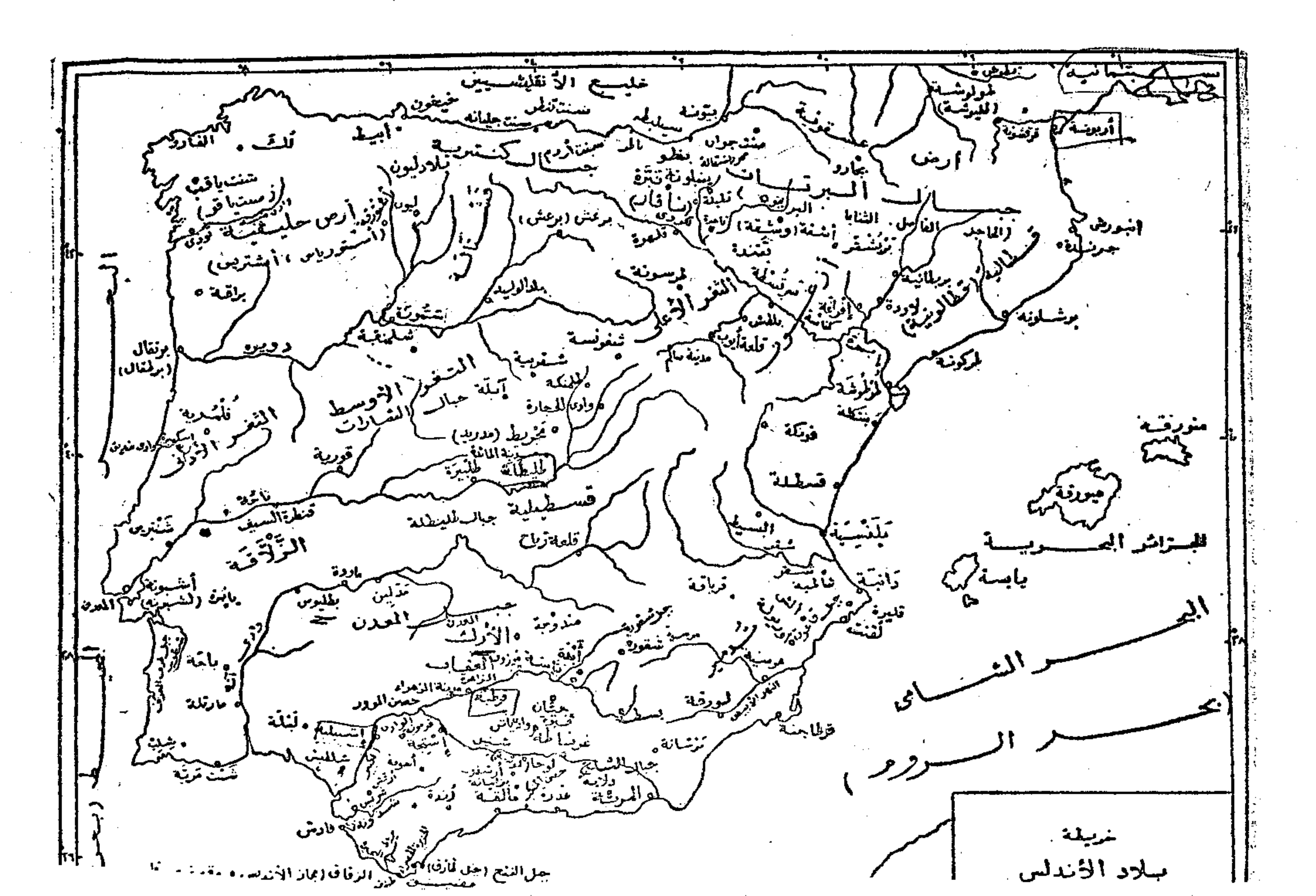


خريطة بلاد الشرق الإسلامي
البحر الهندي
(بحر الهند)
بلاد الهند
بلاد الصين
أرض اليمامة
بلاد الترك
بلاد عمان
مكران
كرمان
سجستان
الجبال
أذربيجان
خوارزم
بلاد الترك
المفازة العظمى
فارس

خريطة رقم (٧)



البلاد والأمكنة التي ورد لها ذكر مع البويهيين والسلاجقة


خريطة
بلاد الأندلس
خليج الأنقليشيين
البحر الشامي
بحر الروم
الجزائر البحرية
ميورقة
منورقة
يابسة
جبال البرتات
جبال الكنتبرية
الثغر الأعلى
الثغر الأوسط
الثغر الأدنى
جبال الشارات
جبال البيطلة
الزلاقة
المعدن
جبال الشلير
قرطبة
طليطلة
بلنسية
مرسية
لورقة
قرطاجنة
دانية
برشلونة
طرطوشة
سرقسطة
وشقة
أربونة
أرض جليقية
برتقال
شنترين
أشبونة
باجة
مارتلة
شلب
شنت مرية
لبلة
إشبيلية
مالقة
المرية
غرناطة
جيان
قادش
رندة
وادي آش
بطليوس
ماردة
قورية
شلمنقة
سمورة
ليون
أبيط
لك
براقة
مجريط (مدريد)
وادي الحجارة
مدينة سالم
قلعة أيوب
شنتمرية
قونكة
قسطلة
شاطبة
أوريولة
لقنت
مدينة الزهراء
حصن المدور
قلعة رباح
قسطلية
قنطرة السيف
أرض
جل الفتح (جبل طارق)
الزقاق (مجاز الأندلس)

(١) تأزم العلاقات العباسية مع الأمويين بالأندلس :

من الراجح أن انشغال الخلافة العباسية بتوطيد أوضاع دولتها الناشئة قد ساعد عبد الرحمن الداخل (١) الى حد كبير فى الاستيلاء على الأندلس فى سنة ١٣٨هـ/٧٥٦م وانشاء امارة أموية فيها (٢). وقد حاول أبو جعفر المنصور بعد أن تفرغ من مشاكله السياسية المتعددة فى القضاء على حكم عبد الرحمن الداخل والحاق الأندلس بالدولة العباسية فاستغل خصومة قائد الجند فى باجه (٣) لبنى أمية وهو العلاء بن مغيث اليحصبى (٤)، فأرسل اليه محرضا يقول له : "ان كان فيك محل لمناهضة عبد الرحمن والا فابعث اليك بمن يعينك" (٥)، ولقد لقى طلب أبى جعفر صدى كبيرا عند العلاء اليحصبى/عمل على تقوية شوكته ذلك أن الخليفة المنصور أرسل اليه لواء أسودا قد طبع عليه بطابع الخلافة العباسية ليدل على شرعية ثورته ضد الأمويين (٦).

---

(١) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ويكنى أبا مطرف ، ولقب بالداخل عند دخوله الأندلس . الحميدى : جذوة المقتبس ص ٨ ، النويرى : نهاية الارب ٣٣٤/٢٣ ، كان مولده فى سنة ١١٣هـ ، كان فصيحا شاعرا حليما ، عالما ، سريع النهضة فى طلب الخارجين عليه وكان يشبه بأبى جعفر فى حزمه وشدته وضبطه لملكه ، توفى بقرطبة سنة ١٧٢هـ . انظر النويرى : نهاية الارب ٣٥١،٣٥٠/٢٣ .

(٢) العانى : سياسة المنصور ص ١٥٥ .

(٣) باجه : هى من أقدم مدائن الأندلس بنيت فى أيام الأقاصرة بينها وبين قرطبة مائة فرسخ . الحميرى : الروض المعطار ص ٧٥ .

(٤) الحميرى : الروض المعطار ص ٧٥ .

(٥) ابن القوطية : افتتاح الأندلس ص ٧٥ ، ابراهيم ياسر الدورى : عبد الرحمن الداخل فى الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية ص ١٦٠ .

(٦) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ١٠٢ .

وفي سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م أعلن العلاء ثورته ورفع العلم الأسود "ولبس السواد وقام بالدولة العباسية وخطب للمنصور واجتمع اليه خلق كثير"(١) . ولكن هذه الثورة لم يكتب لها النجاح اذ استطاع عبد الرحمن القضاء عليها وقتل سبعة آلاف رجل من الثوار بما فيهم العلاء نفسه ، ثم أراد الداخل أن يعلن انتصاره على أبي جعفر ويظهر للاخير مدى قوته فأمر بعض التجار بحمل رأس العلاء ورؤوس جماعة من مشاهير أصحابه الى القيروان والقائها بالسوق سرا ، ففعل ذلك "ثم حمل منها شيء الى مكة ، فوصلت وكان بها المنصور وكان مع الرؤوس لواء أسود وكتاب كتبه المنصور للعلاء"(٢) ، فلما رأى المنصور ذلك ارتاع وقال : "انا لله عرضنا بهذا المسكين للقتل ، الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان"(٣) . ويبدو أن تلك المحاولة كانت الأولى والأخيرة من جانب المنصور لاسترداد الأندلس اذ لم يفكر بعدها بالقيام بمحاولة جديدة(٤) ، لذلك يقول السيوطي : "وفي سنة ١٤٨هـ توطدت الممالك كلها للمنصور وعظمت هيبته في النفوس ،ودانت له الأمصار ولم يبق خارجا عنه سوى جزيرة الأندلس فقط"(٥) .

غير أن محاولة العباسيين في القضاء على عبد الرحمن الداخل قد تجددت مرة أخرى في عهد الخليفة المهدي الذي

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٥٧٥/٥ ، وانظر النويري : نهاية الارب ٣٤١/٢٣ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ٥٧٥/٥ ، وانظر ابن عذاري : البيان المغرب ٥٣/٢ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ٥١/٢ ، وانظر المقري : نفح الطيب ٣٦/٣ .
(٤) العاني : سياسة المنصور ص ٤٠٢ .
(٥) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٤٤ .

تطلع الى ضم الأندلس الى أملاك الدولة العباسية ، لذلك نجده يتتبع نفس سياسة أبيه المنصور اذ عمد الى استخدام أحد الأشخاص الطموحين فى الوصول الى السلطة والمقيمين فى المغرب لمحاولة تحقيق ذلك الهدف ، ويبدو أن المهدى قد كاتب عبد الرحمن بن حبيب بن عقبة الفهرى المعروف بالمقلبى (١) لشدة الشبه بهم من حيث طول جسمه وزرقة عينيه وشقرته (٢) يدعوه الى الثورة ضد الأمير عبد الرحمن الداخل فى مقابل أن يحقق له مطامعه السياسية فى الأندلس . ولذلك فلقد عبر المقلبى الى الأندلس فى سنة ١٦١هـ/٧٧٧م بعدد كبير من البربر وأقام فى مدينة تدمير (٣) بشرق قرطبة حيث أخذ يدعو الناس للدخول "فى الطاعة للدولة العباسية ... والدعاء الى طاعة المهدى" (٤) ومحاربة عبد الرحمن الداخل .

ويبدو أن عبد الرحمن المقلبى هذا أراد أن يحاصر عبد الرحمن الداخل من نواحى عدة ويزيد من عدد قواته من ناحية أخرى فكتب الى والى سرقسطة سليمان بن يقطان الأعرابى الكلبى (٥) يدعوه الى الدخول فى أمره ، غير أن سليمان رفض عرضه هذا ورد عليه قائلا : "انى لا أدع عونك" (٦) ، فأغضب هذا

---

(١) المقالبة : بلاد بين بلغار وقسطنطينية ومتاخمة لبلاد الخزر . ياقوت : معجم ٤١٦/٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٥٤/٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٥٥/٢ ، النويرى : نهاية الارب ٢٤٦/٢٣ ، مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ١١٠ .

(٣) تدمير : كورة كبيرة بالأندلس تقع شرق قرطبة بينهما سبعة أيام للراكب . ياقوت : معجم ١٩/٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٥٤/٦ .

(٥) كان سليمان بن يقظان الأعرابى الكلبى ساخطا منذ البداية على عبد الرحمن الداخل بسبب ميوله المضرية ومعاداته لليمنية . انظر د. رشيد الجميلى : دراسات فى تاريخ الخلافة العباسية ص ٥٤ ، ابراهيم الدورى : عبد الرحمن الداخل ص ١٧٢ .

(٦) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ١١٠ .

الجواب عبد الرحمن المقلبى واعتبره اهانة له ، لذلك قرر قتاله ، فتوجه ومن معه من البربر الى سرقسطة حيث دارت بين الطرفين معركة انتهت بهزيمة المقلبى وفراره الى تدمير .(١)

ولما وصلت أنباء هذه الهزيمة الى عبد الرحمن الداخل أراد أن يستغل فرصة ضعف المقلبى فيعاجله قبل أن يسترد أنفاسه فبادر الى التوجه اليه بجيش عظيم من حيث العدد والعدة وضيق الحصار على المقلبى فى تدمير مما اضطره الى الفرار الى جبل منيع بناحية بلنسية(٢) واعتصم به ، فاسرع عبد الرحمن الداخل وتتبعه الى هناك،وحتى يضيق الخناق عليه أمر باحراق سفن المقلبى التى كانت راسية على ساحل البحر المتوسط ليمنعه بذلك من الهرب ، ولكى يتخلص الداخل من المقلبى باسرع وقت عمد الى استخدام الحيلة فبذل الف دينار لمن ياتيه براس ذلك الثائر(٣) ، فاستطاع رجل من البربر يدعى سجعان أن يتقرب من المقلبى حتى صار من أصحابه "وظهرت له منه نصيحة حتى صار من ثقاته واطمان اليه فاغتاله البرنسى فقتله وأخذ خيله(٤)" ، وقدم برأسه الى عبد الرحمن الداخل ، الذى قدر له عمله هذا وأعطاه جائزته . وكان ذلك فى سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م(٥) . وبذلك انتهت تلك الثورة دون أن تحقق أى هدف

---

(١) ابن الاثير : الكامل ٥٤/٦ ، النويرى : نهاية الارب ٣٤٦/٢٣ ، ابن خلدون : العبر ٢١٠/٣ .

(٢) بلنسيه : تقع فى شرق الأندلس بينها وبين قرطبة ستة عشر يوما وكانت عامرة القطر ، كثيرة التجارات . الحميرى : الروض المعطار ص ٩٧ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ٥٤/٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٥٦/٢ ، النويرى : نهاية الارب ٣٤٧/٢٣ .

(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ١١١ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ٥٤/٦ ، ابن خلدون : العبر ٢١٠/٣ النويرى : نهاية الارب ٣٤٧/٢٣ .

ايجابي ، ولذلك تذكر المصادر بأن عبد الرحمن الداخل قد فكر في الانتقام من العباسيين فأظهر في سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م "التجهز للخروج الى الشام بزعمه لمحو الدولة العباسية وأخذ ثأره منهم" (١) ، غير أن اجتماع سليمان بن يقظان والحسين ابن يحيى بن سعيد بن سعد الأنصاري والي سرقسطة (٢) على اعلان الثورة ضده جعله يتراجع عن قراره ذلك وترك ماكان قد أظهر عزمه عليه (٣) . ولكن من الملاحظ أن هذا القرار الذي كان قد أعلنه عبد الرحمن الداخل لم يكن على مايبدو في واقعه غير مناوشات حربية ليظهر للعباسيين أنه على مستوى من القوة ينافس بها العباسيين ، ولكن في الحقيقة لم يكن حال عبد الرحمن ييسر له مثل هذا العمل الذي يحتاج منه الى امكانيات مادية كبيرة واستقرار داخلي وخارجي في دولة لم تتمتع بذلك الاستقرار طيلة حكم عبد الرحمن الداخل (٤) .

ولقد كان رد المهدي على ذلك أن قام بمحاولة جديدة من جانبه لاقلاق راحة عبد الرحمن فاتفق مع الرماحس بن عبد العزيز الكناني والي الجزيرة الخضراء (٥) على الثورة ضد

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦٢/٦ .

(٢) سرقسطة : بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطيلة ، وهي مبنية على نهر كبير ينبع من جبال القلاع ياقوت : معجم ٢١٢/٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٦٢/٦ ، النويري : نهاية الارب ٣٤٨/٢٣ ، ابن خلدون : العبر ٢١٠/٣ .

(٤) ابراهيم ياسر الدوري : عبد الرحمن الداخل ص ١٦٧ .

(٥) الجزيرة الخضراء : مدينة مشهورة بالأندلس ، وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة ، وأعمالها متصلة بأعمال شذونة ، وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة ، ومدينتها من أشرف المدن وأطيبها أرضا ، وسورها يضرب به ماء البحر ولايحيط بها البحر كما تكون الجزائر لكنها متصلة ببر الأندلس لاحائل من الماء دونها ، ولعلها سميت بالجزيرة لمعنى آخر . ياقوت : معجم ١٣٦/٢ .

عبد الرحمن الداخل ، وكان الرماحس هذا فى بداية أمره رئيسا لشرطة مروان بن محمد ، فلما قتل الاخير هرب الى الاندلس فولاه عبد الرحمن الداخل على الجزيرة الخضراء ، ولكن الرماحس طمع على مايبدو فى ولاية الاندلس بأكملها لذلك قام بتنفيذ الاتفاق مع العباسيين فاعلن فى سنة ١٦٤هـ/ ٧٨٠م الثورة على الأمير عبد الرحمن الداخل وخلع طاعته (١) ، ولكن الامير عبد الرحمن الداخل لم يمهله اذ سرعان ماقدم اليه فى الجزيرة فلم يشعر "الا وخيل الامام تجوس الديار" (٢) . غير ان الرماحس تمكن من الهرب بواسطة قارب جاز به فى البحر حتى قدم الى الخليفة المهدى ملتجا به (٣) ، بينما تمكن الامير عبد الرحمن من السيطرة على الجزيرة باكملها واطلق من كان فى سجن الرماحس من الامويين المعارضين له (٤) .

ويبدو أن ردود الأمير عبد الرحمن الداخل وبسبب أوضاع امارته الداخلية جعلها تقتصر أمام هذه المواقف العدائية من جانب العباسيين على الاكتفاء بارسال كتاب يظهر مدى غضبه عليهم ، فيذكر الطبرى فى رواية عن هشام الكلبى الذى قال : بينما أنا فى منزلى "اذ اتانى رسول المهدى فسرت اليه ودخلت عليه وهو جالس خال ليس عنده أحد ، وبين يديه كتاب فقال : ادن ياهشام ، فدنوت فجلست بين يديه ، فقال : خذ هذا الكتاب فاقراه ، ولايمنعك مافيه مما تستفظعه أن تقراه

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ٥٦/٢ .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ٥٦/٢ .
(٣) ابن عذارى : البيان ٥٦/٢ ، ويذكر صاحب اخبار مجموعة اسم الخليفة المنصور بدلا من المهدى ويبدو أن هذا خلط من جانبه ص ١١٢ .
(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ٥٦/٢ .

قال : فنظرت في الكتاب ، فلما قرأت بعضه استفظعته ، فالقيته من يدي ، ولعنت كاتبه ، فقال لي : قد قلت لك ان استفظعته فلاتلقه ، اقرأه بحقي عليك حتى تاتي على آخره ، قال : فقرأته فاذا كتاب قد ثلبه فيه كاتبه ثلبا عجيبا لم يبق له فيه شيئا ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، من هذا الملعون الكذاب ؟ قال : هذا صاحب الاندلس ، قال : قلت ؟ فالثلب والله يا أمير المؤمنين فيه وفي آبائه وفي أمهاته . قال : ثم اندرأت أذكر مثالبهم ، قال : فسر بذلك ، وقال : أقسمت عليك لما أمللت مثالبهم كلها على كاتب ، قال : ودعا بكاتب من كتاب السر ، فأمره فجلس ناحية ، وأمرني فصرت اليه ، فصدر الكاتب من المهدي جوابا ، وأمللت عليه مثالبهم فأكثرت ، فلم أبق شيئا حتى فرغت من الكتاب ، ثم عرضته عليه ، فاظهر السرور ، ثم لم أبرح حتى أمر بالكتاب فختم ، وجعل في خريطة ، ودفع الى صاحب البريد ، وأمر بتعجيله الى الاندلس" (١) .

---

(١) الطبري : تاريخ ١٧٣/٨ .

(٢) تطور العلاقات مع الامبراطور شارلمان :

كان الفرنجة[١] سلطة قوية قريبة من الاندلس مجاورة له وكانوا يتخوفون من ظهور الدولة الأموية النامية فيه ، وخاصة بعد أن وجدوا أن حاكمها الأموى عبد الرحمن الداخل قد استطاع أن يقضى على كل سلطة مقاومة له ، لذلك كانت سياستهم نحو الاندلس سياسة معادية ، لاتترك فرصة الا واستغلتها فى اضعاف هذه القوة[٢] ، واتخذت عدة وسائل لمهاجمتها ، ولقد كان من ضمن تلك الوسائل الاستعانة بقوة العباسيين ومحاولة الاستفادة من العداء المشترك بينهما للامويين فى الاندلس فى محاولة للقضاء على هذه الدولة[٣] .

ولقد قامت هذه العلاقة الحسنة بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة منذ عهد الخليفة المنصور ومعاصره ملك الفرنج بيبين الثالث ، فلقد تبودلت السفارات والهدايا بين الطرفين ، كما جرت مفاوضات بين الطرفين غير انها لم تات بنتائج ايجابية[٤] ، وذلك لأن المنصور لم ترق له فكرة الاتفاق مع الكفار ضد خصومه من المسلمين[٥] .

---

(١) دولة الفرنجة أو بلاد الغال تقع خلف جبال البرانس ، وتطلق على القسم الجنوبي من فرنسا الحالية ، وقد استعمل هذا الاسم ليدل فى بعض الأحيان على الامبراطورية الرومانية أيام شارلمان وربما أطلق على أوروبا أيضا انظر هامش ابرهيم الدورى : عبد الرحمن الداخل ص ٢١١.
(٢) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسي ص ٢١٩ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ص ٢١٠ .
(٤) ابراهيم الدورى : عبد الرحمن الداخل ص ١٨٨ ، العانى سياسة المنصور ص ٤٠٢ .
(٥) عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الأول ٢٦٧/١ .

اما في عهد الخليفة المهدى ، فلقد ذهب بعض الباحثين المعاصرين الى القول بوجود علاقة بين المهدى وبين الملك شارلمان ابن بيبين ، فقالوا بان المهدى قد اشترك في مؤامرة كبرى مع كل من شارلمان وسليمان بن يقظان الأعرابى والى برشلونة وحسين بن يحيى الأنصارى والى سرقسطة والرماحس والى الجزيرة الخضراء ، فاتفق هؤلاء جميعا على الاطاحة بحكومة عبد الرحمن الداخل (١) .

ولكن مما هو جدير بالملاحظة أن التحالف الذى وقع بين سليمان الأعرابى والحسين الأنصارى وبين شارلمان كان قد حدث في سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م وهذا مايذكره المقرى بقوله : "وفي سنة سبع وخمسين ومائة ثار بسرقسطة الحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجى ، وشايعه سليمان بن يقظان الأعرابى الكلبى رأس الفتن" (٢) .

كما يؤكد ابن الاثير ذلك بقوله : وفي سنة ١٥٧هـ "أخرج سليمان بن يقظان الكلبى قارله ملك الافرنج الى بلاد المسلمين من الأندلس ، ولقيه بالطريق وسار معه الى سرقسطة فسبقه اليها الحسين بن يحيى الأنصارى من ولد سعد بن عبادة وامتنع بها فاتهم قارله ملك الافرنج سليمان ، فقبض عليه واخذه معه الى بلاده ، فلما أبعد من بلاد المسلمين واطمأن

---

(١) انظر : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ص ٢٠١ ، عبد المنعم ماجد : العصر العباسي ص ٢٦٦ ، رشيد عبد الله الجميلي : دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ص ٥٤ ، ابراهيم الدورى : عبد الرحمن الداخل ص ١٦٥ .

(٢) المقرى : نفح الطيب ٤٨/٣ .

هجم عليه مطروح وعيشون ابنا سليمان في أصحابهما ، فاستنقذا اباهما ، ورجعا به الى سرقسطة ودخلوا مع الحسين ووافقوا على خلاف عبد الرحمن" [١] . وبذلك ورد ذلك الخبر بدون أن يشير الى اشتراك المهدى في هذه المؤامرة الجماعية والتى انتهت على يد عبد الرحمن الداخل في سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م [٢] .

أما ثورة الرماحس فلم تكن معاصرة لتلك الأحداث ذلك انها جرت في السنة التى انتهت فيها الأحداث المذكورة ، أى في سنة ١٦٤هـ كما سبق وأشرنا .

---

(١) ابن الاثير : الكامل ٦/١٤ .
(٢) انظر ابن الاثير : الكامل ٦/٦٤ ، مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ١١٢،١١٣ .

(٣) تزايد الاهتمام بحركة الجهاد الاسلامى :

حلت الدولة العباسية محل الدولة الأموية فى ذلك النزاع المستمر بينهم وبين البيزنطيين ، وأخذ العباسيون على عاتقهم مهمة تأمين الحدود المشتركة بينهم وحمايتها والسيطرة عليها . وكانت منطقة الحدود هذه تنقسم الى قسمين وهما الثغور الجزرية التى تقع فى الشمال الشرقى وتحمى الجزيرة وشمال العراق ومن أهم حصونها شمشاط وملطية وزبطره ومرعش والحدث وحصن منصور ، والثغور الشامية التى تقع فى الشمال الغربى وقد خصصت للدفاع عن بلاد الشام ومن أهم ثغورها أذنة والمصيصة وطرسوس .(١)

ولقد انتهز الروم فرصة انشغال العباسيين بتثبيت أركان دولتهم فاغاروا بقيادة الامبراطور قسطنطين بن ليون سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م على ملطية (٢) ، فتصدى لهم أهلها وقاتلوهم قتالا شديدا ، ولكنهم فى النهاية اضطروا الى الاستسلام وقبول الأمان الذى عرضه عليهم الامبراطور البيزنطى الذى أمر بهدم "المدينة والمسجد الجامع ودار الامارة ، ووجه مع المسلمين خيلا بلغتهم مأمنهم" (٣) .

ولكن الوضع العام على ساحة الثغور قد أصابه الكثير من التغيير والتحسن بعد تولى المنصور الخلافة . فلقد عنى

---

(١) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ١٠٦، ١٠٧ ، العانى : سياسة المنصور ص ٤٠٦ .

(٢) ملطية : بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام وهى للمسلمين . ياقوت : معجم ٥/١٩٢ .

(٣) ابن خياط : تاريخ ص ٤١٠ ، وانظر : ابن الأثير : الكامل ٥/٤٤٧ ، القلقشندى : مآثر الانافة ١/١٧٨ .

الخليفة عناية خاصة ببناء مدن الثغور الواقعة فى الجهة الشمالية والشمالية الغربية من الدولة ، فحصنها وشحنها بالسلاح وأسكن المقاتلة فى بعضها لأنها تشكل الخط الرئيسى للدفاع عن البلاد ضد هجمات الروم [(١)] ، ويذكر البلاذرى بأن المنصور قد "تتبع حصون السواحل ومدنها فعمرها وحصنها وبنى ما احتاج الى البناء منها وفعل مثل ذلك بمدن الثغور" [(٢)] .

وقد تمكن الخليفة المنصور من استعادة ملطية سنة ١٣٩هـ/٧٥٧م وأمر ببناء سورها وتحصينها فتم ذلك فى خلال ستة أشهر [(٣)] ، ثم كتب فى سنة ١٤٠هـ/٧٥٨م "الى صالح بن على يأمره ببناء مدينة المصيصة [(٤)] فوجه جبريل بن يحيى فرابط بها حتى بناها وفرغ منها سنة احدى وأربعين ومائة" [(٥)] وأسكنها ألف جندى وسماها المعمورة [(٦)] ، كما قام صالح بن على أيضا ببناء مدينة مرعش "وحصنها وندب الناس اليها على زيادة العطاء" [(٧)] وتوج المنصور عمله هذا ببناء مدينة الرافقه [(٨)] على ضفة الفرات فى سنة ١٥٥هـ/٧٧١م [(٩)] ، وتم ذلك على يد ابنه المهدى وهو يومئذ ولى عهده ، فبناها على طراز مدينة بغداد ورتب

---

(١) العانى : سياسة المنصور ص ٤٠٨ .
(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٦٣ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٧/٥٠٠ ، ابن الأثير : الكامل ٥/٥٠٠ ، ابن كثير : البداية ١٠/٧٤ ، القلقشندى : مآثر ١/١٧٨ .
(٤) المصيصة : هى مدينة على شاطىء جيجان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . ياقوت : معجم ٥/١٤٥ .
(٥) ابن خياط : تاريخ ص ٤١٨ .
(٦) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٦٦ ، ابن الأثير : الكامل ٥/٥٠١ ، أبو الفداء : المختصر ٢/٣ .
(٧) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٨٩ .
(٨) الرافقة : تقع على ضفة الفرات وهى مدينة كبيرة من أعمال الجزيرة . ياقوت : معجم ٣/١٥ .
(٩) الطبرى : تاريخ ٨/٤٦ ، الأزدى : تاريخ ص ٢٢٣ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٥ .

بها جندا من أهل خراسان [١] .

ورغم أن المنصور حرص أيضا على استمرار الصوائف ضد الروم طوال فترة حكمه غير أن من الملاحظ أن تلك الحملات لم يكن يقصد منها الهجوم أو النفوذ الى ماوراء خط الحدود ، ولكن كانت تهدف في الغالب الى ادخال الرعب في قلوب العدو والى اشعارهم بأن العباسيين على استعداد دائم للدفاع عن أراضيهم [٢] .

وتوافق في سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م أن حدثت وفاة الامبراطور البيزنطي قسطنطين بن اليون [٣] مع وفاة الخليفة أبي جعفر المنصور الذي ترك وصية لابنه المهدي يقول له فيها : "... واشحن الثغور ، واضبط الأطراف وأمن السبل ... وأعد الرجال والكراع والجند مااستطعت ..." [٤] .

وفي سنة ٧٧٥ ـ ٧٨٠م بدأ الروم بقيادة الامبراطور ليو الرابع بالاغارة على مناطق الحدود فدخلوا سمسياط وقتلوا وسبوا عددا كبيرا من الناس . وقد كان رد فعل المهدي عنيفا تجاه ذلك اذ أجاب عليه بهجومين اثنين ، فأرسل القسم الأول من جيشه بقيادة مولاه صفير الذي استطاع الانتصار على الروم واستنقاذ المسلمين [٥] ، أما القسم الآخر فلقد خرج المهدي بنفسه مشيعا له ، وجعل على قيادته عمه العباس بن محمد وعلى مقدمة الجيش القائد حسن الوصيف ، ويبدو أن المهدي قد

---

(١) ياقوت : معجم ١٥/٣ .
(٢) مصطفى شاكر : دولة بني العباس ٣٦٨/١ ، العاني : سياسة المنصور ص ٤١٤ .
(٣) الذهبي : العبر ٢٣٠/١ .
(٤) الطبري : تاريخ ١٠٦/٨ ، وانظر ابن الاثير : الكامل ٢٠/٦ .
(٥) اليعقوبي : تاريخ ٤٠٢/٢ .

اهتم بهذا الجيش فحشد فيه عددا كبيرا من قواد أهل خراسان وغيرهم ، وسار بهم حتى وصل الى البردان[(١)] حيث عسكر هناك واقام فيه حتى أنفذ العباس بن محمد الى الصائفة . وقد تمكن الأخير من التوغل فى بلاد الروم حتى بلغ بجيشه مدينة أنقرة وفتحوا فى طريقهم اليها مدينة عظيمة للروم ومدينة أخرى تدعى مطمورة[(٢)] ، وغنموا غنائم كثيرة ورجعوا سالمين لم يصب أحد منهم[(٣)] .

ومما يلاحظ أنه منذ تلك الصائفة بدأ المهدى تقليدا جديدا فى حروبه ضد الروم ألا وهو الخروج بنفسه الى تلك الحرب والبقاء فى مقر قيادة متقدم على مقربة من الجبهة فى أثنائها . ولم يكن هذا التقليد متبعا فى زمن الأمويين أو فى بداية الدولة العباسية ، وقد كان المهدى أول من فعل ذلك ثم اتبعه من بعده ابنه الرشيد وحفيداه المامون والمعتصم ثم الواثق[(٤)] .

فضلا عن هذا فان اهتمام المهدى بالجهاد الاسلامى جعله يحرص على استمرار تنظيم الصوائف السنوية ، ففى سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٦م كانت الصائفة برية وبحرية فى آن واحد فتولى ثمامة بن الوليد بن القعقاع بن خليد العبسى قيادة الصائفة البرية

---

(١) ذكر ياقوت للبردان ثلاث مواقع وهى : أولا هى مدينة بالقرب من بغداد تقع على بعد سبعة فراسخ منها ، والثانية نهر بثغر طرسوس مجيئه من بلاد الروم ويصب فى البحر على ستة أميال من طرسوس ، أما الثالثة فهو نهر أيضا يسقى بساتين مرعش وضياعها . ياقوت : معجم ٣٧٦،٣٧٥/١ ، ولعل الموقع الأول هو المقصود .

(٢) الطبرى : تاريخ ١١٦/٨ ، ابن الأثير : الكامل ٤١،٤٠/٦ ابن تغرى بردى : النجوم ٢٤/٢ .

(٣) ابن كثير : البداية ١٢٩/١٠ .

(٤) انظر : شاكر مصطفى : دولة بنى العباس ٣٥١/٢ .

فغنم وعاد سالما بمن معه (١). وتولى الغمر بن العباس الخثعمي قيادة الصائفة البحرية ويبدو انه غنم وسلم أيضا حيث تولاها في السنة التالية (٢).

ولكن المسلمين خسروا الصائفة في العام التالي سنة ١٦١هـ/٧٧٧م وكان السبب في ذلك يعود الى اهمال ثمامة بن الوليد واستهانته بأمر الروم اذ أتته طلائعه وعيونه وهو نازل بدابق (٣) بخبر احتشاد جيوش الروم فلم يحفل بما جاءوا به فلما علم بتحرك الامبراطور البيزنطي ميخائيل الاول ٨١١-٨١٣م بثمانين ألف جندي خرج اليهم بسرعان الناس وبدون استعداد فاصيب من المسلمين عدة (٤)، مما شجع ميخائيل الأول عندئذ على التقدم فسار من درب الحدث (٥) نحو مرعش وكان في أثناء سيره ذلك يقوم بالقتل والسلب والسبي والتخريب حتى أتى مرعش وكان بها عيسى بن علي مرابطا فيها (٦)، فأخرج اليه عيسى جيشا بقيادة أحد مواليه يدعى سالم البرنسي (٧)، الذي قابلهم خارج المدينة فرشقهم بالسهام والنبل فاظهر ميخائيل الانسحاب ولكنه عاد فكر عليهم فقتل من جيش عيسى عدة أشخاص وانهزم الباقون واعتصموا بالمدينة واغلقوها عليهم ، في حين أقام ميخائيل محاصرا لهم ويبدو انه وملت فيتلك الاثناءنجدات كثيفة كثيفة .

---

(١) ابن خياط : تاريخ ص ٤٣٠ ، الطبري : تاريخ ١٢٩/٨ .
(٢) الطبري : تاريخ ١٤٠،١٢٩/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥٥/٦
(٣) دابق : قرية قرب حلب من أعمال عزاز ، بينها وبين حلب أربعة فراسخ . ياقوت : معجم ٤١٦/٢ .
(٤) الطبري : تاريخ ١٣٦/٨ ، ابن خلدون : العبر ٢١٣/٣ .
(٥) درب الحدث : يقع بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور وكان بنواحيه يسمونه درب السلامة للطيرة . ياقوت : معجم ٢٢٧/٢ .
(٦) ابن خياط : تاريخ ص ٤٣٦ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ١٨٩ ، ابن الاثير : الكامل ٥٥/٦ .
(٧) ابن خياط : تاريخ ص ٤٣٧ .

للمسلمين المحاصرين مما اضطر ميخائيل الى الانسحاب نحو نهر جيحان (١) ولكن هذه النجدات دحرت حين قاموا بتعقب الروم واصيب عدد كبير منهم (٢) .

لذلك عاد الروم في كانون سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م فشنوا هجوما عنيفا على الحدث واقتحموها عنوة وهدموا سورها (٣) . ولما وصلت هذه الانباء الى الخليفة المهدي عظم عليه الامر وقرر ارسال حملة كبيرة للانتقام من الروم (٤) .

وتشير المصادر انه منذ سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م بدات عمليات الجهاد الاسلامي تشتد بقوة من جانب العباسيين على جبهة الروم وسجلت لهم انتصارات متكررة ومتواصلة عليهم .

ففي هذه السنة حرك المهدي جيشه وقسمه الى محورين : وجه أولهما نحو أرمينية حيث اتجهت الى هناك حملة بقيادة يزيد بن أسيد السلمي ووصلت الى باب قاليقلا (٥) "فغنم وفتح ثلاثة حصون ، وأصاب سبيا كثيرا وأسرى" (٦) .

أما المحور الثاني ، فكان محور الحدث وقد ندب اليه المهدي القائد الحسن بن قحطبة (٧) في ثمانين ألف مرتزق من أهل

---

(١) نهر جيحان : هو نهر بالمصيصة بالثغر الشامي ، ومخرجه من بلاد الروم ويمر حتى يصب بمدينة تعرف بكفر بيا بازاء المصيصة . ياقوت : معجم ١٩٦/٢ .
(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٨٩ .
(٣) الطبري : تاريخ ١٤٢/٨ ، الازدي : تاريخ ص ٢٤٢ ، ابن الاثير : الكامل ٥٨/٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٤٢/٢.
(٤) البلاذري : فتوح ص ١٨٩ ، ابن الاثير : الكامل ٥٥/٦ ، ابن خلدون : العبر ٢١٣/٣ .
(٥) قاليقلا : تقع بأرمينية العظمى ، من نواحي خلاط . ياقوت : معجم ٣٨١/٢ .
(٦) الطبري : تاريخ ١٣٢/٨ ، وانظر ابن الاثير : الكامل ٥٨/٦ ، ابن كثير : البداية ١٣٥/١٠ .
(٧) الأزدي : تاريخ ص ٢٤٢ ، ابن الاثير : الكامل ٥٨/٦ ، الذهبي : العبر ٢٣٨/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٤٢/٢

خراسان والموصل والشام وامداد اليمن ومتطوعة العراق والحجاز ، فأوغل في بلاد الروم حتى بلغ حمة (١) ادرولبة (٢) ، وأكثر في أثناء سيره من التحريق والتخريب في بلادهم "وأبلى في تلك الغزوة بلاء حسنا ودوخ أرض الروم" (٣) حتى انهم صوروه في كنائسهم ولقبوه بالتنين (٤) ، ومن هناك أرسل سرية بقيادة ابنه محمد فوصل الى عمورية (٥) ، ثم لحق به فكانت بينهم وبين الروم مناوشات ثم رجع بالجند سالمين (٦) مارا في طريقه بدرب الحدث فنزل مرج طرسوس وركب الى مدينتها وهي خراب "فنظر اليها وأطاف بها من جميع جهاتها وحزر عدة من يسكنها فوجدهم مائة الف ، فلما قدم على المهدي وصف له أمرها وما في بنائها وشحنها من غيظ العدو وكبته وعز الاسلام وأهله وأخبره في الحدث أيضا بخبر رغبته في بناء مدينتها" (٧) ، لذلك أمر المهدي ببناء مدينتي طرسوس والحدث وأن يبدأ بمدينة الحدث أولا ، وولى أمر بنائها واليه على الجزيرة وقنسرين علي بن سليمان بن علي فاتمها في سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م وهي السنة التي توفي فيها المهدي وسميت بالمهدية والمحمدية وكان علي ابن سليمان قد فرض "بمدينة الحدث لأربعة آلاف فأسكنهم اياها

---

(١) البلاذري : فتوح ص ١٦٩ ، قدامة بن جعفر : الخراج ص٣١٠

(٢) حمة أدرولبة : الحمى العين الحارة يستشفى بها الأعلاء والمرضى . ياقوت : معجم ٣٠٦/٢ ، وادرولبة : مدينة في أرض الروم . ياقوت : معجم ٤٥٣/٢ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٦٩ .

(٤) الطبري : تاريخ ١٤٢/٨ ، قدامة : الخراج ص ٣٢٠ ، ابن الاثير : الكامل ٥٨/٦ ، ياقوت : معجم ٢٢٨/٢ .

(٥) عمورية : بلد في بلاد الروم وهي التي فتحها المعتصم العباسي ، وكانت من أعظم فتوح الاسلام . ياقوت : معجم ١٥٨/٤ .

(٦) ابن خياط : تاريخ ص ٤٣٧ ، الازدي : تاريخ ص ٢٤٢ .

(٧) البلاذري : فتوح ص ١٦٩ ، وانظر قدامة : الخراج ص ٣١٠.

ونقل اليها من ملطية وشمشاط وسميساط كيسوم ودلوك ورعبان الفي رجل" (١) .

كما واصل المهدي مابدأه المنصور من تنظيم مدن الثغور وحصونها وشحنها بالمقاتلين فزاد في تحصين مدينة مرعش وقوى أهلها (٢) ، أما المصيصة فيذكر البلاذري بأنه فرض "لألفي رجل ولم يقطعهم لانها قد كانت شحنت من الجند والمطوعة (٣) ، ولم تزل الطوالع تأتيها من أنطاكية في كل عام حتى وليها سالم البرلسي وفرض موضعه لخمسمائة مقاتل على خاصة عشرة دنانير عشرة دنانير ، فكثر من بها وقووا وذلك في خلافة المهدي" (٤) .

ولم يكتف المهدي بما حققه الحسن بن قحطبة من انتصار بل انه قرر أن يعهد الى ولده الأمير هارون الرشيد قيادة الصائفة في سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م وخرج هو بنفسه أيضا حتى حدود الثغور مشيعا لابنه وهذا يدل على مدى الاهمية التي أعطاها المهدي لجبهة الروم من ناحية ، وحتى يؤكد للروم مدى قوة الدولة العباسية من ناحية أخرى .

---

(١) البلاذري : فتوح ص ١٩٠ ، وانظر قدامة : الخراج ص ٣٢٠ ياقوت : معجم ص ٢٢٨ ، وقد سبقت الاشارة الى هذه المواضع عند حديثنا عن الثغور ، انظر أعلى ص ٣٤٨ .
(٢) البلاذري :فتوح ص ١٦٣ .
(٣) البلاذري :فتوح ص ١٨٩ .
(٤) ن . م . ص ص ١٦٦ .

(٤) تأزم العلاقات العباسية البيزنطية :

عنى المهدى عناية كبيرة بهذه الحملة فحرص أن يحشد لها عددا كبيرا من الجنود فيذكر الطبرى "وفيها قطع المهدى البعوث على جميع الأجناد من أهل خراسان وغيرهم [١] ، وخرج فعسكر بالبردان ، فاقام به نحوا من شهرين يتعبأ فيه ويتهيأ ويعطى الجنود ، واخرج بها صلات لأهل بيته الذين شخصوا معه" [٢] ثم تحرك المهدى بعد ذلك مع الجيش حتى وافى حلب فاستعرض هناك العسكر واطمأن الى تجهزاته [٣] ، ثم أمر بالمسير فعبر الدروب وارتاد موضع مدينة الحدث التى أمر ببنائها ، وتحرك بعدها حتى بلغ جيحان وهناك ودع ابنه هارون الذى مضى بجيشه ومن معه من كبار القادة ورجال الدولة مثل عيسى بن موسى وعبد الملك بن صالح والربيع بن يونس ، والحسن بن قحطبة ، والحسن وسليمان ابنا برمك ، ويحيى بن خالد بن برمك فتوغل فى أرض الروم [٤] ، حتى بلغ قلعة حصينة يقال لها سمالو [٥] فضرب عليها حصارا شديدا وضربها بالمنجنيق واستمر محاصرا لها ثمانية وثلاثين يوما فلما يأس أهلها بعد أن

---

(١) البعوث : وهم الجند الذين خرجوا الى الثغور أو أى ناحية من النواحى يطلب منهم الخليفة أو الوالى أو القائد ذلك ، وقيل بعث الجند للغزو . عبد العزيز السلومى : ديوان الجند نشأته وتطوره ص ٤٦٧ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٤٨/٨ .

(٣) الطبرى : تاريخ ١٤٨/٨ ، ابن العديم : زبدة الحلب ٦١/١ ، أبو الفداء : المختصر ٩/٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٦٠/٦ ، النويرى : نهاية الارب ١١٤/٢٢ ، ابن كثير : البداية ١٤٦/١٠ .

(٥) سمالو : موضع سمالو فى الخارطات الحديثة فى شمال شرقى خليج اسكندرونة واخربتها تعرف اليوم باسم سنجرلى . الشابشتى : الديارات ص ٣٤٢ .

تصدعت قلعتهم وأصابهم عطش وجوع شديدين اضطروا للاستسلام . وبذلك فتح الله على هارون هذه القلعة وكان فتحها على شروط شرطها أهلها على هارون وهى : "لايقتلوا ولايرحلوا ، ولايفرق بينهم ، فأعطوا ذلك ، فنزلوا ، ووفى لهم" (١) . ويذكر البلاذرى أن المهدى لم يوف لهم شرط الترحيل اذ أنه أمر بأن يرحلوا الى بغداد وأنزلوا هناك على باب الشماسية فى حى خاص بهم سمى بسمالو . وبيع من فضل البقاء فى الحصن (٢) .

ثم عاد هارون بالمسلمين سالما ومعه عدد كبير من السبى والغنائم ، فدخل بغداد فى صفر سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م (٣) وكان لهذا النصر تأثيرا كبيرا على المهدى اذ أخذ له البيعة بولاية العهد بعد موسى الهادى (٤) ، كما ولاه أيضا على جميع بلاد المغرب وأذربيجان وأرمينية (٥) .

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٤٨/٨ .
(٢) البلاذرى : فتوح ص ١٧١ .
(٣) الأزدى : تاريخ ص ٢٤٥ .
(٤) الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٠ .
(٥) الطبرى : تاريخ ١٤٨/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص ١٥٠ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ١٩١أ ، ابن كثير : البداية ١٤٦/١٠ .

(٥) غزو خليج القسطنطينية وصلح عام ١٦٥هـ :

وردا على تلك الغزوة التي قادها الأمير هارون بن المهدي قام الروم في سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م بحملة كبيرة قوامها تسعين الف مقاتل كانت بقيادة كل من البطريقين ميخائيل وطازاد الارمني ، فنفذوا من ناحية درب الحدث ، وكان الحدث في ذلك الوقت تحت الانشاء فلم يجرؤ قائد الصائفة في تلك السنة عبد الكريم بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب من مواجهتهم نظرا لفخامة الجيش الرومي وتحاشي قتالهم ، مما أغضب المهدي عليه وكاد أن يأمر بقتله لولا أنه شفع فيه فاكتفي بحبسه في المطبق .(١)

وعلى أثر هذا الهجوم قرر المهدي الرد عليهم بانفاذ حملة عسكرية كبيرة لغزوهم وتعتبر هذه الغزوة كما تشير المصادر التاريخية من أهم الحملات التي تمت في عهده .

ركز المهدي عنايته لهذه الحملة فحشد قرابة مائة ألف مقاتل من المسترزقة والمطوعة والاتباع وأهل الأسواق والغزاة(٢) هذا بالاضافة الى الأموال التي جمعها والتي بلغت حوالي مائة الف دينار وأربعة وتسعين الف وأربعمائة وخمسين دينارا ، وواحد وعشرين مليون وأربعمائة الف وأربعة عشر الف وثمانمائة درهم ، كما حرص المهدي أن يضم في الجيش عددا من

---

(١) الطبري : تاريخ ١٥٠/٨ ، الأزدي : تاريخ ص ٢٤٥ ، ابن الاثير : الكامل ٦٣/٦ ، الذهبي : العبر ٢٤٣/١ ، ابن كثير : البداية ١٤٦/١٠ ، ابن العماد : شذرات ٢٥٨/١ .
(٢) المقدسي : البدء ٩٦/٦ .

كبار القادة ورجال الدولة كان على رأسهم يزيد بن مزيد (١) ومولاه الربيع بن يونس (٢) . الامر الذى يدل على أن الدولة العباسية كانت تلقى بثقلها كله في تلك الحرب الضروس (٣) . وفى يوم السبت ١٩ جمادى الآخر سنة ١٦٥هـ تحركت الحملة فاوغل هارون في آسيا الصغرى وافتتح في الطريق حصنا مهما للروم هو حصن ماجده ، ويبدو انه كان على مشارف القسطنطينية لذلك لقيته فرقة فرسان نقيطا قومس القوامسة (٤) لمنعه من التقدم "فبارزه يزيد بن مزيد فارجل يزيد ، ثم سقط نقيطا ، فضربه يزيد حتى اثخنه ، وانهزمت الروم ، وغلب يزيد على عسكرهم" (٥) وبذلك أصبح الطريق مفتوحا أمام هارون لبلوغ القسطنطينية فواصل سيره حتى وصل الى خليجها ، ويبدو أن الملكة ايرين زوجة الامبراطور ليون الرابع والوصية على ابنها قسطنطين السادس قد تيقنت من الهزيمة وخاصة بعد أن بلغت حصيلة خسائرها أمام المسلمين في الوقائع الاخيرة مايقدر ب ٥٤ الف جندى ، وقتل من الأسرى ٢٠٩٠ أسيرا ، ووقع في الاسر أيضا

---

(١) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني : ابن أخي معن بن زائدة ، وكان من كبار القادة الشجعان في الدولة العباسية ، انتدبه هارون الرشيد لقتال الوليد بن طريف عظيم الخوارج في عهده ، فقتل ابن طريف وعاد الى أرمينية وكان فيمن وليه اليمن ، وتوفى ببروعة سنة ١٨٥هـ . الزركلى : الأعلام ١٨٨/٨ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٥٢/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٦٦/٦ ، الذهبى : العبر ٢٤٤/١ .

(٣) محمد أحمد محمود : العالم الاسلامي في العصر العباسي ص ١٦٥ .

(٤) القومس يقابلها الكنت بالانكليزية ، وهى باللاتينية ، وقد عربت على قومس (كوهر) وقومس المراد به الأمير والرجل الشريف . انظر هامش الشابشتى : الديارات ص٣٤٢

(٥) الطبرى : تاريخ ١٥٢/٨ ، وانظر : ابن الاثير : الكامل ٦٦/٦ ، النويرى : نهاية ١١٥/٢٢ ، ابن خلدون : العبر ٢١٣/٣ .

٥٦٤٣ ، وغنم المسلمون من الدواب بادواتها عشرين ألف فرس.(١) ونتيجة لذلك طلبت الصلح فجرت بينها وبين هارون بن المهدى الرسل والسفارات فى طلب الصلح والموادعة واعطاء الفدية ، فقبل منها هارون على أن توفى بما عاهدت وقد تضمنت شروط الصلح جملة امور منها :

ان تؤدى للمسلمين جزية مقدارها تسعون (أو سبعون) الف دينار ويكون دفعها على قسطين أولهما فى نيسان وثانيهما فى حزيران من كل عام . وعلى أن تستمر الهدنة لمدة ثلاثة اعوام ، كما تضمنت شرطا أساسيا وهو اطلاق سراح جميع الاسرى من المسلمين .(٢)

وكانت غنائم هارون من هذه الغزوة لاتحصى وقد رخصت الاسعار بسبب ذلك حتى انه بيع "البرذون بدرهم ، والبغل باقل من عشرة دراهم ، والدرع باقل من درهم وعشرين سيفا بدرهم" .(٣)

وفى طريق عودته مر هارون بمنطقة الثغور فبنى جسر اذنة(٤) على نهر سيحان(٥) وشيد بالقرب منه قصرا(٦) ، ولما وصل الى المصيصة زاد من تحصينها وأعاد بناء مسجدها وزاد فى شحنتها

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٥٣/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٦٧/٦ ، ابن كثير : البداية ١٤٧/١٠ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٥٣/٨ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٥٣/٨ ، وانظر المقدسى : البدء ٩٦/٦ ابن كثير : البداية ١٤٧/١٠ .
(٤) اذنة : بلد من الثغور قرب المصيصة . ياقوت : معجم ١٣٣/١ ، وقد بنيت فى سنة ١٤١/١٤٢هـ فى عهد المنصور واسكنها جماعة من خراسان . البلاذرى : فتوح ص ١٦٧ ، قدامة : الخراج ص ٣٠٩ .
(٥) نهر سيحان : هو نهر كبير بالثغر من نواحى المصيصة ، وهو نهر اذنة بين انطاكية والروم يمر باذنه ثم ينفصل عنها . ياقوت : معجم ٢٩٣/٣ .
(٦) البلاذرى : فتوح ص ١٦٨ ، قدامة : الخراج ص ٣٠٩ ، ياقوت : معجم ١٣٣/١ .

وتقوية أهلها[١] .

وفى المحرم من سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م قدم هارون من بلاد الروم فدخل بغداد فى ابهة عظيمة واستعرض معه من الروم عددا ممن يحملون الجزية من الذهب وغيره[٢] ، وقد جدد له الخليفة المهدى البيعة بولاية العهد بعد الهادى وسماه الرشيد احتفالا بنصره[٣] .

غير أن هذه الهدنة لم تستمر حتى نهاية المدة اذ أن الروم عادوا فنقضوها فى عام ١٦٨هـ/٧٨٤م فوجه اليهم والى الجزيرة على بن سليمان أحد قواده على رأس حملة فغنموا وظفروا[٤] ، وبذلك عادت الجبهة تشهد الحملات العسكرية العباسية لتصبح من جديد مسرحا لجهاد مبارك مبرور .

---

(١) البلاذرى : فتوح ص ١٦٨ .
(٢) ابن كثير : البداية ١٤٧/١٠ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٥٤/٨ ، الأزدى : تاريخ ص ٢٤٧ ، ابن الاثير : الكامل ٦٩/٦ .
(٤) الطبرى : تاريخ ١٦٧/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٧٨/٦ ، النويرى : نهاية ١١٨/٢٢ ، ابن كثير : البداية ١٥٠/١٠ .

(٦) الجهاد الاسلامي في الهند :

سبق وأشرنا الى الثورة التى قام بها الزط فى الهند فى سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م ويبدو أن هؤلاء الزط كانوا قد اتخذوا من حصن باربد مركزا لثورتهم وتمكنوا من مهاجمة القوات الاسلامية المقيمة فى المنصورة [١] ، تلك المدينة التى اتخذت مقرا لعمال الدولة منذ عهد الدولة الأموية [٢] . وقد دفع ذلك الخليفة المهدى الى أن يعد العدة لحملة بحرية تقدر بعشرة آلاف مقاتل للقضاء على تلك الثورة ، وقد أسند قيادتها الى عبد الملك بن شهاب المسمعى . وقد قام الأخير بتنظيم قواته على شكل فرق فجعل على فرقة جنود أهل البصرة وقوامها ألفين ابنه غسان بن عبد الملك ، وولى على المطوعة من أهل البصرة وعددهم ألف رجل عبد الملك بن شهاب بن المنذر بن محمد الجارودى ، كما ولى على المطوعة الذين كانوا يلزمون المرابطات وعددهم ألف وخمسمائة رجل عبد الواحد بن عبد الملك ، وقد انضم لهذا الجيش فرقة من أبناء أهل الشام بقائدهم يزيد بن الحباب المذحجى وفرقة أخرى من الاسوريين [٣] والسبابخة [٤] .

---

(١) المنصورة : مدينة كبيرة كثيرة الخيرات بأرض الهند . ياقوت : معجم ٢١١/٥ .

(٢) انظر البلاذرى : فتوح ص ٤٢٧ .

(٣) الاسوريين : جماعة من أهل الهند يعرف رئيسهم باسم سياه الاسورى أسلم فى أثناء الفتوح الاسلامية فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونزل البصرة وحالفوا بنى تميم وحفروا هناك نهرهم وهو يعرف بنهر الاساورة . البلاذرى : فتوح ص ٣٦٢ .

(٤) السبابجة : جماعات هندية شأنها شأن الزط كانت قد تجمعت قبل الاسلام وأثنائه فى جنوب العراق . البلاذرى : فتوح ص ٣٦٣ ، شاكر مصطفى : دولة بنى العباس ٢٦٨/٢ .

ومن الراجح أن تكون للدعوة الى الجهاد فى سبيل الله التى صاحبت خروج هذه الحملة أثرها الكبير فى تزايد أعداد المقاتلة فقد انضم اليها عدد كبير من المطوعة الراغبين فى الجهاد أمثال الربيع بن صبيح[(١)] . وقد مضت هذه الحملة الى البصرة حيث جهز لها الخليفة المهدى أسطولا كبيرا كان قد أشرف على اعداده أحد رجاله ويدعى أبو المقاسم محرز بن ابراهيم ، ومن هناك توجهت مباشرة الى مدينة باربد فى الهند . وقد حاصرت الحملة مدينة باربد فى اليوم التالى لنزولها الهند ، واحاطوها بآلات الحصار من منجنيق وغيره على سائر جهاتها ، وأخذ المسلمون يهاجمون أسوارها بكل قواهم ، ويحرض بعضهم بعضا على الجهاد بتلاوة آيات القرآن والتذكير ، ولقد كان لهذا أثره البعيد فى سرعة فتح المدينة اذ سقطت عنوة بعد يومين من الحصار ودخلت خيل المسلمين فيها من كل ناحية ، فهرب أهلها الى معبدهم "البد"[(٢)] واعتصموا فيه ، فلحقهم المسلمون وأشعلوا فيه النيران فاحترق بمن فيه ، وقتلوا بقية قوى المقاومة ، وبذلك أبيدت المقاومة نهائيا . وكانت خسائر المسلمين بضعة وعشرون رجلا .

ولكن هذه الحملة رغم هذا النجاح الكبير الذى تحقق لها ، لم يقدر لها العودة بسلام الى العراق ، اذ أن ارتفاع

---

(١) الربيع بن صبيح : يكنى أبا حفص مولى لبنى سعد بن زيد مناة بنى تميم ، من سادات المسلمين ، رجل صالح صدوق ثقة ، كان ضعيف الحديث ، توفى فى هذه الغزوة .
انظر ترجمته : ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٧٧/٧ ، ابن حجر : تهذيب ٢٤٧/٣ ، الخزرجى : خلاصة تهذيب ص ١١٥ .

(٢) البد : هو المعبد فى بلاد السند وقد يكون هو الصنم أيضا . البلاذرى : فتوح ص ٤٢٠ .

الأمواج في البحر قد منعهم من الابحار في البداية ، فاقاموا ينتظرون هدوء الأحوال الجوية فأصاب بعض أفرادها وباء في افواههم يقال له حمام قر ، وكان نتيجته وفاة نحو من ألف رجل كان منهم الربيع بن صبيح ، فلما هدأ البحر أبحروا حتى وصلوا الى ناحية من ساحل فارس يقال له بحر حمران ، فعصفت الريح بمراكبهم ليلا فكسرتها فغرق البعض منهم ونجا الباقون واخيرا وصلت الحملة الى البصرة ومعهم سبى من سبيهم فيهم بنت ملك باربد ، فقدموا بها الى والى البصرة حينذاك محمد ابن سليمان[(١)] ، وكانت مدة اقامة هذه الحملة في الهند ثمانية عشر يوما فقط[(٢)] .

ومع ذلك فلاشك في أن الحملة كانت قد حققت أهدافها فاعادت الهدوء والاستقرار الى المناطق الاسلامية في الهند وقضت على التمرد الذى كان قد أعلنه الزط ، مما هيأ للدولة فرصة التفرغ لمعالجة المشاكل الأخرى .

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٢٨/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٤٦/٦ ، ابن كثير : البداية ١٣١/١٠، ١٣٢ ، ابن خلدون : العبر ٢٠٩/٣ .

(٢) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٨/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٤٠/٨ .

الخاتمة

نتائج البحث

الخاتمة ونتائج البحث

لقد توصل البحث الى جملة نتائج مهمة لعل من أبرزها مايلي :

* أن الظلم والاستبداد والجشع الذى مارسه عمال الجباية العباسية فى مصر كان سببا فى التوسع الكبير لثورة دحية بن مصعب الاموى والتى استمرت لمدة خمس سنوات حتى كاد امره أن يتم فى مصر لطول مدته ولاجتماع الناس حوله بما يمثل معارضة صريحة لأساليب الادارة والجباية العباسية خلال تلك الفترة .

* أن الثورات الفارسية التى واجهت الدولة العباسية منذ قيامها كانت تستهدف اعادة أمجاد الفرس السياسية واقامة دولة مستقلة لهم على انقاض الدولة الاسلامية ، فكان شعورهم بالفشل فى تحقيق ذلك بعد نجاح الدعوة العباسية وقيام دولتها سببا فى حالة الاحباط التى شملتهم ، مما دفعهم الى اعلان تلك الثورات ، بالاضافة الى أن مقتل أبى مسلم الخراسانى على يد الخليفة أبى جعفر المنصور كان عاملا اضافيا فى اثارة بعض العناصر الايرانية على العباسيين فاندفعوا وراء كل ثائر ينادون بالثأر له ، وقد تمثلت هذه الثورات فى عهد الخليفة المهدى فى ثورة استاذسيس وثورة المقنع الخراسانى .

* ثم أن تلك الثورات قد كشفت عن جوانب مهمة فى البحث ، لعل من أبرزها اهتمام الخليفة المهدى الكبير فى تحقيق الاستقرار والأمن فى أطراف بلدان الخلافة العباسية ،

وان هذا الاهتمام قد بدأ مبكرا منذ أن كان المهدى وليا للعهد ، فلم تقتصر جهوده على قمع حركات العصيان المعادية للخلافة هناك ، بل تعداه الى بناء المدن الحصينة أيضا .

* ومن الجوانب المهمة أيضا أنه بالرغم من القضاء على قيادة تلك الحركات المارقة فان خوف أتباعها من عامة المسلمين هناك جعلهم يظهرون الاسلام ويتخذون لهم مساجد فى الوقت الذى كانوا يمارسون فيه طقوس عقائدهم الفاسدة فى الخفاء ويحلون قتل من يخالفهم ، وهذا مايثبت بانه على الرغم من تغلغل المعتقدات المجوسية بين سكان بعض المناطق فى ايران فان روح الاسلام ظلت تفرض نفسها هناك بقوة .

* ان الادعاءات التى تبناها الخوارج فى تكفيرهم لخلفاء الأمة ابتداءمن الخليفة الراشد على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وعدم اذعانهم لأية حكومة اسلامية منذ ذلك الوقت بدعوى الجور والظلم وغير ذلك من المبررات التى ارتكز عليها الخوارج فى الخروج والثورة ، لذلك فلقد انكر كل من عبد السلام اليشكرى وياسين التميمى على الخليفة المهدى سيرته فاعلنا مع أتباعهما الثورة عليه فى اقليم الجزيرة . وهذا ماجعل تلك المنطقة يسودها جو الاضطراب وعدم الاستقرار لذلك فقد أمر الخليفة المهدى ولأول مرة بتشكيل قوة خاصة يتولاها قائد خاص وهو "صاحب أمر الخوارج بالجزيرة" تنحصر مهمتها فى تعقب الخوارج هناك والقضاء عليهم .

* أن جهاد الخليفة المهدى الشديد ضد الزنادقة كان نابعا من ادراكه العميق بأن الدولة العباسية هى المسئولة عن زيادة انتشار تيار الزندقة لانشغال كل من أبى العباس

السفاح وأبى جعفر المنصور بأمر تثبيت دعائم الحكم عن العمل على القضاء على الزندقة ، بالاضافة الى ارتفاع أصوات الفقهاء وأهل الصلاح بالشكوى من انتشار موجة الفساد فى المجتمع ، مما دفع الخليفة المهدى الى أن يعتبر أمر القضاء على الزندقة واجبا دينيا يتقرب به الى الله تعالى فعمل على تاسيس ديوان خاص بهم عرف القائم عليه باسم "صاحب الزندقة" أو "عريف الزندقة" كما أمر بان يخصص لهم سجنا خاصا بهم منعا لتسرب أفكارهم الالحادية الى السجناء العاديين .

* أظهر البحث أن التسامح والعفو واللين كانت من السمات الاصيلة عند الخليفة المهدى ، لذلك فلقد أخذ على عاتقه منذ أن تولى الخلافة مسؤولية تحرى العدل وازالة المظالم التى أوقعها المنصور فكف عن القتل ونشر الامن واهتم بتحسين علاقة الخلافة بأطراف المعارضة للدولة العباسية ، فتقرب من العلويين وأطلق من كان فى المحابس منهم ، كما انه لم يال جهدا فى اصلاح أحوال أهل الحجاز فامر بالبحر ففتح لهم وأذن فى الحمل اليهم ، كما انه أمر بأن ترد الى المصادرين منهم كافة القطائع والاموال التى أخذها المنصور منهم ، بالاضافة الى أنه أغدق عليهم الصلات والعطايا . كما استرضى الامويين وقام بزيارة لبلاد الشام لتفقد أحوالها مما يعكس بوضوح رغبته الاكيدة فى نسيان الماضى وفتح صفحة جديدة فى العلاقات الحسنة مع أعداء الامس .

* لقد كانت مشكلة ولاية العهد من المشكلات الرئيسية التى واجهت الخلافة العباسية منذ مرحلة التاسيس وطوال

العصر العباسي الأول ، وذلك لأنها تأثرت الى حد بعيد بالاجتهادات الشخصية .

* أوضح البحث بانه على الرغم من اتساع سلطة الوزير في عهد الخليفة المهدى الا أن الوزراء ظلوا على الدوام تحت الاشراف المباشر للخليفة الذى كان فى مقدوره سحب اختصاصاتهم بشكل مباشر متى ماأراد ذلك ، وأن دورهم قد اقتصر فى الغالب على تنفيذ مطالب الخليفة وانفاذ أوامره وآرائه .

* ان عناية الخليفة المهدى الكبيرة باختيار العمال والولاة قد عكس مدى اهتمامه الادارى بأقاليم الدولة العباسية ، فكان تقويمه لهم يقوم على أساس الكفاية والاخلاص له من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان يحرص على تغيير العمال واجراء عمليات نقلهم بصورة مستمرة حتى لايترك لأحد منهم فرصة فى تثبيت قدمه فى الولاية لفترة طويلة خشية أن تحدثه نفسه بالاستقلال عن الدولة . وبالاضافة الى ذلك فلقد حرص الخليفة المهدى أيضا على اخضاعهم لمراقبته الدقيقة .

* أن انشاء الخليفة المهدى لدواوين الأزمة يظهر أن عملية تطوير ادارى حسابى قد جرت خلال فترة حكمه فكانت مجالس الأزمة تشرف كل منها على الحسابات فى الديوان الذى يختص به ، ثم ان الخليفة المهدى لم يكتف بهذا بل عمل على زيادة الرقابة المالية على الدواوين فى الدولة ، فقام بانشاء ديوان زمام الأزمة لاحكام ضبط الرقابة المالية واشعار الجميع بأنهم معرضون للمساءلة والحساب مهما علت مكانتهم أو توثقت علاقتهم بالخليفة .

* كشف البحث بأن الخليفة المهدى كان أول من أوجد ديوانا خاصا للمظالم فى العصر العباسى ، ذلك أنه اعتبر النظر فى المظالم جزءا أساسيا من مهام النظام الاسلامى ومن واجبات الخلافة ، وقد استحدث منصب صاحب دار المظالم للاشراف على الدار والديوان .

* أوضح البحث بأن اهتمام الخليفة المهدى بتنظيم أمور البريد يرجع الى حرصه على معرفة أحوال ديار الاسلام ومايستجد فيها بشكل دقيق سريع ضمانا للمصلحة العامة ومصلحة الخلافة على حد سواء .

* أن تغيير الخليفة المهدى لطريقة جباية الخراج فى أرض السواد الى نظام المقاسمة كان نتيجة لادراكه للآثار الخطيرة المترتبة فى حالة الاستمرار فى تطبيق نظام الضرائب القديم .

* أن النفقات الكبيرة التى أنفقها الخليفة المهدى على عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوى وتنظيم طرق الحج وعمارتها وانشاء مصادر متنوعة للمياه فيها كانت بدافع نيل رضى الله تعالى ورجاء مثوبته من ناحية ، وحرصا منه على راحة المصلين من المقيمين أو الزوار القاصدين لزيارتهما من ناحية أخرى .

* ان بعد مركز الخلافة العباسية عن الأندلس بالاضافة الى قلة امكانيات الثائرين بها من أهلها والذين حرضهم الخليفة المهدى على الثورة ضد عبد الرحمن الداخل بهدف اسقاط حكمه كان السبب الرئيسى فى فشل الخليفة فى اعادة الأندلس الى حظيرة الدولة العباسية .

* لقد أوضح البحث بأن حرص المهدى على الجهاد ضد الروم جعله يحدث تقليدا جديدا وهو الخروج بنفسه مع الجيش والبقاء قريبا من الجبهة وخطوط القتال ، مما أعطى انطباعا لدى الروم بقوة العباسيين واستعدادهم الدائم للدفاع عن أراضيهم وحمايتها بقوة السلاح .

الملاحق

ملحق رقم (١)

كتب عيسى بن موسى الى المنصور ردا على رسالته :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عبد الله أمير المؤمنين من عيسى بن موسى . سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ، فاني أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه ما أجمعت عليه من خلاف الحق وركوب الاثم فى قطيعة الرحم ، ونقض ما أخذ الله عليه من الميثاق من العامة بالوفاء للخلافة والعهد لى من بعدك ، لتقطع بذلك ما وصل الله من حبله ، وتفرق بين ما ألف الله جمعه ، وتجمع بين ما فرق الله أمره ، مكابرة لله فى سمائه وحولا على الله فى قضائه ، ومتابعة للشيطان فى هواه ، ومن كابر الله صرعه ومن نازعه قمعه ، ومن ماكره عن شىء خدعه ، ومن توكل على الله منعه ، ومن تواضع لله رفعه ، ان الذى أسس عليه البناء ، وخط عليه الحذاء من الخليفة الماضى عهد لى من الله ، وأمر نحن فيه سواء ، ليس لأحد من المسلمين فيه رخصة دون أحد ، فان وجب وفاء فيه فما الأول بأحق به من الآخر . وان حل من الآخر شىء فما حرم ذلك من الأول ، بل الأول الذى تلا خبره وعرف أثره ، وكشف عما ظن به وأمل فيه أسرع ، وكان الحق أولى بالذى أراد أن يمنع أولا ، فلا يدعوك الى الأمن من البلاء اغترارا بالله ، وترخيص للناس فى ترك الوفاء ، فان من أجابك الى ترك شىء وجب لى واستحل ذلك منى لم يحرج اذا أمكنته الفرصة وافتتنته الرخصة أن يكون الى مثل ذلك منك أسرع ، ويكون بالذى أسست من ذلك أبخع . فاقبل

العاقبة وارض من الله بما منع ، وخذ ما أوتيت بقوة وكن من الشاكرين . فان الله جل وعز زائد من شكره ، وعدا منه حقا لاخلف فيه ، فمن راقب الله حفظه ، ومن أضمر خلافه خذله ، والله يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور . ولسنا مع ذلك نأمن من حوادث الأمور وبغتات الموت قبل ماابتدأت به من قطيعتى ، فان تعجل بى أمر كنت قد كفيت مؤونة مااغتممت له وسترت قبح ماأردت اظهاره ، وان بقيت بعدك لم تكن اوغرت صدرى ، وقطعت رحمى ، ولاأظهرت أعدائى فى اتباع أثرك ، وقبول أدبك ، وعمل بمثالك .

وذكرت أن الأمور كلها بيد الله ، هو مدبرها ومقدرها ومصدرها عن مشيئته ، فقد صدقت أن الأمور بيد الله ، وقد حق على من عرف ذلك ووصفه العمل به والانتهاء اليه . واعلم أنا لسنا جررنا الى أنفسنا نفعا ، ولادفعنا عنها ضرا ، ولاناا الذى عرفته بحولنا ولاقوتنا ، ولو وكلنا فى ذلك الى أنفسنا وأهوائنا لضعف قوتنا ، وعجزت قدرتنا فى طلب مابلغ الله بنا ، ولكن الله اذا أراد عزما لانفاذ أمره ، وانجاز وعده واتمام عهده ، وتاكيد عقده ، أحكم ابرامه ، وأبرم احكامه ونور اعلانه ، وثبت أركانه ، حين أسس بنيانه فلايستطيع العباد تاخير ماعجل ، ولاتعجيل ماأخر ، غير أن الشيطان عدو مبين ، قد حذر الله طاعته ، وبين عداوته ، ينزغ بين ولاة الحق وأهل طاعته ، ليفرق جمعهم ، ويشتت شملهم ويوقع العداوة والبغضاء بينهم ، ويتبرأ منهم عند حقائق الأمور ، ومضايق البلايا ، وقد قال الله عز وجل فى كتابه : {وماأرسلنا من قبلك من رسول ولانبى الا اذا تمنى ألقى

الشيطان فى امنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم} . ووصف الذين اتقوا فقال {اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون} فاعيذ امير المؤمنين بالله من أن يكون نيته وضمير سريرته خلاف مازين الله به جل وعز من كان قبله ، فانه قد سالتهم ابناؤهم ، ونازعتهم أهواؤهم الى مثل الذى هم به أمير المؤمنين فآثروا الحق على ماسواه ، وعرفوا ان الله لاغالب لقضائه ، ولامانع لعطائه ، ولم يأمنوا مع ذلك تغيير النعم وتعجيل النقم ، فآثروا الآجلة ، وقبلوا العاقبة ، وكرهوا التغيير وخافوا التبديل ، فاظهروا الجميل ، فتمم الله لهم أمورهم ، وكفاهم ما أهمهم ، ومنع سلطانهم ، وأعز أنصارهم ، وكرم أعوانهم ، وشرف بنيانهم ، فتمت النعم ، وتظاهرت المنن ، فاستوجبوا الشكر ، فتم أمر الله وهم كارهون .
والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله .

(الطبرى : تاريخ ٨/١٧-١٩)

<u>ملحق رقم (٢)</u>

نسخة الشرط الذى كتبه عيسى على نفسه عندما تنازل عن ولاية العهد لموسى بن المهدى :

"بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب لعبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين ولولى عهد المسلمين موسى بن المهدى ، ولأهل بيته وجميع قواده وجنوده من أهل خراسان وعامة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وحيث كان كائن منهم ، كتبته للمهدى محمد أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين موسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على ، فيما جعل اليه من العهد اذ كان الى ، حتى اجتمعت كلمة المسلمين ، واتسق أمرهم ، واختلفت أهواؤهم ، على الرضا بولاية موسى بن المهدى محمد أمير المؤمنين ، وعرفت الحظ فى ذلك على والحظ فيه لى ، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون من الرضا بموسى بن أمير المؤمنين ، والبيعة له ، والخروج مما كان لى فى رقابهم من البيعة ، وجعلتكم فى حل من ذلك وسعة من غير حرج يدخل عليكم ، أو على أحد من جماعتكم وعامة المسلمين ، وليس فى شىء من ذلك ، قديم ولاحديث لى دعوى ولاطلبة ولاحجة ولامقالة ولاطاعة على أحد منكم ، ولاعلى عامة المسلمين ولابيعة فى حياة المهدى محمد أمير المؤمنين ولابعده ولابعد ولى عهد المسلمين موسى ، ولاماكنت حيا حتى أموت ، وقد بايعت لمحمد المهدى أمير المؤمنين ولموسى بن أمير المؤمنين من بعده ، وجعلت لهما ولعامة المسلمين من أهل خراسان وغيرهم الوفاء بما شرطت على نفسى فى هذا الأمر الذى

خرجت منه ، والتمام عليه . على بذلك عهد الله وما اعتقد أحد من خلقه من عهد أو ميثاق أو تغليظ أو تاكيد على السمع والطاعة والنصيحة للمهدى محمد أمير المؤمنين ، فى السر والعلانية ، والقول والفعل ، والنية والشدة والرجاء والسراء والضراء والموالاة لهما ولمن والاهما ، والمعاداة لمن عاداهما ، كائنا من كان فى هذا الامر الذى خرجت منه . فان أنا نكلت أو غيرت أو بدلت أو دغلت أو نويت غير ما اعطيت عليه هذه الايمان ، أو دعوت الى خلاف شيء مما حملت على نفسى فى هذا الكتاب للمهدى محمد أمير المؤمنين ولولى عهده موسى بن أمير المؤمنين ولعامة المسلمين ، أو لم أف بذلك ، فكل زوجة عندى يوم كتبت هذا الكتاب - أو أتزوجها الى ثلاثين سنة - طالق ثلاثا البته طلاق الحرج ، وكل مملوك عندى اليوم أو أملكه الى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله ، وكل مال لى نقد أو عرض أو قرض أو أرض ، أو قليل أو كثير ، تالد أو طارف أو استفيده فيما بعد اليوم الى ثلاثين سنة صدقة على المساكين ، يضع ذلك الوالى حيث يرى ، وعلى من مدينة السلام المشى حافيا الى بيت الله العتيق الذى بمكة نذرا واجبا ثلاثين سنة ، لاكفارة لى ولامخرج منه ، الا الوفاء به . والله على الوفاء بذلك راع كفيل شهيد ، وكفى بالله شهيدا " . وشهد على عيسى بن موسى باقراره بما فى هذا الشرط أربعمائة وثلاثون من بنى هاشم ومن الموالى والصحابة من قريش والوزراء والكتاب والقضاة .

(الطبرى : تاريخ ٨/١٢٦-١٢٨)

ملحق رقم (٣)

نسخة كتاب المهدي الي والي البصرة
في رد آل زياد الي نسبهم

"بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فان أحق ماحمل عليه ولاة المسلمين أنفسهم وخواصهم وعوامهم فى أمورهم وأحكامهم ، العمل بينهم بما فى كتاب الله والاتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصبر على ذلك ، والمواظبة عليه ، والرضا بما فيه بما وافقهم وخالفهم ، للذى فيه من اقامة حدود الله ومعرفة حقوقه ، واتباع مرضاته ، واحراز جزائه وحسن ثوابه ، ولما فى مخالفة ذلك والصدود عنه وغلبة الهوى لغيره من الضلال والخسار فى الدنيا والآخرة .

وقد كان من رأى معاوية بن أبى سفيان فى استلحاقه زياد بن عبيد ، عبد ال علاج من ثقيف ، وادعائه ماأباه بعد معاوية عامة المسلمين وكثير منهم فى زمانه ، لعلمهم بزياد وأبى زياد وأمه ، من أهل الرضا والفضل والورع والعلم ، ولم يدع معاوية الى ذلك ورع ولاهدى ، ولااتباع سنة هادية ، ولاقدوة من أئمة الحق ماضية ، الا الرغبة فى هلاك دينه وآخرته ، والتصميم على مخالفة الكتاب والسنة . والعجب بزياد فى جلده ونفاذه ، ومارجا من معونته ومؤازرته اياه على باطل ماكان يركن اليه فى سيرته وآثاره وأعماله الخبيثة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الولد للفراش وللعاهر الحجر" ، وقال : "من ادعى الى غير أبيه أو

انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لايقبل الله منه صرفا ولاعدلا " .

ولعمرى ، ماولد زياد فى حجر أبى سفيان ولاعلى فراشه ، ولاكان عبيد عبدا لأبى سفيان ، ولاسمية أمة له ، ولاكانا فى ملكه ، ولاصارا اليه لسبب من الأسباب . ولقد قال معاوية فيما يعلمه أهل الحفظ للاحاديث عند كلام نصر بن الحجاج بن علاط السلمى ومن كان معه من موالى بنى المغيرة المخزوميين وارادتهم استلحاقه واثبات دعوته ، وقد أعد لهم معاوية حجرا تحت بعض فرشه فالقاه اليهم ، فقالوا له : نسوغ لك مافعلت فى زياد ، ولاتسوغ لنا مافعلنا فى صاحبنا ، فقال : قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خير لكم من قضاء معاوية . فخالف معاوية بقضائه فى زياد واستلحاقه اياه وماصنع فيه وإقدم عليه ، أمر الله جل وعز وقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتبع فى ذلك هواه رغبة عن الحق ومجانبة له ، وقد قال الله عز وجل : {ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لايهدى القوم الظالمين} ، وقال لداود صلى الله عليه وسلم وقد آتاه الحكم والنبوة والمال والخلافة : {ياداود انا جعلناك خليفة فى الأرض ...} الآية الى آخرها .

فأمير المؤمنين يسال الله أن يعصم له نفسه ودينه ، وأن يعيذه من غلبة الهوى ويوفقه فى جميع الأمور لما يحب ويرضى ، انه سميع قريب .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يرد زيادا ومن كان من ولده الى أمهم ونسبهم المعروف ويلحقهم بابيهم عبيد ، وأمهم

سمية ، ويحتج فى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمع عليه الصالحون وأئمة الهدى ، ولايجيز لمعاوية ما اقدم عليه مما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكان امير المؤمنين أحق من أخذ بذلك وعمل به لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتباعه آثاره واحيائه سنته ، وابطاله سنن غيره الزائغة الجائرة عن الحق والهدى ، وقد قال الله جل وعز : {فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون} .

فاعلم أن ذلك من رأى أمير المؤمنين فى زياد ، وماكان من ولد زياد فالحقهم بأبيهم زياد بن عبيد ، وأمهم سمية ، واحملهم عليه ، وأظهره لمن قبلك من المسلمين حتى يعرفوه ويستقيم فيهم ، فان أمير المؤمنين قد كتب الى قاضى البصرة وصاحب ديوانهم بذلك .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب معاوية بن عبيد الله فى سنة تسع وخمسين ومائة ".

(الطبرى : تاريخ ٨/١٣٠-١٣٢)

ملحق رقم (٤)

مشاورة المهدى لأهل بيته في حرب خراسان

"هذا ماتراجع فيه المهدى ووزراؤه ، ومادار بينهم من تدبير الرأى فى حرب خراسان ، أيام تحاملت عليهم العمال وأعنفت ، فحملتهم الدالة وماتقدم لهم من المكانة على أن نكثوا بيعتهم ، ونقضوا موثقهم ، وطردوا العمال ، والتووا بما عليهم من الخراج ، وحمل المهدى مايحب من مصلحتهم ويكره من عنتهم على أن أقال عثرتهم ، واغتفر زلتهم ، واحتمل دالتهم ، تطولا بالفضل ، واتساعا بالعفو ، وأخذا بالحجة ، ورفقا بالسياسة ، ولذلك لم يزل مذ حمله الله أعباء الخلافة ، وقلده أمور الرعية ، رفيقا بمدار سلطانه ، بصيرا بأهل زمانه ، باسطا للمعدلة فى رعيته ، تسكن الى كنفه ، وتأنس بعفوه ، وتثق بحلمه ، فاذا وقعت الأقضية اللازمة ، والحقوق الواجبة ، فليس عنده هوادة ولااغضاء ولامداهنة ، أثرة للحق ، وقياما بالعدل ، وأخذا بالحزم . فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمه ، والثقة بعفوه ، أن كسروا الخراج ، وطردوا العمال ، وسألوا ماليس لهم من الحق ، ثم خلطوا احتجاجا باعتذار ، وخصومة باقرار ، وتنصلا باعتلال ، فلما انتهى ذلك الى المهدى ، خرج الى مجلس خلائه ، وبعث الى نفر من لحمته ووزرائه ، فأعلمهم الحال ، واستنصحهم للرعية ، ثم أمر الموالى بالابتداء ، وقال للعباس بن محمد أى عم ، تعقب قولنا ، وكن حكما بيننا . وأرسل الى ولديه موسى وهارون فأحضرهما الأمر ، وشاركهما فى الرأى . وأمر

محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم واثبات مقالتهم فى كتاب .

فقال سلام صاحب دار المظالم : أيها المهدى ، ان فى كل أمر غاية ، ولكل قوم صناعة ، استفرغت رأيهم ، واستغرقت اشغالهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها وذهبت بهم ، وعرفوا بها وعرفت بهم ، ولهذه الامور التى جعلتنا فيها غاية وطلبت معونتنا عليها : أقوام من أبناء الحرب ، وساسة الامور ، وقادة الجنود ، وفرسان الهزاهز ، واخوان التجارب وأبطال الوقائع ، الذين رشحتهم سجالها ، وفيأتهم ظلالها ، وعضتهم شدائدها ، وقرمتهم نواجذها ، فلو عجمت ماقبلهم ، وكشفت ماعندهم ، لوجدت نظائر تؤيد أمرك ، وتجارب توافق نظرك ، وأحاديث تقوى قلبك . فأمانحن معاشر عمالك ، وأصحاب دواوينك ، فحسن بنا وكثير منا أن نقوم بثقل ماحملتنا من عملك ، واستودعتنا من أمانتك ، وشغلتنا به من امضاء عدلك وانفاذ حكمك ، واظهار حقك .

فأجابه المهدى : ان فى كل قوم حكمة ، ولكل زمان سياسة ، وفى كل حال تدبير يبطل الآخر الاول ، ونحن أعلم بزماننا وتدبير سلطاننا .

قال : نعم أيها المهدى ، أنت متسع الرأى ، وثيق العقدة قوى المنة ، بليغ الفطنة ، معصوم النية ، محضور الروية ، مؤيد البديهة ، موفق العزيمة ، معان بالظفر ، مهدى الى الخير ، ان هممت ففى عزمك مواقع الظن ، وان أجمعت صدع فعلك ملتبس الشك ، فاعزم يهد الله الى الصواب قلبك ، وقل ينطق الله بالحق لسانك ، فان جنودك جمة ، وخزائنك عامرة ، ونفسك سخية ، وأمرك نافذ .

فاجابه المهدى : ان المشاورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة ، لايهلك عليهما راى ، ولايتخيل معهما حزم ، فاشيروا برأيكم ، وقولوا بما حضركم ، فانى من ورائكم ، وتوفيق الله من وراء ذلك .

قال الربيع : أيها المهدى ، ان تصاريف وجوه الرأى كثيرة ، وان الاشارة ببعض معاريض القول يسيرة ، ولكن خراسان أرض بعيدة المسافة ، مترامية الشقة ، متفاوتة السبل ، فاذا ارتأيت من محكم التدبير ، ومبرم التقدير ، ولباب الصواب . رأيا قد أحكمه نظرك ، وقلبه تدبيرك ، فليس وراءه مذهب لحجة طاعن ، ولادونه متعلق لخصومة عائب ، ثم خبت البرد به ، وانطوت الرسل عليه . كان بالحرى ألا يصل اليهم محكمه الا وقد حدث منهمماينقضه ، فما أيسر أن ترجع اليك الرسل وترد عليك الكتب بحقائق أخبارهم ، وشوارد آثارهم ، ومصادر أمورهم ، فتحدث رأيا غيره ، وتبتدع تدبيرا سواه ، وقد انفرجت الحلق ، وتحللت العقد ، واسترخى الحقاب ، وامتد الزمان . ثم لعلما موقع الآخرة كمصدر الأولى ولكن الرأى لك أيها المهدى وفقك الله ، أن تصرف اجالة النظر ، وتقليب الفكر فيما جمعتنا له واستشرتنا فيه من التدبير لحربهم والحيل فى أمرهم ، الى الطلب لرجل ذى دين فاضل ، وعقل كامل ، وورع واسع ، ليس موصوفا بهوى فى سواك ولامتهما فى أثرة عليك ، ولاظنينا على دخلة مكروهة ، ولامنسوبا الى بدعة محذورة ، فيقدح فى ملكك ، ويربض الأمور لغيرك ، ثم تسند اليه أمورهم ، وتفوض اليه حربهم ، وتامره فى عهدك ووصيتك اياه بلزوم أمرك مالزمه الحزم ، وخلاف نهيك

اذا خالفه الرأى ، عند استحالة الأمور واستدارة الأحوال ، التى ينقص أمر الغائب عنها ، ويثبت رأى الشاهد لها ، فانه اذا فعل ذلك فواتت أمرهم من قريب ، وسقط عنه ماياتى من بعيد ، تمت الحيلة ، وقويت المكيدة ، ونفذ العمل ، وأحد النظر ان شاء الله .

قال الفضل بن العباس : أيها المهدى ، ان ولى الأمور وسائس الحروب ، ربما نحى جنوده ، وفرق أمواله ، فىغير ماضيق أمر حزبه . ولاضغطة حال اضطرته ، فيقعد عند الحاجة اليها وبعد التفرقة لها عديما منها ، فاقدا لها ، لايثق بقوة ، ولايصول بعدة ، ولايفزع الى ثقة . فالرأى لك أيها المهدى وفقك الله ، أن تعفى خزائنك من الانفاق للأموال ، وجنودك من مكابدة الاسفار ، ومقارعة الاخطار وتغرير القتال ولاتسرع للقوم فى الاجابة الى مايطلبون ، والاعطاء لما يسألون ، فيفسد عليك أدبهم ، وتجرىء من رعيتك غيرهم ، ولكن اغزهم بالحيلة ، وقاتلهم بالمكيدة ، وصارعهم باللين وخاتلهم بالرفق ، وأبرق لهم بالقول ، وأرعد نحوهم بالفعل وابعث البعوث ، وجند الجنود وكتب الكتائب ، واعقد الألوية وانصب الرايات ، وأظهر انك موجه اليهم الجيوش مع أحنق قوادك عليهم ، وأسوئهم أثرا فيهم ، ثم ادسس الرسل ، وابثث الكتب ، وضع بعضهم على طمع من وعدك ، وبعضا على خوف من وعيدك ، وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم ، واغرس أشجار التنافس بينهم ، حتى تملأ القلوب من الوحشة ، وتنطوى الصدور على البغضة ، ويدخل كلا من كل الحذر والهيبة ، فان

مرام الظفر بالغيلة ، والقتال بالحيلة ، والمناصبة بالكتب والمكايدة بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل فى القلوب ، القوى الموقع من النفوس ، المعقود بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبنى على اللين ، الذى يستميل القلوب ويسترق العقول ، ويسبى الآراء ، ويستميل الأهواء ، ويستدعى المواتاة – أنفذ من القتال بظبات السيوف وأسنة الرماح ، كما أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوه بالمكايدة ، أحكم عملا والطف نظرا وأحسن سياسة من الذى لاينال ذلك الا بالقتال ، والاتلاف للأموال ، والتغرير والخطار .

وليعلم المهدى – وفقه الله – أنه ان وجه لقتالهم رجلا لم يسر لقتالهم الا بجنود كثيفة تخرج على حال شديدة ، وتقدم على أسفار ضيقة ، وأهوال متفرقة ، وقواد غششة ، ان ائتمنهم استنفدوا ماله ، وان استنصحهم كانوا عليه لاله .

قال المهدى : هذا رأى قد أسفر نوره ، وبرق ضوؤه ، وتمثل صوابه للعيون ، وتجسد حقه فى القلوب ، ولكن فوق كل ذى علم عليم .

ثم نظر الى ابنه على فقال : ماتقول ؟

قال على : أيها المهدى ، ان أهل خراسان لم يخلعوا من طاعتك يدا ، ولم ينصبوا من دونك أحدا يكدح فى تغيير ملكك ، ويربض الأمور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطب أيسر ، والشأن أصغر ، والحال أذل ، لأن الله مع حقه الذى لايخذله ، وعند موعده الذى لايخلفه ، ولكنهم قوم من رعيتك ، وطائفة من شيعتك ، الذين جعلك الله عليهم واليا ، وجعل

العدل بينك وبينهم حاكما ، طلبوا حقا ، وسالوا انصافا ، فان أجبت الى دعوتهم ، ونفست عنهم قبل أن تتلاحم منهم حال أو يحدث من عندهم فتق ، أطعت أمر الرب ، وأطفات ثائرة الحرب ، ووفرت خزائن المال ، وطرحت تغرير القتال ، وحمل الناس محمل ذلك على طبيعة جودك وسجية حلمك ، واسجاع خليقتك ، ومعدلة نظرك ، فامنت أن تنسب الى ضعفة ، وأن يكون ذلك لهم فيما بقى دربة . وان منعتهم ماطلبوا ، ولم تجبهم الى ماسالوا ، اعتدلت بك وبهم الحال ، وساويتهم فى ميدان الخطاب . فما أرب المهدى أن يعمد الى طائفة من رعيته ، مقرين بمملكته ، مذعنين لطاعته ، لايخرجون أنفسهم عن قدرته ، ولايبرئونها من عبوديته ، فيملكهم أنفسهم ، ويخلع نفسه عنهم ، ويقف على الجدل معهم ، ثم يجازيهم السوء فى جد المقارعة ، ومضمار المخاطرة ؟ أيريد المهدى ـ وفقه الله ـ الأموال ؟ فلعمرى لاينالها ولايظفر بها الا بانفاق أكثر مما يطلب منهم ، وأضعاف مايدعى قبلهم ، ولو نالها فحملت اليه ، أو وضعت بخرائطها بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها ، وطال عليهم بها ، لكان مما اليه ينسب وبه يعرف من الجود الذى طبعه الله عليه ، وجعل قرة عينه ونهمة نفسه فيه . فان قال المهدى : هذا رأى مستقيم سديد فى أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا وتحامل ولاتنا ، فأما الجنود الذين نقضوا مواثيق العهود ، وأنطقوا لسان الارجاف ، وفتحوا باب المعصية ، وكسروا قيد الفتنة ، فقد ينبغى لهم أن أجعلهم نكالا لغيرهم ، وعظة لسواهم ، فيعلم المهدى أنه لو أتى بهم مغلولين فى الحديد ، مقرنين فى الأصفاد ، ثم

اتسع لحقن دمائهم عفوه ، ولاقالة عثرتهم صفحه ، واستبقاهم لما هم فيه من حربه ، أو لمن بازائهم من عدوه ، لما كان بدعا من رأيه ، ولامستنكرا من نظره . لقد علمت العرب أنه أعظم الخلفاء والملوك عفوا ، وأشدها وقعا ، وأصدقها صولة وأنه لايتعاظمه عفو ، ولايتكاءده صفح ، وان عظم الذنب وجل الخطب . فالرأى للمهدى ـ وفقه الله تعالى ـ أن يحل عقدة الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم ، وأن يذكر أولى حالاتهم وضيعة عيالاتهم ، برا بهم ، وتوسعا لهم ، فانهم اخوان دولته ، وأركان دعوته ، وأساس حقه ، الذين بعزتهم يصول ، وبحجتهم يقول . وانما مثلهم فيما دخلوا فيه من مساخطه ، وتعرضوا له من معاصيه ، وانطووا فيه عن اجابته ، ومثله في قلة ماغير ذلك من رأيه فيهم ، أو نقل من حاله لهم ، أو تغير من نعمته بهم ـ كمثل رجلين أخوين متناصرين متوازرين ، أصاب أحدهما خبل عارض ، ولهو حادث ، فنهض الى أخيه بالاذى ، وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزدد أخوه الا رقة له ، ولطفا به ، واحتيالا لمداواة مرضه ، ومراجعة حاله ، عطفا عليه ، وبرا به ، ومرحمة له .

فقال المهدى : أما على فقد نوى سمت الليان ، وفض القلوب عن أهل خراسان ، ولكل نبا مستقر وسوف تعلمون . ثم قال : ماترى ياأبا محمد ؟ يعنى موسى ابنه .

فقال موسى : أيها المهدى ، لاتسكن الى حلاوة مايجرى من القول على ألسنتهم ، وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم . والحال من القوم تنادى بمضمرة شر ، وخفية حقد ، قد جعلوا المعاذير عليها سترا ، واتخذوا العلل من دونها حجابا ،

رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير ، والأمور بالتطويل ، فيكسروا حيل المهدي فيهم ، ويثنوا جنوده عنهم ، حتى يتلاحم أمرهم ، وتتلاحق مادتهم ، وتستفحل حربهم ، وتستمر الأمور بهم ، والمهدي من قوتهم في حال غرة ، ولباس أمنة ، قد فتر لها ، وأنس بها ، وسكن اليها . ولولا ما اجتمعت له قلوبهم ، وبردت عليه جلودهم ، من المناصبة بالقتال ، والاضمار للقراع ، عن داعية ضلال أو شيطان فساد ، لرهبوا عواقب أحوال الولاة ، وغب سكون الأمور . فليشدد المهدي — وفقه الله — أزره لهم ، ويكتب كتائبه نحوهم ، وليضع الأمر على أشد مايحضره فيهم ، وليوقن أنه لايعطيهم خطة يريد بها صلاحهم الا كانت دربة لفسادهم ، وقوة على معصيتهم ، وداعية الى عودتهم ، وسببا لفساد من بحضرته من الجنود ، ومن ببابه من الوفود الذين ان أقرهم على تلك العادة ، وأجراهم على ذلك الادب لم يبرح في فتق حادث ، وخلاف حاضر ، لايصلح عليه دين ، ولاتستقيم به دنيا . وان طلب تغييره بعد استحكام العادة ، واستمرار الدربة ، لم يصل الى ذلك بالعقوبة المفرطة ، والمئونة الشديدة ، والرأى للمهدي — وفقه الله — ألا يقيل عثرتهم ، ولايقبل معذرتهم ، حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ، ويستحر بهم القتل ، ويحدق بهم الموت ، ويحيط بهم البلاء ، ويطبق عليهم الذل . فان فعل المهدي بهم ذلك كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل بادرة شر منهم . واحتمال المهدي مؤونة غزوتهم هذه يضع عنه غزوات كثيرة ، ونفقات عظيمة .

قال المهدي : قد قال القوم فاحكم ياأبا الفضل .

فقال العباس بن محمد : أيها المهدى ، أما الموالى فأخذوا بفروع الرأى ، وسلكوا جنبات الصواب ،وتعدوا أمورا قصر بنظرهم عنها أنه لم تأت تجاربهم عليها .

وأما الفضل فأشار بالاموال الا تنفق ، والجنود الا تفرق وبأن لايعطى القوم ماطلبوا ، ولايبذل لهم ماسألوا ، وجاء بأمر بين ذلك ، استصغارا لأمرهم واستهانة بحربهم ، وانما يهيج جسيمات الامور صغارها .

وأما على فأشار باللين وافراط الرفق . واذا جرد الوالى لمن غمط أمره وسفه حقه ، اللين بحتا ، والخير محضا لم يخلطهما بشدة تعطف القلوب على لينه ، ولابشر يحيشهم الى خيره ، فقد ملكهم الخلع لعذرهم ووسع لهم الفرجة لثنى أعناقهم ، فان أجابوا دعوته ، وقبلوا لينه من غير ماخوف اضطرهم ، ولاشدة حال أخرجتهم ، لم يزل ذلك يهيج عزة فى نفوسهم ، ونزوة فى رءوسهم ، يستدعون بها البلاء الى أنفسهم ويصرفون بها رأى المهدى فيهم . وان لم يقبلوا دعوته ، ويسرعوا لاجابته باللين المحض والخير الصراح ، فذلك ماعليه الظن بهم ، والرأى فيهم ، وماقد يشبه أن يكون من مثلهم ، لأن الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم والملك الكبير مالايخطر على قلب بشر ، ولاتدركه الفكر ، ولاتعلمه نفس ، ثم دعا الناس اليها ورغبهم فيها ، فلولا أنه خلق نارا جعلها لهم رحمة يسوقهم بها الى الجنة ، لما أجابوا ولاقبلوا .

وأما موسى فأشار بأن يعصبوا بشدة لالين فيها ، وأن يرموا بشر لاخير معه . واذا أضمر الوالى لمن فارق طاعته

وخالف جماعته ، الخوف مفردا والشر مجردا ، ليس معهما طمع يكسرهم ، ولالين يثنيهم ، امتدت الأمور بهم ، وانقطعت الحال منهم الى أحد أمرين : اما أن تدخلهم الحمية من الشدة ، والأنفة من الذلة ، والامتعاض من القهر ، فيدعوهم ذلك الى التمادى فى الخلاف ، والاستبسال فى القتال ، والاستسلام للموت واما أن ينقادوا بالكره ، ويذعنوا بالقهر ، على بغضة لازمة وعداوة باقية ، تورث النفاق ، وتعقب الشقاق ، فاذا أمكنتهم فرصة ، أو ثابت لهم قدرة ، أو قويت لهم حال ، عاد أمرهم الى أصعب وأغلظ وأشد مما كان .

وقال : فى قول الفضل أيها المهدى ، أكفى دليل ، وأوضح برهان ، وأبين خبر بان . قد اجتمع رأيه ، وحزم نظره على الارشاد ببعثة الجيوش اليهم ، وتوجيه البعوث نحوهم ، مع اعطائهم ماسألوا من الحق ، واجابتهم الى ماسألوه من العدل .

قال المهدى : ذلك رأى .

قال هارون : خلطت الشدة أيها المهدى باللين ، فصارت الشدة أمر فطام لما تكره ، وعاد اللين أهدى قائد الى ماتحب ، ولكن أرى غير ذلك .

قال المهدى : لقد قلت قولا بديعا ، وخالفت به أهل بيتك جميعا ، والمرء متهم بما قال ، وظنين بما ادعى ، حتى يأتى ببينة عادلة ، وحجة ظاهرة ، فأخرج عما قلت .

قال هارون : أيها المهدى ، ان الحرب خدعة ، والأعاجم قوم مكرة ، وربما اعتدلت الحال بهم ، واتفقت الأهواء منهم فكان باطن مايسرون على ظاهر مايعلنون ، وربما افترقت

الحالان ، وخالف القلب اللسان ، فانطوى القلب على محجوبة تبطن ، واستسر بمدخولة لاتعلن ، والطبيب الرفيق بطبه ، البصير بأمره ، العالم بمقدم يده ، وموضع ميسمه ، لايتعجل بالدواء حتى يقع على معرفة الداء ، فالرأى للمهدى – وفقه الله – أن يفر باطن أمرهم فر المسنة ، ويمخض ظاهر حالهم مخض السقاء ، بمتابعة الكتب ، ومظاهرة الرسل ، وموالاة العيون ، حتى تهتك حجب غيوبهم ، وتكشف أغطية أمورهم ، فان انفرجت الحال له وأفضت الأمور به الى تغيير حال أو داعية ضلال ، اشتملت الأهواء عليه ، وانقاد الرجال اليه ، وامتدت الأعناق نحوه ، بدين يعتقدونه . واثم يستحلونه ، عصبهم بشدة . لالين فيها ، ورماهم بعقوبة لاعفو معها ، وان انفرجت الغيوب ، واهتصرت الستور ، ورفعت الحجب ، والحال فيهم مريعة ، والأمور بهم معتدلة ، عن أرزاق يطلبونها ، وأعمال ينكرونها ، وظلامات يدعونها ، وحقوق يسالونها ، بماتة سابقتهم ، ودالة مناصحتهم . فالرأى للمهدى – وفقه الله – أن يتسع لهم بما طلبوا ، ويتجافى لهم عما كرهوا ، ويشعب من أمرهم ماصدعوا ، ويرتق من فتقهم مافتقوا ، ويولى عليهم من أحبوا ، ويداوى بذلك مرض قلوبهم ، وفساد أمورهم فانما المهدى وأمته وسواد أهل مملكته بمنزلة الطبيب الرفيق ، والوالد الشفيق ، والراعى الحدب ، الذى يحتال لمرابض غنمه ، وضوال رعيته ، حتى يبرىء المريضة من داء علتها ، ويرد الضالة الى أنس جماعتها . ثم ان خراسان بخاصة لهم دالة محمولة ، وماتة مقبولة ، ووسيلة معروفة ، وحقوق واجبة ، لأنهم أيدى دولته ، وسيوف دعوته ، وأنصار

حقه ، وأعوان عدله . فليس من شأن المهدى الاضطغان عليهم ، ولاالمؤاخذة لهم ، ولاالتوعر بهم ، ولاالمكافاة باساءتهم ، لان مبادرة حسم الامور ضعيفة قبل أن تقوى ، ومحاولة قطع الاصول ضئيلة قبل أن تغلظ ، أحزم فى الرأى وأصح فى التدبير من التأخير لها والتهاون بها ، حتى يلتئم قليلها بكثيرها وتجتمع أطرافها الى جمهورها .

قال المهدى : مازال هارون يقع وقع الحيا ، حتى خرج خروج القدح مما قال ، وانسل انسلال السيف فيما ادعى ، فدعوا ماقد سبق موسى فيه أنه هو الرأى ، وثنى بعده هارون ولكن من لاعنة الخيل ، وسياسة الحرب ، وقيادة الناس ، ان أمعن بهم اللجاج ، وأفرطت بهم الدالة ؟

قال صالح : لسنا نبلغ أيها المهدى بدوام البحث وطول الفكر أدنى فراسة رأيك ، وبعض لحظات نظرك ، وليس ينفض عنك من بيوتات العرب ورجالات العجم ، ذو دين فاضل ورأى كامل ، وتدبير قوى ، تقلده حربك ، وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الامانة العظيمة ، ويضطلع بالاعباء الثقيلة ، وأنت بحمد الله ميمون النقيبة ، مبارك العزيمة ، مخبور التجارب ، محمود العواقب ، معصوم العزم ، فليس يقع اختيارك ولايقف نظرك على أحد توليه أمرك وتسند اليه ثغرك الا أراك الله ماتحب ، وجمع لك منه ماتريد .

قال المهدى : انى لأرجو ذلك ، لقديم عادة الله فيه ، وحسن معونته عليه ، ولكن أحب الموافقة على الرأى ، والاعتبار للمشاورة فى الأمر المهم .

قال محمد بن الليث : أهل خراسان — أيها المهدى — قوم

ذوو عزة ومنعة ، وشياطين خدعة زروع الحمية فيهم نابتة ، وملابس الانفة عليهم ظاهرة ، فالروية عنهم عازبة ، والعجلة فيهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطرهم ، وسيوفهم عذلهم ، لأنهم بين سفلة لايعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم ، وبين رؤساء لايلجمون الا بشدة ولايفطمون الا بالقهر ، وان ولى المهدى عليهم وضيعا لم تنقد له العظماء ، وان ولى أمرهم شريفا تحامل على الضعفاء . وان أخر المهدى أمرهم ودافع حربهم حتى يصيب لنفسه من حشمه ومواليه ، او بنى عمه أو بنى أبيه ناصحا يتفق عليه أمرهم ، وثقة تجتمع له أملاؤهم ، بلا أنفة تلزمهم ، ولاحمية تدخلهم ، ولاعصبية تنفرهم ، تنفست الأيام بهم ، وتراخت الحال بامرهم ، فدخل بذلك من الفساد الكبير والضياع العظيم مالايتلافاه صاحب هذه الصفة وان جد ولايستصلحه وان جهد ، الا بعد دهر طويل ، وشر كبير . وليس المهدى ــ وفقه الله ــ فاطما عاداتهم ولاقارعا صفاتهم بمثل أحد رجلين لاثالث لهما ، ولاعدل فى ذلك بهما : أحدهما لسان ناطق موصول بسمعك ، ويد ممثلة لعينك ، وصخرة لاتزعزع ، وبهمة لاينثنى ، وبازل لايفزعه صوت الجلجل ، نقى العرض ، نزيه النفس ، جليل الخطر ، قد اتضعت الدنيا عن قدره ، وسما نحو الآخرة بهمته ، فجعل الغرض الاقصى لعينه نصبا ، والغرض الأدنى لقدمه موطئا ، فليس يغفل عملا ، ولايتعدى أملا وهو رأس مواليك ، وأنصح بنى أبيك رجل قد غذى بلطيف كرامتك ونبت فى ظل دولتك ، ونشأ على قويم أدبك ، فان قلدته أمرهم وحملته ثقلهم ، وأسندت اليه ثغرهم : كان قفلا فتحه أمرك ، وبابا اغلقه نهيك ، فجعل العدل عليه وعليهم أميرا ،

والانصاف بينه وبينهم حاكما . واذا حكم النصفة وسلك المعدلة فاعطاهم مالهم واخذ منهم ماعليهم ، غرس لك فى الذى بين صدورهم ، وأسكن لك فى السويداء داخل قلوبهم طاعة راسخة العروق ، باسقة الفروع ، متمثلة فى حواشى عوامهم ، متمكنة من قلوب خواصهم ، فلايبقى فيهم ريب الا نفوه ، ولايلزمهم حق الا أدوه ، وهذا أحدهما .

والآخر عود من غيضتك ، ونبعة من أرومتك ، فتى السن ، كهل الحلم ، راجح العقل ، محمود الصرامة ، مأمون الخلاف ، يجرد فيهم سيفه ، ويبسط عليهم خيره بقدر مايستحقون ، وعلى حسب مايستوجبون ، وهو فلان أيها المهدى ، فسلطه - أعزك الله - عليهم ، ووجهه بالجيوش اليهم ، ولاتمنعك ضراعة سنه وحداثة مولده ، فان الحلم والثقة مع الحداثة خير من الشك والجهل مع الكهولة ، وانما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه واختصكم به من مكارم الأخلاق ، ومحامد الفعال ، ومحاسن الامور ، وصواب التدبير ، وصرامة الأنفس ، كفراخ عتاق الطير المحكمة لأخذ الصيد بلاتدريب ، والعارفة لوجوه النفع بلاتأديب ، فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود والتؤدة والرفق ثابت فى صدوركم ، مزروع فى قلوبكم ، مستحكم لكم ، متكامل عندكم ، بطبائع لازمة ، وغرائز ثابتة .

قال معاوية بن عبد الله : أفتاء أهل بيتك أيها المهدى فى الحلم على ماذكر ، وأهل خراسان فى حال عز على ماوصف . ولكن ان ولى المهدى عليهم رجلا ليس بقديم الذكر فى الجنود ، ولابنبيه الصوت فى الحروب ، ولابطويل التجربة

للأمور ، ولابمعروف السياسة للجيوش والهيبة فى الأعداء ، دخل من ذلك أمران عظيمان ، وخطران مهولان : أحدهما أن الأعداء يغتمزونها منه ، ويحتقرونها فيه ، ويجترءون بها عليه فى النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه ، قبل الاختبار لأمره ، والتكشف لحاله ، والعلم بطباعه . والأمر الآخر أن الجنود التى يقود ، والجيوش التى يسوس ، اذا لم يختبروا منه البأس والنجدة ، ولم يعرفوه بالصوت والهيبة ، انكسرت شجاعتهم ، وماتت نجدتهم ، واستأخرت طاعتهم الى حين اختبارهم ووقوع معرفتهم . وربما وقع البوار قبل الاختبار . وبباب المهدى ـ وفقه الله ـ رجل مهيب نبيه حنيك ميت ، له نسب زاك وصوت عال ، قد قاد الجيوش ، وساس الحروب ، وتألف أهل خراسان واجتمعوا عليه بالمقة ، ووثقوا به كل الثقة ، فلو ولاه المهدى أمرهم لكفاه الله شرهم .

قال المهدى : جانبت قصد الرمية ، وأبيت الا عصبية ، اذ رأى الحدث من أهل بيتنا كرأى عشرة حلماء من غيرنا ، ولكن أين تركتم ولى العهد ؟

قالوا : لم يمنعنا من ذكره الا كونه شبيه جده ، ونسيج وحده ، ومن الدين وأهله بحيث يقصر القول عن أدنى فضله ، ولكن وجدنا الله عز وجل قد حجب عن خلقه ، وستر من دون عباده ، علم ماتختلف به الأيام ، ومعرفة ماتجرى به المقادير ، من حوادث الأمور وريب المنون ، المخترمة لخوالى القرون ومواضى الملوك ، فكرهنا شسوعه عن محلة الملك ، ودار السلطان ، ومقر الامامة والولاية ، وموضع المدائن والخزائن ، ومستقر الجنود ، وموضع الوجوه ، ومجمع الأموال

التى جعلها الله قطبا لمدار الملك ، ومصيدة لقلوب الناس ، ومثابة لاخوان الطمع ، وثوار الفتن ، ودواعى البدع ، وفرسان الضلال ، وأبناء المروق ، وقلنا : ان وجه المهدى ولى عهده فحدث فى جيوشه وجنوده ماقد حدث بجنود الرسل من قبله ، لم يستطع المهدى أن يعقبه بغيره ، الا أن ينهض اليهم بنفسه ، وهذا خطر عظيم ، وهول شديد ، وان تنفست الايام بمقامه ، واستدامت الحال بايامه ، حتى يقع عرض لايستغنى فيه ، أو يحدث أمر لابد فيه منه ، صار مابعده مما هو أعظم هولا واجل خطرا ، له تبعا وبه متصلا .

قال المهدى : الخطب أيسر مما تذهبون اليه ، وعلى غير ماتصفون الامر عليه ، نحن أهل البيت . نجرى من أسباب القضايا ومواقع الامور على سابق من العلم ، ومحتوم من الامر قد انبات به الكتب ، وتتابعت عليه الرسل ، وقد تناهى ذلك باجمعه الينا ، وتكامل بحذافيره عندنا ، فبه ندبر ، وعلى الله نتوكل ، انه لابد لولى عهدى — وولى عهدى عقبى بعدى — أن يقود الى خراسان البعوث ، ويتوجه نحوها بالجنود .

أما الاول فانه يقدم اليهم رسله ، ويعمل فيهم حيله ، ثم يخرج نشطا اليهم ، حنقا عليهم ، يريد ألا يدع أحدا من اخوان الفتن ، ودواعى البدع ، وفرسان الضلال ، الا توطئه بحر القتل ، وألبسه قناع القهر ، وطوقه طوق الذل . ولا أحدا من الذين عملوا فى قص جناح الفتنة ، واخماد نار البدعة ، ونصرة ولاة الحق ، الا أجرى عليهم ديم فضله ، وجداول بذله ، فاذا خرج مزمعا به مجمعا عليه ، لم يسر الا قليلا حتى يأتيه أن قد عملت حيله ، وكدحت كتبه ، ونفذت مكايده ، فهدأت

نافرة القلوب ، ووقعت طائرة الأهواء ، واجتمع عليه المختلفون بالرضا ، فيميل نظرا لهم وبرا بهم وتعطفا عليهم الى عدو قد أخاف سبيلهم ، وقطع طريقهم ، ومنع حجاجهم بيت الله الحرام ، وسلب تجارهم رزق الله الحلال .

وأما الآخر فانه يوجه اليهم من يعتقد له الحجة عليهم باعطاء مايطلبون ، وبذل مايسألون ، فاذا سمحت الفرق بقرانها له ، وجنح أهل النواحي بأعناقهم نحوه ، فاصفت اليه الأفئدة ، واجتمعت له الكلمة ، وقدمت عليه الوفود ، قصد لأول ناحية بخعت بطاعتها ، وألقت بأزمتها ، فالبسها جناح نعمته ، وأنزلها ظل كرامته ، وخصها بعظيم حبائه ، ثم عم الجماعة بالمعدلة ، وتعطف عليهم بالرحمة ، فلاتبقى فيهم ناحية دانية ، ولافرقة قاصية ، الا دخلت عليها بركته ، ووصلت اليها منفعته ، فاغنى فقيرها ، وجبر كسيرها ، ورفع وضيعها ، وزاد رفيعها ، ماخلا ناحيتين : ناحية يغلب عليهم الشقاء وتستميلهم الأهواء فتستخف بدعوته ، وتبطىء عن اجابته ، وتتثاقل عن حقه ، فتكون آخر من يبعث ، وأبطأ من يوجه ، فيضطمر عليها موجدة ، ويبتغي لها علة ، لايلبث أن يجدها بحق يلزمهم ، وأمر يجب عليهم ، فتستلحمهم الجيوش وتأكلهم السيوف ، ويستحر فيهم القتل ، ويحيط بهم الأسر ، ويفنيهم التتبع ، حتى يخرب البلاد ، ويؤتم الأولاد . وناحية لايبسط لهم أمانا ، ولايقبل لهم عهدا ، ولايجعل لهم ذمة ، لانهم أول من فتح باب الفرقة ، وتدرع جلباب الفتنة ، وربض في شق العصا . ولكنه يقتل أعلامهم ، ويأسر قوادهم ، ويطلب هرابهم في لجج البحار ، وقلل الجبال ، وخمر الأودية ،

وبطون الارض ، تقتيلا وتغليلا وتنكيلا ، حتى يدع الديار خرابا والنساء أيامى . وهذا أمر لانعرف له فى كتبنا وقتا ، ولانصحح منه غير ماقلنا تفسيرا .

وأما موسى ولى عهدى ، فهذا أوان توجهه الى خراسان ، وحلوله بجرجان ، وماقضى الله له من الشخوص اليها والمقام فيها ، خير للمسلمين مغبة ، وله باذن الله عاقبة ، من المقام بحيث يغمر فى لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع امواجنا ، فيتصاغر عظيم فضله ، ويتذأب مشرق نوره ، ويتقلل كثير ماهو كائن منه فمن يصحبه من الوزراء ومن يختار له من الناس ؟

قال محمد بن الليث : أيها المهدى ، ان ولى عهدك أصبح لأمتك وأهل ملتك علما قد تثنت نحوه أعناقها ، ومدت سمته أبصارها ، وقد كان لقرب داره منك ، ومحل جواره لك ، عطل الحال ، غفل الأمر ، واسع العذر ، فاما اذا انفرد بنفسه ، وخلا بنظره ، وصار الى تدبيره ، فان من شان العامة وأمراء الأمة أن تتفقد مخارج رأيه ، وتستنمت لمواقع آثاره ، وتسأل عن حوادث أحواله ، فى بره ومرحمته ، واقساطه ومعدلته ، وتدبيره وسياسته ، ووزرائه وأصحابه ، ثم يكون ماسيق اليهم أغلب الاشياء عليهم ، وأملك الأمور بهم ، وألزمها لقلوبهم ، وأشدها استمالة لرأيهم ، وعطفا لاهوائهم . فلايفتا المهدى ـ وفقه الله ـ ناظرا له فيما يقوى عمد مملكته ، ويسدد أركان ولايته ، ويستجمع رضا أمته ، بأمر هو أزين لحاله ، وأظهر لجماله ، وأفضل مغبة لامره ، وأجل موقعا فى قلوب رعيته ، واحمد حالا فى نفوس أهل ملته . ولاأوقع مع ذلك

باستجماع الأهواء له ، وأبلغ في استعطاف القلوب عليه ، من مرحمة تظهر من فعله ، ومعدلة تنتشر عن أثره ، ومحبة للخير وأهله ، وأن يختار المهدى - وفقه الله - من خيار أهل كل بلدة ، وفقهاء أهل كل مصر . أقواما تسكن العامة اليهم اذا ذكروا ، وتأنس الرعية بهم اذا وصفوا ، ثم تسهل لهم عمارة سبل الاحسان ، وفتح باب المعروف كما قد كان فتح له وسهل عليه .

قال المهدى : صدقت ونصحت . ثم بعث فى ابنه موسى ، فقال : أى بنى ، انك قد أصبحت لسمت عيون العامة نصبا ، ولمثنى أعطاف الرعية غاية ، فحسنتك شاملة ، واساءتك نامية وأمرك ظاهر . فعليك بتقوى الله وطاعته ، فاحتمل سخط الناس فيهما ، ولاتطلب رضاهم بخلافهما ، فان الله عز وجل كافيك من أسخطه عليك ايثارك رضاه ، وليس بكافيك من يسخطه عليك ايثارك رضا من سواه .

ثم اعلم أن لله تعالى فى كل زمان عترة من رسله ، وبقايا من صفوة خلقه ، وخبايا لنصرة حقه ، يجدد حبل الاسلام بدعواهم ويشيد أركان الدين بنصرتهم ، ويتخذهم لأولياء دينه أنصارا ، وعلى اقامة عدله أعوانا ، يسدون الخلل ، ويقيمون الميل ، ويدفعون عن الأرض الفساد ، وان أهل خراسان أصبحوا أيدى دولتنا ، وسيوف دعوتنا الذين نستدفع المكاره بطاعتهم ونصرف نزول العظائم بمناصحتهم ، وندافع ريب الزمان بعزائمهم ، ونزاحم ركن الدهر ببصائرهم . فهم عماد الأرض اذا أرجفت كنفها ، وحتوف الأعداء اذا أبرزت صفحتها ، وحصون الرعية اذا تضايقت الحال بها ، قد مضت لهم وقائع صادقات ،

ومواطن صالحات ، أخمدت نيران الفتن ، وقمعت دواعي البدع ، وأذلت رقاب الجبارين ، ولم ينفكوا كذلك ماجروا مع ريح دولتنا ، وأقاموا في ظل دعوتنا ، واعتمموا بحبل طاعتنا التي أعز الله بها ذلتهم ، ورفع بها ضعتهم ، وجعلهم بها أربابا في أقطار الأرضين ، وملوكا على رقاب العالمين ، بعد لباس الذل ، وقناع الخوف ، واطباق البلاء ، ومحالفة الأسى ، وجهد البأس والضر . فظاهر عليهم لباس كرامتك ، وأنزلهم في حدائق نعمتك . ثم اعرف لهم حق طاعتهم ، ووسيلة دالتهم ، وماتة سابقتهم ، وحرمة مناصحتهم ، بالاحسان اليهم ، والتوسعة عليهم ، والاثابة لمحسنهم ، والاقالة لمسيئهم .

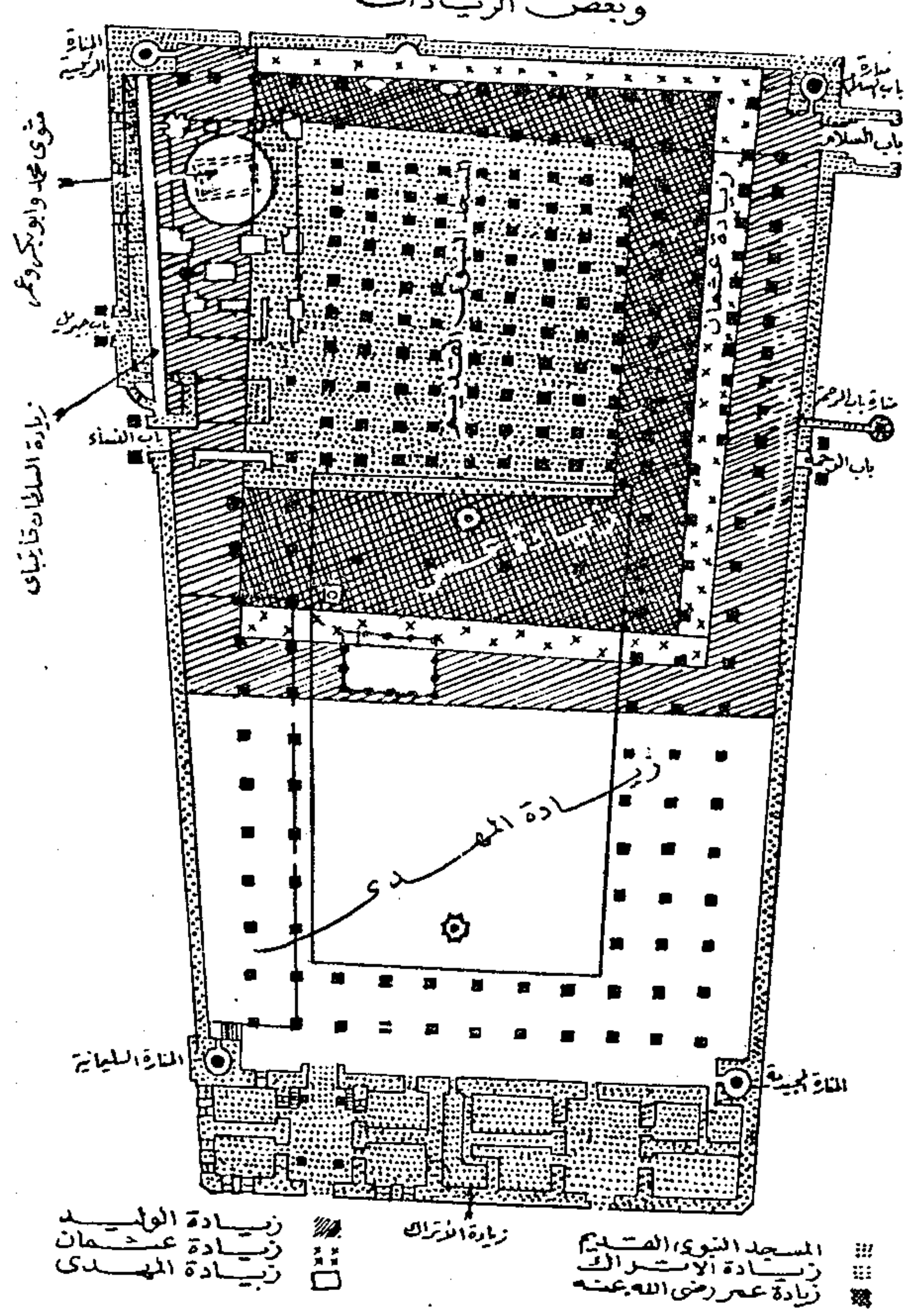
أي بني ، ثم عليك العامة ، فاستدع رضاها بالعدل عليها ، واستجلب مودتها بالانصاف لها ، وتحصن بذلك لربك ، وتزين به في عين رعيتك ، واجعل عمال القدر ، وولاة الحجج ، مقدمة بين يدي عملك ، ونصفة منك لرعيتك ، وذلك أن تامر قاضي كل بلد ، وخيار أهل كل مصر ، أن يختاروا لأنفسهم رجلا توليه أمرهم ، وتجعل العدل حاكما بينه وبينهم ، فان أحسن حمدت ، وان أساء عذرت . هؤلاء عمال القدر ، وولاة الحجج . فلايضيعن عليك مافي ذلك – اذا انتشر في الآفاق وسبق الى الأسماع – من انعقاد ألسنة المرجفين ، وكبت قلوب الحاسدين واطفاء نيران الحروب ، وسلامة عواقب الأمور ، ولاينفكن في ظل كرامتك نازلا ، وبعرا حبلك متعلقا ، رجلان : أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب ، وأعلام بيوتات الشرف ، له أدب فاضل وحلم راجح ، ودين صحيح ، والآخر له دين غير مغموز ، وموضع غير مدخول ، بصير بتقليب الكلام ، وتصريف الرأي ، وأنحاء

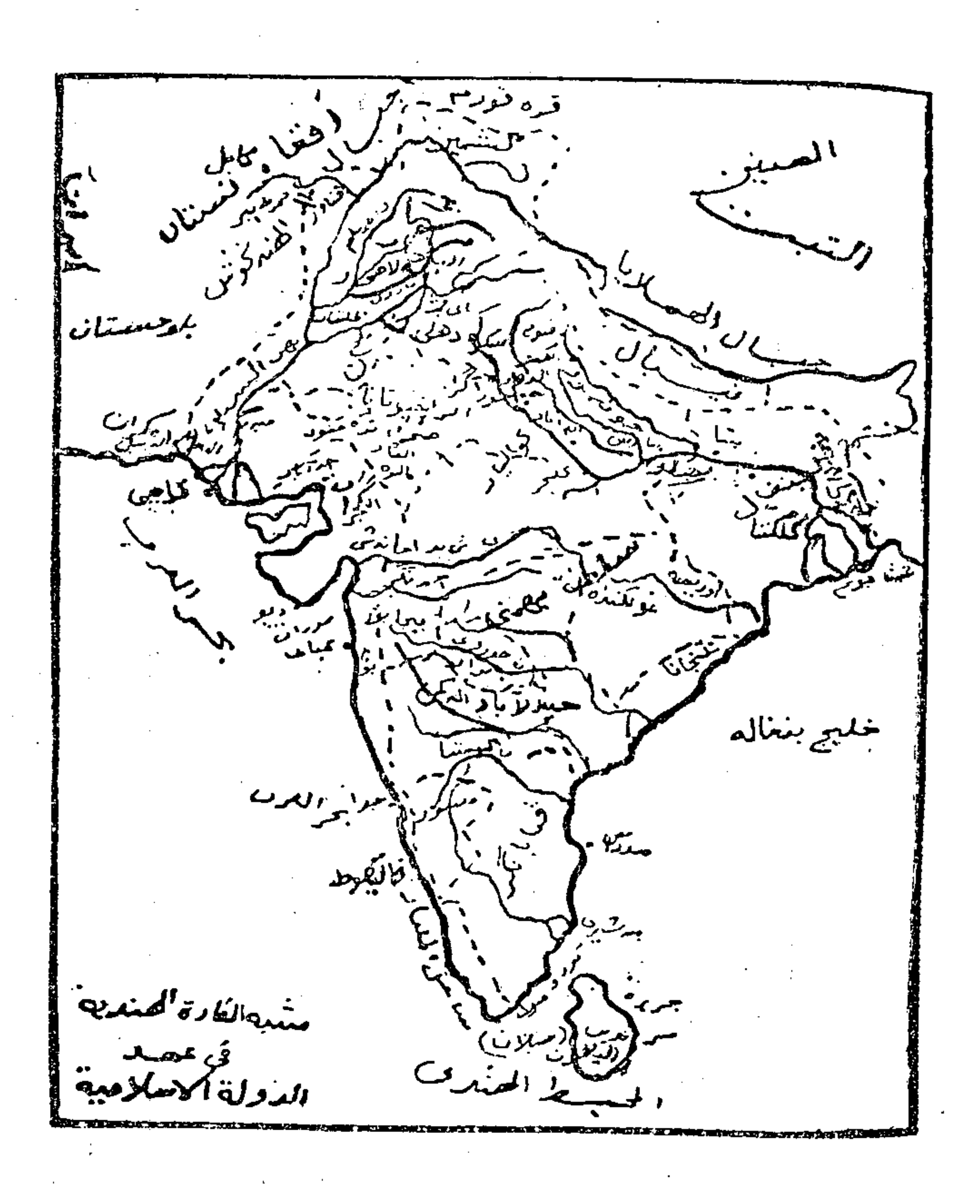
الادب ، ووضع الكتب ، عالم بحالات الحروب ، وتصاريف الخطوب يضع آدابا نافعة ، وآثارا باقية ، من تجميل محاسنك ، وتحسين أمرك ، وتحلية ذكرك . فتستشيره في حربك ، وتدخله في أمرك . فرجل أصبته كذلك فهو يأوي الى محلتي ، ويرعى في خضرة جناني ، ولاتدع أن تختار لك من فقهاء البلدان ، وخيار الامصار . أقواما يكونون جيرانك وسمارك ، وأهل مشاورتك فيما تورد ، وأصحاب مناظرتك فيما تصدر . فسر على بركة الله ، أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلا يهدي الى الصواب قلبك ، وهاديا ينطق بالخير لسانك" .

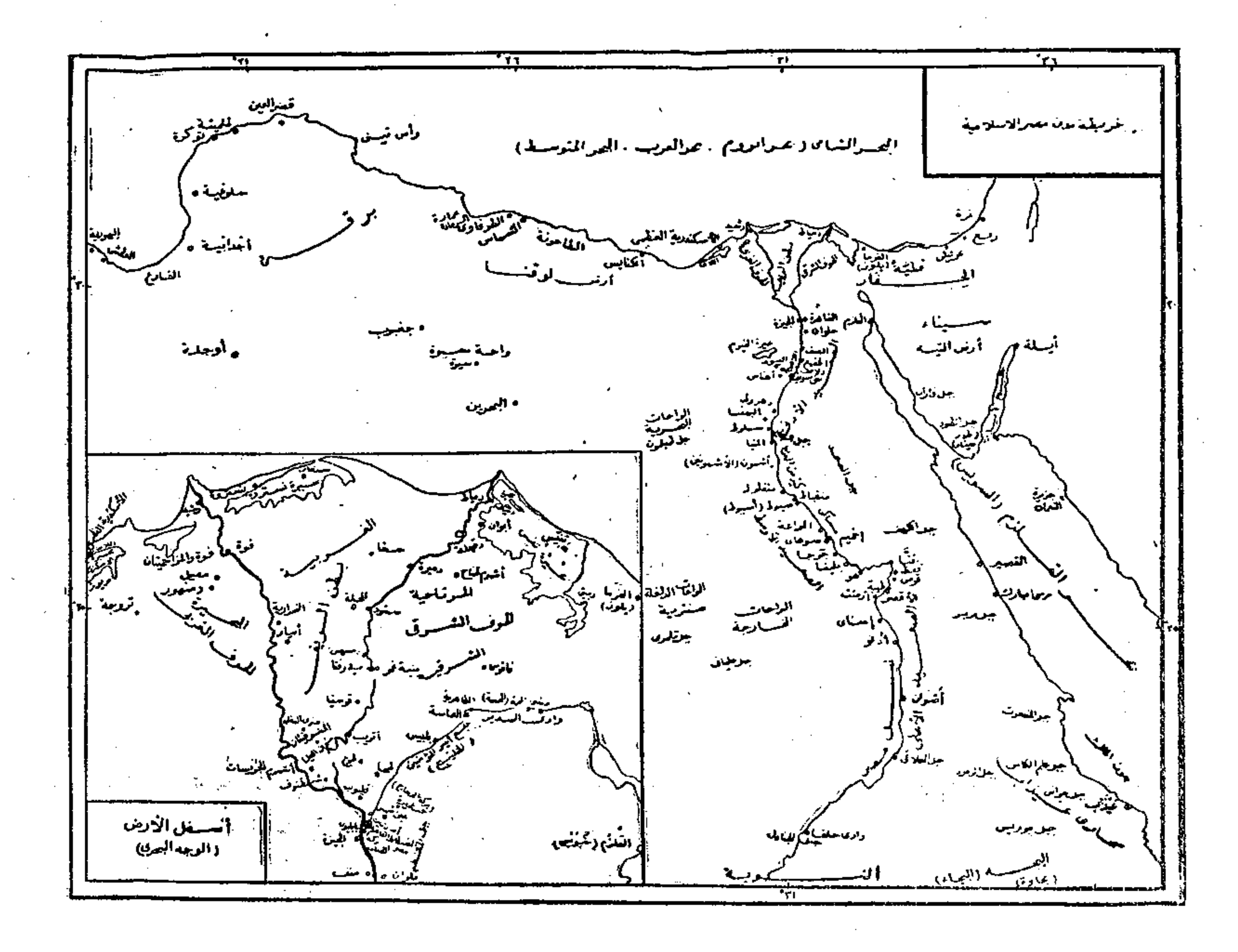
(ابن عبد ربه : العقد الفريد ١/١٢٩-١٤٥)

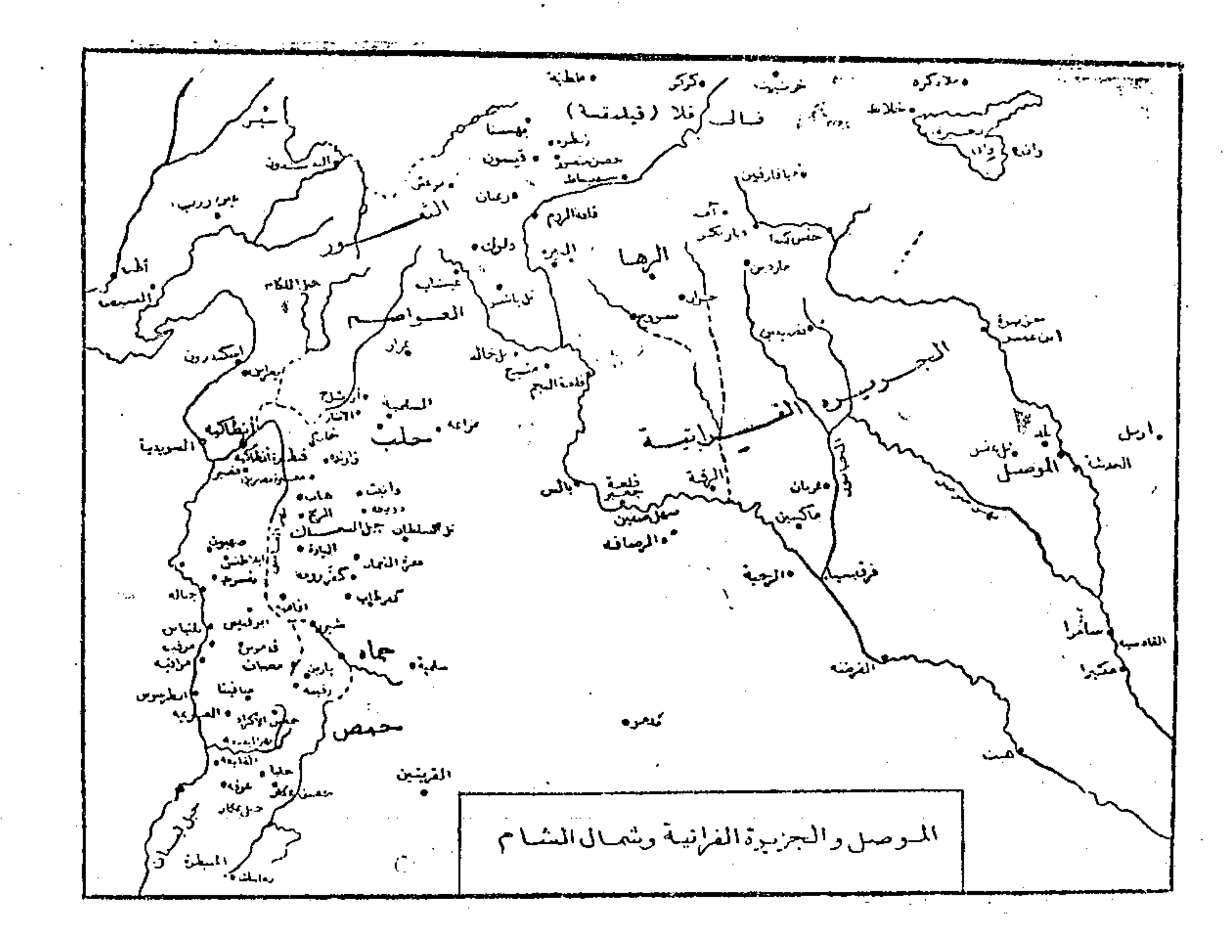
تقسيم معماري للمسجد النبوي الشريف

وبعض الزيادات




قره قورم
أفغانستان
كابل
الهندكوش
بلوجستان
الصين
التبت
جبال الهملايا
كراجي
بحر العرب
خليج بنغاله
كاليكوت
مدراس
(سيلان)
المحيط الهندي
شبه القارة الهندية
في عهد
الدولة الاسلامية


خريطة مدن مصر الإسلامية
البحر الشامي (بحر الروم . بحر الغرب . البحر المتوسط)
برقة
سلوقية
أجدابية
أوجلة
جغبوب
واحة سيوة
البحرين
أرض لوقا
الإسكندرية
رشيد
دمياط
غزة
رفح
العريش
الجفار
سيناء
أرض التيه
أيلة
أسوان
إسنا
الواحات الخارجة
الحوف الشرقي
أسفل الأرض
(الوجه البحري)
النوبة


الموصل والجزيرة الفراتية وشمال الشام
الرها
الجزيرة الفراتية
العواصم
الثغور
حلب
حماه
حمص
الموصل
أنطاكية
ملطية
الرقة
قرقيسيا
سامرا
تكريت
الرحبة
الرصافة
بالس
حران
سروج
نصيبين
ماردين
آمد
ميافارقين
خلاط
ملازكرد
تدمر
القريتين
سلمية
منبج
قلعة جعبر
قلعة الروم
عين زربة
المصيصة
اسكندرون
السويدية
اللاذقية
جبلة
بانياس
طرطوس
الحديثة
اربل
هيت
عانة
جزيرة ابن عمر
تل باشر
دلوك
مرعش
المعرة
جبل لبنان
بعلبك

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات :

الأسدي : أحمد بن محمد الأسدي الشافعي (ت ١٠٦٦هـ)

أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام

مكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم ١٨ تاريخ .

ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)

تحفة الأصحاب

مكتبة الأوقاف ، بغداد تحت رقم ٣٤٣٣٣

ابن حمدون : أبو المعالي محمد بن أبي سعد الحسن بن محمد ابن علي بن حمدون (ت ٥٦٢هـ؟)

التذكرة في السياسة والآداب الملكية

المكتبة الأهلية ، باريس رقم ٢٤٦٢ عربي .

الخزرجي : شمس الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر الخزرجي الأنصاري

العسجد المسبوك في من تولى اليمن من الملوك

مكتبة الحرم المكي الشريف رقم ٤٨ تاريخ .

الجنابي : مصطفى بن حسن بن سنان بن أحمد الحسين الشهير بالجنابي (ت ٩٩٩هـ)

البحر الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر الأجزاء ٢،١

مكتبة الحرم المكي تحت رقم ٢ .

ابن عبد الملك القرشي : أبو محمد عبد الله بن عبد الملك القرشي البكري القرطبي (ت نحو ٧٨١هـ)

بهجة النفوس والاسرار في تاريخ دار هجرة المختار

مكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم ١٣ تاريخ .

الفاسي : تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي بن محمد الحسني الفاسي المكي المالكي (ت ٨٣٢هـ)

تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام

مكتبة الحرم المكي تحت رقم ١٠ تاريخ .

ابن يحيى الطبري : علي بن عبد القادر بن محمد بن يحيى الطبري الحسيني (ت ١٠٧٠هـ)

الارج المسكي في التاريخ المكي

مكتبة الحرم المكي تحت رقم ٣ تاريخ .

ثانيا : المصادر :

ابن الابار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الابار (ت ٦٥٨هـ)
الحلة السيراء جزءان
حققه وعلق حواشيه د. حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣م .

ابن أبي أصيبعة : موفق الدين أبي العباس احمد بن القاسم ابن خليفة بن يونس الخزرجي المعروف بابن ابي أصيبعة (ت ٦٨٨هـ)
عيون الانباء في طبقات الاطباء
تحقيق د. نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٥م .

ابن ابي الدم : شهاب الدين أبي اسحاق ابراهيم بن عبد الله المعروف بابن أبي الدم الحموي الشافعي (ت ٦٤٢هـ)
كتاب أدب القضاء وهو الدرر المنظومات في الاقضية والحكومات
تحقيق : محمد مصطفى الزميلي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر بدمشق ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

ابن اياس : أبو البركات محمد بن أحمد بن اياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ)
بدائع الزهور في وقائع الدهور جزءان
تحقيق محمد مصطفى ، دار احياء الكتب العربية ، مصر ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

ابن أعثم الكوفي : أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت نحو ٣١٤هـ)

كتاب الفتوح ٨ أجزاء

دار المعارف العثمانية ، حيدر اباد ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

ابن بكار : الزبير (ت ٢٥٦هـ)

الأخبار الموفقيات

تحقيق سامي مكي العاني ، مطبعة العاني ، بغداد سنة ١٩٧٢م .

ابن تغري بردي : جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ)

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٦ جزءا

طبعة دار الكتب ، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

ابن تمام التميمي : أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم (ت ٣٣٣هـ)

كتاب المحمد برواية ابنه أبي جعفر أحمد بن محمد التميمي

تحقيق ودراسة د. عمر سليمان العقيلي ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)

الكامل في التاريخ ١٢ جزءا

دار صادر ، بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

اللباب في تهذيب الأنساب ٣ أجزاء

دار صادر ، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن على الجوزى (ت ٥٩٧هـ)
كتاب الأذكياء
المكتب التجارى للطباعة والنشر ، بيروت (بدون تاريخ الطبع) .
صفة الصفوة ٤ أجزاء
حققه محمود فاخورى وخرج أحاديثه د. محمد رواس قلعة جى ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
ابن حجر العسقلانى : شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على (ت ٨٥٢هـ)
تهذيب التهذيب ١٢ جزء
مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر اباد - الهند ١٣٢٥هـ .
لسان الميزان ٧ أجزاء
طبعة حيدر اباد - الدكن ١٣٣٠هـ .
ابن حجر الهيثمى : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن على بن حجر الهيثمى المكى (ت ٩٧٤هـ)
الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة
خرج أحاديثه وعلق حواشيه عبد الوهاب عبد اللطيف ، الطبعة الثانية ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
ابن حجة الحموى : تقى الدين أبى بكر بن على بن محمد بن حجة الحموى القادرى الحنفى (ت ٨٣٧هـ)

ثمرات الأوراق في المحاضرات

دار احياء التراث العربى ، القاهرة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .

ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى (ت ٤٥٦هـ)

جمهرة أنساب العرب

تحقيق د. عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م .

ابن حزم الظاهرى : أبو محمد على بن احمد (ت ٥٤٨هـ)

الفصل في الملل والأهواء والنحل

دار الفكر ، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن على بن حوقل النصيبى (ت ٣٦٧هـ)

صورة الأرض

منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، طبعة ليدن ١٩٣٨م

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرى المغربى (ت ٨٠٨هـ)

تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر، وديوان الجند أو الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر

دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

ابن خلكان : أبو العباس ، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٨ أجزاء

حققه : د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

ابن خياط العصفرى : أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبى هبيرة
خليفة بن خياط العصفرى الملقب بشباب (ت ٢٤٠هـ)
تاريخ خليفة بن خياط
تحقيق د. أكرم العمرى ، الطبعة الثانية ، دار القلم
مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

ابن دحية : أبو الخطاب عمر بن على حسن بن على (ت ٦٣٣هـ)
النبراس فى تاريخ بنى العباس
تحقيق عباس العزاوى ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٦٥هـ/
١٩٤٦م .

ابن رستة : أبو على أحمد بن عمر (ت بعد ٢٩٠هـ)
الأعلاق النفيسة
مطبعة بريل ، ليدن ١٨٩١م .

ابن الأزرق : أبو عبد الله ابن الأزرق (ت ٨٩٦هـ)
بدائع الملك فى طبائع الملك
تحقيق د. على سامى النشار ، منشورات وزارة الثقافة
والفنون ، دمشق ١٩٧٨م .

ابن الساعى : على بن أنجب المعروف بابن الساعى البغدادى
(ت ٦٧٤هـ)
مختصر أخبار الخلفاء
المطبعة الأميرية ببولاق مصر ١٣٠٩هـ .

ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن منيع الهاشمى (ت ٢٣٠هـ)
الطبقات الكبرى
دار صادر ، بيروت (بدون تاريخ الطبع) .

ابن شاكر : صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن شاكر الكتبي الداراني الدمشقي (ت ٧٦٤هـ)

فوات الوفيات

طبع على نفقة خديوى مصر ، مطبعة بولاق ، سنة ١٢٨٣هـ .

ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ)

الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية

دار الكتب ، بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م .

ابن طولون : شمس الدين محمد بن طولون (ت ٩٥٣هـ)

الأئمة الاثنا عشر

تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، دار بيروت ـ دار صادر ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م .

قضاة دمشق الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام

تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، دمشق (بدون) .

ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي الأندلسي (ت ٤٩٣هـ)

جامع بيان العلم وفضله وماينبغي في درايته وجمعه

ادارة الطباعة بالمنيرة ، مصر (بدون تاريخ الطبع) .

ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)

العقد الفريد ٨ أجزاء

تحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م .

ابن عبد الحق البغدادى : صفى الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩هـ)
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع
وهو مختصر معجم البلدان لياقوت
تحقيق على محمد البجاوى ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٧٣هـ .

ابن العبرى : أبو الفرج غريغوريوس بن هارون الملطى (ت ٦٧٥هـ)
تاريخ مختصر الدول
تحقيق انطوان صالحان اليسوعى ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٨م .

ابن العديم : كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ)
زبدة الحلب في تاريخ حلب جزءان
تحقيق : سامى الدهان ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .

ابن عذارى : أبو عبد الله محمد بن عذارى المراكشى (ت بعد ٧١٢هـ)
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب
الجزء الأول والثانى تحقيق ج . س . كولان ، وليفى بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٧م .

ابن عربى :أبو الحسن محمد بن على بن الحاتى الطائى الأندلسى المعروف بمحيى الدين بن عربى (ت ٦٣٨هـ)
محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار
تحقيق محمد مرسى الخولى ، دار الكتاب الجديد ، القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

ابن عساكر : أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)
تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الاماثل أو اجتاز بنواحيها من ورديها و أهلها
تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩هـ)
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨ أجزاء
منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت (بدون تاريخ الطبع) .

ابن عمر البغدادى : عبد القادر بن عمر البغدادى الحنفى (ت ١٠٩٣هـ)
خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ٤ مجلدات
المطبعة الأميرية ، ببولاق مصر (بدون تاريخ الطبع) .

ابن العمرانى : محمد بن على بن محمد المعروف بابن العمرانى (ت ٥٨٠هـ)
الانباء فى تاريخ الخلفاء
تحقيق د. قاسم السامرائى ، ليدن ١٩٧٣م .

ابن عنبة : جمال الدين أحمد بن على الحسينى (ت ٨٢٨هـ)
عمدة الطالب فى أنساب آل أبي طالب ، ملحق بكتاب مجموعة الرسائل الكمالية (٨) فى الانساب
دار الشعب ، القاهرة ، مكتبة المعارف ، الطائف ١٤٠٠هـ .

أبو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن الملك الافضل نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمرو بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ)
المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء) ٤ أجزاء
دار المعرفة ، بيروت (بدون تاريخ الطبع) .

ابن الفقيه : أبو بكر أحمد بن ابراهيم الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت ٣٤٠هـ)
مختصر كتاب البلدان
طبع في مدينة ليدن ، مطبعة بريل سنة ١٣٠٢هـ .

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٩هـ)
الامامة والسياسة وهو المعروف بتاريخ الخلفاء والمنسوب لابن قتيبة
تحقيق د. طه محمد الزيني ، طبع ونشر شركة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .
المعارف
صححه وعلق عليه محمد اسماعيل الصاوي ، الطبعة الثانية ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
عيون الأخبار
دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م .

ابن ظهيرة : جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين ابن أبي بكر بن علي بن ظهيرة القرشي المخزومي (ت ٩٥٠هـ)
الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

الطبعة الخامسة ، المكتبة الشعبية ، بيروت ١٣٩٩هـ/
١٩٧٩م .

ابن الكازورني : ظهير الدين علي بن محمد البغدادي المعروف
بابن الكازورني (ت ٦٩١هـ)
مختصر التاريخ من أول الزمان الي منتهي دولة بني
العباس
حققه وعلق عليه د. مصطفى جواد ، وضع فهارسه واشرف
على طبعه سالم الآلوسي ، مطبعة الحكومة ، بغداد
١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

ابن كثير : أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)
البداية والنهاية
الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٧٤م .

ابن ماجه : أبو عبد الله بن يزيد بن ماجه القزويني
(ت ٢٧٣هـ)
تاريخ الخلفاء
تحقيق محمد مطيع الحافظ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت
١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

ابن محاسن النجار : أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن
ابن هبة الله بن محاسن النجار (ت ٦٤٧هـ)
الدرة الثمينة في تاريخ المدينة
حقق أصوله وعلق عليه لجنة من كبار العلماء والأدباء ،
نشر وتوزيع مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة
١٣٧٦هـ/١٩٥٦م .

ابن المرتضى : أحمد بن يحيى بن المرتضى المهدى لدين الله الزيدى (ت ٨٤٠هـ)

كتاب طبقات المعتزلة

تحقيق سوسنة ديفلد ، فلزر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .

ابن مصعب الزبيرى : أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن المصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام (ت ٢٣٦هـ)

كتاب نسب قريش

نشر وتصحيح ا. ليفى بروفنسال ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ١٩٧٦م .

ابن المعتز : عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم ابن هارون الرشيد (ت ٢٩٦هـ)

طبقات الشعراء

تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .

ابن النديم : محمد بن اسحاق (ت ٤٣٨هـ)

الفهرست

دار المعرفة بيروت ـ لبنان ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

أبو نعيم الأصفهانى : أحمد بن عبد الله بن اسحاق بن موسى ابن مهران الأصفهانى (ت ٤٣٠هـ)

كتاب أخبار أصبهان

طبع فى مدينة لايدن ، مطبعة بريل ١٩٢٤م .

حلية الأولياء

دار الفكر ، بيروت ١٣٥٧هـ .

ابن واصل : ابن واصل الحموى (ت ٦٩٧هـ)

تجريد الأغاني

تحقيق د. طه حسين ، وابراهيم الابيارى ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .

أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبة (ت ١٨٢هـ)

الخراج

تحقيق د. محمد ابراهيم البنا ، دار الاصلاح للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٨١م .

الابشيهى : شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح (ت ٨٥٠هـ)

المستطرف في كل فن مستظرف

الطبعة الأخيرة ، دار احياء التراث العربى ، القاهرة ١٣٧١هـ/١٩٠٢م .

الآبى : أبو سعيد منصور بن الحسين الآبى (ت ٤٢١هـ)

نثر الدر

تحقيق محمد على قرنه ، مراجعة على محمد البجاوى ، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٨٠م .

الاتليدى : محمد دياب الاتليدى المصرى (فرغ من تاليفه سنة ١١٠٠هـ)

اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس

طبع بمصر سنة ١٢٧٩هـ .

الاربلى : عبد الرحمن سنبط قينتو الاربلى (ت ٧١٧هـ)

خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك

وقف على طبعه مكى السيد جاسم ، مكتبة المثنى ، بغداد (بدون تاريخ الطبع) .

الأزدى : أبو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم (ت ٣٣٤هـ)

تاريخ الموصل

تحقيق د . على حبيب ، القاهرة ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م .

الأزرقى : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى

أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار

الطبعة الرابعة ، مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الاسحاقى : محمد عبد المعطى بن أبى الفتح بن أحمد بن عبد الغنى بن على (ت ١٠٦٠هـ)

كتاب أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول

المطبعة العامرة العثمانية بمصر ١٣١٥هـ .

الاسفرايينى : أبو المظفر طاهر بن محمد الاسفرايينى الشافعى (ت ٤٧١هـ)

التبصر فى الدين وتمييز الفرق الناجية من الفرق الهالكة

تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الأشعرى : أبو الحسين على بن اسماعيل (ت ٣٣٠هـ)

مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين

تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م .

الأصفهاني : أبو عبد الله حمزة بن الحسن (ت قبل ٣٦٠هـ)
تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام
مطبعة دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١م .

الأصفهاني : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٠ أجزاء
المكتبة السلفية ، القاهرة (بدون تاريخ الطبع)

الأصبهاني : على بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن القرشي الأموى (ت ٣٥٦هـ)
مقاتل الطالبيين
شرح وتحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعرفة ، بيروت (بدون تاريخ الطبع) .
الأغاني ٢١ جزء
دار الفكر ، بيروت (بدون تاريخ الطبع) .

البسوى : أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي البسوى (ت ٢٧٧هـ)
كتاب المعرفة والتاريخ (٣ أجزاء)
تحقيق د. أكرم العمرى ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

البرزنجي : جعفر السيد اسماعيل المدني البرزنجي (غير معروفة سنة وفاته) .
نزهة الناظرين في مسجد الأولين والآخرين
طبع في المطبعة الميرية بمكة ١٣٠٣هـ .

البغدادي : أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ)
الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم

حقق أصوله وقدم له طه عبد الرؤف سعد ، مؤسسة الحلبي القاهرة (بدون تاريخ الطبع) .

البلاذري : أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود المعروف بالبلاذري (ت ٢٧٩هـ)

فتوح البلدان

باشراف لجنة تحقيق التراث ، دار مكتبة التراث ، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

أنساب الأشراف الجزء الأول

تحقيق د. محمد حميد الله ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٩م .

البيروني : أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ)

الآثار الباقية عن القرون الخالية

ليبزيغ ١٨٧٨م ، أعادت الطبع مكتبة المثنى ، بغداد .

تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة

مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد — الدكن ١٣٧٠هـ/١٩٥٨م .

البيهقي : ابراهيم محمد البيهقي (ت ٤٧٠هـ)

المحاسن والمساوىء

دار صادر ، بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

التوحيدي : أبو حيان علي بن محمد التوحيدي البغدادي (ت ٣٨٠هـ)

البصائر والذخائر

حققه وعلق عليه أحمد أمين ، والسيد أحمد صقر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م .

التنوخي : أبو علي الحسن بن أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن ابراهيم التنوخي (ت ٣٨٤هـ)
جامع التواريخ ، المسمى نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (٨ أجزاء)
تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .
الفرج بعد الشدة (٥ أجزاء)
تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .
الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)
تحفة الوزراء
تحقيق حبيب علي الراوي وابتسام مرهون الصفار ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٧م .
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار النهضة ، مصر ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م .
لطائف المعارف
تحقيق ابراهيم الابياري ، وحسين كامل الصيرفي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م .
الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر محبوب بن فزارة الكناني البصري (ت ٢٥٥هـ)
كتاب البيان والتبيين (٤ أجزاء)
تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الرابعة ، دار الفكر ، بيروت ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م .

كتاب التاج في أخلاق الملوك

قدم له فوزى عطوى ، طبع ونشر وتوزيع الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ١٩٧٠م .

كتاب الحيوان (٧ أجزاء)

مطبعة التقدمة ، مصر ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م .

رسائل الجاحظ (جزءان)

تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م .

المحاسن والأضداد

حققه فوزى عطوى ، دار صعب ، بيروت ١٩٦٩م .

الجزيرى : عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن ابراهيم الأنصارى الجزيرى الحنبلى (من أهل القرن العاشر الهجرى)

الدرر الفرائد في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة (جزءان)

أعده للنشر حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الجهشيارى : أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ)

كتاب الوزراء والكتاب

حققه مصطفى السقا ، ابراهيم الابيارى ، عبد الحفيظ شلبى .

الحربى : الامام أبو اسحاق ابراهيم ديسم الحربى

المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة

تحقيق حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ١٣٨٩هـ .

الحموى : تقى الدين أبى بكر بن على بن محمد بن حجة الحموى القادرى الحنفى (ت ٨٣٧هـ)

ثمرات الاوراق في المحاضرات

المكتبة التجارية الكبرى بمصر (بدون تاريخ الطبع) .

الحميدى : أبو عبد الله بن محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدى (ت ٤٨٨هـ)

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس

الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م .

الحميرى : محمد بن عبد المنعم الحميرى (ت ٧٢٧هـ)

الروض المعطار في خبر الاقطار

تحقيق د. احسان عباس ، مكتبة البنان ، بيروت ١٩٧٥م .

الخزرجي : الحافظ صفى الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصارى (ت ٩٢٣هـ)

خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال

الطبعة الثالثة ، مكتبة المطبوعات الاسلامية ، حلب ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

الخطيب البغدادى : الحافظ أبى بكر أحمد بن على (ت ٤٦٣هـ)

تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ

المكتبة السلفية ، المدينة المنورة (بدون تاريخ الطبع) .

الدوسى : نورج بن عمرو (ت ١٩٥هـ)

كتاب من حذف من نسب قريش

تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

الدميرى : أبو البقاء ، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميرى (ت ٨٠٨هـ)

حياة الحيوان الكبرى

الطبعة الثانية ، مصر ١٢٧٨هـ .

الدينورى : ابو حنيفة أحمد داود (ت ٢٨٢هـ)

الأخبار الطوال

تحقيق عبد المنعم عامر ، مراجعة د. جمال الدين الشيال ، وزارة المعارف والارشاد القومى ، القاهرة ١٩٦٠م .

الذهبى : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز بن عبد الله الذهبى (ت ٧٤٨هـ)

دول الاسلام

تحقيق : فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

العبر في خبر من عبر

تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، دائرة المطبوعات والنشر الكويت ١٩٦٠م .

سير أعلام النبلاء

الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

الرازى : الامام فخر الدين الرازى

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين

مراجعة على سامى النشار ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

الرحبى : عبد العزيز بن محمد الرحبى الحنفى البغدادى (ت ١١٨٤هـ)

فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج

تحقيق أحمد عبيد الكبيسي ، منشورات وزارة الأوقاف العراقية ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

الزبير بن بكار : أبوعبد الله بن أبى بكر بن مصعب بن ثابت ابن عبد الله بن الزبير بن العوام (ت ٢٥٦هـ)

جمهرة نسب قريش وأخبارها (الجزء الأول)

شرحه وحققه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدنى ، القاهرة ١٣٨١هـ .

الزجاجى : أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى (ت ٣٤٠هـ)

مجالس العلماء

تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ، مطبعة المدنى ، القاهرة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

السخاوى : أبو الخير ، وأبو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ، الملقب شمس الدين السخاوى (ت ٩٠٢هـ)

التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة

عنى بطبعه ونشره أسعد درابزونى الحسينى ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .

السمعانى : أبى سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى (ت ٥٦٢هـ)

الأنساب

تحقيق عبد الرحمن بن على المعلمى اليمانى ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

السمعانى : أبو القاسم على بن محمد بن أحمد الرحبى (ت ٤٩٩هـ)

روضة القضاة وطريق النجاة

تحقيق د. صلاح الدين الناهى ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٤هـ .

السمهودى : نور الدين على بن أحمد المصرى السمهودى (ت ٩١١هـ)

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى

تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .

السهمى : أبو القاسم حمزة بن يوسف بن ابراهيم القرشى السهمى (ت ٤٢٧هـ)

تاريخ جرجان

مراقبة د. محمد عبد المعين خان ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

السيوطى : الحافظ جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين الحفيرى (ت ٩١١هـ)

تاريخ الخلفاء

دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت (بدون تاريخ الطبع) .

تحذير الخواص من أكاذيب القصاص

تحقيق د. محمد بن لطفى الصباغ ، الطبعة الثانية ، المكتب الاسلامى للنشر ، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

الشابشتي : أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي (ت ٣٣٨هـ)

الديارات

تحقيق كوركيس عواد ، الطبعة الثانية ، مطبعة المعارف بغداد ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

الشريف المرتضى : علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦هـ)

امالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٨٤هـ)

الملل والنحل

دار الفكر ، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

الصفدي : صلاح الدين خليل أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)

أمراء دمشق في الاسلام

حققه د. صلاح الدين المنجد ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

نكت الهميان في نكت العميان

طبع د. أحمد زكي ، المطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٩هـ/١٩١١م .

الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد الصولي (ت ٣٣٥هـ)

أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق
عني بنشره ج. هيورث ، دن ، الطبعة الثانية ، دار المسيرة ـ بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)
تاريخ الرسل والملوك
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، مصر ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م .

الطرطوشي : أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشي المالكي (ت ٥٢٠هـ)
سراج الملوك
المطبعة الأزهرية المصرية ١٣١٩هـ .

العباسي : أحمد بن عبد الحميد بن هارون بن كرام الله العباسي السندى
عمدة الأخبار في مدينة المختار
تصحيح محمد الطيب الأنصارى ، أوضح غوامضه وأضاف اليه أبحاث أسعد طرابزوني ، مطبعة الشيمي (بدون تاريخ الطبع) .

العسكرى : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت ٢٩٥هـ)
كتاب الأوائل
تحقيق محمد المصرى ، وليد قصاب ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ١٩٧٥م .

العصامي المكي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت ١١١١هـ)

سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي

المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٨٠هـ .

العمرى : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل

العدوى العمرى (ت ٧٤٩هـ)

التعريف بالمصطلح الشريف

مطبعة العاصمة ، القاهرة ١٣١٢هـ .

الفاسي : تقي الدين محمد بن أحمد بن على بن محمد بن أحمد

الحسيني الفاسي المكى (ت ٨٣٢هـ)

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام

حقق اصوله وعلق حواشيه لجنة من العلماء ، دار الكتب

العربية ، بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م .

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين

الجزء الأول تحقيق محمد الطيب حامد الفقى ، بقية

الاجزاء تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة السنة المحمدية ،

القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م .

القالى : أبو على اسماعيل بن القاسم القالى البغدادى

(ت ٣٥٦هـ)

كتاب الامالى

الطبعة الثانية ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٢هـ/١٩٢٦م .

قدامة بن جعفر : أبو الفرج قدامة (ت ٣٣٧هـ)

نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة

مكتبة المثنى ، بغداد ١٨٨٩م .

القرماني : أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي
(ت ٩٨٣هـ)
أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ
عالم الكتب ، بيروت ، توزيع مكتبة المتنبي ، القاهرة
مكتبة سعد الدين ، دمشق (بدون تاريخ الطبع) .
القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ)
اثار البلاد وأخبار العباد
دار صادر ، بيروت ١٩٦٠م .
القفطي : جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي
(ت ٦٤٦هـ)
أنباه الرواة على أبناء النحاة
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار الكتب
المصرية ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .
تاريخ الحكماء وهو المسمي مختصر الزوزني المسمى
بالمنتخبات الملتقطات من كتاب اخبار العلماء بأخبار
الحكماء
باشراف مكتبة المثنى ببغداد ، ومؤسسة الخانجي بمصر
١٩٠٣م .
القلقشندي : أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الشهاب بن
الجمال أبي اليمن الفزاري القلقشندي (ت ٨٢٠هـ)
صبح الأعشى
المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣٣٨هـ/١٩١٩م .
مآثر الانافة في معالم الخلافة
تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت
١٩٦٤م .

القيروانى : أبو اسحاق ابراهيم بن على الحصرى القيروانى (ت ٤٥٣هـ)
زهر الآداب وثمر الألباب
فصله وضبطه وشرحه د. زكى مبارك ، الطبعة الرابعة ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٢م .

الكندى : أبو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى (ت ٣٥٠هـ)
كتاب الولاة وكتاب القضاة
تحقيق سارفن كست ، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨م .

الماوردى : أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى (ت ٤٥٠هـ)
الأحكام السلطانية والولايات الدينية
راجعه د. محمد فهمى السرجانى ، المكتبة التوفيقية بمصر ١٩٧٨م .

المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٦هـ)
التعازي والمراثي
حققه وقدم له محمد الديباجى ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

محيى الدين بن عربى : أبو بكر محمد بن على بن الحاتمى الطائى الأندلسى (ت ٦٣٨هـ)
محاضرة الأبرار ومسايرة الأخيار (الجزء الأول)
تحقيق محمد مرسى الخولى ، دار الكتاب الجديد ، القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

المرزباني : أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤هـ)
معجم الشعراء
بتهذيب د. سالم الكرنكدي ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

المسعودي : أبو الحسن بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ)
التنبيه والاشراف
باشراف لجنة تحقيق التراث ، منشورات دار مكتبة الهلال بيروت ١٩٨١م .
مروج الذهب ومعادن الجوهر
تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

المقدسي : أبي زيد أحمد بن سهل البلخي وهو لمطهر بن طاهر المقدسي (ت ٣٥١هـ)
كتاب البدء والتاريخ
اعتنى بنشره وترجمته من العربية الى الفرنسية كلمان هوار ، باريس ١٩١٦م .

المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري المقدسي (ت ٣٨٠هـ)
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم
الطبعة الثانية ، ليدن ١٩٠٦م .

المقري : أحمد بن محمد بن أحمد المقري القرشي التلمساني (ت ١٠٤١هـ)
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

تحقيق د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .

المقريزى : تقى الدين أبو العباس أحمد بن على المقريزى (ت ٨٤٥هـ)

الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك

نشره لأول مرة وحققه د. جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٥م .

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقريزية)

طبعة دار صادر ، بيروت (بدون تاريخ الطبع) .

الملطى : أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطى الشافعى (ت ٣٧٧هـ)

التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع

عرف الكتاب وترجم للمؤلف وعلق حواشيه محمد زاهد الكوثرى ، عنى بنشره عزت العطار الحسينى ، دمشق ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م .

المناوى : محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين (ت ١٠٣١هـ)

النقود والمكاييل والموازين

تحقيق د. رجاء محمود السامرائى ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ١٩٨١م .

مؤلف مجهول : (من القرن الثالث الهجرى)

أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده

تحقيق د. عبد العزيز الدورى ، د. عبد الجبار المطلبى
دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧١م .

مؤلف مجهول :
اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم
طبع في مدريد سنة ١٨٦٧م ، بطلب من مكتبة المثنى ـ بغداد .

مؤلف مجهول : (من القرن السابع الهجرى)
العيون والحدائق في اخبار الحقائق من خلافة الوليد بن عبد الملك الي خلافة المعتصم (الجزء الثالث)
نشر مكتبة المثنى ببغداد ، (بدون تاريخ الطبع) .

وكيع : محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ)
أخبار القضاة
حققه عبد العزيز مصطفى المراغى ، عالم الكتب ، بيروت (بدون تاريخ الطبع) .

الوطواط : أبو اسحاق برهان الدين ابراهيم بن يحيى بن على الكتبى المعروف بالوطواط (ت ٧١٨هـ)
غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة
دار الطباعة السنية ببولاق مصر ١٢٨٤هـ .

النجم عمر بن فهد : محمد بن محمد بن محمد بن فهد (ت٨٨٥هـ)
اتحاف الورى باخبار أم القرى
تحقيق وتقديم : فهيم محمد شلتوت ، مكتبة الخانجى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ)
نهاية الارب في فنون الأدب
الجزء الثالث والعشرون تحقيق د. محمد جابر الحسينى ، مراجعة ابراهيم مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

النهروالى : محمد بن أحمد بن محمد بن قاضى خان الحنفى المعروف بقطب الدين النهروالى (ت ٩٩٠هـ)
كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام
المطبعة العامرة العثمانية ، مصر ١٣٠٣هـ .

اليافعى : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى اليمنى المكى (ت ٧٦٨هـ)
مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان
الطبعة الثالثة ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت ١٣٩٠هـ .

ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومي البغدادى (ت ٦٢٦هـ)
معجم البلدان
دار صادر ، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٢هـ)
تاريخ اليعقوبى
دار صادر ، بيروت (بدون تاريخ الطبع) .

مشاكلة الناس لزمانهم

تحقيق وليم ملورد ، دار الكتاب ، بيروت ١٩٦٢م .

كتاب البلدان

طبع بمطبعة ليدن سنة ١٨٩١م .

ثالثا : المراجع :

أمين : أحمد أمين

ضحى الاسلام

الطبعة السابعة ، مكتبة النهضة المصرية ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م .

باسلامة : حسين عبد الله باسلامة

عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام ابراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك

المطبعة الشرقية بجدة ١٣٥٤هـ .

الباشا : حسن الباشا

الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار

مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧م .

بروكلمان : كارل بروكلمان

تاريخ الشعوب الاسلامية

نقله الى العربية نبيه أمين فارسي ومنير البعلبكي ، الطبعة السابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧م .

بهجت : مجاهد مصطفى بهجت

التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الأول

وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، الجمهورية العراقية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

البيحاني : محمد بن سالم البيحاني

أشعة الأنوار على مرويات الأخبار

مطبعة المدني ، القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

الثعالبي : عبد العزيز الثعالبي
تاريخ شمال افريقيا من الفتح الاسلامي الى نهاية الدولة الاغلبية
جمع وتحقيق د. أحمد بن ميلاد ، ومحمد ادريس ، تقديم حمادى الساملي ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .

الجميلي : رشيد عبد الله الجميلي
دراسات في تاريخ الخلافة العباسية
مكتبة المعارف ، الرباط ١٩٨٤م .

الحجي : عبد الرحمن الحجي
التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م
الطبعة الثانية ، دار القلم ، دمشق ١٤٠٢هـ/١٩٨١م .

حسن : حسن ابراهيم حسن
تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي
الطبعة السابعة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٣م .

الخضرى : محمد الخضرى بك
تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة العباسية)
المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ١٩٧٠م .

الدورى : ابراهيم ياسر خضير الدورى
عبد الرحمن الداخل فى الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية
منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، الجمهورية العراقية ١٩٨٢م .

الدورى : عبد العزيز عبد الكريم الدورى

تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى

الطبعة الثانية ، منشورات دار الشرق ، بيروت ـ لبنان ١٣٨٤هـ/١٩٧٤م .

الجذور التاريخية للشعوبية

بيروت ١٩٦٢م .

الديوة جى : سعيد الديوة جى

تاريخ الموصل

مطبوعات المجمع العلمى العراقى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

رفاعى : طلال جميل رفاعى

نظام البريد فى الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجرى

رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الشريعة ـ جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

رمضان : أحمد رمضان

حضارة الدولة العباسية

القاهرة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

الريس : محمد ضياء الدين الريس

الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية

الطبعة الرابعة ، دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٧م .

زكريا : ماجدة فيصل زكريا

عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم

مكتبة الطالب الجامعى ، مكة المكرمة ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م .

الزركلي : خير الدين الزركلي

الاعــلام

الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠م .

الزهراني : ضيف الله يحيى الزهراني

مــوارد بيـت المــال في الدولة العباسية فيما بين سنة ١٣٢-٢١٨هـ/٧٤٩-٨٣٣م

مكة المكرمة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

النفقـات وادارتهـا فـي الدولــة العباسـية مــن ســنة ١٣٢-٣٣٤هـ

رسـالة دكتـوراه مقدمــة الى كلية الشريعة ـ جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

السامر : فيصل السامر

الدولة الحمدانية في الموصل وحلب

مطبعة الأعيان ، بغداد ١٩٣٠م .

السامرائي : د. حسام الدين السامرائي

المؤسســات الادارية فـي الدولــة العباسية خلال الفترة ٢٤٧-٣٣٤هـ/٨٦١-٩٤٥م

الطبعـة الثانيـة ، دار الفكــر العــربي ، القـــاهرة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

سالم : السيد عبد العزيز سالم

دراسات في تاريخ العرب (العصر العباسي الأول)

مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٣٩٨هـ .

السلومي : عبد العزيز عبد الله السلومي

ديــوان الجـند نشـأته وتطـوره في الدولـة الاسلامية حتى عصر المأمون

رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

شاكر : محمود شاكر

التاريخ الاسلامي (الدولة العباسية)

المكتب الاسلامي ، بيروت ، دمشق ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

الشامي : أحمد الشامي

الدولة الاسلامية في العصر العباسي الأول

دار الاصلاح ، الدمام ، السعودية ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

شلبي : أحمد شلبي

موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية

الطبعة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤م .

ضيف : شوقي ضيف

تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)

الطبعة الخامسة ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م .

العاني : حسن فاضل زعين العاني

سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية

دار الرشيد للنشر ، الجمهورية العراقية ١٩٨١م .

العشي : يوسف العشي

تاريخ عصر الخلافة العباسية

راجعه ونقحه د. محمد أبو الفرج العشي ، دار الفكر ، دمشق ١٣٧٨هـ/١٩٦٨م .

عمر : فاروق عمر

العباسيون الأوائل

دار الارشاد ، بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

فامبرى : ارمينيوس فامبرى

تاريخ بخارى

ترجمة د. أحمد محمد السامرائى ، مراجعة د. يحيى

الخشاب ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية ١٨٧٢م .

الغرابى : على مصطفى الغرابى

تاريخ الفرق الاسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين

مطبعة محمد على صبيح ، القاهرة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .

الكفراوى : عوف محمود الكفراوى

الرقابة المالية فى الاسلام

مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٣م .

الليثى : سميرة مختار الليثى

الزندقة والشعوبية وانتصار الاسلام والعروبة عليهما

مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٨م .

ماجد : عبد المنعم ماجد

العصر العباسى الأول أو القرن الذهبى فى تاريخ

الخلفاء العباسيين

مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٣م .

الدور : جميل نخلة

حضارة الاسلام فى دار السلام

المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م .

المصرى : حسين مجيب المصرى

صلات بين العرب والفرس والترك

مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٩م .

مصطفى : شاكر مصطفى

دولة بني العباس

وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٣م .

معروف : ناجي معروف

اصالة الحضارة العربية

الطبعة الثالثة ، دار الثقافة ، بيروت ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

ويستنفلد : ف . ويستنفلد

جدول السنين الهجرى بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها

ترجمة د. عبد المنعم ماجد ، د. عبد المحسن رمضان ،

مكتبة الانجلو المصرية ١٩٨٠م .

نخبة من الكتاب العراقيين

العراق في التاريخ

بغداد ١٩٨٣م .